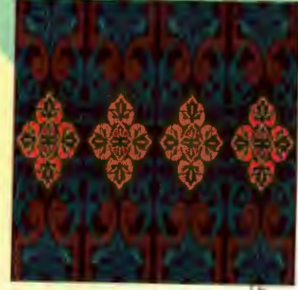


الشيخ علي عزّازة رحمه الله



العلوية

في دائرة الضّوء



الفخير
بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تاريخ	٣	٢	٣٣
-------	---	---	----

هذا الكتاب

في دائرة الضوء تتم المعرفة الحقيقية، بعيداً عن الأقاويل الشائعة التي تكون في الغالب نتاج الأهواء والصراع السياسي، ثم يصير الناس يتداولونها كأنها حقائق ثابتة، خصوصاً بعدما يعمل اعداء الاسلام على نشرها وترويجها خدمة لمآربهم.

ومن تلك الأقاويل ما شاع عن العلويين وحقيقة عقائدهم ما دفع مؤلف هذا الكتاب إلى أن يضعهم في دائرة الضوء ليبيّن أنهم عرب أقحاح، وهم مسلمون شيعة موحدون، ينزهون الخالق ويقرون بنبوة محمد بن عبدالله، سيد المرسلين، وبإمامة اثني عشر إماماً، وبأن هؤلاء الأئمة بشر.

أمّا الغلو الشائع عن بعض ما ينسب إليهم فطارئ، والصوفية الغالبة على مذهبهم ليست ديناً، بل هي طريقة (الجنبلانية) من كمال الإيمان، تنسب إلى الشيخ عبدالله بن محمد الجنبلاني، وازدادت عمقاً عند المنتجب العاني والمكزون السنجاري.

الناشر

الغدِير
للدراستات والنشر

حارة حريك - بناية البنك اللبناني السويسري

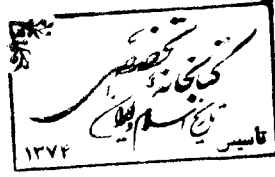
هاتف: ٠٣/٦٤٤٦٦٢ - ٠١/٥٥٨٢١٥

تلفاكس: ٠١/٢٧٣٦٠٤ - ص.ب: ٢٤/٥٠ - بيروت - لبنان

E-mail : algadeer@inco.com.lb



100077



العلويون

في دائرة الضوء

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ - ١٩٩٩م

جميع حقوق الطبع محفوظة
لمركز الغدير للدراسات الإسلامية

ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة
طبع أو ترجمة الكتاب إلا بترخيص من الناشر

الغدير
شبابية والنشر والتوزيع

حارة حريك - بناية البنك اللبناني السويسري
هاتف: ٠٣/٦٤٤٦٦٢ - ٠١/٥٥٨٢١٥ - تليفاكس: ٠١/٢٧٣٦٠٤
ص.ب ٢٤/٥٠ - بيروت - لبنان

E - mail: algadeer@ inco. com. lb



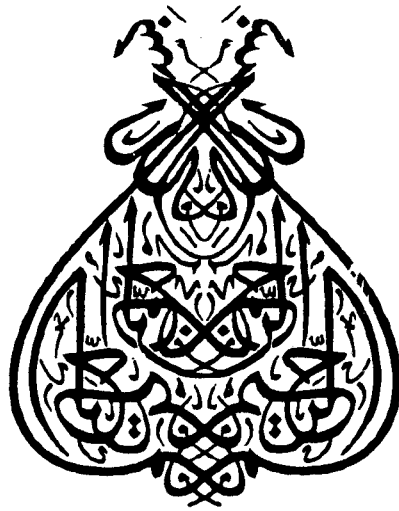
العلويون

في دائرة الضكوة

الشيخ علي عزيز الله هتم

الغدير

بيروت - لبنان



كلمة المركز

بدهي القول إن المسلمين بحاجة ماسّة إلى الوحدة، وبخاصّة في هذه الحقبة من التاريخ التي يواجهون فيها هجمات شرسة تهدف إلى إلغاء وجودهم الفاعل في هذا العالم. وهذه الهجمات تزداد شراسة، وليس من سبيل أمام المسلمين لمواجهتها سوى أخذهم بأسباب القوة، ومنها وحدتهم . . .

وبدهي القول، أيضاً، إن أهم أسلحة أعداء الإسلام، في تحقيق أهدافهم، يتمثّل في العمل على تشتيت المسلمين مذاهب وفرقاً متناحرة، باستخدام وسائل شتى، لعل من أهمّها التّشويه والتضليل.

انطلاقاً من هاتين البديهيّتين، ووعياً بأن الجهل بالآخر، أو تجاهله وقبول الشائع عنه من دون تمحيص ونقاش وإثارة أسئلة، هو الأساس الذي يقوم عليه الخلاف والتشتّت، رأى مركز الغدير للدراسات الإسلامية أن ينشر هذا الكتاب الموسوم بعنوان: «العلويّون في دائرة الضوء».

ففي دائرة الضوء تتمّ المعرفة الحقيقية، بعيداً عن الأقاويل الشائعة التي كانت في الغالب نتاج الأهواء والصراع السياسي، ثم صار الناس يتداولونها كأنها حقائق ثابتة، وخصوصاً بعدما عمل أعداء الإسلام على نشرها وترويجها خدمة لمآربهم.

وتقتضي معرفة الآخر، في دائرة الضوء، الالتزام بشرط أساس كان الشهرستاني، صاحب كتاب الملل والنحل، قد وضعه على نفسه حين قال: «وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم من غير تعصّب . . .». ومن أسف أنه أهمل ما اشترطه على نفسه، وقبل المتداول الشائع، ومن نماذج ذلك الخلط بين القرامطة والنصيرية والاسماعيلية والدروز. . وهذه فرق يجمع بينها معارضة السلطان، غير أنها متباينة،

ويقتضي الأمر ألا تُعرَف بوصفها «كمًا»، وإنما بوصفها فرقاً تتميز كل واحدة منها من الأخرى. وبغية معرفة تميّزها تنبغي العودة إلى كتبها الموثوقة، وهذا ما فعله الشيخ علي عزيز الإبراهيم، مؤلّف هذا الكتاب، إذ يعود إلى المصادر الأمّيات، فينقّب، ويحقّق ويجادل ويقدم أدلّته، ليقنع بحجّته عملاً بقوله تعالى: ﴿أذعُ إلى ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن، إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله، وهو أعلم بالمُهتدين﴾ [النحل/١٢٥].

وينتهي، الباحث، نتيجة جهده هذا، إلى نتائج مهمّة، ومنها أن العلويّين عرب أفحاح، وهم مسلمون شيعة موحدون، يُنزّهون الخالق ويقرون بنبوّة محمد بن عبدالله، سيد المرسلين، وبإمامة اثني عشر إماماً، وبأن هؤلاء الأئمة بشر. أمّا الغلوّ الشائع عن بعض من ينسب إليهم فطاري، والصّوفية الغالبة على مذهبهم ليست ديناً، بل هي طريقة (الجنبلانية) من كمال الإيمان، تنسب إلى الشيخ عبدالله بن محمد الجنبلاني، وازدادت عمقاً عند المنتجب العاني والمكزون السنجاري.

نأمل أن يسهم هذا الكتاب في تلبية حاجتنا الماسّة إلى المعرفة الموضوعية، بوصفها أساساً من أسس الوحدة الناهضة إلى النماء والرخاء بإذن الله.

مركز الغدير للدراسات الإسلامية

تقريظ للكتاب بقلم العلامة السيد محمد حسن الأمين

لا يسعنا إلا أن نشمّن هذا الجهد العلمي والأدبي والتاريخي الذي يتضمّنه هذا الكتاب، وأن نُكبر الدوافع النبيلة لمؤلّفه الأخ فضيلة الشيخ علي عزيز الإبراهيم، وما بذله من جهد التحقيق، والتأليف، والبحث، والمقارنة في سبيل إخراج هذا الكتاب.

لقد ساهم هذا الكتاب مساهمة كبيرة ومخلصة في الكشف والجلء عن الصفحات المشرّقة في تاريخ هذه الطائفة الكريمة (العلويين) وتاريخ علمائها، وأدبائها، وشعرائها، ومتصوفها، والظروف الصعبة التي اكتنفت هذا التاريخ، وأساس التشيّع التي تركز عليها عقيدتها على نحو يجعل من هذا الجهد إنجازاً مميزاً في سبيل إنصاف هذه الطائفة الكريمة، ونفي الشبهات التي علقت بالأذهان، فصوّرت عقيدة العلويين على غير حقيقتها.

إننا نأمل أن يساعد صدور هذا الكتاب على حفز كثير من الباحثين والمؤرخين على الدرس والكتابة والتأليف بما ينصف هذه الطائفة وتاريخها ويقدمه بما يقضيه الإنصاف والبحث النزيه المجرّد، وبما يرفع الغبن والتشويه الذي أصاب هذه الطائفة من المسلمين من ضمن ما أصاب التشيّع بصورة عامة على امتداد تاريخنا الإسلامي.

إن فضيلة الشيخ علي عزيز الإبراهيم يستحقّ كلّ الشكر والتقدير لما بذله من جهود مضيئة في البحث والتحقيق وملاحقة المصادر لإخراج هذا الكتاب القيم، سائلين المولى أن ينيله جزاء العاملين وهو أكرم مسؤول.

محمد حسن الأمين

صيدا ٢٠ - شوال - ١٤١٥ هـ

خطبة الكتاب

الحمدُ لله الذي لم يسبق له حالٌ حالاً فيكون أولاً قبل أن يكون آخراً، ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً، كلٌّ مسمًى بالوحدة غيره قليل، وكلٌّ عزيز غيره ذليلٌ، وكلٌّ قويّ غيره ضعيفٌ، وكلٌّ مالكٌ غيره مملوكٌ، وكلٌّ عالمٌ غيره متعلمٌ، وكلٌّ قادرٌ غيره يقدرٌ ويعجزُ وكلٌّ سميعٌ غيره يصمُّ عن لطيفِ الأصوات، ويصمّه كبيرها ويذهب عنه ما بعدَ منها، وكلٌّ بصيرٌ غيره يعمى عن خفيِّ الألوان، ولطيفِ الأجسام، وكلٌّ ظاهرٌ غيره باطنٌ، وكلٌّ باطنٌ غيره غير ظاهرٍ.

لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطانٍ ولا تخوّفٍ من عواقب زمان، ولا استعانةٍ على نذٍ مثارٍ، ولا شريكٍ مكاثٍ، ولا ضدّ مُنافٍ، ولكنّ خلائقٍ مربوبون، وعبادٍ داخرون.

لم يحلّل في الأشياء فيقال هو فيها كائنٌ، ولم ينأ عنها فيقال هو منها بائنٌ، لم يؤذ خلق ما ابتدأ. ولا تدبير ما ذرأ، ولا وقف به عجزٌ عمّا خلق، ولا ولجث عليه شبهة فيما قضى وقدر، بل قضاءً متقن وعلم محكم وأمر منبرم المأمول مع النقم والمرهوب مع النعم.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصّفي، وأمينه الرّضي، صلّى الله عليه وآله أرسله بوجوب الحجج وظهور الفلج وإيضاح المنهج فبلغ الرسالة صادعاً بها. وحمل على المحجّة دالاً عليها، وأقام أعلام الأهداء ومنار الضياء وجعل أمّاس الإسلام متينة وعرى الإيمان وثيقة^(١).

وبعد: فقد شاءت المقادير السماوية أن يكون لكل أمر سبب، وبناء عليه

(١) نهج البلاغة.

فإنَّ الفرقة بين المذاهب الإسلامية تعود أسبابها إلى جهل بعض المذاهب ببعض إخوانهم من أبناء المذاهب الأخرى، أو أنهم إعتمدوا في المعرفة على ما يكتبه الأعداء والمغرضون وقسم كبير من المستشرقين والمبشرين، الذين يسعون وعلى الدوام إلى زرع الفتنة بين أتباع الدين الواحد وربّما المذهب الواحد، ومما يدمي القلوب، ويهزّ الوجدان والضمير، ويفتت الأكياد ويعزّ على كل غيور يحافظ على الملة والبيضة والوحدة الإسلامية، أنّ هذا الجهل المفرق بين المسلمين قد أثر في الماضي والحاضر، وربما حتى في المستقبل حيث أننا رأينا في الماضي كيف أن الترشق بالتهم، إبان التناحر والتخاصم السياسي قد أدّى إلى الولايات، والخراب والدمار، ممّا أطمع الغزاة والمستعمرين بالمسلمين، فتقسمت بلاد الإسلام إلى دويلات وأنهكت قواهم وحكمتهم أدوات الشعبوية: الغلمان والخصّصي والجواري.

أحد الأسباب البارزة والمهمة، في هذه الولايات والنكبات، هو ما يسجله كل فريق على الآخر من الاتهام له في دينه ودنياه.

وأما في الحاضر، فلا يزال مرضى النفوس والأفئدة من المترمتين والمغرضين، يتناقلون التهم المسجلة في الماضي ويأخذونها كمسلمات وحقائق تاريخية، دون وازع من دين أو ضمير، ممّا يفرح ويدخل البهجة على أعداء العرب والمسلمين، من يهود، واستكبار غربي حاقد فاجر وبذلك تنقطع كل صلة رحم عربية ودينية، مما أدى إلى استفحال أمر الصهاينة المجرمين وإغتصاب أرض الإسلام في فلسطين والجولان وجنوب لبنان، والعرب والمسلمون في ملهاة بالقشور والمناصب والمآرب والمغانم المالية والسلطوية، وهم اليوم في أمس الحاجة، وهم في محنة سياسية شرسة، إلى الكثير من اليقظة والتسامح الإسلامي في فروع الدين، حيث لا خلاف البتة على الأصول، وإلى الأخذ بما يقرّه الدين والقرآن والعقل لا بما يتقوله ويتشدد به المغرضون والجاهلون.

ولا بدّ في هذا الظرف العصيب من أن يتخذ عقلاء كل المذاهب الإسلامية جانب الحذر واليقظة من التشنيع على الغير بما عند جماعته مثله أو أكثر منه.

ولقد كان المسلمون العلويون الشيعيون، في الماضي والحاضر، مستهدفين لأقسى أنواع الظلم والتشنيع، ولا يزال السفهاء من العملاء مرضى النفوس والقلوب يحلو لهم، لغاية في نفس يعقوب، نبش الماضي، وترداد ما يختلقه أعداء العرب والإسلام، في الصحف والإعلام، دون رادع من دين أو خلق وكأنهم لم يسمعوا قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَحْبُونَ أَنْ تَشِيحَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١).

وكان السادرين في الغي والإختلاق والتشهير لم يقرأوا قول الباري سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾^(٢).

وإننا، حفاظاً على الوحدة والملة بين المسلمين، ندعو الجميع إلى نبذ الخلافات والأحقاد، والإقبال على دراسة الآخرين من خلال آثارهم، لا من خلال أقلام المبشرين، والمستشرقين، والحاقدين، ولا سيما أن الأمم قد بلغت الأجواء، وأن الأديان السماوية الكبرى يسعى قادة الفكر فيها إلى التلاقي والتدارس ونبذ الخلافات والموانع، والإقبال على عبادة الله الواحد القهار، دون أن يشرك بالله شيئاً.

وأنت أخي القارئ العزيز، ستجد في هذا الكتاب، مع الدليل والبرهان، الحقائق التالية:

- ١ - العلويون مسلمون شيعة موحدون، ينزهون الخالق عن كل مشابهة للمخلوق.
- ٢ - وهم يقرون بنبوّة سيّد الرسل محمد (ص) وإمامة إثني عشر إماماً من أهل بيته الطاهرين.
- ٣ - أنهم عرب أقحاح، لا تشوب أنسابهم شائبة على الإطلاق.

(١) سورة النور: الآية ١٩.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٦٩.

٤ - الغلوّ طارىء عليهم، سببه العزلة والحرمان والجهل والمشائخية الجاهلة .

٥ - وهم لا يرتضون، وفق بياناتهم، عن الإسلام ديناً، والعروبة حساباً والتشيع مذهباً، بديلاً .

٦ - أكثريتهم لا تقرّ الحلول والتناسخ والمتصوفة منهم يقولون بالتجلي .

٧ - أن القضاء والقدر خير من الله وشرّه من النفوس، فلا جبر عندهم ولا تفويض .

٨ - أهل البيت (ع) عندهم بشر مميزون معصومون، وهم فرع من الحقيقة المحمدية .

٩ - الطريقة الصوفية «الجنبلانية الخصيبية» ليست ديناً، وهي من كمال الإيمان .

١٠ - العلويون هو اسمهم الحقيقي، وإسم النصيرية من إفتآت وظلم أعدائهم لهم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

علي عزيز الإبراهيم

طرابلس في غرة صفر/ ١٤١٤ هـ

هجرة العلويين إلى جبالهم

لم تكن هجرة العرب الذين سَمّوا بالعلويين مؤخراً، إلى جبالهم، دفعة واحدة، بل على عدة دفعات، جماعات وأفراداً. وهجرتهم جماعات كانت ست مرات على ما أعتقد:

الهجرة الأولى: قبل المسيح ومحمد (ص) وبين عهديهما

والثانية: بعد محمد، في عهد الفتح العربي الإسلامي، أي في سنة ١٣ هـ. أو ٦٣٦ م، وما بعدها.

والثالثة: في القرن الخامس للهجرة، بعد ظهور مذهب النصيرية، والبلاء الذي صب على الذين اعتنقوه، وذلك من قبل الحكام المسلمين غير العرب.

والرابعة: في أوائل القرن السابع للهجرة، في زمن الأمير حسن بن مكزون.

والخامسة: في النصف الثاني من القرن السابع للهجرة بعد الحملة الكسروانية، سنة ١٣٠٥ م.

والهجرة السادسة: كانت عند اجتياح ياوز سلطان سليم التركي للبلاد، سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٦ م)، وبين هذه الهجرات العامة، كانوا يهاجرون أفراداً، إلى الجبل طلباً للرزق، أو هرباً من الضغط والعذاب، وللإحتماء بأبناء طائفتهم هناك^(١).

(١) منير الشريف المسلمون العلويون من هم وأين هم: ص ٣٤ طبعة ثالثة. طرابلس - لبنان،

١٩٩١ م.

الهجرة الأولى

إن العرب قد اجتاحتوا الأراضي السورية، قبل ألوف السنين، فكانت منازل اللّخميين والقضاعيين وفروعهم الجذاميين وكلب وعامله وغيرهم، بين مصر والعراق، وكانت أراضي الشام ضمن هذه الأراضي، حتى أن حمص كانت في يد حكومة عربية، قبل دخول القائد الروماني بومبي إلى سورية سنة ٦٤ ق.م، وكان العرب يحتلون لبنان، عندما جاء الإسكندر المقدوني إلى سورية، وذلك سنة ٣٣٣ هـ - ٣٣٢ ق.م.

والسليحيون - وهم من قضاة - نزلوا على بني أذينة بن السميذع العمليقي، ملوك العرب في أطراف الشام، قبل المسيح، ثم استولوا على الملك وكان ملكهم الحرث في دمشق، عندما دخلها بولص الرسول، وبعد ذلك غلبتهم غسان وغسان من الأزدي، ولد كهلان، شقيق حمير - وحلت محلهم.

وشاد آل جفنة الغسانيون دولتهم في البلاد السورية وظلت حتى سنة ٦٣٦ م، وكانت حمص وشيزر وسلمية وسواحل بحر الروم وحتى اللاذقية، معتبرة من ديار غسان، أضف إلى ذلك أن الآراميين والكنعانيين، وكل من كان في زمنهم كالأموريين واليبوسيين وكل هؤلاء من العرب الساميين حتى أن الفنيقيين، كما ظهر من آثارهم الحديثة هم فصيلة عربية، وكانت لغتها العربية القديمة، وهؤلاء كانوا يسكنون سواحل لبنان ومحافظة اللاذقية.

ومما قاله المؤرخ اليعقوبي، إن أهل حماه من اليمن، وأهل حمص جميعهم من اليمن، من طي وكندة وحمير وكلب وهمدان، وأطراف حمص كذلك، وأهل سلمية من ولد عبد الله بن صالح الهاشمي، ومعرفة النعمان أهلها تنوخ، وأهل أفامية (وقد خربت في القرن الثالث عشر للمسيح على أثر الزلازل) من عذرة وبهراء، وأهل مدينة شيزر من كندة، وأهل اللاذقية من اليمن، من سليح وزبيد وهمدان ويحصب وغيرهم، وأهل مدينة جبلة من همدان، وبها قوم من قيس ومن أياد، (ان قرابة الدم جعلت إبراهيم بن أدهم، الزاهد العربي، يأوي

يأوي إليها، ويموت فيها سنة ١٦١ هـ، وهو من بني بكر بن وائل وليس بعجمي كما يظن البعض^(١) وأهل مدينة، طرطوس هم قوم من كنده.

إن هؤلاء العرب هم الذين احتاطوا بجبال اللاذقية من كل أطرافها، وغلوا فيها ولا شك، لاستثمارها والحياة فيها^(٢).

الهجرة الثانية

أما الهجرة الثانية، فكانت بعد اكتساح العرب المسلمين لسورية، إذ إن الغرباء الذين كانوا يسكنونها رحلوا عنها، فاعتاض الخلفاء والأمراء العرب عنهم، بعرب كانوا يأتون بهم من البادية وأطراف الشام، كما أن كثيراً من القبائل العربية قد لحقت بالعرب الفاتحين والحكام العرب في بلاد الشام، رغبة في الحياة الهنيئة، وهؤلاء طاب لهم المقام في جبال اللاذقية النضيرة وعلى شواطئ البحر اللأزوردي، بالقرب من مياه الأنهر الفيضة وعيون المياه المتفجرة، التي كأنها مشعشة بالثلج، فتناسلوا هناك، ونسوا مواطنهم الأصلية، ولا يزال فيهم اليوم من يحمل أسماء عشائره القديمة، كالمهالبة الأزديين، والجهنين الطائين، حتى أن بعض العلويين لا يزالون ينتسبون للأوس والخزرج الأنصارين، الذين هبطوا البلاد أثناء الفتح العربي الإسلامي.

ومما جاء في ذلك: «إفتح أبو عبيدة اللاذقية وجبله وأنظرطوس على يدي عبادة بن الصامت، وكان يوكل بها حفظة إلى إنغلاق البحر، فلما كانت شحنة معاوية السواحل، وتحصينه إياها، شحنها وحصنها»^(٣).

«إن معاوية كتب إلى عمر بن الخطاب يصف له حال السواحل (الشامية)، فأجابه في مرمة حصونها وترتيب المقاتلة (أي العرب) فيها، وإقامة الحرس على

(١) تاريخ أبي الفداء ج ٢ ص ٩.

(٢) نفس المصدر ص ٣٦.

(٣) البلاذري - فتوح البلدان ط ١٩٣٢ (مصر)، ص ١٣٩ و ١٤٠.

مناظرها^(١)»، «ثم إن الناس بعد [ذلك] إنتقلوا إلى السواحل من كل ناحية»^(٢) وجاء أيضاً: «لما استخلف عثمان بن عفان (رض) كتب إلى معاوية يأمره بتحسين السواحل وشحنتها، وإقطاع من ينزله إياها [من العرب] القطائع، ففعل»^(٣).

وأنشأ معاوية مدينة جبلة وكانت حصناً للروم جلوا عنه، وبنى لها حصناً خارجاً من الحصن الرومي، وبنى أيضاً أنطرطوس ومصرها، وأقطع بها القطائع، وكذلك فعل بمرقية وبانياس^(٤).

وجاء في التاريخ المذكور أيضاً: «قال هشام بن الليث، حدثني أشياخنا، قالوا: نزلنا صور والسواحل، ثم نزع إلينا أهل بلدان شتى [من العرب] فنزلوها معنا، وكذلك جميع سواحل الشام وأمر معاوية بجمع الصناعات والنجارين، فجمعوا ورتبوا في السواحل»^(٥).

الهجرة الثالثة:

إن الهجرة الثالثة، كانت على مراحل، وفي أوقات مختلفة، حيث هاجر العراقيون في أواخر القرن الرابع والقرن الخامس الهجري، إلى جبال العلويين هذه واستوطنوها حيث جاء في كتب العلويين: أن العشيرة البغدادية المعروفة اليوم بالخياطية، قد ظهر جدّها السيد عيسى الملقّب بالباناسي، نسبة إلى باناس الشام، التي سكنها في الأربعمئة للهجرة، ومن هناك رحلت ذريته إلى صافيتنا، فالمرقب، فجبلة . . . ثم تبعها أسرة حلبيّة واندمجت بها بداعي أنها فرع منها، وأن أسرة السيد محمد العاني، الملقّب بالمنتجب العراقي الذي ولد في سنة ٤٣٩ هـ. رحلت إلى جبال العلويين واستوطنتها.

ولم يعرف التاريخ الحقيقي لهذه الهجرة، أما سببها فإن العلويين

(١) المصدر نفسه: ص ١٣٤.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٣٥.

(٣) المصدر نفسه: ص ١٣٤.

(٤) المصدر نفسه: ص ١٣٩.

(٥) المصدر نفسه: ص ١٢٤.

أنفسهم لا يعلمونه إلا ما ندر .

ولمعرفة سببها الحقيقي ، لا بد من معرفة الحالة في العراق وبلاد الشام في القرنين الرابع والخامس الهجريين ، إذ كانت جدّ سيئة ، وكانت الفوضى ، ضاربة أطباها فيهما ، مع أن هذين القطرين كانا مفخرة عربية ، عندما كان خلفاء العرب سادة البلاد ، وإني أنقل فيما يلي بعض حوادث العراق ، وبلاد الشام آنذ ، عن تاريخ أبي الفداء :

«يتنازع القواد والرؤساء الإمارة ، في بغداد ، ولا حول للخليفة إلا إعطاء لقب الإمارة للغالب» .

«هرب الخليفة من بغداد ، والتجأ إلى ابن حمدان صاحب الموصل ، فحماه هذا وأعاده إلى بغداد» .

«نهب الديلم دار ناصر الدولة بن حمدان ، وثار ولد التركي واستولى على بغداد ، فجعله الخليفة أمير الأمراء» .

«هرب الخليفة من بغداد خشية ابن تورون» .

«أمن ابن تورون الخليفة المنفي ، فأعاده إلى بغداد ، ثم سمل عينيه»^(١) .

«حلف الخليفة اليميني ، بحضور القضاة باحترام إمارة ابن شيرزاد ، وبعدئذ اختفى هذا الخليفة ، ثم ظهر وحلف اليميني إلى معز الدولة بن بويه الديلمي ، ولكن هذا سجنه ونهب داره ، وسمل عينيه ، ومات في سجنه وقد أكل الناس بعضهم بعضاً في بغداد ، لقلّة الغذاء والفوضى» .

«استولى عسكر المعتز العلوي (من أولاد الإمام علي (ع)) على قسم من سورية ومنها دمشق» .

هاجم ملك الروم طرابلس وحمص وغيرها ، وأخذ أسرى وغنائم كثيرة ،

(١) أبو الفداء «المختصر في تاريخ البشر» : ج ٢ ص ٨٨ - ٩١ حوادث السنوات : ٣٢٩ هـ - ٣٣٣ هـ .

وخرج أبو المعالي من حلب مغلوباً .

«تغلب الروم على حلب وحمص وحماة، وغيرها من المدن الشامية (ثم طردوا) .

«تملك القرامطة دمشق، ثم رحلوا إلى مصر لفتحها، ولكنهم لم ينجحوا» .

«وصل الروم إلى الجزيرة والرّها (أورفة) ونصيبين، وقتلوا العرب المسلمين فيها، وهرب الباقي إلى بغداد، فدفع الخليفة ٤٠٠ ألف درهم إلى بختيار بن بويه الديلمي، لينفقها على غزو الروم، ولكنه لم يفعل شيئاً» .

خلع الخليفة نفسه، بدعوة من سبكتكين، وسلم الخلافة إلى ولده الطائع» .

«اشتد القتال بين الترك وبين بني بويه (العجم) في بغداد» .

«إستولى الترك على دمشق» .

«هجم القرامطة على الكوفة فنهبوا، واستولوا عليها» .

«وقعت الفتنة بين الأتراك والديلم (العجم) في بغداد» .

«قبض بهاء الدولة (الأعجمي) على الخليفة وعزله» .

«ضعف أمر الديلم في بغداد» .

تسلط الأتراك على بغداد، وأوقعوا فيها أضراراً جمة» .

إنحلّ أمر الخلافة في بغداد، وصار الأقوياء (الأعاجم) يأخذون أموال الناس ويقطعون الطرقات» .

«إعتدى جلال الدولة (أعجمي) على حق الخليفة، فأراد هذا مغادرة بغداد فلم يتمكن» .

«اشتداد الغلاء في العراق، وأكل الناس الميتة» .

«وقعت فتنة بين الشيعة والسنة ببغداد، وأحرقت دور الفقهاء».

«ضعفت مكانة الخليفة، وانتهت دولة بني بويه».

«وقع السلب والنهب في بغداد، من قبل السباسيري (المملوك التركي) واستزم الخليفة بزمام قريش العقيلي العربي ليحميه، ثم نهب الأعاجم دار الخليفة»^(١).

«تعدى الجنود الترك على أهل بغداد، وأخرجوهم من دورهم وفسقوا ببعض النسوة».

«قدّم محمود بن مرداس (العربي) ملك حلب، الطاعة لألب أرسلان».

«وقعت فتنة ببغداد بين الشافعية والحنابلة».

«شكا الخليفة المقتدر، إلى ملكشاه من سوء معاملة الناس له».

«بطش تنش (التركي) بأمراء العرب، ثم تقاتل تنش وابن أخيه».

«يقاتل الأتراك بعضهم بعضاً».

«سار الإفرنج إلى الشام، وكسروا جيوش السلاجوقي صاحب قونية، واتفق أصحاب الموصل ودمشق وحمص (وهم أتراك) فنازلوا الإفرنج، بالقرب من أنطاكية، وبعد أن تغلبوا عليهم، خبثت نيات الأتراك فولوا، وتركوا أنطاكية للفرنج، فنهبا هؤلاء، وفتكوا بأهلها.

«ظهر الفرنج في المدن، وقتلوا حوالي مائة ألف من أهلها».

«حاصر الفرنج القدس وملكوها، وقتلوا من المسلمين في المسجد الأقصى ما يزيد عن ٧٠ ألف نسمة، وهرب أناس إلى بغداد».

«وقع قتال بين ملوك الترك في بغداد وحولها».

(١) المصدر نفسه: ص ٩٣ - ١٧٨. حوادث السنوات: ٣٥٨ هـ - ٤٥٠ هـ.

يتقاتل ملوك الترك، والخليفة المستنصر يشكو إلى بعضهم سوء سيرة
بركيارق».

«يقاتل ملوك الأتراك بعضهم بعضاً، والفرنج يملكون بلاد الشام»^(١).

يظهر من هذا الملخص أن الداعي لهذه الهجرة أمور منها:

١ - ضعف سلطان العرب في العراق، وقيام القواد الشعبيين بالإخلال
بالنظام، وقتلهم الخلفاء، والأمراء العرب، واعتدائهم على أموال
الناس وأعراضهم.

٢ - ضعف شأن بني بويه (وهم فرس، شيعة) فخاف الشيعة على
أنفسهم، وخاصة بعد القتال الذي وقع بين الفتين، فهجر بعضهم
العراق.

٣ - ظهور قوة أبناء الإمام علي (ع)، في سورية، والشيعة يعتززون
بهؤلاء.

٤ - المجاعات التي ظهرت في العراق.

وقد تكون هذه الأسباب، هي التي أوجبت هذه الهجرة، لذلك بحثها
بتفصيل، لأنها مهمة ويعول عليها^(٢).

الهجرة الرابعة:

وهذه الهجرة كانت في زمن الأمير حسن بن مكزون، وبحسب كتب
العلويين، فإنها كانت في سنة ٦٢٠ هـ، وذلك لأجل نصره أبناء مذهبهم في جبال
العلويين، ولم يتوسع العلويون في بحث ذلك، على أنني رأيت أن هناك عدة
عوامل لهذه الهجرة، وإنني أبين فيما يلي، ما كانت عليه بلاد العراق والشام في
القرنين السادس والسابع الهجري، ومنها تظهر هذه العوامل الكثيرة وها نحن ننقل

(١) المصدر نفسه: ص ١٨٣ - ٢١٥ حوادث السنوات: ٤٥٥ هـ - ٤٩٥ هـ.

(٢) المسلمون العلويون من هم أين هم: ص ٤٣.

عن أبي الفداء ملخصاً يظهر أسباب هجرة العلويين الرابعة .

«استولى الإسماعيلية على حصن مصياف . من والي بني منقذ، بعد أن احتالوا عليه وقتلوه» .

«حاصر الألمان دمشق ثم رحلوا عنها دون أن يظفروا بها» .

حاصر الملك محمد بن السلطان محمود السلجوقي صاحب همدان بغداد، فلم يتمكن منها .

«حاصر أمير ميران شقيق نور الدين زنكي، مدينة حلب، ليأخذها من نور الدين فلم يقو على ذلك» .

«باغت الفرنج نور الدين محمود بن زنكي، وهاجموه في البقيعة تحت حصن الأكراد فهزموه» .

«أرسل نور الدين زنكي جنداً إلى مصر لقتال شاور التركي، الذي عصى عليه وعلى الخليفة الفاطمي فلم ينجح كل النجاج» .

جهز نور الدين زنكي حملة إلى مصر تحت رئاسة أسد الدين شيركوه، ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب، (الذي صار سلطاناً فيما بعد على مصر ثم على سورية) فتمكن شيركوه، من جند شاور بمصر» .

«فتح نور الدين صافيتا» .

«ولّى الخلفية الفاطمي صلاح الدين الوزارة، ولقبه بالملك الناصر» .

«أقيمت الخطبة للعباسيين في سورية ومصر بدلا من الفاطميين» .

«اشتد القتال بين الأتراك في العراق» .

«خاف صلاح الدين من نور الدين زنكي، فأرسل أخاه توران شاه لفتح اليمن، ليجعله ملكاً له إذا لم ينجح على نور الدين فتمكن توران شاه من ملك اليمن الحميري، واستولى عليها» .

- «مات نور الدين، وكان تجهز لدخول مصر، فتولى ابنه الصالح مكانه».
- هاجم صلاح الدين بلاد الشام، وكسر الملك الصالح، ثم تصالحا على أن يكون للصالح حلب وأطرافها فقط»^(١).
- «أرسل سعد الدين كمشتكين (زنكي) إلى سنان راشد الدين الإسماعيلي، ليقتل صلاح الدين، فأرسل هذا من يقتله فقتل».
- «اشتدت الحرب بين صلاح الدين والزنكيين في بلاد الشام».
- «هاجم اسماعيلي صلاح الدين وجرحه برأسه بسكين، ولكن صلاح الدين تخلص منه وقتله».
- «هاجم صلاح الدين بلد الإسماعيلية فنهبها وخرّبها، وحاصر قلعة مصيف فأرسل سنان راشد الدين، صاحب حماة، ساعياً بينهما للصلح، فصالحه صلاح الدين ورحل عنه».
- «حاصر الفرنج حماه فلم يقووا عليها».
- «وقعت حرب بين جند صلاح الدين، وجند قليج أرسلان صاحب بلاد الروم».
- «حارب صلاح الدين بعض الملوك في سورية والعراق، والفرنج على الساحل السوري».
- «حاصر صلاح الدين الموصل للمرة الثانية، وكانت في يد الزنكيين فاسترضاه صاحب الموصل وأعطاه بعض بلاد كانت له».
- «مرض صلاح الدين مرضاً مخطرأً، فسار ابن عمه محمد بن شيركوه صاحب حماه، إلى حمص، واتفق مع أهل دمشق ليسلموها إليه، إذا مات صلاح الدين، ولكن بعد قليل مات محمد فجأة، فقبل أن صلاح الدين دس إليه من سقاه

(١) المختصر في تاريخ البشر: ج ٣ ص ١٥ - ٥٦، أحداث السنوات: ٥٣٥ - ٥٧٠.

السّم»^(١).

«فتح صلاح الدين طرطوس ومرقية وجبله واللاذقية وصهيون».

«فتح صلاح الدين شمال سورية ومنها انطاكية».

«اشتد القتال بين العجم والترك في العراق».

«توفي راشد الدين سنان، صاحب الدعوة الإسماعيلية بقلاع الشام وأصله من البصرة».

«مات السلطان صلاح الدين، وتولى ابنه الأفضل مكانه».

«كان القتال متواصلاً بين الأتراك في العراق والأناضول».

«بدأ القتال بين العزيز والأفضل ولدي صلاح الدين».

«هاجم العزيز أخاه الأفضل».

«تأمر العزيز (ملك مصر) وعمه العادل، على أن يحاربا الأفضل ويستوليا على دمشق، لتكون للعادل، والخطبة والسكة للعزيز، فاستوليا عليها وترك للأفضل صرخد»^(٢).

«اشتد القتال بين الأتراك».

«هاجم الفرنج بيروت واستولوا عليها».

«مات العزيز، واستولى الأفضل على ملكه، فحرم ابن العزيز من ذلك، ثم اتفق الأفضل وأخوه الظاهر، صاحب حلب، وهاجما عمهما العادل صاحب دمشق، وكادا ينجحان في الحرب، لولا اختلاف وقع بين الأخوين، بدسياسة من العادل».

«حارب العادل الأفضل، وخلص مصر منه».

(١) المختصر في تاريخ البشر: ج ٣، ص ٥٧ - ٦٩، أحداث السنوات: ٥٧٠ - ٥٨١.

(٢) المختصر في تاريخ البشر، ج ٣ ص ٧٤ - ٩٢، أحداث السنوات: ٥٨٤ - ٥٩٢.

«إشتد القتال بين آل أيوب في سورية» .

«إشتد القتال بين آل أيوب في سورية وكذلك بين الترك من خراسان، إلى العراق إلى الأناضول» .

«حمي القتال بين بني أيوب، والصلبيين في البلاد» .

«حمي القتال بين الأتراك» .

«هاجم الملك العادل الإفرنج في جهات عكا وحصن الأكراد وعناز وطرابلس» .

«إشتد القتال بين الملك العادل صاحب دمشق، وبين قطب الدين زنكي صاحب سنجار» .

«وقع القتال في بلاد الرّوم بين ملوكها السلجوقيين» .

«اتفق الملك الأفضل مع ملك بلاد الروم السلجوقي، على أخذ ملك ابن أخيه في حلب، فلم ينجح في تلك الحرب، لأن أمير العرب ساعد صاحب حلب» .

«توفي الملك العادل، ووجد في خزانته ٧٠٠ ألف دينار» .

«مات قطب الدين زنكي صاحب سنجار، فملك بعده ابنه عماد الدين، وبقي في الملك بضعة شهور، ثم وثب عليه أخوه محمد فذبحه وملك بعده» .

«ظهر التتر ورئيسهم جنكيز خان، وبدأ ضررهم في بلاد الإسلام»^(١) .

«يقيم الفرنج في دمياط وسواحل سورية، والملوك المسلمون غير العرب يتقاتلون» .

«خرّب جنكيزخان مدن خوارزم وغرقها بالماء، وقتل رجالها وعلماءها وخرّب جوامعها» .

(١) المصدر نفسه: ص ٩٣ - ١٢٢، أحداث السنوات ٥٩٤ - ٦١٦ .

«ذهب إخوان الملك الكامل من سورية (وكانوا ملوكها) إلى بلاد مصر لمحاربة الفرنج، وقد عرضوا على الفرنج تسليمهم القدس وعسقلان وطبرية واللاذقية وجبله وجميع ما فتحه صلاح الدين، على أن يسلموا دمياط إلى المسلمين، فأبى الفرنج ذلك، ففتحوا على جنود الفرنج، ثغرة من النيل، فأغرقوا الأراضي التي كانت معسكراً لهم، فطلبوا الأمان».

«توفي جلال الدين صاحب الألموت ومقدم الإسماعيلية».

«وقع قتال بين الملك عيسى صاحب دمشق وبين الملك الناصر صاحب حماه».

«أرسل الملك الأشرف (من بني أيوب) عسكرياً فهدموا قلعة اللاذقية».

«نهب جلال الدين الخوارزمي أطراف بغداد، وقاتل الملوك هناك».

«نازل جلال الدين، خلاط مملكة الأشرف بن العادل».

«خاف الملك الكامل (ملك مصر) من أخيه الملك عيسى (صاحب دمشق) فكتب أميراً طور الفرنج ضد أخيه».

«الأيوبيون يقاتلون بعضهم بعضاً».

«يحارب الكرد والترك، جلال الدين خوارزم».

«قتل التتر جلال الدين خوارزم، واستولوا على جهات ديار بكر والجزيرة، فقتلوا أهلها وخربوها».

«اشتد القتال بين بني أيوب».

«وقع القتال بين الأيوبيين والملك كيقيز السلجوقي صاحب بلاد الروم بجانب خربوط، وتقاعد العرب عن مساعدة الملك الكامل صاحب مصر، لاعتقادهم أنه سيأخذ ملكهم ويعوضهم عنه ببلاد الروم».

«هاجم السلجوقيون حرّان والزّها واستولوا عليها».

«استرجع الكامل حرّان والرّها»^(١) .

«هاجم الكامل دمشق (وكانت بيد ملك أيوبي) فاستولى عليها بعد حرب ضروس ، وكان القتال متواصلاً في بلاد الشام بين ملوكها» .

«القتال والمؤامرات بين بني أيوب في بلاد الشام» .

«وقع قتال بين بني أيوب والخوارزمية في جهات حلب ، ونجح الخوارزمية فدخلوا حلب ، وأسأؤوا فيها كثيراً ، وفعلوا كذلك في منبج .

«نجح بنو أيوب وطرّدوا الخوارزمية ، وكان العرب يحاربون معهم» .

«خاف الملك الصالح اسماعيل صاحب دمشق من الملك الصالح أيوب صاحب مصر ، فسلم صفد ومدناً غيرها إلى الفرنج ليساعده على صاحب مصر» .

«كان الحرب متواصلاً بين الخوارزمية والأيوبية في سورية» .

«حجمي القتال بين الأيوبيين في سورية ، وبين هؤلاء والخوارزمية» .

«القتال مستمر بين الأيوبيين في سورية» .

«وقع القتال بين صاحب الموصل وحلب» .

«اشتد القتال بين بني أيوب في سورية ومصر»^(٢) .

«يظهر من هذا الملخص للتاريخ أن هناك عدة عوامل كانت مسببة لهجرة العلويين الرابعة ، وأهمها :

١ - الضيق النّي مني به أهالي العراق (وجبل سنجار هو حدود العراق) من قبل الملوك غير العرب .

(١) المختصر في تاريخ البشر: ج ٣ ص ١٢٧ - ١٥٨ ، حوادث السنوات: ٦١٧ - ٦٣٣ .

(٢) المختصر في تاريخ البشر: ج ٣ ص ١٦٠ - ١٨٩ ، حوادث السنوات: ٦٣٥ - ٦٥٠ .

٢ - القتال المتواصل بين الملوك غير العرب في سورية، وبين هؤلاء والفرنج.

٣ - هجوم الترك على العراق وسورية.

٤ - القتال بين الأتراك في العراق والأناضول.

٥ - وجود منطقة جبل سنجار ضمن المناطق الحربية.

٦ - حاجة ملوك سورية غير العرب إلى من يعاون بعضهم على بعض، ومن يعاونهم على الفرنج، فكانوا ينقلون الناس من قطر إلى آخر.

٧ - ضعف حالة الإسماعيلية، بموت أمرائهم (في جبال العلويين).

هذه هي أهم الأسباب التي دعت إلى هذه الهجرة، وقد وجدت من الضروري بحثها، لأن عشائر المتاوررة والكلبية والحدادين في الجبل العلوي، يهتمون بها لإعتقاد أكثرهم أنهم أبناء هذه الهجرة، كما أن هذه الأسباب هي التي جعلت أسراً كثيرة، كان تقطن في أطراف الشام والعراق، ترحل إلى الجبل العلوي بصورة متفرقة، للإحتماء في مواقعه المنيعة وبأبناء طائفتهم الكثيرين هناك.

كما أنني رأيت من الضروري ذكر هذا التاريخ، ليرى العرب أن هؤلاء الحكام الشعبويين هم الذين أضعفوا البلاد، فطمع بها الفرنج، فنكبت بهم وبالفرنج معاً، وليرى العلويون، ان السيئات التي أصابتهم، هي من غير أبناء عمهم العرب، الذين كانت النكبة عليهم، أنشد أشد، لأنهم كانوا أكثرية، وكانوا أصحاب السلطان، والعدو يقول بقطع الرأس أولاً.

الهجرة الخامسة:

أما الهجرة الخامسة، فكانت في سنة ١٣٠٥ م، عندما أمر السلطان محمد بن قلاوون سلطان مصر (من سلاطين المماليك البحرية) رجاله في سورية، بتسيير حملة عسكرية عظيمة، إلى جبال كسروان في لبنان، للمرة الثالثة،

لإبادة الطوائف الشيعية هناك، إذ كانوا أصحاب البلاد آنئذ، فسير نائب دمشق جمال الدين آقش ٥٠ ألفاً من الجنود، ثم لحق بهم، وسار إلى هناك أيضاً سيف الدين استدمر نائب طرابلس، وشمس الدين سنقرجاه المنصوري نائب صفد، فقطعوا الكروم وخرّبوا البيوت وقتلوا الألوّف، وكان من الدروز عشرة آلاف محارب بقيادة عشرة من أمرائهم، فكسروا في تلك المعركة، واحتموا في غار غربي كسروان، فأمر نائب دمشق آقش ببناء سد من الحجر والكلس على مدخل الغار فبناه جنوده، وهالوا عليه التراب، وجعل الأمير قطلوبك حارساً عليهم مدة ٤٠ يوماً، حتى هلكوا داخل الغار^(١).

ومن جملة من قُتِلَ بهم: العرب النصيرية الذين كانوا في شمال لبنان، ولا سيما في المنيطرة والعاقورة ونواحي البترون، وعكار والضنية، ثم امتدوا إلى كسروان، قبل سنة ١٣٠٥ م. وكانوا أشداء يساعدون إخوانهم في وادي التيم ومرج عيون.

إن الذين تخلصوا من الموت من هؤلاء، رحلوا إلى الشمال، أي إلى جهات اللاذقية وانطاكية، واعتصموا في جبالهم، وبقي قليل منهم في لبنان^(٢).

أما المتأورة فقد تشتتوا في أطراف لبنان.

الهجرة السادسة:

وكانت الهجرة السادسة، على أثر انتصار ياوز سلطان سليم التركي العثماني، على الجيوش العربية التي كانت بقيادة السلطان الغوري، سلطان مصر، في مرج دابق سنة ٩٢٣ هـ. (١٥١٦ م) إذ إن كثيراً من الشيعيين، الذين كانوا في حلب وأطرافها، هربوا إلى جبال اللاذقية، لأن هذا السلطان قد فتك بمن أدركه منهم، كما أن بعض الجنود الذين كانوا تجمعوا من العرب في مرج دابق، وخاصة الذين رافقوا الغوري من مصر، لجأوا إلى تلك الجبال، وتكنوا

(١) المطران دبس، الجامع المفصل: ص ٢٢٢ - ٢٢٥، نقلًا عن ابن الحرير وابن سباط.

(٢) عيسى اسكندر المعلوف، دواني القطف ص ١٥٨.

بالمحارزة نسبة إلى بني محرز.

هذا ما يمكن أن يركن إليه، في رحلات العلويين إلى جبال اللاذقية، وقد أصبحوا اليوم في جبالهم ينسبون إلى عشائرتهم، التي سيأتي ذكرها، ولكن، رغم عروبتهم، لا أظن أن كل عشيرة من بطن واحد، كما يدعي بعضهم، وإني اعتقد أن بعض الخياطين امتزج بالحدادين أو بغيرهم، وبعض الحدادين امتزج بالخياطين أو بعشيرة أخرى، وهكذا كل العشائر، وقد تناسى كل منهم عشيرته السابقة مع الزمن.

إن هؤلاء العرب الذين تجمعوا في جبال اللاذقية، قد شيدوا هناك كياناً عربي القومية، نصيري المذهب، فتمكنوا من رد غارات الحكّام غير العرب عنهم عدة أجيال، ورغم ما لحقهم من الضغط والأذى، ورغم عزلتهم التي أبقتهم جهلاء، فإنهم حافظوا على طابعهم العربي، ولغتهم العربية، وإنك لتسمع في قرى تلك الجبال اليوم من يتكلم بالكلمات العربية الفصيحة.

وقد قال العلامة الجليل الأستاذ محمد كرد علي وما زالت إلى اليوم سحنات بعض سكان الأصقاع الشامية، كحوران والبلقاء، تنم عن أصول عربية صرفة، على ما ترى ذلك ماثلاً في الطوائف التي احتفظت بأنسابها العربية ولم يدخلها دم جديد، كسكان الشوف ووادي التيم وجبل حوران وجبال الكلبية (أي جبال اللاذقية) وما طول القامات، واتساع الصدور، ومتانة العضلات، والجملة العصبية والأدمغة في الجامعات، كما في الأفراد، إلا أدلة ناصعة على ما ورثته أبناء البلاد من الدم العربي^(١).

فالمسلم العلوي إذاً: عربي بدمه ولغته وعقليته وعاداته.

(١) محمد كرد علي خطط الشام: ج ١ ص ٧١.

العلويون ومذهبهم

التسمية:

يرى فريق من المؤرخين أن تسمية العلويين «بالنصيرية» يعود إلى محمد بن نصير، أحد دعاة أو أشياع أو أصحاب أو بواب للإمام الحسن العسكري (ع)، واسمه أبو شعيب محمد بن نصير العبدي البكري النميري، ومن المؤرخين من لا يرى هذا القول^(١)، لأنَّ الشهرستاني الذي هو أول من ذكر اسم النصيرية وتحذث عنها، لم ينسبها إلى محمد بن نصير، بل انه لم ينسبها إلى شخص بعينه، وهو في حديثه عن الفرق الإسلامية لم يدع فرقة إلا ونسبها إلى شخص، وذكر اسمه ونتفأ من أخباره، ويلاحظ أن الشهرستاني يخلط بين النصيرية والدروز والإسماعيلية، وهو حينما يتحدث عنهم يستعمل صفة الجمع حيث يقول: «لهم جماعة ينصرون مذهبهم ويذبتون عن أصحاب مقالاتهم»^(٢). حيث يفهم أن أصحاب مقالة النصيرية أكثر من طرف، أضف إلى ذلك أن محمد بن نصير، كما تذكر كتب التراجم توفي حوالي سنة ٣٥٩ هـ. بينما إصطلاح نصيرية لم يظهر إلا بعد نيف ومائتي سنة على هذا التاريخ على ما يرى البعض، ويرى فريق من المؤرخين أن أتباع محمد بن نصير يسمون «بالنميرية» على ما يذكر النوبختي المتوفى سنة ٢٨٨ هـ. إذ يقول: «وقد شذت فرقة من القائلين بإمامة علي بن محمد في حياته، فقالت بنبوة رجل يقال له محمد بن نصير، وكان يدعي أنه نبي بعثه أبو الحسن العسكري (ع) وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن، ويقول فيه

(١) عارف تامر: الإمامة في الإسلام.

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل.

بالربوبية، ويقول بالإباحة للمحارم ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم، ويزعم أن ذلك من التواضع والتذلل وانه إحدى الشهوات والطيبات، وان الله لم يحرم شيئاً من ذلك»^(١).

وثمة من يقول: إن تسمية نصيرية هي نسبة إلى نصير غلام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وهذا أمر مردود، لأن الأرجح أن الإمام (ع) لم يكن له غلامٌ يسمي نصيراً.

ومن الآراء المطروحة رأي يعزو هذه التسمية إلى تغلب اسم الجبل على هذه الفئة^(٢). والمقصود بالجبل جبل النصيرية. وهو رأي قريب جداً إلى الصواب، ذلك أن المؤرخين الصليبيين أطلقوا على هذا الجبل اسم Nazarie والذي يبدو أن هذا الاسم قد حرّف إلى نصيرية، على أن الذي يعزز من القناعة بهذا الرأي، هو أن إطلاق اسم نصيرية على هذ الجبل، لم يظهر إلاّ أثناء الحملات الصليبية، أي بعد عام ٤٨٨ هـ ١٠٩٦ م أي ما قبل هذا التاريخ. إذ كان الاسم الشائع لهذا الجبل هو جبل اللكام.

ويقول الإصطخري: «وكورة الشام هي من حدّ فلسطين، وحد الشام وثور الجزيرة جبل اللكام، وهو الفاصل بين الثغرين. وجبل اللكام داخل في بلد الروم، ويتتهي إلى نحو مائتي فرسخ ويظهر في بلاد الإسلام من مرعش، والهارونية وعين زربة، فيسمى لكام إلى أن يجاوز اللاذقية»^(٣).

فإذا كانت الحروب الصليبية بدأت سنة ٤٨٨ هـ. وانتهت سنة ٦٩٠ هـ وإذا كان الشهرستاني ولد سنة ٤٦٩ هـ. وتوفي سنة ٥٤٨ هـ كان معنى ذلك أن اسم نصيرية قد تغلب على اسم الجبل في زمن الشهرستاني. وترجع أسباب تسمية الجبل «Nazarie» على ما يرى البعض، إلى وجود الطائفة الإسماعيلية النزارية في أماكن مغيّنة منه كمصيف وقداموس وسلمية وإلى الدور الهام الذي

(١) النوبختي: فرق الشيعة.

(٢) خطط الشام مصدر سابق.

(٣) الأصطخري: كتاب الأقاليم.

لعبته مصياف، منذ أن انتزعتها الإسماعيليون من بني منقذ، سنة ٥٣٥ هـ. وكذلك إلى الدور الهام الذي قام به شيخ الجبل، سنان راشد الدين، زعيم الطائفة الإسماعيلية النزارية في مصياف، وفدائيوه أثناء الحروب الصليبية، مما جعل اسم هذه الطائفة على كل شفة ولسان.

وأما سبب تسمية العلويين بالنصيرية، فهي أنهم سكنوا فترة من الزمن، يوم اشتدت وطأة الظلم عليهم، جبال النصيرة في سوريا، فسماهم أعداؤهم الأمويون تحقيراً بذلك الاسم، والسبب في تسمية الجبل بذلك هو نسبة إلى جماعة جاءت من المدينة وكان إسمها «نصرة» ومن ثم سميت الجبال التي فتحوها وسكنوها بإسمهم.

وقد يقال: إن تسمية النصيرية قد أتت من وادي النصارى الذي يسكن معظمه حالياً العلويون، وهي نظرية فيما يرجح ضعيفة لا تثبت أمام النقد والتمحيص. ومن المعلوم بأن التركيب لكلمة «نصارى» يباين كلمة «نصيرية»، ويزعم قوم من الناس بأنها مشتقة من كلمة «أنصار» حيث أن الذين سكنوا هذه المناطق، بعد فرارهم من الجور والظلم العثماني والتركي، هم أحفاد أولئك الذين نصرروا الرسول الكريم محمداً (ص)، وأعلنوا تشيعهم وولائهم لأمير المؤمنين، ولما فتحت جهات بعلبك وحمص طلب أبو عبيدة نجدة، فاتاه من العراق خالد بن الوليد، ومن مصر عمرو بن العاص، وأتاه من المدينة جماعة من العلويين، وهم ممن حضروا بيعة «غدير خم» وهم من الأنصار، وعددهم يزيد عن أربعمئة وخمسين مجاهداً^(١).

أما التسمية الصحيحة: «العلويون» فهي تسميتهم الأصلية التي بها يعتزون ويفتخرون، ويرون بأن إطلاق إسم النصيرية عليهم بداعي العداوة المذهبية، كإطلاق إسم «الروافض» على الشيعة، وإسم «النواصب» على السنة، وبقدر ما كان العلويون ضائقي الصدور بتسميتهم «بالنصيرية» كانوا سعداء كل السعادة بإستعادة إسم «العلويين».

(١) تاريخ العلويين: ص ١٤٨. مصدر سابق.

النشأة والنسب:

يقول الدكتور الأديب مصطفى الشكعة في كتابه «إسلام بلا مذاهب»: «أقول هذا مع قناعتني أنّ «العلوية» - وليس النصيرية - مذهب إسلامي صريح، إنّها مدرسة متفرعة من المذهب الإمامي الكبير، ثم شاءت لهم بعض الظروف، أو بالأحرى شاءت لبعضهم الظروف أن يتعد قليلاً، إلى حد يتسامح معه، ولبعض آخر أن يتعد إلى حد يجعل طبيعة العقيدة السليمة تفرض عليه إعادة النظر فيما وصل إليه، إلى تقييم ما هو فيه من معتقد، لكي يتوب ويعود فيلتحق بالركب، هذا إذا كان مؤهلاً لإعادة النظر والتقييم، أما إذا لم يكن ذلك في استطاعته، فإن الجماعة الإسلامية المستنيرة مطالبة بأن تتكفل له بذلك، في نطاق من التسامح والصبر، والحبّ وسعة الأفق والإقناع، ومراعاة ظروف جماعة من إخوتهم المسلمين لحقّ بها، على مسرى التاريخ، الكثير من الظلم حيناً والإهمال حيناً آخر، بحيث انتهى بها الأمر إلى ما وصل إليه كردة فعل لطبيعة الأشياء، وكنتيجة منطقية لمقدمة غير سوية»^(١).

والحقّ أن العلويين فرقة من الشيعة الإمامية الإثني عشرية الجعفرية، وإن كانت عند بعض العلويين اتخذت سبيلاً آخر، بعد الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن الحجة (ع)، وبيان الأمر عندهم أنه كان لكل إمام باب وكان أول باب سلمان الفارسي الذي يحتل مكاناً رفيعاً عند جميع الشيعة، لأنه كان باباً للإمام علي (ع) وآخر الأبواب عندهم هو أبو شعيب محمد بن نصير البصري النميري، فقد كان باباً للإمام الحادي عشر الحسن العسكري (ع).

والعلويون يرون أنّ الأئمة هم أوصياء الرّسول (ص) ولذلك إتبعوا الأثر، بإتخاذ باب لكل منهم والأبواب هم^(٢):

١ - الإمام علي بن أبي طالب (ع)، بابه سلمان الفارسي.

(١) د . مصطفى الشكعة: اسلام بلا مذاهب: الدار المصرية اللبنانية . القاهرة ط ٧
١٩٨٩ م، ص ٣٠٢.

(٢) تاريخ العلويين: ص ٢٥٥، مصدر سابق.

- ٢ - الإمام الحسن المجتبي (ع)، بابه قيس بن ورقة المعروف بالسفينة.
- ٣ - الإمام الحسين بن علي الشهيد (ع) بابه رشيد الهجري.
- ٤ - الإمام علي بن الحسين زين العابدين (ع)، بابه عبد الله الغالب الكابلي، وكنيته كنكر.
- ٥ - الإمام محمد بن علي الباقر (ع)، بابه يحيى بن معمر بن أم الطويل الشمالي.
- ٦ - الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع)، بابه جابر بن يزيد الجعفي.
- ٧ - الإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع)، بابه محمد بن أبي زينب الكاهلي.
- ٨ - الإمام علي بن موسى الرضا (ع)، بابه المفضل بن عمر.
- ٩ - الإمام محمد بن علي الجواد (ع)، بابه محمد بن المفضل بن عمر.
- ١٠ - الإمام علي بن محمد الهادي (ع)، بابه عمر بن الفرات المشهور بالكاتب.
- ١١ - الإمام الحسن بن علي العسكري (ع)، بابه أبو شعيب محمد بن نصير البصري النميري.
- ١٢ - الإمام محمد بن الحسن المهدي (ع).

وينتمي المسلمون العلويون إلى الأرومة العربية، ولا يشك في عروبتهم من رزق الحياد والإنصاف والإطلاع على مضامين السير والتاريخ، واستفاد من معرفة ما تحقّقه أقوالهم. وأفعالهم، من جميل صفات العرب الأكرمين، إذ تبين ولا ريب، من متابعة مجريات أوضاعهم وأحوالهم، أنهم رغم ما نزل بهم من كوارث وألمّ بهم من مظالم كانوا وما زالوا يحتفظون بكل ما تصدق عليه مفاهيم العروبة الإسلامية، من اخلاق وخلاتق وعادات وتقاليد، وحسبهم بينة، على أصالة دمهم

العربي، أنسابهم المنتهية إلى التنوخي والغساني والكندي والطائي والشعبي وغيرها، وكفى بها شاهداً عدلاً لثبوت عربيتهم^(١).

ويقول منير الشريف صاحب كتاب «العلويون المسلمون من هم وأين هم» في هذا الصدد: «يتحسس العلويون بالعروبة، وهم من القائلين قداماً، إن الخلافة في قريش، وإن أفضل فخذ في قريش، هو آل علي، ولكن بطش الشعوبيين فيهم، صرفهم عن فكرتهم هذه، وإضطرهم إلى حماية أنفسهم، بإنضمام بعضهم إلى بعض بأسم المذهب العلوي، وقد رجعوا أخيراً إلى عهد العروبة، بعد أن زال الحكم التركي، وكافحوا الفرنسيين من أجله، وهم مجتهدون في إتقان اللغة العربية، وقد ظهر فيهم، في مدة لا تزيد على العشرين عاماً، كتاب وشعراء وسيكون لهم شأن في عالم الأدب العربي، في القريب العاجل.

والعلويون يتغنون بالعروبة، ومدنيتهم السابقة وفتوحهم ومجدهم، وأخلاقهم العالية، ويفاخرون بهم، وينتظرون عهداً قريباً ينهض العرب فيه من كبوتهم، ويأخذون مركزهم تحت الشمس، متحدين عزيزين، رافعي الرؤوس. وإني أرى أن لا يكون عندهم موظف لا يؤمن بالعروبة، ولا يدعو إليها لأنهم يمتقون، فلا يستطيع أن يعمل عملاً بينهم، أو لربما كان داعية مضرّة يعمل على خداعهم وإبعادهم عن قوميتهم.

«والمتعلمون من العلويين قرأوا تاريخ العرب، وعرفوا أخلاق أجدادهم الرّضية، وما وصلوا إليه من السّودد، وكيف أنهم بلوا بعدئذ بالملوك الشعوبيين، الذين أضاعوا مجدهم وعزّهم، وضيعوا عليهم فتوحهم، ولحقوا بهم يقتلونهم كالنّعاج، ثم حكموهم، فلم يبقوا عليهم، تارة بالقتل دون سبب، وتارة بإستباحة أموالهم وبسلبهم باسم الضرائب، وتارة بما يوقعونه فيهم من الفساد، فتقوم فئة ضدّ فئة، بداعي المحافظة على عزة نفسها أو كيانها، وهكذا دواليك»^(٢).

(١) علي عزيز الإبراهيم: العلويون والتشيع. ص ٣١ - الدار الإسلامية بيروت ط ١ - ١٩٩٢ م.

(٢) المسلمون العلويون من هم وأين هم: ص ١٠٦. مصدر سابق.

علم العلويون كل ذلك، وخاصة في هذا العصر وعلموا أن السنين الذين آذوهم في الماضي هم شعوبيون، لا صلة بينهم وبين العرب السنين، وإخوانهم الذين كانوا مضطهدين مثلهم فأضاعوا تراثهم ومجدهم، وملكهم وغدوا مع الشعبين كما قال شاعرنا المتنبّي:

وإنما الناس بالملوك وما تفلح عرب ملوكها عجم
لا أدب عندهم ولا حسب ولا عهدود لهم ولا ذمم
بكل أرض وطنتها أمم ترعى بعبد كأنها غنم

والذي يبدو، أن رئاسة هذا الفريق من العلويين إنتقلت، بعد ابن نصير النميري، إلى الشيخ عبد الله بن محمد الجنان الجنبلائي، نسبة إلى بلدة جنبلا في العراق العجمي، وكان ذا علم وفلسفة وزهد وتصوف، فأسس طريقه أسماها مريدوها «الجنبلائية»، وقد سعى من جانبه إلى إدخال كثير من الناس فيها حتى جاء يوم أصبحت فيه صفة «الجنبلائية» تعادل صفة «العلوية». ومن هنا غلبت الصوفية على المذهب العلوي الذي أصبح قوامه، منذ ذلك الحين ثلاث عقائد هامة، هي التشيع والإعتزال والتصوف، وإن كان بعض المؤرخين يرى أن فكرة التصوف نشأت قبل ذلك بفترة زمنية غير قصيرة، ولكن التصوف بمعناه الواسع، ومعاناته ورياضته لم يظهر عند العلويين بشكل واضح قبل الجنبلائي، ولكن ما لبث أن ازدادت جذوره عمقاً، عند المنتجب العاني والمكزون السنجاري، ومن جاء بعدهم من رجال الفكر عند العلويين.

ومن الصعب جداً تحديد ظهور النصيرية على وجه الدقة، لكثرة الأقوال وتناقضها وإبتعادها عن بعضها إبتعاداً عظيماً. ومن قال بأن أصل تسمية نصيرية جاءت من نصير مولى الإمام علي (ع)، جعل تاريخ ظهور النصيرية هو زمن الإمام أمير المؤمنين (ع)، أي ما بين سنتي ٢٣-٤٠، للهجرة. ويرى البعض أن العلوية يعود زمنها إلى ما قبل ذلك بقليل وبالتحديد زمن بدأ الدعوة الاسلامية وأن العلويين الأوائل هم الأصحاب العظام سلمان الفارسي، والمقداد بن الأسود، وعمّار بن ياسر وأبو ذر الغفاري، وحذيفة بن اليمان، وأبو أيوب الأنصاري،

وغيرهم . وأما من قال بأن أصل التسمية نسبة إلى محمد بن نصير، أحد أصحاب
أو أتباع أو أشياع الإمام الحادي عشر، الحسن العسكري (ع)، فيكون تاريخ
ظهورها بين سنتي ٢٣٢ هـ - ٢٦٠ هـ .

وثمة نفر من المؤرخين جعل تاريخ ظهور النصيرية على وجه العموم، دون
أي تحديد لسنة معينة، في القرن الثالث الهجري^(١) أو في النصف الثاني من
القرن الثالث^(٢) . وهناك من قال بأن المذهب النصيري أو العلوي معاصر
للدعوة الدرزية^(٣) ، وجميع هذه الأقوال تفتقر إلى الدقة والدليل، وهي بالتالي
ضعيفة مهزوزة، وهكذا يتبين أن تحديد تاريخ ظهور النصيرية بسنة معينة أمر من
الصعوبة بمكان كبير .

الموطن:

تنتشر العلوية في أماكن متعددة، عربية وأجنبية، وفي سورية أطلق
المؤرخون على أماكن تواجد النصيرية أسماء كثيرة: جبال اللاذقية، جبال
النصيرية، بلاد العلويين منطقة العلويين، منطقة اللاذقية، الجبل العلوي، جبل
الشام، جبل اللكام، الخ . .

ومن الأسماء التي ذكرت أيضاً: جبل السّمان: «اتخذوا جبل السمان الذي
يسمى الآن جبل النصيرية»^(٤) ولعله يقصد جبل السماق، وهو كما ذكر ياقوت
الحموي، في معجم البلدان^(٥)، «جبل عظيم من أعمال حلب الغربية» .

أما الإختلاف الذي يذكر فهو في تحديد موقع جبل اللكام لأن الجغرافيين
العرب لم يتفقوا على رأي واحد بصدده، فالمقدسي المعروف بالبشاري يقول:
«أما جبل اللكام فإنه أعمر جبال الشام، وأكبرها وأكثرها ثماراً، وهو اليوم بيد

(١) صبحي المحمصاني: فلسفة التشريع في الإسلام .

(٢) كامل مصطفى الشبيبي: الصلة بين التصوف والتشيع .

(٣) عمر فروخ: تاريخ الفكر العربي .

(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية: ج ١ ص ٦٣ مصدر سابق .

(٥) ياقوت الحموي: معجم البلدان - ج ٢ ص ١٠٠ .

الأرمن وطرسوس وراءه وانطاكية دونه»^(١) .

ويقول الإصطخري: «وكورة الشام إنما هي من حد فلسطين وحد الشام وثور الجزيرة جبل اللكام، وهو الفاصل بين الثغرين. وجبل اللكام داخل في بلد الروم، وينتهي إلى نحو مائتي فرسخ، ويظهر في بلاد الإسلام من مرعش والهارونية وعين زربة، فيسمى لكّام إلى أن يجاوز اللاذقية ثم تسمى بهراء وتنوخ إلى حمص ثم تسمى جبل لبنان»^(٢) .

وياقوت الحموي يقول: «اللكام وهو الجبل المشرف على أنطاكية، وبلاد ابن ليون والمصيصة وطرسوس وتلك الثغور»^(٣) .

وفي لبنان توجد النصيرية في شمال عكار^(٤)، وفي وادي التيم^(٥) كما توجد في جبال الظنيين .

ويقول ابن الوردي: «أحاطت عساكر الشام بجبال الظنيين المنيعة، وكانوا عصاة مارقين، وترجلوا عن الخيل، وصعدوا في تلك الجبال من كل جانب، وقتلوا وأسروا جميع من فيها من النصيرية»^(٦) .

ولم يحدد ابن الوردي مكان وجود هذه الجبال، ونعتقد أن المقصود بجبال الظنيين هو جبل الضنية، أو الظنية الواقع إلى الشمال من بشري، حيث يقول أنطوان شكر الله حيدر: «وهذا الجبل يحمل، إلى هذا اليوم، اسم الجماعة الشيعية التي استقرت به، وهي الضنية أو الظنية على الأصح، وهو الإسم الذي أطلق على عدد من الفرق الباطنية، وبخاصة الإسماعيلية»^(٧) .

(١) المقدسي البشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم .

(٢) كتاب الأقاليم مصدر سابق .

(٣) معجم البلدان الجزء ٥ ص ٢٦ .

(٤) مختصر تاريخ سورية ولبنان . أحد الأباء اليسوعيين .

(٥) لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني: محمد علي مكّي .

(٦) تنمة المختصر في أخبار البشر .

(٧) مجلة الحوادث: ١١٤٣٤-٢٩-٩-١٩٨٧ م .

وتوجد النصيرية في العراق في الشرطة، وهي كما يذكر ياقوت الحموي: «كورة كبيرة من أعمال واسط، بينها وبين البصرة، لكنها عن يمين المنحدر إلى البصرة»^(١)، كما توجد في بعض أجزاء شمال فلسطين^(٢).

أما في البلاد الأوروبية، فتوجد العلوية في كل من تركيا واليونان وبلغاريا والباينا السفلى. ونتيجة للهجرة استوطنت جماعات كبيرة من النصيرية في أمريكا، وبشكل خاص في الأرجنتين والبرازيل.

وعوداً على بدء، حول المدرسة الجنبلانية، نقول إنه نشأ في هذه المدرسة ونبع علم مصري ذكي هو الحسين بن حمدان الخصبي، وقد التقى في مصر بشيخه الجنان الجنبلاني وتعلق به تعلقاً شديداً، ودخل في طريقته، وتبع التلميذ الشيخ إلى جنبلا ورحل في أثره، واستقر عند شيخه عبد الله، وبلغ شأنه وذاع صيته، وحينما مات الأستاذ الشيخ سنة ٢٨٧ هـ. نهض الخصبي بالعبء من بعده، وخلفه في رئاسة العلويين، وعند ذلك ترك جنبلا، ورحل إلى بغداد، وبعد فترة من الزمن تركها متجهاً إلى حلب، حيث استقر فيها على مقربة من سيف الدولة الحمداني الذي استمد منه القوة والسند، وكان سيف الدولة قائداً إسلامياً كبيراً متشيعاً، محباً لآل البيت عليهم السلام، وقد لعب الشيخ الخصبي دوراً كبيراً مهماً في تثبيت الدعوة العلوية وتكريسها، ورفض الإتحاد مع الإسماعيلية.

وقد ذكر صاحب كتاب «تاريخ العلويين» أنه وبعد وفاة الجنبلاني اجتهد بعض العلويين في توحيد الإسماعيلية والعلوية، وعقدوا لذلك إجتماعاً دينياً عظيماً حضره أعظم العلماء وجاء إليه من كل مدينة من مدن بغداد وعانة، وحلب، واللاذقية، وجبل النصيرة، رجلاً بصفة ممثلين واجتمعوا في عانة، ولم تكن نتيجة هذا الإجتماع إلاً ازدياد التفرق والخلاف^(٣).

وقد هاجر الخصبي إلى بلاد خراسان والديلم، وديار ربيعة، وتغلب،

(١) معجم البلدان جزء ٣، ص ٣٣٤.

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، النشار.

(٣) تاريخ العلويين: ص ٢٥٨. مصدر سابق.

وطاف في البلاد داعياً لفكره ومذهبه، وهو يعتبر في نظر المؤرخين من ألمع الرؤساء العلويين وأكثرهم أثراً في العقيدة، وقد عاش ما بين سنتي ٢٦٠ - ٣٥٨ هـ ويساعده على ذلك ذكاء وقدرة على التأليف في المذهب، وتطويره إيّاه حتى كان يلقب بشيخ الديانة، وذكر له من الكتب: الهداية الكبرى - أسماء النبي - أسماء الأئمة - الإخوان - المائدة، وأهمّها الهداية، فهو من الكتب النفيسة ذات الأثر العميق في التشيع وآدابه، وقد أهداه لسيف الدولة الحمداني الأمير المجاهد المسلم الشيعي، والمرجح أن بقية المؤلفات قد امتدت لها الأيدي باللعب والتحريف والزيادة والحذف، الأمر الذي جعل جانب الغلو يهيمن عليها. وقد أُلّف كتاباً بالفارسية أسماه «راست باش» أي «كن مستقيماً» أهداه لعضد الدولة البويهبي، ومن أجل هذا كان العلويون يطلقون على عضد الدولة اسم «راست باش».

وقد تنوعت أقوال المؤرخين في الحسين بن حمدان الخصيبي، بين متحامل عليه وحاقد، وبين محب ومخلص، وبين ملتزم الصمت، منهم: النجاشي: وابن الغضائري، وصاحب الخلاصة من المتحاملين عليه، وفي الفهرست لابن النديم، الحسين بن حمدان الخصيبي الجنبلائي يكتنّى أبا عبد الله، روى عنه «التلعكبري» وسمع منه في داره بالكوفة سنة ٣٣٤ هـ، وله فيه إجازة وفي «لسان الميزان»: الحسين بن حمدان بن خصيب الخصيبي، أحد المصنفين في فقه الإمامية، روى عنه: أبو العباس بن عقدة وأثنى عليه وأطراه وامتدحه، وفي أعيان الشيعة للمجتهد الأكبر العلامة السيد محسن الأمين العاملي - قدس الله سرّه الشريف - ترجمة للخصيبي فيها مدح وثناء عليه، وأنه من علماء الإمامية وكل ما نسب إليه من معاصرة وغيرهم لا أصل له ولا صحة، وإنما كان طاهر السريرة، والجيب، وصحيح العقيدة، وهو من أعلام الفكر الشيعي الإثني عشري في القرن الثالث الهجري^(١).

وأورد المرحوم السيد الأمين (طيّب الله رمسه) أقوال العلماء فيه، وردّ على

(١) العلويون والتشيع: ص ٥٩. مصدر سابق.

المتحاملين عليه، ثم قال: «لو صحَّ ما زعموا وما ذهبوا إليه ونسبوه له، لما كان الأمير سيف الدولة المعروف والمشهور بصحة عقيدته الإسلامية وولائه للعترة الطاهرة وآل البيت سلام الله عليهم أجمعين صلَّى عليه واثم به»^(١).

ومؤلفات الخصبي كثيرة ذكر منها المرحوم السيد الأمين عدداً، وأورد أسماء من أتوا على ذكرها، ومحصَّ تلك الآراء والأقوال المتعددة في دقة وأمانة، فصحَّ له منها عشرة كتب، وهي: الإخوان، والمسائل، الروضة، أقوال أصحاب الرسول وأخبارهم، الهداية الكبرى، أسماء النبي، أسماء الأئمة، المائدة، راسن باش وغيرها.

وقد سكن الخصبي حلب وهو يدير شؤون حزبه واستقلت حكومات العلويين في أيامه، وكانت كلها تحت أمره الديني، وقد كانت ولادته سنة وفاة الإمام الحسن العسكري (ع) أي ٢٦٠ هـ وتوفي وعمره ٨٦ سنة في سنة ٣٤٦ هـ. في حلب، وقبره شمالي حلب، وهو معروف باسم «الشيخ يابراق» وهو يزار.

وكان للخصبي وكلاء في العراق والشام، وكان له تلاميذ من الملوك والأمراء، وهم بنو بويه وبنو حمدان، والفاطميون، وكلهم اكتسبوا العلوم الدينية والعقائد من شيخهم المشار إليه، وكانوا يسمونه «شيخ الدين».

وبعد الخصبي نشأ للدين مركزان بين العلويين: الأول والأعظم كان في حلب ويرأسه «السيد محمّد بن علي الجليّ» وكان خليفة للسيد الحسين بن حمدان المصري، والثاني في بغداد يرأسه «السيد علي الجسري»، ناظر جسورة بغداد» وقد إنقرض مركز بغداد في وقعة هولاء المشهورة، وبعد السيد الجليّ إنتقل مركز حلب إلى اللاذقية وكان يرأسه «السيد أبو سعيد الميمون سرور بن قاسم الطبراني»^(٢).

(١) أعيان الشيعة: محسن الأمين العاملي ج ٤ ص ٣٤٥. رقم ٤١١٧ طبعة قديمة.

(٢) تاريخ العلويين: ص ٢٥٩ مصدر سابق.

وعدا وكلاء الأمور الدينية كان للخصبي وكلاء من أرباب السياسة هم:
ناصر الدولة، صفى الدولة، معز الدولة، ناصر الدولة، مجد الدولة، هلال
الدولة، عضد الدولة، كريم الدولة، راشد الدولة، سيف الدولة، ناهض الدولة،
عصمة الدولة، أمين الدولة، سعد الدولة، صلاح الدولة، ذخر الدولة، كنز
الدولة، وعلاء الدين صاحب تكريتاً.

وكان السيد علي الجسري في بغداد، وكيل السيد الخصبي في الرياسة
الدينية. وقد حجّ هذا السيّد عشرين مرّة، وهو ناظر الجسور في بغداد، وممثل
مركز العلويين في الكرخ، كما كان «السيّد محمد بن علي الجليّ وكيلاً في حلب»
وقد حجّ السيد محمد مرتين قبل بلوغه، وبعد بلوغه كان يحج كل عام حتى
وفاته. واشترك في الجهاد مع حزبه، ووقع أسيراً ثمّ بيع لأحد المسيحيين في عكا
وفيها إهتدى المسيحي المذكور على يديه إلى دين الإسلام^(١).

ومن وكلاء الخصبي أبو حسن الطوسي الصغير الذي كان منكباً على
العبادة والرياضة، وكان يجاهد نفسه بالصوم المتواصل، حتى أنه كان لا يأكل إلاّ
في كل أربعين يوم مرة، ومنهم أبو حسن الطرسوسي الكبير، وهو من أعظم
علويي كيليكيا التي كانت من العواصم في ذلك الدور.

وكان دأب السيد حسين بن حمدان الخصبي ووكلاؤه في الدين، إرشاد
بعض افراد بقية الأديان إلى دين الإسلام، وهؤلاء يبقون بصفة أفراد مسلمين شيعة
جعفرية إمامية، والذين يجد فيهم الكفاءة يدخلهم في «الطريقة الجنبلانية» فما هي
إذاً الطريقة الجنبلانية؟

الطريقة الجنبلانية:

هي في نظر شطر من العلويين، من كمال اليقين والإيمان، وليست سوى
طريقة صوفية كبقية المعتقدات الصوفية لدى أكثر المسلمين، وهي تبحث من
جهة عن العلل الحقيقية للخلق فيما وراء الكون وعن حقيقة الأديان الذاتية وبيان

(١) المصدر نفسه ص ٢٦٠.

درجاتها، وكذلك عن السرِّ الحقيقي الذي يكمن في بعثة سيد الخلق (ص)، والبحث في حقيقة النبوة وشروطها وأركانها، ودلالاتها، والإمامة وما هو الأصح في شروطها. وهي تشبه إلى حدِّ بعيد «علم الكلام» الذي نشأ وترعرع في العصر الذهبي للدولة العباسية، والذي أبداع فيه الشيعة الإمامية، والمعتزلة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى الكلام في الأئمة الأطهار من آل البيت عليهم السلام، وما هو الاعتقاد في حقائقهم ومقاماتهم ومعارفهم، والسرِّ الكامن في معاجزهم وكراماتهم وعصمتهم، ورجعتهم، وعلومهم، وفقههم، ومنزلتهم.

ولا يضرب في إسلام العلوي، وكذلك في جعفرية، أن لا يفقه شيئاً عن هذه الطريقة، بل هي عندهم، كما أسلفنا، من كمال الإيمان والمعرفة من أصحاب الإيمان الراسخ والحسِّ المرهف. وفي الأثر عن الإمام الباقر (ع): «حديث آل محمد صعب مستصعب، لا يفقهه إلا نبي مرسل أو ملك مقرَّب، أو عبد متحن الله قلبه للإيمان».

وقد ينسب إلى إتباع هذه الطريقة القول بالغلو والحلول والتناسخ، وسيتبين لنا في طيات بحوث هذا الكتاب خطل هذا الرأي، وعدم صحته.

ومن متفرعات هذه الطريقة: العقيدة في الإمام المعصوم: إذ يعتقد العلويون، مثلهم في ذلك مثل إخوانهم الجعفرين الإثني عشرين، أن كلمة الإمام مختصة ومقتصرة على الأئمة الإثني عشر من أهل البيت، الذين أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وآخرهم الإمام المهدي محمد بن الحسن الحجة المنتظر عجل الله فرجه، الذي سيخرج في آخر الزمان «ويملىء الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»، كما جاء في الحديث النبوي الشريف المتواتر عند جميع المسلمين.

والأئمة عندهم يمتازون عن بقية البشر، من حيث مزاياهم وصفاتهم ومراتبهم الروحية، وقد جاء في حقهم قول النبي محمد (ص): «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» وقوله (ص): «الأئمة إثنا عشر من قریش أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم ولدي المهدي» وقوله (ص): «أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من

ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوئى» .

ويعتقدون أن كلمة العلم الكاملة المعنى مختصة بأهل البيت (ع)، وفيهم نزل قول الله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾^(١) وقول الحق سبحانه: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾^(٢) وقوله جلّ وعلا: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾^(٣) فإنه ليس من مصداق لهذه الآيات الشريفة سوى الأئمة من أهل البيت (ع)، وقد كان من أشهر ألقاب الإمام السابع موسى بن جعفر الكاظم (ع) «العالم» ثم هم عندهم معصومون منزهون عن كل خطأ وعيب، حتى الصغائر منها، بل إن العصمة محصورة فيهم لأن الخطايا رجس، وقد قال الحق سبحانه: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ فإن كلمة «إنما» عند فقهاء اللغة تفيد الحصر، وبناء عليه فإن الحقيقة المحمدية عندهم هي مصدر الإرادة الإلهية في أقوالهم وأفعالهم، وقد قال (ص): «كنت نبياً وأدم بين الطين والماء» . وقوله (ص): «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر» .

وقد ذكر المعتزلي ابن أبي الحديد في كتابه السفر شرح نهج البلاغة، كتاباً من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) إلى معاوية بن أبي سفيان يقول فيه: «أما بعد يا معاوية، فنحن صنائع ربنا والخلق من بعد صنائع لنا» .

وقد جاء في القرآن الكريم قول الحق سبحانه: ﴿وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين﴾^(٤) وبناء عليه يكون الإمام عارفاً بعلوم الأولين والآخرين .

والذي يبدو لنا أن هذا التوسع في الإعتقاد بصفات الأئمة (ع)، وحصر العلم، والمعرفة فيهم هو الذي جعل بعض خصوم العلويين يطعنون في معتقدتهم، ويتهمونهم بالغلّو في الإئمة عليهم السلام وما هو حقيقة بالغلّو،

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣ .

(٢) سورة فاطر: الآية ٣٥ .

(٣) سورة المجادلة: الآية ٥٨ .

(٤) سورة ياسين: الآية ١٢ .

وإنما هو عند العارفين المعتقد السليم بحقيقة العصمة التي كرسها الباري عز وجل لهم في قرآنه المجيد، حيث أصطفاهم واجتباهم، بعد أن سبق في علمه الأزلي طهارتهم وعظيم إيمانهم، وكذلك توضيحتهم وفناؤهم في الذات الأحدية، وإنقطاعهم إليه سبحانه في المعرفة والتوحيد وقد جاء في الحديث المأثور عنه (ص): «إن الله خلق نوراً ففلقه إلى فلقين، فقال لهذا كن محمداً ولهذا كن علياً، قبل أن يخلق الله الخلق، حيث لا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر، فسبحنا الله قبل خلق الخليقة بثمانية عشر ألف عام، وما زلنا نتقل من الأصلاب الشامخة إلى الأرحام المطهرة، فكنت في صلب «عبد الله» وعلياً أخي في صلب أبي طالب».

وقد أجاد الأمير أبو فراس الحمداني رحمه الله حينما قال:

لست أرجو النجاة من كل ما	أخشاه إلا بأحمد وعلي
وبنت الرسول فاطمة الطه	ر وسبطيه والإمام علي
والتقي النقي باقر علم اللد	ه فينا محمد بن علي
وابنه جعفر وموسى ومولا	نا علي اكرم به من علي
وأبي جعفر سمي رسول اللد	ه ثم ابنه الزكي علي
وابنه العسكري والقائم المظهد	ر حقي محمد وعلي
بهم أرتجي بلوغ الأمانى	يوم عرضي على الإله العلي

ويقول رحمه الله:

شافعي أحمد النبي ومو	لاي علي والبننت والسبطان
وعلي وباقر العلم والصا	دق ثم الأمين ذو التبيان
وعلي والخيران علي	وأبوه والعسكري الداني
والإمام المهدي في يوم لا	ينفع إلا غفران ذي الغفران

ويقول رحمه الله:

الدين مخترم والحق مهتضم	وفيء آل رسول الله مقتسم
لا يطغين بني العباس ملكهم	بنو علي مواليتهم وان رغموا

حتى كأن رسول الله جدكم
 ولا تساوت لكم في موطن قدم
 ولا نثيلتكم من أمهم أمم
 مأمونكم كالرضا إن أنصف الحكم
 تلك الجرائم إلا دون نيلكم
 وكم دم لرسول الله عندكم
 أظفاركم من بنيه الطاهرين دم
 يوماً إذا أقصت الأخلاق والشيم
 ولم يكن بين نوح وابنه رحم
 غدر الرشيد يحيى كيف ينكتكم
 عن ابن فاطمة الأقوال والتهم
 وابتصروا بعض يوم رشدهم فعموا
 ومعشراً هلكوا من بعدما سلموا
 بجانب الطف تلك الأعظم الرّم
 عند السؤال وعمّالين إن علموا
 ولا يضيعون حكم الله ان حكموا
 ومن بيوتكم الأوتار والنغم
 وزمزم والصفاء والحجر والحرم
 إلا وهم غير شك ذلك القسم
 ورق فهم للسورى ذخر ومعتصم

أتفخرون عليهم لا أباً لكم
 وما توازن يوماً بينكم شرف
 ولا لجدكم مسعاة جدّهم
 ليس الرشيد كموسى في القياس ولا
 ما نال منهم بنو حرب وان عظمت
 كم غدره لكم في الدين واضحة
 أنتم آله فيما ترون، وفي
 هيهات لا قربت قربي ولا رحم
 كانت مودة، سلمان لهم رحماً
 يا جاهداً في مساويهم يكتمها
 ذاق الزبيرى غب الحنث وانكشفت
 باؤوا بقتل الرضا من بعد بيعته
 يا عصابة شقيت من بعدما سعدت
 لبسما لقيت منهم وان بليت
 خلّوا الفخار لعلاّمين ان سلّوا
 لا يغضبون لغير الله ان غضبوا
 تبدو التلاوة من آياتهم أبداً
 الركن والبيت والأستار منزلهم
 وليس من قسم في الذكر نعرفه
 صلّى إلّاه عليهم كلما سجعت

ومن الأصول الجوهرية في الطريقة «الجنبلاتية الخصيبية» علم الباطن،
 حيث يرى الخصيبون أن الأحكام الإسلامية لم تكن كلها ظاهرة، كما يظن الناس
 حيث ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام قوله:

وربّ جوهر علم لو أبوح به
 ولا ستحلّ رجال مسلمون دمي
 لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
 يرون أقبح ما يأتونه حسنا

وهذا القول يدل على أن علوم أهل البيت (ع)، كانت غير معلومة عند عوام المسلمين، وأن بعض الأحكام لم يعلمها إلا الخواص، ويعلم أرباب الأصول أن القرآن الكريم له معان ظاهرة ومعان خفية، كما قال تعالى في كتابه الكريم ﴿منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾^(١) والذي يظهر من الآية الكريمة أنه يوجد في القرآن معان ظاهرة ومعان خفية، والمعاني الظاهرة تنقسم إلى أربعة أقسام، من جهة الوضوح، فهي: إما أن تكون ظاهرة، أو منصوصة أو مفسرة، أو محكمة، ومن جهة الخفاء إما أن تكون خفية أو مشكلة، أو مجملة، أو متشابهة.

والألفاظ المتشابهة، إما أن تكون متشابهة اللفظ أو متشابهة المعنى، والباطن والظاهر هو في الألفاظ المتشابهات المعنى، أي في الآيات الواردة بقوله تعالى: ﴿وأخر متشابهات﴾ ولمعرفة ذلك، توجد قاعدة بسيطة مفادها أن كل آية لا يمكن إعطاؤها المعنى الحقيقي، أو لا يمكن إعطاء معناها مجازاً، فهي متشابهة المعنى، مثل قوله تعالى: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾^(٢) إذ لا يمكن التصور بأن تكون يد الله كاليد البشرية فيكون التشبيه والتجسيم وهذا شرك بالله، فلا مندوحة، والحال هذه من القول بأن هذا اللفظ الشريف من المتشابهة المعنى. ومثله قول الحق سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٣) فلا يجوز في قاعدة التوحيد الإستواء بالمعنى الظاهر، لأنه يفضي إلى القول بمكان واحد لله سبحانه، والحق أنه سبحانه موجود في كل مكان: ﴿وسع كرسيه السموات والسموات والأرض﴾^(٤) والمعنى هنا خفي متشابه وقد ذكر في تفسير الآية الأولى: أن أمر الله وقوته فوق أيديهم وقوتهم، وفي الآية الثانية أن الله يهيمن وسيطر على العرش.

وأيضاً، فإن في القرآن الكريم بعض الآيات التي يراها بعض المسلمين

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٢) سورة الفتح: الآية ٤٨.

(٣) سورة طه: الآية ٢٠.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

محكمات، أو هي ظاهرة المعنى، ولكن هي في الحقيقة من المشابهات، أي خفية المعنى وقول الله سبحانه ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين﴾^(١) فهم يفسرونها بمعان خفية، ويعتبرونها متشابهة المعنى. ومنه قول الحق سبحانه ﴿سبع سموات طباقاً﴾^(٢) فهم يفهمونها على غير معناها الظاهر، لأن أهل العلم والفن يهزأون اليوم بالذين يظنون أنّ السماء كالقبة، وأن النجوم كالقناديل المعلقة فيها، وأن الشياطين يرجمون بها، وذلك حسب ما نقلوه عن الأئمة^(٣) من أهل البيت (ع).

واجتمع أحد أئمة الشيعة بأحد أئمة السنة فقال الأخير للأول: لماذا أنتم الشيعة تفسرون القرآن بالباطن وتجعلون له باطناً وظاهراً وتأويلاً، فقال العالم الشيعي: إننا نجد أنّ كثيراً من الآيات الكريمة لا مناص من حملها على المجاز والتأويل، وإلاّ صرنا إلى المحذور - وكان العالم السني بصيراً - فلو فسرنا قول الباري سبحانه: ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً﴾^(٤) بالظاهر دون اللجوء إلى التأويل وقعنا فيما لا ينبغي، فالعمى في الآية الكريمة هو عمى البصيرة وليس عمى البصر.

وقد يطعن بعض المسلمين بالعلويين بأنهم يفسرون القرآن حسب رأيهم ومعتقداتهم، ويجيب العلويون بأن هذا خطأ وظن لا يغني عن الحق شيئاً، فإن حق تفسير القرآن عندهم منحصر بأهل بيت العصمة (ع) والدليل من القرآن قوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلاّ الله والراسخون في العلم﴾^(٥) وعندهم أنّ الراسخين في العلم حقاً هم أهل البيت (ع).

فقد استودع الباري سبحانه معرفته الحقّة عندهم، وجميع العلوم، ومنها

(١) سورة تبارك: الآية ٥.

(٢) سورة تبارك: الآية ٣.

(٣) تاريخ العلويين: ص ١٩٨. مصدر سابق.

(٤) سورة الإسراء: الآية ١٧.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٧.

علم القرآن من حيث النسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والخاص والعام، والمطلق والمقيد مصداقاً لما ورد في الحديث الشريف: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»، وقوله (ص) «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً: الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: الأول كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، والثاني عترتي أهل بيتي وإن اللطيف الخبير أنبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

وفي الأثر عن أمير المؤمنين علي (ع): «عندنا أهل البيت علم المنايا والبلايا». وقوله (ع): «تمسكوا بأهداب أهل بيت نبيكم فلا تعلموهم فإنهم أعلم منكم ولا تتقدموا عليهم فهم أولى وأحقّ منكم». وقوله (ع): «لو كشف لي الغطاء ما زددت يقيناً». وقوله (ع): سلوني قبل أن تفقدوني فوالذي لا إله إلا هو لأنا بطرق السموات أعلم مني بطرف الأرض، لا تسألوني عن آية في كتاب الله إلا وأخبركم في أي جبل نزلت وعلي من وفي أي زمن نزلت».

وحدثني أحد الإخوة من العارفين عند العلويين أنه يوجد بين العلويين علوم خفية أخرى كالجفر، وهو تأليف علي وجعفر (ع)، والكلام في إثبات ذلك أو نفيه يطول ولا جدوى منه.

ومن مفردات الطريقة الخصيية الجنبانية: العقيدة في كمال الإيمان: وهم يعتقدون أن الإيمان الكامل للمسلم لا يتحقق إلا لمن سبق إسلامه على إلتحاق علي بن أبي طالب (ع) بالنبي يوم الهجرة، بعد ميته على فراشه، وأما من آمن بعد هجرة النبي فأيمانه ناقص، حتى بلغ بهم القول بحيث إعتبروا العباس (رضي الله عنه عم النبي (ص) غير كامل الإيمان، لأنه أسلم بعد التحاق علي (ع) بالرسول، ودليلهم في ذلك الآيات الكريمة الآتية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجَرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ

(١) سورة الأنفال: الآية ٧٢.

كبير ﴿^(١)﴾ وقوله جلّ وعلا: والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم ﴿^(٢)﴾ .

فكلمة «حقاً» معناها كمال الإيمان، وهو مرتبة جليلة لا يصل إليها الإنسان إلا بعد مجاهدات نفسية صعبة، وإيمان صلب، واعتقاد راسخ وتضحيات جلى .

والفرق بين النبوة والإمامة عند العلويين، أن الأنبياء يوحى إليهم بواسطة الملائكة، وخصوصاً الأمين جبريل (ع) وبعضهم كان يكلم الله سبحانه وتعالى بغير واسطة، وهم معصومون من الخطأ والعيوب، حتى من بعض العادات المكروهة وإن كانت طفيفة صغيرة .

أمّا الأئمة المعصومون، والمطهرون، فهم عند العلويين مصدر الإرادة الإلهية دون وحي ولا واسطة، وذلك منبثق عن الحقيقة المحمدية، لقوله (ص): «كنت نبياً وأدم بين الطين والماء». وقوله: «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر» وهم تحت تأثير الإرادة الإلهية، فتكون جميع أعمالهم، وأقوالهم ونواياهم أي أعمالهم القلبية موافقة للإرادة الإلهية المؤثرة، ويتضح أن الإمامة هي غير الخلافة، وأنّ مطالبة علي أمير المؤمنين وابنائهم المعصومين بالخلافة لم تكن لطلب دنيا، بل لأجل الدين، وهو من اشتهر بالزهد وطلق الدنيا ثلاثاً .

وقد ذكر صاحب كتاب «تاريخ العلويين»: أن العلويين انقسموا، بعد وفاة الإمام الحسن العسكري (ع) إلى ثلاثة أقسام أساسية هي:

١ - العلويون الذين بقوا تابعين للباب أبي شعيب محمّد بن نصير البصري النميري .

٢ - الذين اتبعوا «أبا يعقوب، إسحق النخعي الملقب بالأحمر، وقد كان من أصحاب الحسن العسكري (ع) ثمّ ادعى أنه هو الباب، وقد كان اتبعه بعض العلويين، ومع قلتهم ظلوا إلى زمن اسماعيل بن خلّاد

(١) سورة الأنفال: الآية ٧٣ .

(٢) سورة الأنفال: الآية ٧٤ .

(أبو ذهية) وسنأتي على ذكره، وهؤلاء هم «الإسحاقية».

٣- الذين لم يتبعوا الباب (أبو شعيب محمّد بن نصير) ولم يتبعوا اسحق الأحمر، بل بقوا على ما جاء في كتب جعفر الصادق (ع) دون أن يكون لهم رئيس ديني وكيلاً للباب، وقد سموهم «الجعفرية».

ثم استطرد صاحب «تاريخ العلويين» ليقول: «أما الإسحاقية فهم من العلويين، وبعد هلاك أبي ذهية، أي إسماعيل بن خلّاد، في اللاذقية بقيت عقيدته حتى مجيء الأمير حسن المكزون السنجاري إلى جهات اللاذقية إذ جمع كتب الإسحاقية وحرّقها، وقضى على عقيدتهم قضاء تاماً في منطقة دولة العلويين.. ثم استطرد قائلاً: «جاء بعد السيد الجلّي السيد أبو سعيد الميمون سرور بن القاسم الطبراني، شيخ الديانة العلوية ورئيس الطريقة الجنبلائية، واتخذ اللاذقية مركزاً له. ولما كان السيد الخصيي متخذاً حلباً مسكناً له، وكان السيد الجلّي خلفاً له والسيد أبو سعيد خلفاً للسيد الجلّي، أصبح السيد أبو سعيد أعظم مرجع للعلويين التابعين للباب أبي شعيب محمد بن نصير.

ولد السيد أبو سعيد، واسمه سرور ولقبه الميمون، في بلدة طبرية سنة ٣٥٨ هجرية، وهو معروف باسم الطبراني، ثم سافر لحلب وسكن فيها عند سيده الجلّي الكبير، وصنف هناك كتباً عديدة.

وقد أجبرت الحروب المتوالية حول حلب أبا سعيد على مغادرة البلد، والهجرة إلى اللاذقية للسكن فيها. وذلك سنة ٤٢٣ هـ. وفي سنة ٤٢٦ توفي السيد أبو سعيد الميمون سرور بن قاسم الطبراني في اللاذقية، وقبره كائن بين المرفأ وتربة العلوي المشهور بأبي علي الشيخ محمد البطرني، أي على ضفة البحر داخل المسجد المسمّى اليوم مسجد الشعراني، والمسلمون السنيون يزورونه والعلويون يقدسونه.

كان السيد أبو سعيد سرور أكبر مؤلف بين العلويين، وهو آخر شيخ منفرد بالطريقة الجنبلائية، وبعد السيد أبي سعيد ميمون بن قاسم الطبراني لم يرأس أحد الطريقة، بل استقل كل شيخ من جهة. لأن العلويين كانوا تحت حماية بني

حمدان التغلبيين في حلب. وبعد بني حمدان احتل الروم بلاد العلويين حتى حمص، ولم يبقَ للعلويين سلطة إلا في مصر، وكان رؤساؤهم الدينيون من أسرة «البلقيني» المشهورة ورئيس أسرة البلقيني في مصر كان الرئيس الديني الوحيد للعلويين. وكان أيضاً شيخ الإسلام لحكومة المماليك المصرية العلوية، والرياسة بين عائلة البلقيني تنتقل من الأب إلى الولد.

ولد السيد أبو سعيد في بلدة طبرية كما أسلفنا سنة ٣٥٨ هـ. وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، ثم سافر إلى حلب عند السيد الجلّي العظيم سنة ٣٧٦ هـ وحضر إلى اللاذقية عن طريق إنطاكية، وتوفي سنة ٤٢٦ هـ، ولم تكن في أيامه حكومة قويّة منتظمة في جبال النصيرة، بل كانت في الجبل إمارات عديدة، وكان لكل إمارة قلعة تحميها من جيرانها، ولم يكن بين تلك الإمارات عشائر واختلاف مذهبي، بل كان السيد أبو سعيد رئيساً دينياً للجميع، على أنه كان أزهد واتقى الجميع وأقلهم مالاً، وكان مجاهداً دينياً بين العلويين، وقد بعث جهاد هؤلاء الأعاظم وإرشادهم روحاً قوية في العلويين دفعتهم إلى إعلان استقلالهم وإظهار مجدهم المعروف^(١).

وقد استبد بالعلويين ظلم الأكراد وتعسف وجور الإسماعيلية، حتى أجلوهم عن أرضهم، وذلك في نهاية القرن السادس وبداية السابع، وهكذا أجبروا أن يطلبوا العون والمدد من الأمير العلوي المهلبي النسب الحسن بن يوسف بن خضر المكزون السنجاري، فهبّ لنجدتهم سنة ٦١٧ هـ. ولكن الخمسة والعشرين ألف فارس الذين جاء بهم من سنجار العراق أقول: لم تستطع هذه المجموعة من التغلب على حشود خصومهم، فعادوا أدراجهم وعلى رأسهم الأمير الفارس الشاعر، لكي يزدادوا من العدة والعدد والإستعداد.

وفي عام ٦٢٠ هـ قاد المكزون جيشاً مكوناً من خمسين ألف مقاتل، واتجه بهم إلى سورية، حيث تخلى عنه النصر قبل ثلاث سنوات وقد انتصر وظفر في هذه الحملة الثانية بأعداء أبناء طائفته، وأعاد الأرض إلى أصحابها، ونظم أمرهم

(١) تاريخ العلويين: ص ٢٦٥ مصدر سابق.

وأمن استقرارهم وعيشهم الرغيد، ثم اعتزل السياسة بحسب إصطلاحنا في هذه الأيام وانقطع إلى التصوف والشعر والتنسك، وتوفي سنة ٦٣٨ هـ في قرية كفرسوسة، على مقربة من دمشق، ويقال إن قبره معروف حتى الآن ويزوره المسلمون من سنين وعلويين^(١).

والحق أن ضباباً من النسيان وأسباب الإهمال، ومؤثرات تموجات التعذيب والإضطهاد، وما يتبع ذلك من آفات الجهل والعزلة والوحدة والخوف، كل ذلك قد فعل فعله، فكان من آثاره عادات وتقاليد مختلفة انسحبت على عقائدهم، فكان ما كان من الغلو والشطحات الصوفية التي فرضت عليهم فرضاً، ولم يكن لهم ذنب وسبب مباشر فيها، أضف إلى كل ذلك حياة ملؤها الخوف والإضطراب والحيرة لم تعرف الأمن، وتمشيخون جهلة لا يعلمون من صلب الدين والمذهب إلا النزر اليسير، وقشوراً لا تمت للدين بصلة، وإنما عقائد صوفية قديمة، ورثها القوم منذ أيام السنيين الجنبلائي والخصيبي، والتي لم تواكبها متابعة علمية ولا تطور علمي ثقافي ينقي الحقائق مما علق بها من شوائب وخطل وخزعبلات، فكان من جراء ذلك الإنحرافات والبدع التي شاعت في صفوف العوام.

وكلمة إنصاف لا بدّ من ذكرها في هذا الباب، وهي أنّ العلويين على مسرى تاريخهم الطويل كانوا أصحاب أمجاد ومآثر لا تنكر، فلقد تعرضوا للغزو من قبل الصليبيين، وللمذابح من قبل السلطان سليم التركي العثماني، والإعتداء من جيرانهم الإسماعيلية، والمضايقة من إخوانهم السنيين، وهم مع كل ذلك، كانوا أصحاب نخوة، ونجدة وفروسية في الحروب، لا سيما في صفوف جيوش سيف الدولة الحمداني، وخاضوا المعارك الباسلة ضد الصليبيين في صفوف إخوانهم من أبناء عامة المذاهب الإسلامية في سورية، وقد قاوموا بعض طغاة الأتراك من الحكام الشعوبيين الغاشمين، وكانوا صورة طيبة للجهاد على مسرى حركات الإستقلال العربية الحديثة التي آخرها أحداث سنة ١٩٢٠ م في سورية،

(١) المصدر السابق: ص ٣٠٦ - ٣١٠.

وسياتيك مزيد من التفصيل من حديث الفارس المجاهد البطل المرحوم الشيخ صالح العلي، قائد الثورة ضد الفرنسيين في الساحل السوري والجبال العلوية.

وعن هذه الفترة القاسية من تاريخ العلويين يقول صاحب «النبأ اليقين عن العلويين»: «كان موقف العلويين آنذاك بالغ الخطورة والرغبة، فهم بين نارين ملتهبين، عسف الولاة، وعاديات القرامطة، وأنكأ من هذا كله عجزهم عن درء أيّ من الخطرين قبل وضع الحرب الصليبية الإسلامية أوزارها، لأن الواجبين الديني والوطني كانا يقضيان عليهم بالتعاون ولو مع مبغضهم، لإستنقاذ البلاد من أيدي الغزاة الطامعين، وإقصاء الدخيل الأجنبي عنها، فنسوا مصالحهم الخاصة، وتناسوا إحن جيرانهم وسوء معاملتهم، في سبيل المصلحة العامة، وأبلوا في تلك الحرب الضروس بلاءً حسناً، تلك الحرب التي كادت تأتي عليهم، لوجودهم جغرافياً في أتونها الملتهب، فقاتلوا قتال المستميت، ذوداً عن مقدسات دينهم ومقدرات بلادهم ودفاعاً عن نفوسهم»^(١).

ولم يكن العلويون خلال توقف حملات الصليبيين لإستعادة نشاطهم العسكري في أمن وراحة، بل كانوا على العكس في حرب مع القرامطة الذين ما فتئت تحركهم أصابع الفتنة في الخفاء، وتساندهم أيدي مظالم الحكام في العلن، ممّا إضطر العلويين إلى استعداد إخوانهم السنجاريين على القرامطة فخفوا لنجدتهم بقيادة الأمير «حسن بن مكزون السنجاري» الذي حشد الجموع منتصراً لإخوانه على القرامطة المعتدين (الإسماعيلية) وقد نزل الأمير بمن معه على ماء يعرف «عين كلاب» قرب قرية «أبي قبيس» في الجانب الشرقي من جبال العلويين، وبعد ان استراح الجيش من وعثاء السفر وأكمل أهبته وانطلق الأمير به وبم التف حوله من علويي البلاد يمعنون في نفوس ومنازل أعدائهم قتلاً وتخريباً، إلى أن ضعف أعداؤهم عن المقاومة ففروا من بين أيديهم، وتفرقوا أيدي سباً، يضربون في طول البلاد وعرضها لا يلوون على شيء، ولم تقم لهم بعدها في هذه

(١) محمود صالح - النبأ اليقين عن العلويين: ص ١٥٠ مؤسسة البلاغ. ط ١٩٨٧ ٢

الجبال إلى الآن قائمة فكف العلويون أيديهم عن القتال بعد أن أظفرهم الله على خصومهم، ورجع السنجاريون إلى بلادهم طيبة نفوسهم بالرغم ممن تركوا خلفهم من الشهداء، وفيهم أخو الأمير وبعض أقربائه ومواليه .

ولكن الأيوبيين، ولهم مقاليد الحكم في البلاد، ما فتوا يمعنون بالتضييق على العلويين وتشديد الرقابة عليهم وإقصائهم عن موارد الحكم والسياسة، مما جرح كبرياء العلويين العربية وأدمى صدرهم وافئدتهم .

وأشدّ ما يقطع قلوبهم حسرات، أنّهم رأوا بلاداً ملكوها بشفار سيوفهم وسقوا أرضها زكيّ دماثهم تنتهبها أيد لا عهد لها بها من قبل، وينعم بمرافقتها وخيراتها غزاة فاتحون، بينما هم أصحابها الذين درأوا عنها غارات الروم، وخطر القراصنة والإفرنج، يطردون عن مناهلها طرد غرائب الإبل . أما في هذا ما يذكره مراجل الصدور ويجرح غرّة النفوس، ولا حول لهم على دفعه ولا قوة؟

تجاه هذه الحوادث المؤلمة والكوارث الجسيمة التي كانت تنزل بالعلويين، من الرعاة والرعية، ولضعفهم عن المقاومة والدفاع، لجأوا إلى كتمان ولائهم ضناً به، ولزموا دور الستر حرصاً على حياتهم، وبالتزامهم دور الستر راجت الإشاعات في باطنيتهم، وكثرت التقلبات عليهم، وإيخلائهم إلى السكينة وعدم إهتمامهم لما نسب إليهم - إتكالاً على براءة ساحتهم - صدقت فيهم التهم الملفقة عليهم، وأسدل عليهم حجاب الإهمال والنسيان، وأغفل ذكرهم إلا من ضرر يلحقه بهم المبغضون، أو وصمة يلصقها بهم المغرضون، فانقبضت نفوسهم واضطربت أفكارهم وذهلوا عمّا حولهم، فلا عمدوا إلى القوة لكبت عدوان الحاكمين، ولا اعتمدوا اللين، والمداورة لاستجلاب قلوب المحكومين، بل وقفوا حيارى مبهوتين، في وقت كان استخدام مواهب العقل واستعمال قوى التفكير لزماً على كل عاقل ومفكر .

وإنّما أفضل ما اهدوا إليه في تلك الفترة القاسية من حياتهم هو محافظتهم على أنسابهم العربية الصحيحة، واحتفاظهم بخالص الحب والولاء لأئمتهم المعصومين عليهم السلام، وإنشغال بعض علمائهم بتأليف كتب قيمة تدل على

سمو مكانة مؤلفيها العلمية والأدبية، وقد أشرنا إليها في الفصل الثاني من هذه العجالة، وقدما نموذجاً من شعر أدبيين من أدباء ذلك الجيل الرّهب.

والحق أقول: لو أتيح لعلماء ذلك العصر وأدبائه إظهار مؤلفاتهم للملاّ وتسنّى لهم إيصالهم إلى النفوس الحرّة، والعقول الواعية لكان لهم من أنصار العلوم والآداب في المجتمع نصير وظهير، ولكن أنّى لهم نشرها، وقد كان ولاة الأمر، أعداء مذهب التشيع وخصومه الألداء، قد ضربوا بينهم وبين الظهور على مسرح الحياة بسور من العيون والأرصاد يحصون عليهم أنفاسهم ويرقبون حركاتهم وسكناتهم، فرغب الكثير منهم عن حياة الحضارة إلى عيشة البداوة، تفادياً من فتك يتظرهم في نفوسهم، كما منوا به في نفيس ولائهم إذ أمعنوا إعلانة فالتزموا كتمانها، فغادروا المدينة مذرّين الليل حجاباً إلى هذه العجبال التي اتخذوا منها أكتاناً ومن غاباتها وكهوفها ملاجئ ومدخلات»^(١).

والعلويون كما يعرف كل من يتصل بفقهااتهم المعاصرين، أو آثار علمائهم الماضين مسلمون متمسكون بالقرآن دستوراً سليماً للإسلام، وبولاية محمّد وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين. فهم كما تعرضهم دراسات المنصفين، ووقائع نشأتهم وتمسكهم بعلوية إسلامهم، ولما لحقهم من إضطهاد بسبب ذلك. فدائبو الشيعة المجهولون^(٢)، كيف لا؟ وهم الحفدة البررة لأولئك المجاهدين الفطاحل، من أصحاب أمير المؤمنين (ع) ممن قدم للإسلام كل غال ونفيس، وجاهد في سبيل الله حق جهاده، بالمال والدّم أمثال سلمان وعمّار وأبو ذر والمقداد وحذيفة اليمان، وهكذا أحفادهم في التاريخ، وقد كانوا الحراس الأمناء على شرع الإسلام، رافعين الرايات البيض خوفاً عليه من حكام الجور والجشع،

(١) المصدر السابق: ص ١٥٣.

(٢) لاحظ ما كتبه الأستاذ محمّد مجذوب في مقدمة البويبيل الذهبي للعلامة سليمان الأحمد:

مطبعة العرفان ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨، صيدا.

والدكتور أسعد أحمد علي الذي عرض وجهين قديمين من مفكريهم:

أ - فنّ المنتجب العاني وعرفانه: بيروت دار النعمان ١٩٦٨ م.

ب - معرفة الله والمكزون السنجاري: بيروت دار الرائد العربي، ١٩٧٢ م.

ولم يخل بلد من أصقاع المسلمين من ثوراتهم وانتفاضاتهم المتكررة ضد الظلم والطغيان، الأمر الذي بسببه عرضوا أنفسهم لأنواع التنكيل والتعذيب، مما لا يزال الدهر يرعب من قسوته.

فثورات العلويين في التاريخ قد ملأت بطون الكتب من قصصها وعبرها، يأتي في مقدمتها ثورة الإمام سيد الشهداء الحسين بن علي وأهل بيته وأصحابه، في موقعة الطف التي إنتهت باستشهاده وكانت منعطفاً تاريخياً مهماً أدى إلى إنهيار حكم الطاغية يزيد بن معاوية وما ثورة زيد بن علي (ع) الشهيد في الكوفة، وإنتفاضة النفس الزكية في العراق وإبراهيم الإمام عليهما السلام وعشرات القتلى من بني هاشم إلا دليل واضح على همجية الأمويين والعباسيين فكان إستشهادهم مشاعل نور على درب الحقّ ومن هنا بالذات يلزم علينا أن ندرس عملية الفداء عند العلويين.

دسائس لا بُدَّ من كشفها

الأقدمون:

وأولهم الشهرستاني حيث حصر عقائد العلويين بفكرتين رئيسيتين:

١ - ظهور الروحاني بالجسد الجسماني .

٢ - الله تعالى ظهر بصورة علي وأولاده، ولأنَّ علي (ع) مخصوص بتأييد من الله، فيما يتعلق بباطن الأسرار فقد أثبت الإختصاص له وحده، ثمَّ قال: «النصيرية والإسحاقية من جملة غلاة الشيعة، ولهم جماعة ينصرون مذهبهم ويزبون عن أصحاب مقالاتهم، بينهم خلاف في كيفية إطلاق اسم الإلهية على أئمة أهل البيت، قالوا ظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمر لا ينكره عاقل أمَّا في جانب الخير، فكظهور جبريل عليه السلام لبعض الأشخاص، والتصور بصورة أعرابي، والتمثل بصورة البشر، وأمَّا في جانب الشرِّ فكظهور الشيطان بصورة إنسان، حتى يعمل الشرِّ بصورته. وظهور الجن بصورة بشر، حتى يتكلم بلسانه، فكذلك يقول: إن الله تعالى ظهر بصورة أشخاص، ولمَّا لم يكن بعد رسول الله (ص) شخص أفضل من علي رضي الله عنه، وبعده أولاده المخصوصون، وهم خير البرية، فظهر الحق بصورتهم، ونطق بلسانهم وأخذ بأيديهم، فمن هذا أطلقنا اسم الإلهية عليهم.

وإنما أثبتنا الإختصاص لعلي رضي الله عنه دون غيره، لأنه كان مخصوصاً بتأييد إلهي من عند الله تعالى، فيما يتعلق بباطن الأسرار. قال النبي (ص): «أنا أحكم بالظاهر والله يتولَّى السرائر». وعن هذا كان قتال المشركين إلى النبي (ص)

وقتل المنافقين إلى علي رضي الله عنه، ومن هذا شبهه بعيسى ابن مريم (ع) فقال النبي (ص): «لولا أن يقول الناس فيك ما قالوا في عيسى ابن مريم (ع) لقلت فيك مقالاً لا يمرّ أحد بك إلا وأخذ التراب من تحت نعلك للبركة».

وربما أثبتوا له شركة في الرسالة، إذ قال النبي (ص): «فيكم من يقاتل على تأويله، كما قاتلت على تنزيله، ألا وهو خاصف النعل»، فعلم التأويل وقاتل المنافقين، ومكالمة الجن، وقلع باب خير، لا بقوة جسدية، من أول الدليل أن فيه جزءاً إلهياً وقوة ربانية، أو يكون هو الذي ظهر الإله بصورته، وخلق بيده وأمر بلسانه، وعن هذا قالوا كان هو موجوداً قبل خلق السموات والأرض، قال: كنا أظلة على عين العرش فسبحنا فسبحت الملائكة بتسييحنا، فتلك الظلال وتلك الصور التي تنسب عن الظلال هي حقيقته، وهي مشرقة بنور الربّ إشراقاً لا ينفصل عنها، فسواء كانت في هذا العالم، أو في ذلك العالم. وعن هذا قال علي رضي الله عنه: «أنا من أحمد كالضوء من الضوء، لا فرق بين النورين إلا أن أحدهما سابق والثاني لاحق به تال له».

قالوا: وهذا يدل على نوع من الشركة، فالنصيرية أميل إلى تقرير الجزء الإلهي^(١). إنتهى.

ابن تيمية: والسؤال المزعوم الذي وجه إليه عن مذهب النصيرية «العلويين» هو التالي: «ما تقول السادة العلماء، أئمة الدين، رضي الله عنهم أجمعين، وأعانهم على إظهار الحق المبين وإخماد شغب المبطلين، في النصيرية القائلين باستحلال الخمر، وتناسخ الأرواح، وقدم العالم، وإنكار وجود البعث والنشور والجنة والنار في غير الحياة الدنيا، وإن الصلوات الخمس عبارة عن خمسة أسماء وهي: علي، وحسن، وحسين، ومحسن وفاطمة، فذكر هؤلاء الخمسة يغنيهم عن الغسل من الجنابة والوضوء وبقية شروط الصلاة وواجباتها، وأن الصوم عندهم عبارة عن ثلاثين رجلاً وامرأة يعدونهم في كتبهم، ويضيق هذا الموضوع عن إيرادهم، وأن الذي خلق السماوات والأرض هو علي بن أبي طالب رضي الله

(١) الشهرستاني: الملل والنحل.

عنه، وهو عندهم الإله في السماوات والإمام في الأرض، فكانت الحكمة في ظهور اللاهوت بهذا الناسوت على رأيهم، إنه ليؤنس خلقه وعبده ليعلمهم كيف يعبدونه ويعرفونه، وبأن النصيري عندهم لا يصير عندهم نصيرياً مؤمناً، يجالسونه ويشربون معه ويطلعونه على أسرارهم ويزوجونه من نسائهم، حتى يخاطبه معلمهم، وحقيقة الخطاب عندهم أنهم يخلفونه على كتمان دينهم ومعرفة مشايخهم وأكابر أهل مذهبه، على أن لا ينصح مسلماً ولا غيره إلا من كان من أهل دينه، وعلى أن يعرف إمامه وربّه يظهر في الأكوار والأدوار، فيعرف انتقال الإسم والمعنى في كل حين وزمان.

فالإسم عندهم في أول الناس: آدم، والمعنى شيث، والإسم هو يعقوب، والمعنى هو يوسف، ويستدلون على هذه الصورة بما يزعمون في القرآن العزيز، حكاية عن يعقوب ويوسف عليهما السلام، فيقولون: أما يعقوب فكان الإسم لما كان ما قد أن يجاوز منزلته، فقال: ﴿سوف أستغفر لكم ربي، إنه هو الغفور الرحيم﴾^(١).

وأما يوسف فكان هو المعنى المطلوب فقال: ﴿لا تثريب عليكم اليوم﴾^(٢) فلم يعلق الأمر بغيره، لأنه علم أنه هو الإله المتصرف.

ويجعلون موسى هو الإسم، ويوشع المعنى، ويقولون: يوشع ردت له الشمس لما أمرها فأطاعت أمره، وهل ترد الشمس إلا لربها... ويجعلون سليمان هو الإسم، وأصف هو المعنى القادر المقتدر، ويعدون الأنبياء والمرسلين واحداً بعد واحد على هذا النمط إلى زمان رسول الله (ص)، فيقولون: محمد هو الإسم وعلي هو المعنى، ويوصلون العدد على هذا الترتيب في كل زمان إلى وقتنا هذا.

فمن حقيقة الخطاب عندهم والدين أن يعلم أن علياً هو الرب، ومحمد هو الحجاب، وسلمان هو الباب، وذلك على الترتيب لم يزل ولا يزال.

(١) سورة يوسف: الآية ٩٨.

(٢) سورة يوسف: الآية ٩٢.

ومن شعر بعض فضلائهم المشهور عنه قوله الملعون :

أشهد أن لا إله إلا علي الأنزع البطين
ولا حجاب عليه إلا محمد الصادق الأمين
ولا طريق إليه إلا سلمان ذو القوة المتين

وكذلك الخمسة الأيتام، والإثنا عشر نقيباً، وأسماءهم معروفة عندهم وفي كتبهم الخبيثة لا يزالون يظهرون مع الرب والحجاب والباب في كل كور ودور أبداً سرمداً، وإن إبليس الأبالسة هو عمر بن الخطاب، ودونه في رتبة الإبلسية أبو بكر، ثم عثمان رضي الله عنهم أجمعين، ونزههم وأعلى رتبهم عن أقوال الملحدين وانتحال الغالين والمفسدين، ولا يزالون في كل وقت ملعونين حيثما ذكروا.

وأما جواب ابن تيمية، فقد جاء طويلاً مشوشاً مضطرباً محتويًا على كثير من الأخطاء التاريخية وهاك نصّه قال :

«هؤلاء القوم الموصوفون المسمون بالنصيرية، هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى، بل أكفر من كثير من المشركين. وضررهم على أمة محمد (ص) أعظم من ضرر الكفار المحاربين، مثل كفار الترك والإفرنج وغيرهم، فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالات أهل البيت وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه ولا بأمر ولا بنهي ولا ثواب ولا عقاب ولا جنة، ولا نار ولا بأحد من المرسلين قبل محمد (ص)، ولا بملة من الملل السالفة، بل يأخذون كلام الله ورسوله المعروف عند المسلمين، يتأولونه على أمور يقرونها ويدعون بأنها علم الباطنية، ومن جنس ما ذكر السائل ومن غير هذا الجنس، فإنهم ليس لهم حدّ محدود فيما يدعون من الإلحاد في أسماء الله وآياته، وتحريف كلام الله ورسوله، عن مواضعه، إذ مقصودهم إنكار الإيمان وشرائع الإسلام بكل طريق، مع التظاهر بأن هذه الأمور حقائق يعرفونها وهي من جنس ما ذكر السائل، ومن جنس قولهم أن الصلوات الخمسة معرفة أسرارهم، والصيام المفروض كتمان أسرارهم، وحج البيت العتيق زيارة

شيوخهم، وأن يدي أبي لهب هما أبو بكر وعمر، وأن النبي العظيم والإمام المبين علي بن أبي طالب.

ولهم في معاداة الإسلام وأهله وقائع مشهورة وكتب مصنفة، فإذا كانت لهم مكنة سفكوا دماء المسلمين، كما قتلوا مرة الحجاج وألقوهم في زمزم، وأخذوا مرة الحجر الأسود وبقي معهم مدة، وقتلوا من علماء المسلمين مشايخهم وأمرائهم وصدورهم من لا يحصي عددهم إلا الله تعالى.

وضعوا كتباً كثيرة فيها ما ذكر السائل وغيره، وصنف علماء المسلمين كتباً في كشف أسرارهم وهتك أسرارهم وبيّنوا ما هم عليه من الكفر والزندقة.

وبالإلحاد الذي هم فيه (هم) أكفر من اليهود والنصارى، ومن براهمة الهند الذين يعبدون الأصنام، وما ذكر السائل من وصفهم قليل من الكثير الذي يعرفه العلماء من وصفهم.

ومن المعلوم عندهم أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من جهتهم، وهم دائماً كل عدد للمسلمين، فهم مع النصارى على المسلمين ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار، ومن أعظم المصائب عندهم فتح المسلمين الساحل وقهر النصارى، ومن أعظم أعيادهم إذ استولى - والعياذ بالله - النصارى على ثغور المسلمين. فإن ثغور المسلمين ما زالت بأيدي المسلمين، حتى جزيرة قبرص فتحها المسلمون في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، فتحها معاوية بن أبي سفيان إلى أن أتت المائة الرابعة، فإن هؤلاء المحادين لله ورسوله كثروا حيثئذ بالسواحل وغيرها، فاستولى النصارى على الساحل بسببهم، ثم استولوا على القدس وغيره، فإن أحوالهم كانت من أعظم الأسباب.

ثم لما أقام الله ملوك الإسلام كنور الدين الشهيد، وصلاح الدين وأتباعهما، وفتحوا الساحل من النصارى وممن كان بها منهم، فتحوا أيضاً أرض مصر، فإنهم كانوا مستولين عليها، نحو مائتي سنة، واتفقوا هم والنصارى فجاهدهم المسلمون حتى أنهم فتحوا البلاد. ومن ذلك التاريخ انتشرت دعوة

الإسلام في البلاد المصرية والشامية .

ثم إن التتار إنما دخلوا بلاد المسلمين وقتلوا خليفة بغداد وغيره من ملوك المسلمين بمعاونتهم ومؤازرتهم ، فإن منجم هولاءكو - سلطان التتار - الذي كان وزيره (وهو النصير الطوسي) ، هو الذي أمر بقتل الخليفة وبولاية هؤلاء .

ولهم ألقاب معروفة عند المسلمين : تارة يسمون الملاحدة ، وتارة يسمون الإسماعيلية ، وتارة يسمون القرامطة ، وتارة يسمون الباطنية ، وتارة يسمون الخرمية ، وتارة يسمون المحمرة ، وهذه الأسماء منها ما يعمهم ، ومنها ما يخص بعض أصنافهم ، كما أن اسم الإسلام والإيمان يعم المسلمين ، ولبعضهم اسم يخصهم ، إما لنسب وإما لبلد وإما لغير ذلك .

والفتوى طويلة إلا أنه أستطرد قائلاً :

« وفيهم إشارات ومخاطبات يعرف بعضهم بعضاً ، وهم إذ كانوا في بلاد الإسلام ، التي يكثر فيها أهل الإيمان فقد يخفون على من لا يعرفهم .

« وقد إتفق علماء الإسلام على أن مثل هؤلاء لا تجوز مناكحتهم ولا يجوز أن ينكح الرجل مولاته منهم ، ولا يتزوج منهم امرأة ولا تباح ذبائحهم » .

ثمّ يستطرد ابن تيمية قائلاً : « لكن دماؤهم وأموالهم مباحة ، وإذا أظهروا التوبة ، ففي قبولها منهم نزاع بين العلماء ، فمن قبل توبتهم إذا لزموا شريعة الإسلام أقرّ أموالهم عليها ، ومن لم يقبلها وورثتهم من جنسهم ، فإن مالهم يكون فيئاً لبيت المال ، لأن هؤلاء إذا أخذوا يظهرون أقوالاً ضد مذاهبهم السفهية ، وسبب كتمان أمرهم ففيهم من لا يعرف . فالطريق في ذلك أن يحتاط في أمرهم ، فلا يتركوا مجتمعين ، ولا يمكنوا من حمل السلاح ، وأن يكونوا من القاتلة ، ويلزموا شرائع الإسلام من الصلوات الخمس وقراءة القرآن ، ويترك بينهم من يعلمهم دين الإسلام » .

القلقشندي : فقد كتب عن عقائد النصيرية قائلاً : « وهم يدعون ألوهية علي رضي الله عنه مغالاة فيه ، ويزعمون أن مسكن علي السحاب ، وإذ مرّ بهم

السحاب قالوا: السلام عليك يا أبا الحسن، ويقولون: إن الرعد صوته، والبرق ضحكه، وهم من أجل ذلك يعظمون السحاب، ويقولون: إن سلمان الفارسي رسوله، وإن كشف الحجاب عما يقوله من أي كتاب، بغير إذن، ضلال، ويحبون ابن ملجم قاتل علي رضي الله عنه، ويقولون إنه خلص اللاهوت من الناسوت، ويخطئون من يلعنه. قال في «التعريف»: ولهم خطاب بينهم من خاطبوه به لا يعود يرجع عنهم، ولا يذيعه ولو ضرب عنقه، قال: وقد جرب هذا كثير، وهم ينكرون إنكاره، قال في «إرشاد المقاصد»: وهم يخفون مقالاتهم، ومن أذاعها فقد أخطأ عندهم، ويرون أنهم على الحق، وأن مقالاتهم مقالة أهل التحقيق، ومن أنكر ذلك فقد أخطأ. قال في «التعريف»: ولهم إعتقاد في تعظيم الخمر، ويرون أنها من النور، ولزمهم من ذلك أن عظموا شجرة العنب التي هي أصل الخمر، حتى استعظموا قطعها، ويزعمون أن الصديق وأمير المؤمنين عمر، وأمير المؤمنين عثمان، رضي الله عنهم تعدوا عليه، ومنعوه من الخلافة، كما تعدى قابيل بن آدم (ع) على أخيه هابيل، وكما أعتدى النمرود على الخليل (ع)، وكما يقوم كل فرعون من الفراعنة على نبي من الأنبياء عليهم السلام. . . هذا أهم ما ذكر من أقوال الأقدمين في عقائد النصيرية «العلويين»^(١).

أما بالنسبة للشهر ستاني صاحب كتاب «الملل والنحل» فقد خان الأمانة التي اشترطها على نفسه حينما قال: «وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم، من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم»، فهو فيما ذكر أهمل ذكر أسماء أصحاب مقالات النصيرية، دون أن ينسبها إلى كتبهم أو إلى أحد رجالاتهم فقوله: قالوا: «ظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمر لا ينكره عاقل»، ساقط لا يعول عليه، وإن كان قسم من متصوفة العلويين، فيما أعلم، يقولون بالتجلي، وأما قوله: «كان هو موجوداً قبل خلق السموات والأرض فهو في الأصل حديث نبوي شريف حرقه وشوّه فقد جاء في «غاية المرام» للبحريني نقلاً عن «فرائد السمطين» و«مسند أحمد» و«فضائل الخوارزمي» و«مناقب الخطيب»

(١) القلقشندي، صبح الأعشى: ج ١٣ - ص ٢٢٢ - ٣٥٣.

أنّ النبي (ص) قال: «كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله تعالى، قبل أن يخلق الخلق، فلما خلق آدم ركب ذلك النور في صلبه، فلم يزل في شيء واحد حتى افترق في صلب عبد المطلب»^(١)،

وأما قوله: «وربما أثبتوا له شركة في الرسالة، فهو قول الحلولية، وقد ذكرهم الملطي المتوفى سنة ٣٧٧ هـ في «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع»، غير أن الملطي لم يسم هذه الفرقة بالنصيرية وكذلك «البيانية» أتباع ابن سمعان التيمي، فقد ذكر الشهرستاني نفسه عنها أقوالاً تشبه إلى حد كبير ما نسبه إلى النصيرية، وجاء فيه أن علياً (ع) قال في قلع باب خيبر: «والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية، ولا بحركة غذائية، ولكن قلعته بقوة رحمانية ملكوتية».

على أن الشهرستاني هذا نفسه متهم في عقيدته، مشكوك في أمانته ونزاهته العلمية يقول معاصره أبو محمد الخوارزمي: «ولولا تخبطه في الإعتقاد، وميله إلى هذا الإلحاد، لكان هو الإمام، وكثيراً ما كنا نتعجب من وفور فضله وكمال عقله، وكيف مال إلى شيء لا أصل له، واختار أمراً لا دليل عليه، لا معقولاً ولا منقولاً، ونعوذ بالله من الخذلان والحرمان من نور الإيمان»^(٢) ومثل هذا الكلام عن الشهرستاني يروي السبكي في «طبقات الشافعية» ويقول ظهير الدين البيهقي في «تاريخ حكماء الإسلام»: «وكان يصنف تفسيراً ويؤول الآيات على قوانين الشريعة والحكمة وغيرها، فقلت له: هذا عدول عن الصواب، لا يفسر القرآن إلا بآثار السلف الصالح من الصحابة والتابعين، والحكمة بمعزل عن تفسير القرآن وتأويله خصوصاً ما كتب تأويله، ولا يجمع بين الشريعة والحكمة أحسن مما جمعه الإمام الغزالي رحمه الله، فامتلاً من ذلك غضباً».

وممن جرح الشهرستاني، العلامة الحجة شيخنا عبد الحسين الأميني قدس سره، في موسوعته العظيمة «الغدير» وسجّل عليه ما أخذ وسقطات تدل على جهله بحوادث التاريخ وعدم نزاهته قال: «ليت شعري، متى وقع الخلاف في

(١) عبد الحسين آل صادق: المضامير.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان.

الإمامة بين الإمام الحسن العسكري (ع) وبين أخيه جعفر الذي أدعى الإمامة بعد وفاة أخيه! ومن هو علي بن فلان الطاحن، الذي قوى أسباب جعفر وأمال الناس إليه؟ ومتى خلق ومتى مات؟ ولست أدري من أي بلد هو؟ وهل وجد لنفسه مقيلاً في مستوى الوجود؟ أنا لا أدري، والشهر ستاني لا يدري والمنجم أيضاً لا يدري.. الخ»^(١).

وأول ما يلاحظ على السؤال الموجه إلى ابن تيمية: الغفلة عن إسم السائل، ممّا يزرع الشك في النفوس، حول صحة ما جاء في السؤال، من ناحية ثالثة فإن ابن تيمية يخلط جداً بين النصيرية والإسماعيلية، والقرامطة، والخرمية، والمحمرة، ومعلوم عند ذوي الإنصاف التباين الكبير في المعتقدات بين هذه الفرق، وقد زعم أنه أطلع على الكتب النصيرية الخبيثة، ولكن هذا الإدعاء يظهر بطلانه حينما يقول: «الخمسة الأيتام والإثنا عشر نقيباً وأسماءهم معروفة في كتبهم الخبيثة»، وأغلب الظن أنه لو أطلع عليها حقاً، لذكر أسماء الأيتام والإثني عشر نقيباً، وقوله: «وإن الصوم عندهم عبارة عن ثلاثين رجلاً وامرأة، يعدونهم في كتبهم الخبيثة، ويضيق هذا الموضوع عن إيرادهم»، يرد عليه ما ورد في الإدعاء الأول عيناً، ولم يذكر ابن النديم المتوفى سنة ٤٣٨ هـ. أي كتاب عن النصيرية مع سعة اطلاعه وكذلك حاجي خليفة المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ صاحب كتاب «كشف الظنون على أسامي الكتب والفنون»، وقد ذكر ١٤٥٠٠ كتاب، ومن المؤلفين ٩٥٠٠ مؤلف، وتناول فيه نحواً من ٣٠٠ فن أو علم، إلا أنه لم يذكر فيها أي كتاب عن النصيرية، وهذا المجموع مع الفهرست الآنف الذكر يعتبران من الأسفار المهمة في هذا الشأن ممّا يؤكد لنا أنّ ابن تيمية نقل عن أفواه الناس المغرضين، من متعصبة المذاهب والشعوبية ووعاظ السلاطين وعملاء السلطان.

وأما بالنسبة لإستحلال الخمرة فلا يقول به إلا كافر وكثير من المسلمين يتعاطاه وهو فاسق، ما لم يقل بحليته، فهو حيثنذ كافر، وقد ابتلي به نفر غير قليل من المسلمين وكان سمرة بن جندب المتوفى سنة ٦٠ هـ أول من باع خمراً في

(١) عبد الحسين الأميني: الغدير، ج ٣ ص ١٤٤. دار الكتاب العربي، بيروت.

الإسلام، كما ذكر أبو هلال العسكري في كتابه «الأوائل» وكان الحاكم الأموي المتهتك يزيد بن معاوية المتوفى سنة ٦٤ هـ يشرب الخمرة، وكذلك يزيد بن عبد الملك بن مروان، فقد اشتهر بالخمرة واللواط، مما كان سبباً في مقتله سنة ١١٦ هـ، ومنهم أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاص بن أمية فقد كانت معاقرة للخمرة مدمنة عليها، وفي كأسها يقول الوليد بن يزيد بن عبد الملك:

عللاني بعاتقات الكروم واسقياني بكأس أم حكيم
إنها تشرب الرساطون صرفاً في إناء من الزجاج عظيم

وفي العصر العباسي، شربها العامة والخاصة حتى الخلفاء، وكان الهادي يشرب المسكر، وكذلك الرشيد، فإنه كان يشرب وأما الأمين فلم يكن ينقطع عن الشراب، ويذكر الجاحظ في «التاج»^(١) أن المأمون كان يشرب الخمرة، وأنها أصبحت عشيقته عند خروجه إلى الشام، وكذلك المعتصم والواثق والمتوكل وذكر الثعالبي^(٢) إنه كان جماعة من الكبراء ينادمون الوزير المهلبى ويجمعون عنده في الأسبوع ليلتين، على أطراح الحشمة والتبسط في القصف والخلاعة، منهم ثلاثة قضاة هم: ابن قريعة، ابن معروف، والتنوشي^(٣)، وقد صور ابن قتيبة، في كتاب «الأشربة» صور الصراع بين محللي الخمر ومُحرّمها، وحتى في عصر ابن تيمية، كان شرب الخمر والحشيشة متفشياً في مصر والشام^(٤).

وأما القول بالتناسخ، فبعض العلويين يقول به، كما سيأتي في هذا الكتاب إن شاء الله، لكن ثمة كثير من المسلمين يقولون به، ومنهم فلاسفة وأطباء عظام، مثل ابن سينا، في «رسالة الأضحوية في أمر المعاد» ومحمد بن زكريا الرازي في «العلم الإلهي» وغيرهم كثيرون. كما أن للإمام الشعراني بحثاً في هذا الشأن أثبت

(١) عمرو بن بحر الجاحظ: التاج.

(٢) الثعالبي: أخبار الخلفاء.

(٣) صلاح الدين المنجد: بين الخلفاء والخلعاء.

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور: ج ١ - ص ١٠٤ - ١٠٧.

فيه أن الأرواح تتشكل بصور مختلفة^(١) .

وقد كتب في موضوع التناسخ فقهاء كثيرون، من مثل ابن حزم والسعد التفتازاني والكندي، والمنوي وابن الجوزية. يقول السعد التفتازاني في «شرح العقائد النفسية»: «إنه ما من مذهب إلا وللتناسخ فيه قدم راسخ»^(٢) . ويقول أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي في «الكليات»: «تفق العقلاء على أن الأرواح، بعد المفارقة عن الأبدان، تنتقل إلى جسم آخر بحديث: «إن أرواح المؤمنين في أجواف طير خضر» إلى آخره ولكن اختلفوا: هل تكون مدبرة لذلك أم لا؟ فذهب علماؤنا إلى صحة ذلك، بدليل آخر الحديث، وقال الحكماء لا يصح أن تكون مدبرة لتلك الأبدان» .

والجدير بالذكر، أن حجة الإسلام «الغزالي» يعتبر في «التهافت» كلا المذهبين: البعث والتناسخ، يرجعان إلى أصل واحد، ففي كل منهما استعمال النفس، بعد خلاصها من البدن، بتدبير بدن آخر»^(٣) .

وأما بالنسبة لقدم العالم، فقد قال جلّ الفلاسفة المسلمين به، كالفارابي وابن سينا والغزالي وأبي البركات بن ملكا البغدادي وابن رشد. يقول جابر بن حيان المتوفى سنة ١٨٠ هـ: «وإذا أدركنا القديم استطعنا أن ندرك خصائص المحدث بالإستدلال. لأن القديم والمحدث ضدان، والعلم بأحد الضدين علم بالضد الآخر، فطريق الفكر هو من القديم إلى المحدث، ندرك الأول إدراكاً مباشراً ثم نستدل على الثاني معه، وليس العكس كما ظن جهلة المتكلمين في هذا الباب، إذ استدلوا على الغائب، «القديم» بالشاهد «المحدث» على بعد ما بينهما، فكأنهم استشهدوا بالجزء على وجود الكل، برغم ما في هذا المنطق من الفساد»^(٤) إنتهى .

(١) راغب العثماني: الأشباح والأرواح: ص ٢٤ .

(٢) التفتازاني: شرح العقائد النفسية .

(٣) الغزالي: التهافت .

(٤) جابر بن حيان: العديم .

ويقول الغزالي في التهافت: «إن العالم قديم، وإنه لم يزل موجوداً مع الله، وغير متأخر بالزمان، وأنه مساوق له مساوقة المعلول للعللة، ومساوقة النور للشمس، ومعنى ذلك أن تقدم الله على العالم ليس تقدماً بالزمان، وإنما هو تقدم بالرتبة، كتقدم العلة على المعلول، لأنه لا يتصور أن حادث عن قديم بغير واسطة أصلاً»^(١).

وأما القول بإنكار البعث والنشور والجنة والنار، فهو فرع من القول بالتناسخ والرجعة، وبالرجعة قالت الإمامية، ولا تعني الرجعة إنكار البعث والنشور أو هدم المعاد، وهو كما يقول الشيخ محمد رضا المظفر: «يعدّ عند أهل السنة من المستنكرات التي يستقبح الاعتقاد بها، وكان المؤلفون منهم من رجال الحديث يعدون الاعتقاد بالرجعة من الطعون في الراوي والشناعات عليه، والتي تستوجب رفض روايته وطرحها. ويبدو أنهم يعدونها بمنزلة الكفر بل أشنع، فكان هذا الاعتقاد من أكبر ما تنبذ به الشيعة الإمامية ويشنع به عليهم».

«ولا شك في أن هذا نوع من التهويلات التي تتخذها الطوائف الإسلامية، فيما غير، ذريعة لطعن بعضها في بعض والدعاية ضده، ولا نرى في الواقع ما يبرر هذا التهويل، لأن الاعتقاد بالرجعة لا يחדش في عقيدة التوحيد ولا في عقيدة النبوة، بل يؤكد صحة العقيدتين. إذ الرجعة دليل القدرة البالغة لله تعالى كالبعث والنشر، وهي من الأمور الخارقة للعادة التي تصلح أن تكون معجزة لنبينا محمد وآل بيته (ص)، وهي، عيناً معجزة إحياء الموتى التي كانت للمسيح (ع)، بل أبلغ هنا، لأنها بعد أن يصبح الأموات رميماً: «قال من يحيي العظام وهي رميم، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم»^(٢) وإن من طعن في الرجعة، باعتبار أنها من التناسخ، فلأنه لم يفرق بين معنى التناسخ وبين المعاد الجسماني، وليس كذلك معنى المعاد الجسماني، فإن معناه رجوع نفس البدن الأول بمشخصاته النفسية فكذلك الرجعة.

(١) الغزالي: التهافت.

(٢) يس: الآية ٧٩.

«وإذا كانت الرجعة تناسخاً، فإن إحياء الموتى على يد عيسى (ع) كان تناسخاً وإذا كانت الرجعة تناسخاً كان البعث والمعاد الجسماني تناسخاً»^(١).

وأما القول بظهور اللاهوت بالناسوت، فهو قول بعض متصوفة المسلمين والأصل في ذلك القول المأثور: «إن الله تعالى خلق آدم على صورته» وصاغوا نظرية من ذلك تقول: إن آدم «ناسوت» والله «لاهوت» خلقه على صورته أي امتزج اللاهوت بالناسوت.

وقال الحلاج: «إنهما طبيعتان لا تتحدان أبداً بل تمتزجان امتزاج الخمر بالماء».

أما ابن عربي، فقد اعتبر اللاهوت والناسوت مجرد وجهين لحقيقة واحدة، إذا نظرنا إلى صورتها الخارجية سمينها ناسوتاً، وإذا نظرنا إلى باطنها وحقيقتها سمينها لاهوتاً، وإن صفتي اللاهوت والناسوت، بهذا المعنى، صفتان متحققتان، لا في الإنسان وحده بل في كل موجود من الموجودات، مراد فتان لصفتي الباطن والظاهر، أو لكلمتي الجوهر والعرض^(٢).

وحول الناسوت واللاهوت يقول الحلاج^(٣):

سبحان من أظهر ناسوته	سرسنا لاهوته الثاقب
ثم بدا لخلقه ظاهراً	في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه	كلحظة الحاجب بالحاجب

وأما الأيتام الخمسة فهم المقداد بن الأسود الكندي، وأبو ذر الغفاري، وعبد الله بن رواحة الأنصاري، وعثمان بن مظعون النجاشي، وقنبر بن كادان الدوسي غلام أمير المؤمنين علي، وهؤلاء اعترفوا بإمامة علي (ع) قبل توليه

(١) محمدرضا المظفر: عقائد الإمامية.

(٢) عادل العوا: الإنسان ذلك المعلوم.

(٣) الطواسين: تحقيق ماسينيون.

الخلافة، وهم رجال الشيعة الأوائل^(١).

وأما القول بإثني عشر نقيباً، فهم الأئمة الإثنا عشر من أهل بيت النبوة، وهو مذهب وقول الإمامية الجعفرية الإثني عشرية من الشيعة روى الشعبي عن مسروق قال: بينا نحن عند ابن مسعود نعرض عليه مصاحفنا، إذ قال له فتى: هل عهد إليكم نبيكم كم يكون من بعده خليفة؟ قال له: إنك لحديث السنن، وإن هذا الشيء ما سألتني عنه أحد قبلك، نعم عهد إلينا (ص) أنه سيكون بعده إثنا عشر خليفة، بعدد نقباء بني إسرائيل^(٢).

وحول إنتقال الإسم والمعنى، فهي نظرية إسماعيلية، وكذلك الحال بالنسبة للأكوار والأدوار، والجدير بالذكر أن آثار السياسة الشعوبية واضحة جلية في السؤال المزعوم، وقد تعمّد السؤال إثارة الجدل المحموم ما بين الفلاسفة والمتكلمين، كما ضمنه عن قصد، أقوال القرامطة، وهم، وليس النصيرية، الذين قتلوا الحجاج وألقوا بهم في ماء زمزم وأخذوا الحجر الأسود، وذلك لإثارة حمية ابن تيمية، والحصول منه على فتوى تبيح إهدار دم فرقة إسلامية لا تأخذ بمذهب أهل السنة والسلطة الحاكمة، فأفتى ابن تيمية، غير مأجور، بإباحة دماء النصيرية، وكانت فتواه وراء المذبحة التي جرت وقائعها سنة ٧٠٥ هـ والتي أهرقت فيها دماء كثير من الناس، وقد أشار ابن الوردي إلى تلك المذبحة بقوله في «تمة المختصر في أخبار البشر»: «وفيها أحاطت عساكر الشام بجبال الظننين المنيعة وكانوا عصاة مارقين، وترجلوا عن الخيل وصعدوا في تلك الجبال من كل جانب، وقتلوا وأسروا جميع من بها من النصيريين والظننين، وكان الذي أفتى بذلك ابن تيمية»^(٣).

وحول قتل الحجيج والحجر الأسود يقول أبو الفداء: وفي هذه السنة ٣١٧ - وافى أبو طاهر القرمطي مكة يوم التروية: وكان الحجاج قد وصلوا

(١) كامل مصطفى الشبيبي: الصلة بين التصوف والتشيع.

(٢) عبد الحسين آل صادق: المضامير.

(٣) ابن الوردي: تمة المختصر في أخبار البشر.

إلى مكة سالمين، فنهب أبو طاهر أموال الحجاج، وقتلهم في المسجد الحرام وداخل الكعبة، وقلع الحجر الأسود من الركن ونقله إلى هجر، وقتل أمير مكة ابن محلب وأصحابه، وقلع باب البيت، وأصعد رجلاً ليقلع الميزاب فسقط فمات، وطرح القتلى في بئر زمزم، ودفن الباقيين في المسجد الحرام، حيث قتلوا، وأخذ كسوة البيت فقسّمها بين أصحابه^(١). إنتهى.

وفي مطلق الأحوال، فإن ابن تيمية ليس بأخي ثقة، وهو متهم بالضلال والزندقة. يقول الحافظ ابن حجر في الفتاوى الحديثية: «ابن تيمية عبد خذله الله وأضله وأعماه وأصمه وأذله، وبذلك صرح الأئمة الذين بينوا فساد أحواله وكذب أقواله، ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد على إمامته وبلوغه مرتبة الإجتهد، أبي الحسن السبكي وولده التاج والشيخ العز بن جمعة، وأهل عصرهم وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية، والحاصل: أن لا يقام لكلامه وزن بل يرمى في كل وعر وحزن، ويعتقد فيه أنه مبتدع ضال مضل غال، عامله الله بعد له وأجارنا من ضلّ طريقة وعقيدته وفعله أمين».

وقال المناوي عن ابن تيمية وتلميذه ابن القيم: «أما كونهما من المبتدعة فمسلم».

وعن ابن تيمية أيضاً يقول الشيخ محمد زاهد الكوثري:

«وليس عنده سوى ألفاظ مرصوفة، لا فائدة تحتها في بحوثه الشاذة كلها».

كما يقول محمد بن العلاء البخاري: «ومن سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كان كافراً لا تصح الصلاة وراءه».

وأما قول القلقشندي عن النصيرية: إنهم يقولون: «علي في السحاب»، فهو مأخوذ من البغدادي في «العرف» والشهرستاني في: «الملل والنحل» زعم بعض السبائية أن علياً في السحاب، وأن الرعد صوته والبرق ضحكته. ومن سمع

(١) أبو الفداء: مختصر تاريخ البشر.

هؤلاء صوت الرعد قال «عليك السلام يا أمير المؤمنين». وما ذكره الرازي وابن عبد ربه لا يخرج عن ذلك، وقد ذكر الأخير في العقد الفريد، وهو متوفى سنة ٣٢٨ هـ: «إن من الرافض من يزعم أن علياً رضي الله عنه في السحاب، فإذا أظلت عليهم سحابة قالوا السلام عليك يا أبا الحسن، وهؤلاء من الرافضة، يقال لهم المنصورية، وهم أصحاب أبي منصور الكسفي، وإنما سمي الكسفي لأنه كان يتأول في قول الله عز وجل^(١): ﴿وإن يروا كسفاً ساقطاً يقولوا سحاب مركوم﴾^(٢)، والقول: بأن علياً في السحاب، هو قول الشيعة. قال الشيخ الأميني قدس سره في الغدير: «قال أبو الحسن الملقب، في «التنبيه والرد» ص ٢٦: قولهم يعني الروافض، علي في السحاب، فإنما ذلك قول النبي (ص) لعلي، وقد أقبل وهو معتم بعمامة النبي (ص) وكانت تدعى السحاب، فقال (ص): «قد أقبل علي في السحاب» يعني في تلك العمامة التي تسمى السحاب، فتأولوه هؤلاء على غير تأويله»^(٣).

وقال الغزالي، في «البحر الزخار»^(٤): «كانت له عمامة تسمى السحاب، فوهبها من علي، فربما طلع علي فيها، فيقول (ص): «أتاكم علي في السحاب».

قال الأميني (رحمه الله) «وإنما أوله الناس علينا والله من ورائهم حسيب». وأما قوله: «ولهم خطاب بينهم من خاطبوه به لا يعود يرجع عنه ولا يذيعه ولو ضرب عنقه»، هو: سر آل محمد، ومن وصايا أمير المؤمنين (ع): «من أذاع سرنا أذاقه الله بأس الحديد»^(٥) وقال الإمام الصادق (ع)، لأبي جعفر محمد بن النعمان الأحول موصياً: «المذيع علينا سرنا، كما الشاهر بسيفه علينا، رحم الله

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد.

(٢) سورة الطور: الآية ٤٤.

(٣) الأميني عبد الحسين: الغدير - مصدر سابق.

(٤) الغزالي: البحر الزخار.

(٥) ابن شعبة الحراني: تحف العقول عن آل الرسول.

عبدًا سمع بمكنون علمنا فدفنه تحت قدميه»^(١) .

وأما تعبير: «وهم يخفون مقالتهن»، وقد نقلها القلقشندي عن «التعريف بالمصطلح الشريف» فهو التقية بعينها، فهي مذهب الشيعة، بل مذهب المسلمين، وقال الإمام جعفر الصادق (ع): «التقية دين الله والتحصين سيفه، ولولا هما ما عبد الله». وقد ورد تشريعها في نفس القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾^(٢) - وقد نزلت هذه الآية في عمّار بن ياسر الذي إلتجأ إلى التظاهر بالكفر، خوفاً من أعداء الإسلام، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾^(٤) وقد صحّ في الحديث قوله (ص) لعمّار: «فإن عادوا إليها - الكفار - فعد». .

وأما الخمرة، فقد تقدم القول فيها.

(١) المصدر نفسه .

(٢) سورة النحل: الآية ١٠٦ .

(٣) سورة آل عمران: الآية ٢٨ .

(٤) سورة غافر: الآية ٢٨ .

العلويون شيعة أهل البيت (ع)

بيان^(١):

﴿هذا بلاغٌ للناس وليُنذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب﴾^(٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والحمد حقّه كما يستحقّه، ونستعين به ونستهديه ونؤمن به ونتوكل عليه، والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله سيد النبيين وخاتم المرسلين، وأزكى سلامه على ساداتنا الأئمة الهداة المهديين الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. . أما بعد:

فإن أكثر ما يفرق بين الناس جهلهم بحقيقة بعضهم البعض، واتباعهم لما تزين لهم أهواؤهم، واعتمادهم في التحدث عن سواهم على الأقاويل، دون تمحيص أو تثبت، وهذا الجهل المفرق بين الناس أعطى تأثيره السيء في الماضي والحاضر:

١ - في الماضي - جعل الناس يتراشقون بالتهم، إبان التخاصم السياسي، فكان كل فريق يسجل على الآخر ما يتهمه به في دينه وديناه.

(١) صدر عن مؤتمر الجمعية الخيرية الإسلامية الجعفرية في اللاذقية لعلماء العلويين

عام ١٩٧٢ م.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٥٢.

٢ - في الحاضر - لا يزال المتمزتون والمغرضون يتناقلون التهم المسجلة في الماضي على أنها حقائق تاريخية، ويروجها أعداء العرب والمسلمين، من يهود وغيرهم، حتى لتكاد تقطع كل صلة رحم دينية، إن لم تكن قطعتها.

والعرب والمسلمون اليوم - في محنتهم السياسية، وفي يقظتهم الحاضرة - مدعون، أكثر من أي وقت مضى، إلى تمحيص تلك التهم ونبذها، وهم مدعون إلى التسامح الإسلامي في الخلافات حول الفروع، وإلى الأخذ بما يقره العقل والدين، لا بما يتقوله ويسجله الجهلاء والمغرضون. ومصلحة جماعات العرب والمسلمين في هذا الظرف الحرج تقتضي من عقلاء كل جماعة اليقظة والحذر من التشنيع على الغير بما عند جماعتها مثله أو شبيهه به، ولا يخلو أي مجتمع من انحرافات دخيلة، صار بسببها عرضة للتشهير والتحامل. والمصلحة كل المصلحة في المبادرة إلى إصلاحها والتخلص منها، بدلاً من الإستمرار في التشهير بأخطاء الآخرين والتنديد بها.

ولقد كان مجتمعنا، نحن المسلمين العلويين، مستهدفاً لأقسى أنواع التشنيع في الماضي، ولا تزال النفوس المريضة تنبش من الماضي، وتردد ما يخلقه أعداء الإسلام والعروبة، لا يردعها دين ولا يثنيها كتاب ولا خلق.

وإنا لنحذر، والعدو حولنا يتربص بنا ويكيد، والأمم بلغت الأجواء من التحامل والتنديد، والله سبحانه أوعد المشنعين بأشدّ العذاب. ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم﴾^(١).

وإلى السادرين في الإختلاق والتشهير نتوجه بقوله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً﴾^(٢).

وما من خطة للإصلاح أجدي من الدعوة إلى سبيل الله، بالحكمة والموعظة الحسنة: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم

(١) سورة النور: الآية: ١٩.

(٢) سورة الأحزاب: الآية: ٦٩.

بالتي هي أحسن، إنَّ ربك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين»^(١). وما من سبيل للقاء أجدى من النشر والإطلاع والتمحيص، فتزول حجج المفترين وذرائع المغرضين.

وانطلاقاً من هذه المفاهيم القويمة وحفاظاً على الأخوة الإسلامية، وحرصاً على الحقيقة أن تشوهها النفوس السقيمة، كان لعلمائنا مواقف نبيلة في مناسبات إختلقها الأجنبي للتفريق بين أبناء الأمة الواحدة. ونحن نقتصر هنا على غيض من فيضها، على سبيل الإشارة والتذكير، لا على سبيل الإحصاء والحصر:

أ - في بداية الإحتلال الفرنسي للبلاد السورية، وإحداث «دولة العلويين المستقلة». قام الأجنبي بمحاولة لثيمة، كما فعل بالمغرب العربي، حيث أثار هناك قضية الظهير المغربي المشهورة، محاولاً فصل البربر عن العرب، بأن يحكم البربر حسب أعرافهم وعاداتهم، لا بموجب الشريعة الإسلامية، وكذلك أراد أن يكون للمحاكم المذهبية العلوية هنا تشريع خاص، مباين للتشريع الإسلامي، وقد رفض ذلك قضاتنا العلويون وأعلنوا، بإصرار وقوة، أنهم مسلمون، وتشريعهم إسلامي جعفري، فتراجع الأجنبي، وحكم قضاتنا، في الزواج والطلاق وغيرهما، بمقتضى مذهبنا الإسلامي الجعفري، لا زيادة بذلك ولا نقصان، وبهذا أفسدوا على الأجنبي خطته التي كان يرمي بها إلى إبعاد هذه المنطقة عامة، والمسلمين العلويين خاصة، عن حظيرة العروبة والإسلام، ليوطد فيها حكمه وينفذ غاياته.

ب - وفي سنة ١٩٣٦ نشر علماؤنا في كراس، قراراً من بندين:

البند الأول: «كل علوي فهو مسلم يقول ويعتقد بالشهادتين، ويقيم أركان الإسلام الخمسة.

والبند الثاني: كل علوي لا يعترف بإسلاميته، أو ينكر أن القرآن كتابه وأن محمداً (ص) نبيه، لا يعد في نظر الشرع علوياً، ولا يصح إلتسابه للمسلمين العلويين».

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥.

وقد أردفوا هذا بمذكرة إضافية عن عروبتهم ودينهم جاء فيها بالحرف: «إن العلويين شيعة مسلمون، وقد برهنوا طوال تاريخهم عن امتناعهم من قبول كل دعوة من شأنها تحوير عقيدتهم» وجاء فيها: «إن العلويين ليسوا سوى أنصار الإمام علي، وما الإمام علي سوى ابن عم الرسول (ص) وصهره ووصيه وأول من آمن بالإسلام، ومن مكانه في الجهاد والفقہ والدين الإسلامي مكانه، وإن القرآن الكريم هو كتاب العلويين. . وما العلويون سوى أحفاد القبائل العربية التي ناصرت الإمام علياً (ع)، فوق صعيد الفرات».

ج - وفي مناسبة أخرى أثارها الأجنبي أيضاً، سنة ١٩٣٨، وقّع علماؤنا في ٩ جمادى الآخرة ١٩٥٧ هـ جواباً عن سؤال قدم إليهم، ونكتفي من الجواب بهذه العبارات نقلها بالحرف: «إن الدين عند الله الإسلام»^(١) «ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين»^(٢) «وإن مذهبنا في الإسلام هو الإمام جعفر الصادق والأئمة الطاهرين (ع)، سالكين بذلك ما جاء به خاتم النبيين سيدنا محمد بن عبد الله (ص) حيث يقول: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا بعدي: الثقيلين، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يرثي علي الحوض». هذه هي عقيدتنا نحو العلويين، وفي هذا كفاية لقوم يعقلون.

د - وفي المناسبة، ذاتها أصدر علامة الشعب الشيخ سليمان أحمد الفتوى التالية، وقد وقعها العلامتان الشيخ صالح ناصر الحكيم والشيخ عيد ديب خير:

«قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا»^(٣). رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد بن عبد الله رسولاً ونبياً، وبأمر المؤمنين علي إماماً برئت من كل دين يخالف دين الإسلام، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد عبده ورسوله. هذا ما يقوله كل علوي لفظاً واعتقاداً، ويؤمن به تقليداً أو اجتهاداً.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٣٦.

وقد جمع أكثر ما كتب في هذا المناسبة في كتيب عنوانه: «تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله» أصدره صاحب السيادة والفضيلة ذو الشرف المشرق العلامة الشريف عبد الله آل الفضل أعزّه الله، وطبع في مطبعة الإرشاد باللاذقية عام ١٩٥٧ هـ.

هـ - وأخيراً نسجل الفتوى التالية التي كان قد أصدرها العلامة الشيخ سليمان أحمد، منذ ما يزيد على خمسين عاماً، بمناسبة إختلاف إخوانه المشايخ الأجلّاء حول جواز الجمع بين البنت وعمتها أو خالتها، وهذه الفتوى هي خاصة بالعلويين ولا تقيّة بينهم، وهي لا تدع مجالاً للريب في تمسكهم بالمذهب الجعفري، وفيها تنبيه من أخذ منهم بالتقية إلى العودة إلى الأصل، وهذا نص الفتوى:

«وليس لدى العلويين مذهب مستقل للعبادات والأحكام المبنية على معرفة الحلال والحرام، والمعاملات، كالموارث وغيرها. وذلك اعتماداً منهم على المذهب الإمامي الجعفري، الذي هو الأصل، وهم فرع منه. فرجوعهم إليه في أصول الفقه، وفروعه هو الواجب الحق الذي لا مندوحة عنه، وهو لم يترك شاردة ولا واردة إلا وذكرها. وهذه الصلة، وإن تكن انقطعت، بسبب السياسة، منذ مئات السنين، حتى انتبه إليها من عصرنا هذا، فقد بقيت من هذه الفروع مسائل يتوارثها الخلف عن السلف، تقليداً لاجتهاد سابق، وقد أدركت في عصري من المشايخ الأجلّاء من جمع البنت وعمتها والبنت وخالتها أيضاً. أما الإخوان الذين ينكرون ذلك فلا يرجعون فيه إلى أصل يعتمدون عليه، إلا ما حكمت عليهم به التقية، إذ أخذوا الأثر وآداب الشريعة [أخيراً] عن أهل السنة، بحكم الوقت والأحوال والرخصة المعطاة لهم من أئمتهم حسبما يسمح به التأويل. . . وبما أننا نعتقد أن أئمتنا هم هداةنا وقادتنا وسبيلنا إلى الله، وهم لا يفارقون الكتاب ولا يفترقون عنه، فيجب علينا الأخذ بحجزهم وترك أقوال من خالفهم من الفقهاء، كائناً من كان. هذا ما أراه وأقول به وأعتقد والسلام على من عرف الحق وأهله، وكان لله قوله وفعله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم».



وخلال عام ١٩٥٢ م، استصدر علماؤنا مرسوماً تشريعياً رقم ٣ تاريخ ١٥/٦/١٩٥٢ وقراراً من مفتي الجمهورية السورية رقم ٨ تاريخ ٩/٧/١٩٥٢ بعد منازرات ومناقشات طويلة مع سماحة المفتي العام ومراجعات استمرت ٢٠ يوماً في دمشق وقد تألفت بموجب هذا المرسوم، لجنة من أفاضل علمائنا قامت بفحص من تقدم إليها من شيوخ جعفرين في سوريا، وأجازت بعضهم وسمحت لهم بارتداء الكسوة الدينية المنصوص عليها في المرسوم التشريعي رقم ٢٣.

ونحن اليوم حرصاً منا على تمتين الصلات بإخواننا في الدين والوطن، ووقاية لهم من الإندفاع بما يدسه أعداء العروبة والإسلام، ويرجف به المفترون والحاقدون، من شائعات تفرق وتهدم بما توظف من فتن، وموقف الفتنة معروف نصيبه من الله ورسوله.

وتنقيداً لما يمليه علينا روح الدين الإسلامي من واجب «البلاغ المبين». والتزاماً بما كان عليه أئمتنا الأطهار من غيرة على تبليغ رسالة النبي العربي محمد (ص) وبما عليه فقهاؤنا الذين يتبعون خطى الأئمة المعصومين، في الغيرة على دين الإسلام وتوحيد كلمة بنيه، عملاً بهذه الأهداف الإنسانية الإلهية. وانسجاماً مع ما سبق لسلفنا الصالح من مواقف هادفة لتوحيد الكلمة بإعلان الحقيقة وإزالة كل إبهام وإيهام. واستجابة لتوصية أصحاب الفضيلة علمائنا، لدى اجتماعهم التاريخي في ٢٤/٨/١٣٩٢ هـ. وبتتبع خطى أعلامنا وثقاتنا وبناءً على رغبتهم بمدّ بحرهم السائغ شرابه بما هو مغترف منه:

كالبحر بمطره السحاب وماله فضل عليه لأنه من مائه

وإيداناً بإشراق فجر اليقين ما حياً بنوره سدقات الأباطيل، وإظهاراً للحق والحقيقة ابتغاء مرضاة الله، وتثبيتاً من أنفسنا، وإعلاءً لكلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، وقربة إليه تعالى، ونفعاً للمؤمنين من خلقه. فقد عمدنا إلى اقتفاء أثر سلفنا الصالح، وترجيح ما ارتفعت به أصواتهم، وتجديد ما سجلته أعلامهم

موجزًا، مما ندين الله به في سرنا وعلانيتنا، ونحن بعملنا هذا لا نضيف جديدًا إلى ديننا وعقيدتنا، ولكنه تجديدٌ لإقامة الحجة، وإيضاح المحجة وتأكيدٌ لما كنا ونكون عليه، كما نؤكد في صلواتنا يوميًا تجديد العهد مع الله ورسوله، فنشهد مراتٍ (تسعاً على الأقل) أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله (ص) وحكمة الله بالغة في إلزام المؤمنين بتجديد العهد مع الله كل يوم عدداً من المرات.

والله وحده نسأل أن يكون عملنا هذا قبساً يفيء إلى نوره كل جاهل أو مشكك، وهدياً تطمئن إليه كل نفس.

عقيدتنا

الدين

نعقد أن ما شرّعه الله سبحانه لعباده، على لسان رسول من رسله، وآخر الأديان الإلهية وأكملها هو الإسلام: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾^(١).

الإسلام

هو الإقرار بالشهادتين: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله». والإلتزام بما جاء به النبي (ص) من عند الله.

الإيمان

هو الإعتقاد الصادق بوجود الله وملائكته وكتبه ورسوله، مع الإقرار بالشهادتين.

أصول الدين

نعقد أن أصول الدين خمسة: التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد. وتجب معرفتها بالبرهان والدليل الموجب للعلم لا بالظن أو التقليد.

(١) سورة آل عمران: الآيتان ١٩ و٨٥.

التوحيد

نعتقد بوجود وجود إله واحد لا شريك له، لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء، خالق للكائنات كلها وجزئها، ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾^(١)، وهو كما أخبر عن نفسه بقوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد، الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾^(٢).

العدل

نعتقد بأن الله تعالى عدل منزه عن الظلم ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾^(٣) ولا يحب الظالمين وأنه تعالى إثباتاً لعدله ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾^(٤) ولا يأمر الناس إلا بما فيه صلاحهم، ولا ينهاهم إلا عما فيه فسادهم: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾^(٥).

النبوة

نعتقد بأن الله تعالى سبحانه، لطفاً منه بعباده، اصطفى منهم رسلاً وأمدهم بالمعجز الخارقة، وميَّزهم بالأخلاق العالية، وأرسلهم إلى الناس: ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾^(٦) لتبليغ رسالاته، حتى يرشدوهم إلى ما فيه صلاحهم، ويحذروهم عما فيه فسادهم في الدنيا والآخرة: ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين﴾^(٧).

والأنبياء كثيرون وقد ذكر منهم في القرآن الكريم خمسة وعشرون نبياً

(١) سورة الشورى: الآية ١١.

(٢) التوحيد.

(٣) سورة الكهف: الآية ٤٩.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

(٥) سورة فصلت: الآية ٤٦.

(٦) سورة النساء: الآية ٤٦.

(٧) سورة الأنعام: الآية ٤٨.

ورسولاً، أولهم أبونا آدم وخاتمهم سيدنا محمد بن عبد الله (ص) وهو نبي
ورسول أرسله الله للعالمين كافةً بشيراً ونذيراً، وشريعته السمحة آخر الشرائع
الإلهية وأكملها، وهي صالحة لكل زمان ومكان.

ونعتقد أن الله عصم الأنبياء من السهو والنسيان وارتكاب الذنوب، عمداً
وخطأً، قبل النبوة وبعدها، وجعلهم أفضل أهل عصورهم وأجمعهم للصفات
الحميدة.

الإمامة

نعتقد أنها منصب إلهي إقتضته حكمة الله سبحانه لمصلحة الناس، في
مؤازرة الأنبياء بنشر الدعوة والمحافظة بعدهم على تطبيق شرائعهم، وصونها من
التغيير والتحريف والتفسيرات الخاطئة.

ونعتقد أن اللطف الإلهي اقتضى أن يكون تعيين الإمام بالنص القاطع
والصريح: ﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾^(١). وأن يكون
الإمام معصوماً، مثل النبي، عن السهو والذنب والخطأ، لكي يطمئن المؤمنون
بالدين إلى الإقتداء به في جميع أقواله وأفعاله، والأئمة عندنا اثنا عشر، نص
عليهم النبي وأكد السابق منهم النص على إمامة اللاحق.

ونعتقد أن الإمام الذي نص عليه الله تعالى وبلغ عنه رسوله الأمين، في
أحاديث متواترة هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) عبد الله وأخو رسوله
وسيد الخلق بعده وجاء النص بعده لإبنه سيدي شباب أهل الجنة الحسن
والحسين (ع) وبعدهما للتسعة من ولد الحسين: الإمام زين العابدين علي بن
الحسين، فإبنه الإمام الباقر محمد بن علي، فإبنه الإمام الصادق جعفر بن
محمد، فإبنه الإمام الكاظم موسى بن جعفر، فإبنه الإمام الرضا علي بن موسى،
فإبنه الإمام الجواد محمد بن علي، فإبنه الإمام الهادي علي بن محمد، فإبنه
الإمام الحسن بن علي الملقب بالعسكري، فإبنه الإمام الثاني عشر صاحب الزمان

(١) سورة القصص: الآية ٦٨.

الحجة المهدي عجل الله به فرج المؤمنين، وسيظهره الله في آخر الزمان فيملاً الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

المعاد

نعتقد أن الله سبحانه يبعث الناس أحياء بعد الموت للحساب ﴿وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾^(١) فيجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته: ﴿ليجزى الذين أسأؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾^(٢) ﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروأ أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾^(٣).

وكما نؤمن بالمعاد، فإننا نؤمن بجميع ما ورد في القرآن الكريم والحديث الصحيح، من أخبار البعث والنشور والحشر، والجنة والنار، والعذاب والنعيم، والصراط والميزان، وما إلى ذلك: ﴿ربنا آماناً بما أنزلت وأتبعنا الرسول فاكبتنا مع الشاهدين﴾^(٤).

أدلة التشريع عندنا أربعة:

١ - القرآن الكريم:

نعتقد أن المصحف الشريف المتداول بين أيدي المسلمين هو كلام الله تعالى، لا تحريف فيه ولا تبديل ﴿وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾^(٥).

٢ - السنة النبوية

وهي عندنا ما ثبت عن النبي، من قول وفعل وتقرير وهي المصدر الثاني

(١) سورة الحج: الآية ٧.

(٢) سورة النجم: الآية ٣١.

(٣) سورة الزلزلة: الآيات: ٦ - ٨.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٥٣.

(٥) سورة فصلت: الآيتان ٤١ و٤٢.

للتشريع، ونعتقد أن من أنكر حكماً من أحكامها الثابتة فهو كافر، مثل من أنكر حكماً من أحكام القرآن، لأن السنة النبوية لا تتعارض مع الكتاب الكريم إطلاقاً ويلحق بها ما ثبت عن الأئمة الطاهرين قولاً وفعلاً وتقريراً.

٣ - الإجماع

نعتقد أن ما أجمع عليه المسلمون من أحكام الدين، وفيهم الإمام المعصوم، فهو دليل قطعي، ولو خفي علينا مستنده من الكتاب والسنة، والإجماع بهذا التعريف لا يتعارض مع نصوصهما.

٤ - العقل

الدليل العقلي حجة إذا وقع في سلسلة العلل أو كان من المستقلات العقلية، ويقتصر استعمال الدليل العقلي في الفقه عندنا على المجتهد، وهو من حصلت عنده ملكة تساعده على استنباط الأحكام الفرعية من أدلتها التفصيلية. والمرجع المقلد عندنا هو «من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه» كما ورد عن صاحب الزمان عجل الله فرجه.

فروع الدين

نعتقد أنها كثيرة، وكنا نؤثر أن نكتفي بذكر بعضها، رغبة في الإيجاز، محيلين المتطلع إلى المعرفة، والمرجف، والجاهل، والمتعنت، إلى كتب علمائنا المبنوثة في المكاتب، فهي تفصل عقائدنا بوضوح. ولكننا، انسياقاً مع خطتنا التي رسمناها في هذا البيان، رأينا أن نعرض لذكر بعضها بكثير من الإيجاز، وخصوصاً العبادات منها:

الصلاة

نعتقد أنها ﴿كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾^(١) وأنها عمود الدين،

(١) سورة النساء: الآية ١٠٣.

وأهم العبادات التي فرضها الله على عباده، وأحب الأعمال إليه «إن قبلت قبل ما سواها، وإن رُذت رُذ ما سواها».

ونعتقد أن الصلوات المفروضة يوماً خمساً: الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، ومجموع ركعاتها سبع عشر ركعة، تقصر الرباعية منها إلى النصف في حالات السفر والخوف.

ونعتقد أن من الصلوات الواجبة: صلاة الجمعة، والعيدين مع استكمال شروطها، وصلاة الطواف الواجب، وصلاة الميت وو . . الخ.

كما نعتقد أن من الصلوات المستحبة النوافل أو السنن، ومجموع ركعاتها أربع وثلاثون ركعة في الأوقات الخمسة، وتعرف عندنا بالرواتب اليومية، ويجوز الإقتصار على بعضها كما يجوز تركها جميعاً.

ونعتقد بحصول الثواب على فعل المستحبات، وبعدم العقوبة على ترك فعلها.

الأذان والإقامة

نعتقد باستحبابهما قبل الدخول في الصلاة، وفصول الأذان عندنا ثمانية عشر فصلاً، وفصول الإقامة سبعة عشر. أما الشهادة لعلي (ع) بالولاية فنعتقد استحباب ذكرها فيهما، بعد الشهادة لمحمد (ص) بالرسالة كما نعتقد أن عدم ذكرها لا يؤثر في صحة إقامتهما.

الصوم

نعتقد أنه من أركان الدين الإسلامي، ويجب على كل مكلف مستطيع امتثالاً لقوله سبحانه «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام»^(١) وهو شرعاً الإمساك عن المفطرات؛ من أول الفجر الصادق إلى المغرب الشرعي، مع نية القربة. ويجب في شهر رمضان وفي موارد أخرى مذكورة في كتب الفقه.

(١) سورة البقرة الآية ١٨٣.

الزكاة

نعتقد أنها من الأركان التي بني عليها الإسلام، ولها شرائط عديدة مذكورة في كتب الفقه، وتجب في النقيدين: الذهب والفضة، والأنعام الثلاثة: الإبل والبقر والغنم والغلات الأربع: الحنطة والشعير والتمر والزبيب، وتستحب في موارد أخرى.

الخمس

نعتقد بأنه حق واجب فرضه الله بقوله تعالى: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه﴾^(١).

الحج

نعتقد بأنه واجب، لقوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾^(٢) ويجب على كل مسلم بالغ عاقل، ذكراً كان أم أنثى، مرة واحدة في العمر، بشرط الإستطاعة وتخليّة السرب^(٣).

الجهاد

نعتقد بأنه من أركان ديننا، ويجب من أجل الدعوة إلى الإسلام، ووجوبه كفاثي. ويجب أيضاً من أجل الدفاع عن الإسلام وبلاد المسلمين وعن النفس والعرض والمال، ووجوبه عينيّ على كل من يستطيع أن يقدم نفعاً.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

نعتقد أنهما من فروع الدين ونعتقد أن الله أمر بكل خير وسماه معروفاً، أمر بإيجاب أو ندب، ونهى عن كل شر وسماه منكراً، نهى تحريم أو كراهة: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن

(١) سورة الأنفال: الآية ٤١.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

(٣) أي الأمن على النفس والمال والعرض.

المنكر^(١).

الولاء والبراء

معناهما المحبة لله ولأنبيائه وللأئمة الطاهرين، والبراءة من أعداء الله.

أما بقية فروع الدين، ومنها الزواج والطلاق، والخلع والظهار والإيلاء، ومنها أحكام كالديات والقصاص والكفارات، ومنها معاملات كالبيع والشراء والزراعة والمساقاة وسواها. فإننا نعمل بها وفق نصوص مذهبنا الجعفري، دون خلاف، مستندين إلى مراجعه الكثيرة وأهمها: للفقهاء المجتهدين: الكتب الأربعة الكافي للكليني، والتهذيب والإستبصار للطوسي، ومن لا يحضره الفقيه للصدوق، وللمقلّدين «بكسر اللام»: الرسائل العملية وهي فتاوى الفقهاء المراجع.

الخاتمة

هذه هي عقيدتنا نحن المسلمين (العلويين) ومذهبنا هو المذهب الجعفري الذي هو مذهب من عرفوا بالعلويين والشيعة معاً، وإن التسمية: (الشيعة والعلوي) تشير إلى مدلول واحد وإلى فئة واحدة هي الفئة الجعفرية الإمامية الإثنا عشرية. وإننا لنسأل الله أن يكون في بياننا هذا من الحقائق ما يكفي لإزاحة الضباب عن عيون الجاهلين والمغرضين، وأن يجد فيه القريب والبعيد، والمنصف والمتحامل، منهلاً عذباً ومرجعاً مقنعاً.

وإننا لنعتبر كل من ينسب إلينا أو يتقول علينا، بما يغير ما ورد في هذا البيان، مفترياً أو مدفوعاً بقوى غير منظورة يهملها أن تتفرق كلمة المسلمين، فتضعف شوكتهم، أو جاهلاً ظالماً لنفسه وللحقيقة، ولا قيمة لقول أحدهما عند العقلاء المتقين.

هذا بياننا ينطق علينا بالحق، وللمطلع عليه أن يحكم بما يشاء، وعليه التبعة

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.

أمام الله والدنيا والوطن، ومن الله وحده نستمد العون، ونسأله التوفيق إلى ما فيه وحدة أمة محمد (ص) وصلاتها، في دينها ودنياها، بتعارفها وتآلفها وتسامحها وتعاونها على البر والتقوى، وعلى جهاد أعدائها المتربصين الشرّ بنا جميعاً دون استثناء.

والحمد لله أولاً وآخراً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
من التواقيع :

- ١ - الشيخ عبد الرحمن الخيّر - سوريا دمشق .
- ٢ - الشيخ عبد الهادي حيدر - مصياف - أبو قبيس .
- ٣ - الشيخ حيدر محمد حيدر إمام مسجد الحصنان .
- ٤ - الشيخ عبد اللطيف ابراهيم مرهج - الدبابة صافيتا .
- ٥ - الشيخ محمود صالح عمران - حمص .
- ٦ - الشيخ محمود سليمان الخطيب - اللاذقية .
- ٧ - الشيخ محمود مرهج - طرطوس .
- ٨ - الدكتور علي سليمان الأحمد - اللاذقية .
- ٩ - الشيخ فضل غزال - اللاذقية .
- ١٠ - الشيخ كامل حاتم - اللاذقية .
- ١١ - الشيخ كامل صالح معروف - اللاذقية .
- ١٢ - الشيخ علي محمود منصور - طرابلس - لبنان .
- ١٣ - الشيخ حسين سعود - اللاذقية .

بلاغات رجال الدين العلويين

الفتاوى:

في سنة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م نشرت مجلة المرشد العربي في اللاذقية، لمنشئها الشريف عبد الله آل علوي الحسيني، فتوى السادة علماء الطائفة المسلمة العلوية، رداً على الضجة المفتعلة في أيام الإستعمار الفرنسي البغيض وهذا نصّها:

﴿إن الدين عند الله الإسلام، ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾^(١)، ﴿قل يا أهل لكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾^(٢).

قرأنا هذا البهتان المفترى على العلويين، طائفة أهل التوحيد، ونحن نرفض هذا البهتان أياً كان مصدره، ونرد عليه بأن صفوة عقيدتنا ما جاء في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾^(٣) وأن مذهبنا في الإسلام هو مذهب الإمام جعفر الصادق (ع) والأئمة الطاهرين (ع) سالكين بذلك ما أمرنا به خاتم النبيين محمد بن عبد الله

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩ و ٨٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٣) سورة التوحيد.

رسول الله (ص) حيث يقول: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني، فيهما» هذه عقيدتنا نحن العلويين أهل التوحيد، وفي هذا كفاية لقوم يعقلون».

مفتي العلويين في قضاء صهيون يوسف غزال، المحامي عبد الرحمن بركات، قاضي طرطوس علي حمدان، صالح إبراهيم ناصر، عيد ديب الخير، كامل صالح ديب، يوسف حمدان عباس، مفتي العلويين في قضاء جبلة علي عبد الحميد، الفقير لله تعالى صالح ناصر الحكيم، حسن حيدر، قاضي المحكمة المذهبية في قضاء مصياف، محمد حامد، في ٩ - جمادى الآخرة ١٣٥٧ هـ.

وهذه صورة أخرى من فتوى الرؤساء الروحانيين في صافيتا، المنشورة في جريدة النهار البيروتية وللتاريخ والإنصاف نذكرها وبالحرَف:

طالعنا في عدد جريدتكم الغراء المؤرخ في ٣١ تموز سنة ١٩٣٨ عدد ١٤٤٨، مقالة لمراسلكم في اللاذقية تحت عنوان: هل العلويون مسلمون؟؟ تتضمن المفتريات الكافرة التي نسبها المحامي إبراهيم عثمان لعقائد العلويين، وتكفيره لهم، بإدعائه وزعمه أنهم ليسوا بمسلمين، ينكرون - والعياذ بالله، وناقل الكفر ليس بكافر - شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنهم يدينون بدين غريب يقوم على فكرة التثليث، وينكرون فكرة التوحيد، لذلك فقد اجتمعنا نحن الرؤساء الروحانيين في قضاء صافيتا، وأصدرنا الفتوى الآتية راجين نشرها بنفس الصحيفة التي نشرتم بها كلمة المراسل، عملاً بقانون المطبوعات.

إن تصريحات المحامي الموماً إليه، هي محض الكفر الصريح، وأن المسلمين العلويين 'بإجماعهم المطلق يستنكرونها أشد الإستنكار ويرأون منها ومن مثيرها إلى الله ورسوله (ص)، يعلنون في الدنيا والآخرة أنهم على شهادة لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، شهادة حق وصدق، فمن أمن منهم بالشهادتين والوحدانية، فهو منهم، ومن جحدتها فهو غريب عنهم كافر بهم، ومن

يتخذ من أتباع المسلمين العلويين مذهب الإمام جعفر الصادق (ع) سبباً لإبعادهم عن الدين الإسلامي الحنيف نعتبره، بدعواه، جاحداً للحق ناكراً للصدق، عاملاً بالباطل.

التواقيع :

الشيخ ياسين عبد اللطيف ياسين بونس، الشيخ علي حمدان قاضي المحكمة المذهبية الشرعية بظطوس، الشيخ يوسف إبراهيم قاضي المحكمة الملعبية الشرعية بصافيتا، الشيخ محمد محمود، الشيخ محمد رمضان، شوكت العباس، الشيخ عبد الحميد معلا.

صافيتا في ٣ آب ١٩٣٨ م.

وفي سنة (١٩٣٦ م) كثر القيل والقال، عن معتقد الطائفة الإسلامية العلوية في سورية، من قبل أصحاب الأغراض المشبوهة والعقول الضعيفة ممن عملوا ولا زالوا يعملون على تمزيق الصف المسلم وتشيت كلمة المسلمين فقام علماء العلويين في سورية وعقدوا مؤتمراً علوياً لكافة رجال العلويين ووجههم، في قرية القرداحة (قضاء جبلة) في شهر تموز سنة ١٩٣٦ م. وقد رفعوا مذكرة إلى وزارة الخارجية الفرنسية، وكانت من أهم المذكرات إذ جاء فيها:

«إن العلويين ليسوا سوى أنصار الإمام علي، وصهر رسول الله (ص) ووصيه، وأول من آمن بالإسلام ومن مكانه في الجهاد والفقہ والدين الإسلامي مكانه. . فليس الكاثوليكي والأرثوذكسي والبروتستانتي سوى مسيحيين. . وليس العلوي والسني سوى مسلمين، ففي المثل الأول لا تبطل الكثرة أو الأرثوذكسية أو البروتستانتية مسيحية المسيحي، وفي المثل الثاني لا يبطل القول برأي الشيعة أو برأي السنة إسلام المسلم، إن القرآن الشريف هو كتاب العلويين، سواء أكانوا طلاب وحدة أم طلاب انفصال، ومن كان القرآن الكريم كتابه فهو مسلم، أحب أم كره، إلا أن يرتد عن الإسلام.

وفي سنة ١٩٣٦ م، نشر علماؤنا في كراس قراراً من بندين:

البند الأول: كل علوي فهو مسلم يقول ويعتقد بالشهادتين ويقيم أركان

الإسلام الخمسة .

البند الثاني : كل علوي لا يعترف بإسلاميته، أو ينكر أن القرآن كتابه وأن محمداً (ص) نبيّه، لا يعد في نظر الشرع علويّاً، ولا يصح انتسابه للمسلمين العلويين، وقد أردفوا هذا بمذكرة إضافية، عن عروبتهم ودينهم، جاء فيها بالحرف :

«إن العلويين شيعة مسلمون، وقد برهنوا طوال تاريخهم عن امتناعهم من قبول كلّ دعوة من شأنها تحوير عقيدتهم... إن العلويين ليسوا سوى أنصار الإمام علي، وما الإمام علي سوى ابن عمّ الرسول (ص) وصهره ووصيّه، وأول من آمن بالإسلام، ومن مكانه في الجهاد والفقّه والدين الإسلامي مكانه، وإن القرآن الكريم هو كتاب العلويين وما العلويون سوى أحفاد القبائل العربية التي ناصرت الإمام علياً (ع)، فوق صعيد الفرات».

وفي المناسبة ذاتها أصدر علامة الشعب الشيخ سليمان أحمد فتوى، وقعتها العلّامتان الشيخ صالح ناصر الحكيم والشيخ عيد ديب الخير وجاء فيها : ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾^(١) .

رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد بن عبد الله رسولاً ونبيّاً، وبأمر المؤمنين علي إماماً، برئت من كل دين يخالف دين الإسلام، أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله. هذا ما يقوله كل علوي، لفظاً واعتقاداً، ويؤمن به، تقليداً أو اجتهاداً» .

وقد جمع أكثر ما كتب في هذه المناسبة في كتيب عنوانه : «تحت راية لا إله إلاّ الله محمد رسول الله»، أصدره صاحب السيادة والفضيلة ذو الشرف المشرق العلامة الشريف عبد الله آل الفضل أعزه الله . وطبع في مطبعة الإرشاد بالأذقية عام ١٣٥٧ هـ .

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٦ .

المرسوم التشريعي المتضمن الاعتراف بمذهب أهل البيت (ع) بسوريا

المرسوم التشريعي رقم ٣

إن رئيس الدولة:

بناء على الأمر العسكري رقم ٣ المؤرخ في ٣/٣/٥١ . وبناء على
المرسوم التشريعي رقم ٢٥٧ تاريخ ٨ حزيران ١٩٥٢ . وبناء على قرار مجلس
الوزراء رقم ٣ تاريخ ١٤/٦/١٩٥٢ . وبناء على المرسوم التشريعي رقم ٣٣
المؤرخ في ٢ ربيع الثاني ١٣٧١ هـ - ٣٠ كانون الأول ١٩٥١ م . وعلى وجود عدد
كبير من أهالي محافظة اللاذقية على المذهب الجعفري، وعلى إقتراح المفتي
العام يرسم ما يلي:

المادة الأولى: يضاف إلى المادة الثالثة من المرسوم التشريعي رقم ٣٣ .

الفقرة التالية:

تؤلف لجنة خاصة للجعفرين من علمائهم، في مركز محافظة اللاذقية،
قوامها ثلاثة أشخاص من العلماء الجعفرين، ويضاف إليهم شخص واحد من كل
قضاء، عندما يتعلق البحث في قضائه، ويسمى أعضاء هذه اللجنة بقرار من المفتي
العام، من العلماء الأكفاء، مهمتها فحص حالة المتزينين بالكسوة الدينية على
المذهب الجعفري، والذين يرغبون ارتداء هذه الكسوة، وإقرار من يحق له
الإحتفاظ بها، ومنع من تحقق اللجنة أنه دخيل على سلك رجال الدين من ارتدائها .

المادة الثانية - ينشر هذا المرسوم التشريعي ويبلغ من يلزم .

دمشق في ١٥ حزيران ١٩٥٢

الزعيم فوزي سلو

صدر عن رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء: الزعيم فوزي سلو. وزير الصحة والإسعاف العام مرشد خاطر، وزير الزراعة عبد الرحمن الهنيد، وزير الدفاع الزعيم فوزي سلو، وزير الخارجية ظافر الرفاعي، وزير العدل منير غنام، وزير الداخلية الزعيم فوزي سلو، وزير المالية محمد بشير، الزعيم وزير المصارف سامي طيارة، وزير الإقتصاد الوطني منير دياب، وزير الأشغال العامة والمواصلات توفيق هارون.

القرار رقم ٨

إن المفتي العام للجمهورية السورية:

بناء على المرسوم التشريعي رقم ٣ المؤرخ في ١٥ حزيران ١٩٥٢ م يقرر

ما يلي:

المادة الأولى: تؤلف لجنة فرعية في مركز لجنة فرعية في مركز محافظة اللاذقية من السادة: حضرة صاحب السيادة الشريف عبد الله رئيساً، الشيخ علي حلوم مفتي قضاء اللاذقية عضواً - الشيخ عيد ديب الخير عضواً.

يشترك مع هذه اللجنة الفرعية المذكورة عضو واحد، ليمثل القضاء المذكور حذاء اسم كل من السادة - كامل حاتم عن قضاء اللاذقية، عبد الله عابدين عن قضاء الحفة، حيدر محمد أحمد عن قضاء جبلة، يونس ياسين سلامة عن قضاء بانياس، عبد الهادي حيدر عن قضاء مصياف، محمود سليمان الخطيب عن قضاء طرطوس، عبد اللطيف إبراهيم عن قضاء صافيتا، علي صالح حسن عن قضاء تلكلخ.

فهمة هذه اللجنة فحص كفاءة المتزينين بالكسوة الدينية، على المذهب

الجعفري، والذين يرغبون ارتداء الكسوة وإقرار من يحق له الاحتفاظ بها، ومنع من تتحقق هذه اللجنة أنه دخيل على سلك رجال الدين في ارتدائها.
المادة الثانية: ينشر هذا القرار ويبلغ من يلزم لتنفيذ أحكامه.

دمشق في ١٧ شوال ١٣٧١هـ - ٩ تموز ١٩٥٢ م
المفتي العام للجمهورية السورية
التوقيع: محمد شكري الأسطونفي

شهادات علماء المسلمين في العلويين

فتوى المرحوم سماحة الحاج أمين الحسيني مفتي الديار الفلسطينية ٢٢ محرم ١٣٥٥ هـ

إن هؤلاء العلويين مسلمون، وإنه يجب على عامة المسلمين أن يتعاونوا معهم، على البر والتقوى، ويتناهاوا عن الإثم والعدوان، وأن يتناصروا جميعاً ويتضافروا، ليكونوا قلباً واحداً في نصره الدين، وبدا واحدة في مصالح الدين، لأنهم إخوان في الملة، ولأن أصولهم في الدين واجدة، ومصالحهم في الدين مشتركة، ويجب على كل منهم بمقتضى الأخوة الإسلامية، أن يحب للآخر ما يحب لنفسه، وبالله التوفيق^(١).

شهادة منير الشريف الدمشقي محافظ اللاذقية سابقاً

قال وبالحرّف: «لم تبل طائفة من الطوائف الإسلامية، كما بليت الطائفة العلوية «النصيرية» العربية الإسلامية، حيث سلقته الألسن الحداد، وحامت حولها الظنون، فمن الناس من أخرجها عن قوميتها العربية، وجعلها من أمم شتى، جمعتها جامعة المحيط، من بقايا الفينيقيين والرومانين والحثيين واليونانيين والصلبيين و... ومنهم من أقصاها عن الدين الإسلامي، وقال: إن اسم النصيرية، قد أتى من اسم النصرانية أي أن العلويين ليسوا من الطائفة الإسلامية، ومنهم من قال عنها، إنها متوحشة أكالة للحقوق، فتاكة بالبشرية نهاية سلابة، لا تتورع عن أي عمل كان غير مشرف، تعيش عيشة الهمج، الأولين، ضمن أسوار الإنحطاط، فلا يمكن أن تنهض للعلم، وليس في الإمكان اشتراكها

(١) عن جريدة الشعب الدمشقية عدد ٣١ تموز ١٩٣٦ م.

مع العرب في النهضة الحديثة، والجامعة القومية، والإزدهار الإقتصادي، ومن الصعب تعويدها الطاعة والنظام.

«هذا بعض ما يتحدث به فريق من الناس في الشرق والغرب . . . وحيث أنني عشت بين هذه الطائفة عدة سنين، وتجولت في كل أطراف محافظة اللاذقية، ودرست حالة العلويين عن كثب، وصادقت رجالهم وخبرتهم، رأيت الواجب يدفعني إلى تأليف هذا الكتاب لأبعد عن هذه الطائفة الشبهات، والظنون، وأطلع الناس على الحقيقة: بأنها فئة عربية الدم واللسان والخصائل، والغاية، وإسلامية كبقية الطوائف الإسلامية، غير السنية - رغم ظهور بعض الغلو المذهبي فيها - كتابها القرآن الكريم، وإنها رغم ما نزل بها من البلايا والرزايا الشعبية، ما تزال مرتبطة بالعروبة والإسلام، رافعة الراية العربية على جبالها السماء، وعلى ساحل بحرها اللازوردي، منذ رفعها العرب في كل مكان، تحترم الحقوق، وتحافظ على التربية العربية الطيبة، وتسير بسرعة إلى الأمام، لتتبوأ مقامها في دنيا العرب»^(١).

ويقول تحت عنوان: «المذهب الشيعي السياسي»: العلويون، هم من صميم الأمة العربية، التي نبتت في الجزيرة العربية، وكان لها تاريخ عظيم، لم يصلنا كله بعد، ثم نهضت إلى المجد والسؤدد، عندما جاء النبي (ص) وبث فيها روح السيادة والإستقلال والحرية والإتحاد، ورغب إليها الفتح، لتوحيد العرب، وإهداء الناس إلى الرشد والمدنية العربية ولتملك عنان الثروة، وتصبح في مأمن من شظف العيش، والسنين المجدبة فسار العلويون كعرب اعتنقوا الدين الإسلامي، مع إخوانهم العرب، إلى طرد البيزنطيين من سورية وبلاد أرمينية والروم، وطرده العجم من العراق، واشتركوا في فتح العالم الأهل بالسكان، فاكسبوا الصيت الحسن، ونالوا المجد التليد.

«ولما انقسم العرب إلى قسمين وافترقوا إلى جبهتين، جبهة تقول بحق علي بن أبي طالب (رض) في الخلافة، وأخرى تريدها لمعاوية، كان العلويون

(١) المسلمون العلويون من هم وأين هم: ص ٣ مصدر سابق.

بجانب علي، فزادوا عن حقه لا رغبة في مال، ولا في نوال، إلا ابتغاء مرضاة الله، وحباً بعلي، لأنهم يجدون فيه العلم الواسع والشجاعة والتقوى والنزاهة، التي ما بعدها نزاهة، فكانت سيوف معاوية تعمل فيهم وهم يقضون نحبهم في سبيل المبدأ الذي دانوا به».

المذهب الشيعي الديني

«لقد سميت الفئة التي كانت مع علي (رض) آنذ شيعة، لأنهم تشيعوا لعلي، ولخلافة علي، وأصبحوا حزباً سياسياً كبقية الأحزاب السياسية في العالم، وقد ظل الشيعيون يقولون بحق علي ثم بحق ولده، رغم ما لحقهم من الأذى».

وقد ضعف شأن هؤلاء، لأن الحكم في يد غيرهم، لأن الشدة والضيق قد أثقلهم، فتفرقوا في البلاد العربية، وكانوا في كل محل هبطوه، دعاة لنصرة آل البيت، وسكن أكثرهم الجبال التي كانت تعصمهم من رجال الحكم، أكثر من الأراضي السهلية، ولم يبق المذهب الشيعي سياسياً، بل أصبح دينياً، فظهر المذهب الجعفري، لصاحبه جعفر الصادق، وتمزق الكيان الديني الإسلامي، وأصبح بعض فلاسفة الإسلام، بدلاً من أن يجولوا في مواضيع العلوم العالمية، يدورون في أبحاثهم، حول الدين والمذاهب، ولعب العجم دورهم في ذلك الزمان لتفريق الأمة العربية والذهاب بنزاهة الدين الإسلامي، انتقاماً من العرب، ولكي يعودوا ويشيدوا ملكهم الذي قضى عليه العرب، عند فتحهم لبلادهم، الأمر الذي أدى لظهور أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري، وهو من ولد أبي موسى الأشعري (ولد سنة ٢٦٦ هـ، وتوفي سنة ٣٣٠ هـ، ببغداد) وقوله بالرجوع إلى السنة، وقد ظل الشيعيون العرب على مبدأ عربي وهو القول: إن الخلافة في قريش، وإن أفضل فخذ في قريش هو آل علي، وهذا مما حفظ الخلافة العربية، عدة قرون في الأمة العربية، ولم يقدم أحد من الملوك الشعوبيين على نزاعها من العرب، إلا ياوز سلطان سليم التركي العثماني سنة ١٥١٧ م بعد أن مهّد لذلك، بتفطيعه بالشيعيين سنة (١٥١٤ م) وبإجتياحه لسورية سنة (١٥١٦ م). ومصر سنة (١٥١٧ م)».

المذهب العلوي:

«ولقد ظهر بين رجال الشيعة، رجل يسمى محمد بن نصير النميري، وذلك في زمن الحسن العسكري الإمام الحادي عشر، في القرن الثالث الهجري، فأجرى تعديلاً في المذهب، فسمي من أيده: نصيريون. وبقي اسم هذا الفريق هكذا، إلى سنة ١٩٢٠ م حيث أُبدل باسم علوي.

«وقام بتأييد هذا الفريق (النصيري) بعد محمد بن نصير، محمد بن جندب، ثم حسين بن حمدان الخصيبي، وبعده باختيار بن معز الدولة البويهبي العجمي، ثم انتشر هذا المذهب، في عدة أماكن من البلاد.

«إن هذا المذهب، هو كباقي المذاهب الشيعية، يفضل أصحابه علياً على غيره، ولم يخرج عن النطاق الإسلامي، إلا أنه تسرب إليه بعض الغلو، ولا شك، علاوة على تفضيل علي (ع) على غيره، شأن المذاهب التي تحارب وتضطهد. لأن النصيرية أوذوا في ديارهم وصبت الأمم الإسلامية، غير العربية نارها عليهم، وفتكت بهم أنى ثقفتهم، فلم يبق لهم ملجأ إلا رؤوس الجبال وسفوحها، حيث يختبئون، فكان رجال مذهبهم هناك يفسرون لهم الدين الإسلامي، كما يريدون، خلافاً لما تفسره بقية الفرق الإسلامية، لأن النصيرية يقرون بتوسيع الاجتهاد بتفسير القرآن، ليجعلوا من المذهب الديني جامعة تحفظ عليهم حياتهم ليس إلا، ولكنهم ظلوا مسلمين»^(١).

شهادة المؤرخ الدكتور مصطفى الرافي

قال في كتابه: «إسلامنا في التوفيق بين السنة والشيعة» وبالحرف:

«لم يخرج العلويون عن كونهم فرعاً من فروع الشيعة، تعتمد الشريعة الإسلامية، وتطبق أحكامها وفقاً لمذهب الإمام جعفر الصادق سادس أئمة أهل بيت رسول الله (ص) ولقد بات معلوماً أن جميع فرق الشيعة تعرّضت للتعذيب

(١) المصدر السابق ص ٥٩.

والتنكيل والذبح والقتل، ابتداءً من العصر الأموي، مروراً بالعباسي، إنتهاءً بالعثماني، بسبب معارضتهم لمذاهب أهل السنة التي كان يدين لها، على مرّ تلك العصور، السلاطين والحكّام، وكانت هذه الجماعة المسماة بالعلويين من أكثر الفرق التي تعرضت للإضطهاد والإتهام، حتى من بعض فرق الشيعة الأخرى التي تأثرت بما نسجه المؤرخون حولهم وما نسبوه إليهم، من ارتكاب الموبقات وإباحة المحرّمات، حتى وصفوهم بالزندقة والكفر، ولم يتسنّ لجماعة العلويين - وعددهم في العالم قليل - أن تهدأ الضجة حولهم، وأن يتنفسوا الصعداء إلاّ فترة وجيزة من العصر العباسي، حيث قدر لشيخهم أبي عبد الله الحسين بن حمدان، أن ينهض بالدعوة العلوية بعد أن اتخذ إقامته في مدينة حلب الشهباء، وذلك بمؤازرة أمراء بني بويه، وانتشرت الدعوة العلوية إذ ذاك في العراق والأهواز وبلاد فارس، وكذلك في مصر أيام الفاطميين».

ثم قال في حديثه عن أنساب العلويين :

«ومن المؤرخين من قال: إن العلوية فرقة سريانية كانت موجودة على أيام الرومان، ومنهم من قال: إن أصلهم من القرامطة، نسبة إلى حمدان قرمط. فنسبوا إليهم تبعاً لذلك ما ينسب إلى القرامطة من زعم أنّ لا جنة ولا نار، ولا بعث ولا نشور، ولا ميزان ولا حساب، ولا نعيم ولا عذاب، وإنما الثواب والعقاب هما في هذه الحياة الدنيا لا غير، ومن المؤرخين من زعموا أنهم فرع من فروع الإسماعيلية، والإسماعيلية كما هو معروف فرقة من الإمامية تقف في تسلسل أئمتها عند اسماعيل بن جعفر الصادق الذي توفي في حياة أبيه، لذا سموا بالشيعة أيضاً كما ذكرنا آنفاً، ولما كانت فرقة الإسماعيلية الشيعية تعتقد أن لكل نص ديني معنيين: معنى ظاهراً وهو للعامّة، ومعنى باطناً لا يفهمه إلاّ الأئمة، فقد نسب إلى العلويين القول بأنها من الفرق الباطنية، من قبيل الخلط بينهم وبين الإسماعيلية علماً بأن الإسماعيلية الشيعية لعبت دوراً بارزاً خلال العصر العباسي، وكانت لهم في التاريخ أكثر من دولة منها:

١ - دولة ابن حوش التي أسسها في اليمن عام ٢٧٠ هـ.

٢ - دولة عبد الله الشيعي التي أسسها في المغرب عام ٢٩٦ هـ.

٣ - دولة جوهر الصقلي التي أسسها في مصر عام ٣٨٥ هـ.

٤ - دولة الحسن بن الصباح التي أسسها عام ٤٨٣ هـ.

ووجد من المؤرخين من يقول: إنَّ العلويين أصلهم من الحثيين ليثبت أنهم ليسوا عرباً، وبالتالي يسهل بترهم عن جسمهم العربي، مثل ما حاول غيره من المغرضين، تجريدهم من دينهم الإسلامي، وجميع هذه الأراجيف التي زعمها المؤرخون، بالنسبة لأصل العلويين، لا تستند إلى دليل، وليس إلا من قبيل الظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً.

ثم قال الرافعي: «وفي الحقيقة، إن العلويين هم عرب أقحاح، معروفون بأنسابهم ومشهورون لا كما يزعم المغرضون، وهم مسلمون موحدون، يؤمنون بالله رباً، وبمحمد نبياً، وبالقرآن منهجاً ودستوراً وقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويصومون رمضان، ويحجون بيت الله الحرام إذا استطاعوا إليه سبيلاً، وهم منذ ظهور المذاهب الفقهية المعروفة يتعبدون على مذهب الإمام جعفر الصادق، وإن لفظ علوي أو شيعي أو إمامي أو جعفري، يعني أمراً واحداً هو أنهم أحبوا علياً كرم الله وجهه وعظموه، لمزايا لا ينكرها أحد من المسلمين، من كونه صهر الرسول، وابن عمه وخليفته، ومن أول الناس إسلاماً وأقوامهم إيماناً وأشجعهم، حتى سمي سيف الله وأن هؤلاء العلويين لم يعبدوا علياً، كما يتوهم الجاهلون بحقيقتهم اعتماداً على مجرد تسميتهم (بالعلويين)، إذ لو كانت مجرد التسمية المنسوبة إلى إنسان تستلزم عبادته، يلزم القول: بأن العثمانيين يعبدون عثماناً، والمالكيين يعبدون مالكا، والشافعيين يعبدون الشافعي، وهكذا إلى أن نصل إلى أيامنا هذه، حيث يلزم القول بأن الماركسيين يعبدون (ماركس) والديغوليين يعبدون (ديغول) والناصرين يعبدون عبد الناصر وهذا غير حاصل البتة».

ثم يقول الرافعي عن عبادات العلويين:

«أما عبادات العلويين، فليس من شك في أنهم يؤمنون بأركان الإسلام الخمسة التي ذكرناها آنفاً، ويمارسونها، ولقد شاهدت ذلك يعني رأسي، عندما كنت أقوم بزيارة بعضهم في المدن والقرى، ولكنني لا أنكر أنهم لم تكن عندهم مساجد كافية لإقامة صلوات الجمعة والجماعة فيها، وأن روح التدين عند الكثيرين فيهم، لا سيما سكان القرى كان ضعيفاً للغاية، وأن الجهل المتفشي في صفوفهم، والدس الخارجي المقصود، من جهة ثانية، وفوقهما الفقر المدقع الذي كانوا يعيشون فيه، هذه الأمراض الوبيلة الثلاثة التي كانت تتابهم وتفتت في عضدهم، وتلقي بهم إلى اليأس والقنوط هي التي ألجأتهم إلى ضعف ممارستهم الدينية، بالنسبة لغيرهم من الفرق الإسلامية التي كانت، بالنسبة إليهم تتحلى بغزارة العلم، وتمتاز بوفرة دور العبادة، وتمتع برخاء العيش، ولقد صدق من قال: «كاد الفقر أن يكون كفراً».

وينقل الرافعي شهادة مؤلف كتاب «العلويون-النصيريون» فيقول: «ولقد صدق مؤلف كتاب «العلويون النصيريون» ولم يتعد عن الصواب حين قال ما حرفيته:

«الحق يقال: إن النصيرين هم من متطرفي الشيعة، غدر بهم الزمان، وقهرهم التاريخ فانطوا على أنفسهم، وخشوا من الإبادة والفناء، وحاربهم أعداؤهم السنون، وقهرهم أبناء مذهبهم الشيعيون، وغدر بهم جيرانهم الإسماعيلية واستزلهم الصليبيون، وانتقم منهم الأرمن والعثمانيون، وأذلهم الفرنسيون، فهم بالحقيقة شعب قهر، لم يعرفوا استقراراً في جبالهم الوعرة».

ثم قال عن معتقداتهم: «إذا أخذنا بعين الاعتبار أن العلوية ظهرت، في أيام الفتن الدينية والخلافات المذهبية، والإنقسامات السياسية، وأن أكثر المصادر التي اعتمد عليها المؤرخون هي من وضع خصوم هذا المذهب، فضلاً عن المستشرقين فيما بعد الذين كانوا يعبرون عن مشاعر الإستعمار، ولا سيما في مرحلة الإنتداب على هذه الديار، والخطط التي انتهجها لسلخ هذه الجماعة عن محيطها الإسلامي، كان لا بدّ وأن تحاك حول العلويين القصص، وتلصق بهم

التهم، وتلفق في حقهم الأباطيل، قصداً إلى تشويه معتقداتهم، بإدعائهم عليهم القول: بقدم العالم، وإنكار البعث والنشور، والجنة والنار، وتناسخ الأرواح واستحلال الخمر وتقديسها، وتأليهها مما لا يصدق العقل السليم^(١). انتهى.

ويتابع الرافعي قائلاً: وتوصل بعض العلماء والمؤرخين إلى تكفيرهم، من أمثال ابن تيمية والشهرستاني وابن الأثير وغيرهم، علماً أن في اتهاماتهم هذه كثيراً من المبالغة ومجافاة للحقيقة، وإذا صح أن العلويين أو بعضهم قال بشيء مما تقدم، فإنهم ليسوا وحدهم من المسلمين الذين قالوا به، وهاكم الأمثلة:

١ - فيما يتعلق بقدم العالم، قال به أكثر فلاسفة المسلمين، كالفارابي، والغزالي، وابن سينا، وابن رشد.

٢ - وفيما يتعلق بتناسخ الأرواح، قال به كثير من الفقهاء والفلاسفة والأطباء، من أمثال ابن سينا وابن الجوزية، والإمام الشعراني الذي زعم أن الأرواح تشكل بصور مختلفة، والسعد التفتازاني الذي أورد في شرح العقائد النفسية فيه قدم راسخ، وكذلك الإمام الغزالي الذي يعتبر في كتابه (التهافت) أن البعث والتناسخ يرجعان إلى واحد، بمعنى أن الروح بعد مفارقتها البدن تنتقل إلى جسم آخر، ولم نسمع أحداً من المسلمين قال بتكفير هؤلاء الفلاسفة الحكماء والعلماء لمجرد أنهم قالوا ما قالوه.

٣ - أما شرب الخمر، فقد ابتلى به عدد كبير من المسلمين، وأن البعض من المنحرفين قالوا بإباحته، حتى قبل ظهور العلويين كفرقة مستقلة بأمم بعيد، بل ومنذ عهد الخليفة يزيد بن معاوية، وقد روى أبو هلال العسكري، في كتابه «الأوائل» أن أول من باع خمرًا في الإسلام، هو سمرة بن جندب المتوفى سنة ٦٠ هـ.

وأما قول العلوية بالتقية، فهو من معتقدات الشيعة الإمامية، وكذلك قول

(١) أبو موسى الحريري: العلويون النصيريون.

العلويين بالرجعة هو قول الشيعة الإمامية أيضاً، وإن كان معظم أهل السنة والجماعة يعيرون علي من يعتقد بالتقية والرجعة، بل ويستنكرون ذلك منهم، ولكنهم لم ينادوا بتكفيرهم من أجل ذلك، ربما لأنهم لم يروا أن هؤلاء، في اعتقادهم التقية والرجعة، أنكروا أمراً في الدين بالضرورة.

«هذا، ولا صحة لما رميت به هذه الفرقة العلوية من أنهم يعتقدون بالثالوث المرتب من «الرب والحجاب والباب» وأن علياً هو الرب، ومحمد هو الحجاب، وسلمان الفارسي هو الباب، لأنه لم يثبت بالدليل القطعي عنهم، إنما الذي ثبت عنهم في هذا المجال أنهم يبالغون في احترام سلمان وخمسة معه من صحابة رسول الله هم: المقداد بن الأسود الكندي، وأبو ذر الغفاري، وعبد الله بن رواحة الأنصاري، وعثمان بن مظعون النجاشي، وقنبر بن كادان الدوسي. هؤلاء الذين قال بعض المؤرخين: إنهم يطلقون عليهم لفظ (الأيام الخمسة)، وهذا القول إن صح فإنه يعود، في رأي العلويين، إلى كون سلمان وهؤلاء كانوا من أشد المسلمين الأولين التصاقاً بالإمام علي، وقد اعترفوا بإماميته قبل توليه الخلافة، كما كان قائد المسيرة لهؤلاء الخمسة، في حلهم وترحالهم، هو: الصحابي الجليل سلمان الفارسي، الذي يروى أن رسول الله (ص) اشتراه من امرأة يهودية، وأدخله بيته، وقال في حقّه: «سلمان منا أهل البيت»، فقيل له: من بني هاشم يا رسول الله؟ فأجابهم: «نعم من بني هاشم» كما يروى عن رسول الله قوله «سيد العرب أنا، وسيد الفرس سلمان» وكذلك يروى عنه (ص)، قوله: «أخبرني ربي أنه يحب أربعة: وأمرني بمحبتهم، علي منهم وسلمان».

«لهذه الآثار وغيرها أحب العلويون سلمان الفارسي وعظموه، مثل ما نحبه ونعظمه نحن المسلمين جميعاً، ولشدة التصاق أولئك الخمسة الكبار من صحابة رسول الله بسلمان، وفرط تعلقهم به وانصياعاً لأقواله، عرفوا بأيام سلمان، لا لأنهم يكوّنون تشكيلاً خاصاً، كما يحلو لبعض المفرقين والمبغضين للعلويين القول فيه ووصفه بأن هذا التشكيل يرمز به العلويون إلى الخلاص الأبدي».

أما اعتقادهم بالأئمة الإثني عشر، علي ومن بعده إلى محمد بن الحسن

العسكري، مع اعتقاد العصمة لهم، فهو اعتقاد الشيعة الإمامية الإثني عشرية أيضاً، وهم جميعاً يستندون في اعتقادهم هذا إلى روايات كثيرة، تفيد أن عدد هؤلاء النقباء المحدد بعدد نقباء بني إسرائيل الأثني عشر منصوص عليهم من قبل الله تعالى، من هذه الروايات ما نقله وهب بن منبه عن ابن عباس، أن الله خاطب نبيه (ص) قائلاً: «يا محمد إن علياً هو الخليفة من بعدك، وإن أمتك يخالفونه وإن الجنة محرمة على من خالفه، وعاداه، فبشر علياً أن له هذه الكرامة مني، وأني سأخرج له من صلبه أحد عشر نقيباً».

ومهما يكن من شأن تلك المقولات التي تقال بشأن العلويين والشبهات التي تحوم حول معتقداتهم، والتي يتضح من أقوال كبار أدبائهم وأفاضل علمائهم، تعليل بعضها الذي لا يتعارض مع جوهر الإسلام، ونفي البعض نفياً قاطعاً لمجافاته لشريعة القرآن، ثم من الإمعان في تقصي أخبارهم ومعاشرتهم في محالهم ومنازلهم، يتأكد كل منصف أن معظم ما رميت به هذه الجماعة المسلمة، من حلول وزندقة وغير ذلك، هو كذب وبهتان، ولا يفضي بالتالي إلى الحكم عليهم بفساد عقيدتهم وخروجهم من ربة الإسلام، وأن الظروف المأساوية التي عاشتها هذه الجماعة في أيام مؤسسها الأول علي؛ - كرم الله وجهه - وتجنّي الناس، جميع الناس عليهم، وظلم ذوي القربى لهم، حتى جاء الإستعمار البغيض، فأسرف في ظلمهم وزاد في تحطيمهم إمعاناً، لا لشيء إلا لإظهارهم بمظهر المتبعدين عن محيطهم الإسلامي، لكي يفضي بنا وبهم الحال إلى التصارع والتقاتل فالإنحلال وليس أدل على ذلك من قول الشيخ محسن حروفش قاضي المذهب العلوي في بلدة (جبلة) أثناء الإنتداب الفرنسي، لأحد ضباط المخابرات الفرنسية الذي أراد منعه من أداء صلاة الجمعة في جامع لأهل السنة، ومحاولة إقناعه بأنه لا يعتبر في نظرهم من المسلمين، بجوابه الرصين الحكيم لذلك الضابط: «إن إلها واحداً، ونبينا واحد، وكتابنا القرآن، ونحن مسلمون، أرادت السياسة أو لم ترد، وإن ربنا ينادينا بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر

الله ﴿١﴾ وليس هناك من يستطيع أن يحول بيني وبين السعي إلى ذكر الله» .

يضاف إلى هذا الموقف النبيل، لذلك القاضي العلوي الجليل من ذلك الضابط المغرض، موقف آخر له دلالة ومغزاه، ألا وهو وقفة المجاهد العربي الكبير الشيخ صالح العلي، وفي أيام الإنتداب الفرنسي أيضاً، حين سأله ضابط فرنسي آخر عن تاريخ العلويين وديانتهم، فتناول الشيخ بيده القرآن الكريم، وأجاب سائله قائلاً: إذا أردت تاريخ العلويين، فهذا تأريخهم وإذا شئت دينهم فهذا دينهم، كما وأن العلويين، لو كانوا حسب ما افترى عليهم المفترون وتعمد الإساءة إليهم المؤرخون المغرضون، لا ينتمون إلى الشيعة الإمامية الإثني عشرية، لما كان يسوغ للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان أن يسند منصب الإفتاء الجعفري في طرابلس لشيخ علوي . . . وما دام العلويون يفتنون ويتعبدون، ويتقاضون في أحوالهم الشخصية وفقاً للأحكام الواردة في المذهب الجعفري، وذلك في سورية ولبنان، بل وفي كل مكان، وإذا عرفنا من قبل أن مشيخة الأزهر الشريف، أفتت بجواز التعبد على مذهب الإمام جعفر الصادق، كالتعبد على مذهب أهل السنة والجماعة، وإذا عرفنا أيضاً أن من بين فقهاءنا من صرح بأنه، إذا قام تسعة وتسعون دليلاً على كفر إنسان، وقام دليل واحد على إيمانه وجب حمل هذا الإنسان على الإيمان . . . أقول: إذا عرفنا هذا كله لم يبق مجال للشك، في أن العلويين مسلمون»^(٢) . إنتهئ .

شهادة المؤرخ العلامة المجتهد الشيخ محمد جواد مغنية طيب الله ثراه:

وجاءت في رسالة منه موجهة إلى فضيلة الشاعر الشيخ عبد اللطيف إبراهيم، مؤرخة في ٢٣ - ٤ - ١٩٦١ م . قال رحمه الله ما حرفيته:

«إني جد مغتبط ومرتاح النفس إلى أقصى الحدود، بعد زيارتي للإخوان الكرام العلويين، لقد لمست منهم الإخلاص، والإيمان، والتمسك بالدين

(١) سورة الجمعة: الآية ٩ .

(٢) . مصطفى الرافي: إسلامنا في التوفيق بين السنة والشيعة: دار الكتاب اللبناني بيروت

الصحيح، وأيقنت عين اليقين بأنه لا فرق أبداً بيننا وبينهم في شيء والحمد لله، وألف شكر، وقد شعرت، في الأمد القصير معكم، بالطيبة والكرامة والظهر الذي يتجلى في شخصكم الكريم، كما لمست الفهم والمعرفة والتميز والوعي الديني، أكثر الله في الأمة من أمثالكم، وما زال مثالكم في ذهني وقلبي لا يفارقني أبداً، ومرّة ثانية أقول: اني سعدت كثيراً بالإخوان العلويين بعامة وبكم بخاصة، أخي، نحن وأنتم يد واحدة، في سبيل واحدة إلى غاية واحدة إلى هدف واحد، أمّا السبيل فهي الولاء الحق لأهل الحق، وأمّا الهدف فمرضاة الله.

وقد ترك اجتماعي بكم أطيب الأثر في نفسي، كما عرفني حقائق كنت أجهلها من قبل، وقد كتبت إلى المرجع الحكيم في النجف، عما شاهدت ولمست، وعن الجامع والمصلحين، وعن المصلين والمؤمنين حقاً بكل ما في معنى الإيمان الصحيح، وسأحاول جاهداً أن يكون لزيارتي أثر ملموس».

وجاء في رسالة له (قدس سره) إلى المرحوم فضيلة الشيخ عبد الكريم علي حسن، خطيب وإمام مسجد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) في طرطوس بسوريا وهي مؤرخة في ١٩٦١/٦/٩ ما يلي نصّه:

«واعلم أخي أنني إجتمعت مطوّلاً بسفير الجمهورية العربية المتحدة في بيروت عبد الحميد غالب، وقلت له أن يبلغ شكري وشكر الطائفة جمعاء، وعلى رأسها السيد الحكيم، للمعاملة الطيبة وإطلاق الحرّية الدينية للعلويين الذين هم من المسلمين في الصميم ومن العروبة في الطليعة وقد سرّ بذلك كثيراً، وأطلنا الحديث حول الموضوع، بما فيه الخير والنفع العام إن شاء الله»^(١).

شهادة الأديب الدمشقي السيد عارف الصوص:

قال في كتابه القيم «من هو العلوي» ما حرفيته:

«لقد تبين لي أن العلويين هم فرقة مسلمة تدين بهذا الدين الحنيف، يقرون

(١) أحمد علي حسن: المسلمون العلويون في مواجهة التجني: الدار العالمية، بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ط ٢ ص ١٥٤.

بشهادة أن لا إله إلا الله والإعتراف بنبوّة العربي الأمي سيدنا محمد بن عبد الله (ص) رسول الهدى وخاتم الأنبياء والمرسلين، كما أنهم يقولون بإمامة أخيه وابن عمّه سيد الوصيّين علي بن أبي طالب عليه السلام وأبنائه الأحد عشر المعصومين، سمعتهم يتلون القرآن الكريم الذي أنزله الله على نبيه محمد (ص) فلم أر في هذا القرآن ما يخالف القرآن الذي يقرؤه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، ويتوجهون في صلواتهم إلى القبلة التي يستقبلها كل المسلمين في صلواتهم، ويصومون الشهر الذي فرض الله على العباد صومه، ويؤتون الزكاة كما أمر الله، بل يتمسكون تمسكاً شديداً بإيتاء الزكاة، حتى ولو كان المزكي فقيراً مدقماً، ومن يستطع الحج إلى البيت الحرام منهم فإنه يحج، إلى غير ذلك من كافة الفروض التي فرضها الله على عباده، والعلوي يحافظ على التقاليد العلوية، فلا تطيب له إلا الأحاديث التي تتحدث عن آل البيت، ولا يقول إلا بالوصايا والتعاليم التي ستها ووصفها علي وأبناؤه نقلاً عن الرسول العظيم^(١).

شهادة الشيخ العلامة الدكتور محمد علي الزعبي:

قال في مجلة العرفان الغراء ما حرفيته:

«لم أر مؤلفاً نادى بالفصل بين الأقلية الجنبلانية الماخوسية المرشدية التي تعتمد على كتب الأعياد ودرة الدرر والمجموع، وبين الأكثرية المسلمة من سكان الجبل الذي عرفناه أخيراً بإسم علوي، وهي الأكثرية المسلمة البريئة من مرض الغلو التي تعبد الله وتتقرب له وحده بمذهب أئمة أهل البيت النبوي، مذهب الإمام جعفر الصادق».

شهادة الأديب الشاعر الأستاذ محمد مجذوب الطرطوسي:

كتب الأستاذ الأديب الشاعر محمد مجذوب الطرطوسي، في مجلة «النهضة»^(٢) تحت عنوان: «في زوايا التاريخ الإسلامي - السنة والشيعة» قال:

(١) عارف الصوص - من هو العلوي ص ١١ - ١٢ - الجزء الأول - مطبعة الإلتقان دمشق.

(٢) مجلة النهضة - عدد أول - ت ٢ - ١٩٣٧ - دمشق.

لست في حاجة إلى استعراض الأسباب التاريخية في قسم الإسلام إلى فريقين: شيعي وسني، ثم تحوّلت هذه الأسباب السياسية الصرفة، بشأن الحكم والخلافة، إلى أشكال مذهبية أفرغت على هذين الأسمين: العلوي والسني، الصفة الدينية ولا إلى الكلام عن مسالك الإجتهد الفقهي بين الشيعة والسنة، ثم إلى تشعب هذه المسالك بين الشيعة نفسها وبين السنة نفسها أيضاً، ولست في حاجة كذلك إلى ذكر ما لقيه هؤلاء الشيعة، على مدى العصور، من عذاب وأضطهاد مستمر، في سبيل مبادئهم الفكرية، من إيثار ولاية أهل البيت، المبادئ التي تنهض على أسس معروفة من الإجتهد والرأي، فكانت ذنبهم الأكبر في نظر مضطهديهم، وكان قيامهم عليها وتشبثهم بها، بدلاً من أن يكون داعياً لإحترافهم وتقدير ثباتهم، أبرز العوامل في إيدائهم ومطاردتهم، طوال قرون اثني عشرة، ولا إلى القول: بأن من الطبيعي أن ينتج مثل هذا العداء، من أحد الطرفين، عداء مثله من الطرف الآخر، ولكن، على شدته، كان على شيء من الاعتدال، بالقياس إلى مقابله وما أدّى إليه، إبان تدهور الإسلام في عهد الحكم التركي، من إدخاله في حيز الدين، واستخدامه الشريعة المبرأة لدعمه، بما أصدره بعض المشايخ من فتاوى ضد بعض فرق الشيعة، كهؤلاء العلويين خاصة، يندى لها جبين الإنصاف، ويضج من هولها كل فاهم حقيقة الإسلام وقيمة الإجتهد، في نظر الشرع المطهر الذي جعل تسعة وتسعين دليلاً على كفر إنسان يردها دليل واحد على إيمانه، ممّا لا نزال نضرس من حصرمه، ونتخبط في دياجيرها حتى اليوم، ومما يبرهن على أنّ هؤلاء الغارسين لم يكونوا ليحسنوا التفكير، فيما قد تثر غراسهم في الغد، وأنهم لم يكونوا ليبالوا حق أحفادهم من الأجيال التي عملوا على تسميم حياتها بهذه البذور، فهدموا بذلك حكمة الإسلام من التبشير، وإجتنب التنفير، ومزقوا من جديد ما رتقه ثاني العمرين الأشج بن عبد العزيز (رض).

العقيدة الإسلامية في قلب العلوي:

أمّا الدين وقوة العقيدة الإسلامية في هؤلاء الشيوخ فلا أذكر لك من

مظاهرها إلا شواهد ثلاثة فقط، وأترك لك بعدها الحكم على ما أقول. أنت تعلم مبلغ ذلك الغرض الذي أستهدفه الاستعمار، أثناء مرحلة الإنتداب، من محاولة التأثير على هذه العقيدة، وإظهار الطائفة العلوية بمظهر الانفصال التام عن المجموع الإسلامي، وأنت تعلم كذلك مدى العنف في تلك الوسائل الإستعمارية، لتحقيق هذه الخطة، فاسمع إذاً بعض ما اعترض تلك المؤامرة من قوة الدفاع عن هذه العقيدة:

دعا ذات يوم أحد ضباط الإستخبارات الشيخ محسن حرفوش، وكان قاضي المذهبية في جبلة، وجعل يجادله في أمر صلاة الجمعة، يريد أن يمنعه من إقامتها في مسجد السنين، باعتبار أنه غير مسلم في نظرهم، فما كان جواب هذا الشيخ؟ لقد قال للضابط: إن إلهاً واحداً، ونبينا واحداً، وكتابنا القرآن، ونحن مسلمون أرادت السياسة أم لم ترد، وإن في هذا الكتاب: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله﴾^(١) وليس هناك من يستطيع أن يحول دون سعيي إلى ذكر الله.

وجاء أحد أولئك الضباط إلى إحدى القرى ذات يوم، يريد الحصول على بعض ما يودّه من مواد يضمها إلى مؤلف يعده في تاريخ العلويين وديانتهم، وكان ثمة البطل العربي الكبير الشيخ صالح العلي أنثذ، فلما سأل الرجل أسئلة مدّ الشيخ يده الكريمة، بكتاب الله، وهو يقول: «إذا أردت تاريخ العلويين، فهذا تاريخهم، وإذا شئت دينهم فهذا دينهم» وعبثاً جادل الرجل وعبثاً داور وكابر. . ولا أزيدك في معرفة هذا البطل الإسلامي العربي، فتلك شخصية من شخصيات التاريخ، وذلك شعار من شعائر الحرية التي لا تنسى.

لكني أذكر لك، خدمة للتاريخ، خلة واحدة من مزايا هذا البطل في كفاح الإستعمار تلك هي إصراره على تسجيل كلمة مسلم التي حذفها الأجنبي بالقوة في كل تذكرة من تذاكر أفراد عشيرته، ممّا أجبر الفرنسيين على إرجاء التسجيل يومئذ، حتى آخر عهد الإنتداب، إنهما قوة الإيمان الغالب.

(١) سورة الجمعة: الآية ٩.

وفي مناسبة أخرى كتب الأستاذ المجذوب في مجلة العرفان ما نصّه:
«حضرات الإخوان - لجنة الشباب النجفي» المحترمين .

أحييكم تحية العروبة والإسلام، وبعد لقد كنت أود لو يتاح لي الحضور شخصياً للمساهمة في الذكرى الخالدة، لولا ما يحول دون ذلك من عقبات لا قبل لي بإجتيازها، وفكرت ملياً في الكلمة التي تصلح لمثل ذلك المقام العظيم، فلم أجد أفضل من قصيدة كنت نظمتها عقيب زيارتي لضريح معاوية بن أبي سفيان بدمشق، إذ تفتحت في خيالي أبواب التاريخ، فأشرفت من خلالها على تلك المآسي الفاجعة التي مُني بها الإسلام، منذ خروج أبي يزيد على أمير المؤمنين، إلى كارثة كربلاء، إلى ما لا نهاية له من هذه النوازل التي أستغرقت أمة محمد (ص)، ولا تزال تستغرقها حتى يشاء الله تداركها برحمته .

وها هي القصيدة أضعها بين أيديكم وفيها كل ما إختلجت به مشاعري واقتنع به عقلي من الشؤون التي تتصل بهذه الذكرى، ويسرني جداً أن تنال رضاءكم فتكون أحد موضوعات الحفلة، ولا شك أن ذلك سيشيح لي سعادة الإتصال بنفوس زكية يربطني بها رحم الولاء الخالص لذلك البيت الذي أذهب الله عنه الرجس وطهره تطهيراً .

هذا وختاماً أرفع إليكم أحرّ التمنيات وأصدق التحيات :

أين القصور أبا يزيد، ولهوها	والصافنات وزهوها والسؤدد
أين الدهاء نحرت عزته على	أعتاب دنيا سحرها لا ينفد
أثرت فانيها على الحق الذي	هو لو علمت على الزمان مخلد
تلك البهارج قد مضت لسيلها	وبقيت وحدك عبرة تتجدّد
هذا ضريحك لو بصرت بيؤسه	لأسال مدمعك المصير الأسود
كتل من الترب المهين بخزية	سكر الذباب بها فراح يعربد
خفيت معالمها على زوارها	فكأنها في مجهل لا يقصد
ومشى بها ركب البلى فجدارها	عارٍ يكاد من الضراعة يسجد
والقبّة الشّماء نكس طرفها	فبكل جزء للفناء بها يد

تهمي السحائب من خلال شقرقها
حتى المصلّي مظلم فكأنه
أبا يزيد: لتلك حكمة خالق
أرأيت عاقبة الجموح ونزوة
أغرّتك بالدنيا فرحت تشنها
تعدو بها ظلماً على من حبه
علم الهدى وإمام كل مطهر
ورثت شمائله براءة «أحمد»
وغلوت حتى قد جعلت زمامها
هتك المحارم واستباح خدورها
فأعادها - بعد الهدى - عصية
فكأنما الإسلام سلعة تاجر
فاسأل مرابض كربلاء ويشرب
أرسلت مارجها فماج يبحره
عبثاً يعالج ذو الصباح فسادها
أين الذي يسلو مواجع أحمد
والزكيات من الدماء يريقها
والطاهرات فديتهن ثواكلاً
والطيبين من الصغار كأنهم
نشكو الظماء لظالمين أصمهم
والذائدين تبعثرت أشلاؤهم
تطأ السنايك بالطغاة أديمها
فعلى الرمال من الأباة مضرّج
وعلى الرمال بقية من عابد
قد طالما حن الدجى لحنيه
أن يجهل الأثماء موضع قدره

والريح في جنباتها تتردد
مذ كان لم يجتز به متعبد
تجلّى على القلب الحكيم فيرشد
أودى بلبك غيرها المترصد
حرباً على الحق الصراح وتوقد
دين وبغضه الشقاء السرمد
ومثابة العلم الذي لا يجحد
فيكاد من برديه يشرق (أحمد)
إرثاً لكل مزمم لا يحمد
ومضى بغير هواه لا يتقيد
جهلاء تلتهم النفوس وتفسد
وكان أمته لآلك أعبد
عن تلكم النار التي لا تخمد
أمس الجدود ولن يجنبها غد
ويطب معضلها الحكيم المرشد
وجراح فاطمة التي لا تضمّد
باغ على حرم النبوة مفسد
تشال في عبراتهن الأكبّد
بيض الزنابق قد عداها المورد
حقد أناخ على الجوانح موقد
بدداً فثمة معصم وهنا يد
مثل الكتاب مشى عليه الملحد
وعلى الجياد من الهداة مصفد
كالشمس ضاء به الصفا والمسجد
وحنا على زفراته المتهجّد
فلقد دراه الراكعون السجدّ

تلك الفواجع ما تزال طيوفها
 ما كان ضرك لو كفت شواظها
 ولزمت ظل «أبي تراب» وهو من
 ولو أن فعلت لصنت شرع محمد
 ولعاد دين الله يغمر نوره الدد
 أبأ يزيد وساء ذلك عترة
 قم وارمق النجف الشريف بنظرة
 أبداً تباكرها الوفود يحثها
 نازعتها الدنيا ففزت بوردها
 وسعت إلى الأخرى فأصبح ذكرها
 أبأ يزيد: وتلك آهة موجه
 هي مهجة حرى أذاب شغافها
 أذكرتها الماضي فهاج دينها
 فبعثه عبأ وإن يك قاسياً
 لم أستطع جلدأ على غلوائها

شهادة الدكتور المؤرخ مصطفى الشكعة المصري:

قال في كتابه: «الإسلام بلا مذاهب»، في فصل «العلويون» ما حرفيته:
 «العلويون فرقة من الشيعة الإمامية، حسبما ذكرنا قبل قليل، ومن ثم، فإن
 نشأتهم الأولى هي نفسها نشأة الإمامية، غير أنها اتخذت سبيلاً آخر بعد
 الإمام محمد الثاني عشر (القائم بالحجة) وبيان ذلك أنه كان لكل إمام باب
 - حسب المذهب الإثني عشري - وكان أول باب هو سلمان الفارسي الذي يحتل
 مقاماً رفيعاً عند العلويين جميعاً، لأنه كان باب الإمام علي رضي الله عنه،
 وآخر باب هو أبو شعيب محمد بن نصير البصري النميري فقد كان باباً للإمام
 الحادي عشر حسن العسكري، أما الإمام محمد القائم بالحجة فمبلغ علمي
 أنه لم يتخذ باباً، لأنه ولي الإمامة سنة ٢٦٠ هـ، وعمره خمس سنوات،

واختفى وعمره إحدى عشرة سنة .

يتولى محمد بن نصير البصري النميري - وقد شغل وظيفة الباب للإمام الحسن العسكري الحادي عشر، زعامة فريق من العلويين، ولهذا ذهب بعض الدارسين إلى أن اسم «النصيرية» الذي عرف به العلويون، في سورية وتركيا لفترة طويلة من الزمن، إنما هو نسبة إليه وليس في ذلك كبير غضاضة فالرجل له مكانة الخضوع والإجلال من قبلهم، وهو رئيسهم الأول من بعد إنقضاء دور الأئمة الإثني عشر غير أن حقيقة التسمية «النصيرية» جاءت نسبة إلى المكان الذي عاش فيه إخواننا العلويون، واتخذوا منه درية وملجأ ضد الأذى، ومستقراً ومقاماً بعيداً عن الإضطهاد، وهو جبل النصيرة، فنسبوا إلى المكان، فلما زالت أسباب الإضطهاد، بزوال الإستعمار، وعاودهم الإستقرار والأمان، في الإستقلال، استعادوا إسمهم الأصلي الذي به يعتزون وهو: «العلويون» نسبة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه^(١) .

وبقدر ما كان العلويون ضائقي الصدور بتسميتهم: «النصيرية» كانوا سعداء كل السعادة باستعادة اسم: «العلويين» فهم يرون أن إطلاق اسم «النصيرية» عليهم لم يكن إلا بداعي العداوة المذهبية، كإطلاق اسم «الروافض» على الإمامية واسم «النواصب» على السنة.

ثم يستطرد الدكتور الشكعة فيقول: «غير أن ستائر النسيان وأسباب الإهمال وموجات التعذيب والإضطهاد، وما يستتبع ذلك من آفات الجهل والتأخر والخوف قد فعلت فعلها في القوم، فكان لكل ذلك أسبابه في عاداتهم وتقاليدهم، بحيث انسحبت على عقائدهم، فكان ما كان من غلو في معتقداتهم لم يكونوا على الأغلب السبب المباشر لها، وإنما شارك في ذلك حياة مضطربة غير آمنة، ومشايخ لا يعلمون من صلب المذهب إلا القشور، وصوفية ارتبطت بمذاهبهم، منذ ولاية السيد الجنبلائي، لم تواكبها متابعة علمية ولا تطور ثقافي فكانت الإنحرافات التي شاعت بينهم ونسبت

(١) مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب، ص ٣٠٣ - مصدر سابق.

إليهم، بعضها صحيح وبعضها مبالغ فيه .

«وإذا لم يكن بُد من كلمة حق تقال في العلويين على مسرى تاريخهم الطويل، فإنَّ كثيراً من الفضل منتسب إليهم لاصق بهم، فلقد تعرضوا للغزو من قبل الإسماعيلية والمضايقه من قبل السنّة، وهم مع ذلك كانوا أصحاب نخوة وفروسية في الحرب، في صفوف جيش سيف الدولة الحمداني، وخاضوا المعارك الباسلة ضد الصليبيين، في صفوف إخوانهم من أبناء عامة المذاهب الإسلامية، وقاوموا بعض طغاة الأتراك، من الحكّام الغاشمين، وكانوا صورة طيبة للجهاد، على مسرى حركات الإستقلال العربية الحديثة التي آخرها أحداث سنة ١٩٢٠ م في سورية، وما حديث البطل العظيم الشجاع الشيخ صالح العليّ ببعيد^(١)» .

(١) إسلام بلا مذاهب: ص ٣٠٦ - مصدر سابق.

الأدوار التاريخية التي تعاقبت على العلويين

العلويون في زمن العباسيين:

يرى العلويون - وهم فرقة من الشيعة الجعفرية الأثني عشرية - بأن الإمامة والخلافة حقّ من حقوق أهل البيت، وهم ينكرون على العباس عم النبي (ص) كمال الإيمان، ولذلك كان العباسيون يضطهدون العلويين إسكاتاً لدعوتهم وقد تمادوا في هذا الإضطهاد زمناً طويلاً، حتى كاد العلويون ينسون أعمال الأمويين لكثرة ما أصابهم من مظالم العباسيين. وحتى أضطر العلويون أن يهاجروا إلى البقاع البعيدة، فكان منهم في خراسان ومصر وكيلكيا وقد سكن العلويون في كيليكيا جهات طرسوس، وأدنه ومصيص، وهرونية، وأياس وكانوا يسمون هذه المدن العواصم، وهاجر قسم منهم أيضاً إلى المغرب الأقصى.

وحينما نقض المنصور بيعته لمحمد بن عبد الله النفس الزكية - رضي الله عنه، هاجر اخو عبد الله إدريس إلى المغرب الأقصى، وفي زمن خلافة هارون الرشيد اجتمع العلويون هناك، وعقدوا البيعة لإدريس هذا، ومنذ ذلك التاريخ تأسست الدولة العلوية الإدريسية في المغرب وقد دامت من سنة ١٧٢ هـ، حتى يومنا هذا، غير أن دولة الأدارسة لم تتخذ الخلافة عنواناً لملوكها، لأن أصحاب الحق كانوا لا يزالون موجودين، وهم بقية الأئمة الأثني عشر (ع)، وقد كان العلويون الذين نزلوا كيليكيا وغربي سوريا عرضة لنكبات الحروب الصليبية.

وكانت مصر في صدر الإسلام علوية، أي بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان، ولكنها لم تعمل في سبيل الإمامة شيئاً، بل بقيت العلوية هناك عبارة عن رابطة

دينية محضة، لا تعلق لها بالسياسة، ولكنها أصبحت بعد ذلك مركزاً سياسياً كبيراً للعلويين.

وقد كان من جملة تضييق العباسيين على العلويين قتلهم محمد بن عبد الله الحسيني وأقاربه^(١)، إذ كان إلتجأ إلى مصر فقبضوا عليه هناك ثم ساقوه إلى المنصور فقتله في بغداد، وفي زمن المتوكل العباسي إشتد هذا الضغط، وكان من أعماله أن أمر بنقل كل من كان من سلالة علي إلى العراق، وهكذا كان، ثم أرسل هؤلاء إلى المدينة، وفي ذلك الزمن إلتزم العلويون التكتم التام، وكان ذلك سنة ٢٣٦ هـ.

وإتفق أن أحد الجنود العلويين إقترب ذنباً يستوجب عقاب الجلد، فأمر حاكم مصر إذ ذاك يزيد بن عبد الله بجلد هذا الجندي، ولما استغاث بالحسن والحسين، زادوا في جلده ثلاثين جلدة، ولما سمع المتوكل في بغداد بذلك، أمر بجلده مائة جلدة أخرى مجازاة له على ذكر هذين الإسمين^(٢). وبلغ من تشديده أن كتب إلى عامله في مصر، سنة ٢٤٧ هـ، بأن لا يؤجر أحدٌ إلى العلويين شيئاً من الأطيان والقرى، وان يحكم الحكام على العلويين بمجرد الإدعاء.

ولما وصلت الحمية نائرة في العلويين بوصول المظالم فيهم إلى هذا الحد نهضوا نهضتهم المعروفة، وظهر فيهم رجل عظيم هو الحسين بن حمدان الخصيبي المصري الذي نفخ فيهم روحاً جديدة، وبذلك تخلصوا من حياة الهون وأصبحوا حكاماً بعد أن كانوا محكومين. وقد أجاد الشاعر أبو فراس الحمداني في تصويره الرائع للحالة آنذاك فقال رحمه الله:

الدين مخترم والحق مهتضم	وفى آل رسول مقتسم
لا يطغين بني العباس ملكهم	بنو علي موالهم وان رغبوا
أتفخرون عليهم لا أبا لكم	حتى كأن رسول الله جدكم
وما توازن يوماً بينكم شرف	ولا تساوت بكم في موطن قدم

(١) تاريخ العلويين: ص ٢٣٩ - مصدر سابق.

(٢) المصدر نفسه: ص ٢٤٠.

ولا لجدكم مسعاة جدّهم
ليس الرشيد كموسى في القياس ولا
ما نال منهم بنو حرب وان عظمت
كم غدرة لكم في الدين واضحة
أأنتم آلہ فيما ترون، وفي
هيات لا قربت قربي ولا رحم
كانت مودة سلمان لهم رحماً
يا جاهداً في مساويهم يكتّمها
ذاق الزبيري غب الحنث وانكشفت
باؤوا بقتل الرضا من بعد بيعته
يا عصبه شقيت من بعدما سعدت
لبئسما لقيت منهم وان بليت
أبلغ لديك بني العباس مألّكة
أيّ المفاخر أضحت في منابرکم
وهل يزيدکم من مفخر علم
خلوا الفخار لعلاّمين ان سنلوا
لا يغضبون لغير الله ان غضبوا
تبدو التلاوة من أبياتهم أبداً
الركن والبيت والأستار منزلهم
وليس من قسم في الذكر نعرفه
صلی إلاله عليهم كلما سجعت

ولا نثيلتکم من أمهم أمم
مأمونکم كالرضا إن أنصف الحكم
تلك الجرائم إلا دون نيلکم
وكم دم لرسول الله عندکم
أظفارکم من بنیه الطاهرين دم
يوماً إذا أقصت الأخلاق والشيم
ولم يكن بين نوح وابنه رحم
غدر الرشيد بيحيى كيف ينکتّم
عن ابن فاطمة الأقوال والتهم
وابصروا بعض يوم رشدهم فعموا
ومعشراً هلکوا من بعدما سلموا
بجانب الطفّ تلك الأعظم الرمم
لا يدعوا ملّکها، ملّاکها العجم
وغيرکم أمر فيهن محتکم
وبالخلاف عليكم يخفق العلم
عند السؤال وعمالين ان علموا
ولا يضيعون حکم الله ان حکموا
ومن ييوتکم الأوتار والنغم
وزمزم والصفاء والحجر والحرم
إلا وهم غير شك ذلك القسم
ورق فهم للسورى ذخر ومعتصم

ويقول الشيخ محمود الصالح، في كتابه، «النبأ اليقين عن العلويين» ما

حرفيته:

«إنّ العلويين هو إسمهم الذي كانوا يعرفون به قديماً، إذ لا جدال أن علويي
اليوم هم أحفاد أولئك العلويين القدماء الذين زانوا مفرق الأمة العربية، بأكائيل

من غار إنتصاراتهم على الروم أيام الدولة الحمدانية، والذين كانوا يعرفون به آنذاك تمييزاً بينهم وهم أنصار الأئمة من أبناء علي (ع) وبين أنصار الخلفاء العباسيين، ولا أعتقد أن مطلعاً، على ما في بطون السير والتاريخ، يخامرهم أدنى شك في علوية الحمدانيين وأشياعهم ومعرفتهم آنذاك بهذا الاسم، وما زال أحفادهم يعرفون به إلى أن سلبهم ساسة الجور عن إنتسابهم إليه بعد ظهور مذهب النصيرية، واستبدلوهم به إسم النصيريين، سيراً على خطة الطعن والتجريح التي أعتادوا سلوكها حيال هذه الفئة العربية المؤمنة بحق آل بيت نبيها، بغية عزلها عن أخواتها من فرق الشيعة، وتبريراً لأعمالهم الوحشية معها، وتمكيناً لهم في الأرض على حساب ظلمها وإرهاقها، ولقد تمّ لهم ما أرادوا، فرقوا بين العلويين وبين إخوانهم الإماميين، وألزموهم اسم النصيريين رضوا أم أبوا، وأفاضوا بدعوتهم به حتى أمسى إسمهم الذين يدعون به، وعلمهم الذي به يعرفون، إلى أن كانت الحرب العالمية الأولى وأخذت شمس الحرية تنشر خيوط أشعتها على عالم الكون مؤذنة بمحو ظلمات الإستعمار وقطع دابر المستعمرين، فهبّ العلويون لمقاومة (فرنسا) حجر الزاوية في بناء الإستعمار الغاشم وهم يلحون بوجود تعريفهم بإسمهم الحقيقي «العلويون» ممّا أضطر الفرنسيين إلى إعلان دعوتهم به»^(١).

العلويون والدولة الحمدانية في حلب:

ذكر العلامة المقدّس السيد محسن الأمين قدس سره في كتابه: «أبو فراس الحمداني» الدولة الحمدانية فقال:

«وكان عصر الحمدانيين عصراً قد إنقسمت فيه المملكة الإسلامية المترامية الأطراف إلى ممالك وإمارات جلّها غير عربية، فكانت خراسان وما والاها بيد السامانيين، وما وراء النهر بيد الغزنويين، وكلتا الدولتين غير عربية، وبغداد وفارس بيد البويهيين وهم من الفرس، والخلافة العباسية في بغداد لا حول لها

(١) الشيخ محمود صالح: النبأ اليقين عن العلويين، ص ٧٤ مؤسسة البلاغ، بيروت، ط ٢

ولا طول، وإنما لها الخطة والمشاركة في السكة في البلاد الإسلامية الشرقية، والشام ومصر بيد الإخشيديين وهم أتراك، وأفريقيا والمغرب بيد الفاطميين، والأندلس بيد الأمويين.

فأنشأ الحمدانيون مملكة إسلامية عربية في الموصل وديار بكر وديار ربيعة والجزيرة وحلب والعواصم إلى منتهى البحر المتوسط شمالاً وإلى مملكة الروم وقاعدتها القسطنطينية شرقاً، وإلى فلسطين ودمشق غرباً فردوا غارات الروم، وأغاروا على بلادهم وفتحوا كثيراً منها، والروم يومئذ في قوتهم، وقهروا القرامطة والخوارج الشراة، كهارون الشاري وغيرهم، وتسلطوا على الأكراد وأخضعوهم، وأخضعوا قبائل العرب المنتشرة في الجزيرة وبادية الشام، صاحبة العدد الكثير والقوة وأدخلوها في طاعتهم، وحاربوا الإخشيديين في الشام وأخذوا منهم دمشق، ثم عادوا إليها بمخامرة أهلها، وكانت هذه المملكة منقسمة بين ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان، وأخيه سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان، وكان لناصر الدولة الموصل والجزيرة ولسيف الدولة حلب والعواصم وما إليها، وكان ناصر الدولة لا يخلو من منازعة البويهيين له، وسيف الدولة يحارب الروم غالباً، وسيد بني حمدان ورئيسهم سيف الدولة، ووزيره وقائده الأول ومحل إعماده في الحروب وقيادة الجيوش وحماية المملكة أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان، ولم يكن سيف الدولة وأبو فراس طالبي ملك صرف وأمانة محضة، بل كان لهما باعث ديني وغيره وطنية على حماية المملكة وحفظها، فسيف الدولة يجمع من غبار غزواته للروم، التي كان يقصد منها ردّ عاديتهم عن بلاده، لبنة ويوصي أن توضع تحت رأسه في قبره، وأبو فراس يقول لسيف الدولة:

فأحوط للإسلام أن لا يضيعني ولي عنه فيه حوطة ومثاب

«وان رجلاً كسيف الدولة وابن عمه أبي فراس يستطيعان إنشاء دولة قوية، عربية إسلامية، نمت في ظلها العلوم العربية والإسلامية والأدب العربي نمواً فائقاً، في عصر تفككت فيه عرى الإسلام والعروبة، وفي بقعة محاطة بالروم من

جهة، وبالإخشيديين والبويهيين الأقوياء من جهات أخرى ومشحونة في داخلها بدعايات القرامطة والخوارج وفتنتهم، وبغزوات الأكراد والقبائل العربية وفسادهم، لرجلان فريدان عظيمان خلّد التاريخ ذكرهما في صفحاته بالعزّ والفخر»^(١).

ولد سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان العدوي التغلبي، سنة ثلاث وثلاثمائة هجري، في بيت عريق يكتنفه المجد، وتحيط به عزّة الإمارة، وما أن بلغ أشده حتى اعتلا ذروة الفخار فملك «واسطاً» ونواحيها ثم تقلبت به الأحوال، فملك «حلب» واتخذها قاعدة ملكه، بعد أن انتزعها سنة ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين هجري، من يد أحمد بن سعيد الكلابي عامل الإخشيديين عليها.

وقال أبو الفداء في تاريخه: «المختصر في تاريخ البشر»: «سيف الدولة أحد الأمراء الشجعان والملوك الكثيري الإحسان، على ما فيه من تشيع، وقد ملك دمشق في بعض السنين واتفق له أشياء غريبة منها أن خطيبه كان مصنف الخطب النباتية أحد الفصحاء البلغاء ومنها أن شاعره كان أبا الطيب المتنبي ومنها أن مطربه كان أبا نصر الفارابي، وكان سيف الدولة كريماً جواداً معطياً للجزيل» إلى أن قال: «ولد سنة ثلاث وقيل إحدى وثلاثمائة، وإنه ملك «حلب» بعد الثلاثين والثلاثمائة، وقبل ذلك ملك «واسطاً» ونواحيها، ثم تقلبت به الأحوال حتى ملك حلب، إنتزعها من يد أحمد بن سعيد الكلابي صاحب الإخشيد»^(٢).

ويقول الثعالبي في يتيّمته:

«كان سيف الدولة الحمداني رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنّة مأواه، غرّة الزمان وعماد الإسلام، ومن به سداد الثغور وسداد الأمور، وكانت وقائعه في عصاة العرب تكف بأسها وتنزع لباسها وتقلّ أنيابها ويذلّ صعابها وتكفي الرعية سوء آدابها، وغزواته تدرك من طاغية الروم الثأر، وتحسم شرهم المثار، وتحسن في الإسلام الآثار، وحضرته مقصد الوفود ومطلع الجود، وقبلة الآمال

(١) محسن الأمين العاملي: أبو فراس الحمداني.

(٢) المختصر في تاريخ البشر: مصدر سابق.

ومحط الرحال، وموسم الأدباء، وحلبة الشعراء ويقال: إنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدهر، وإنما السلطان سوق يجلب إليها ما ينفق لديها، وكان أديباً شاعراً محباً لجيد الشعر شديد الإهتزاز له، ومن ملح شعره ما قاله في وصف قوس قزح وهو أحسن ما سمعته فيه على كثرته، وهذا من التشبيهات الملوكية التي لا يكاد يحضر مثلها السوقه وهالك قوله:

وساق صبيح للصبح دعوته
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفاً
يطوف بكاسات العقار كأنجم
يطررها قوس الغمام بأصفر
كأذيال خود أقبلت في غلائل
فقام وفي أجفانه سنة الغمض
على الجود كفاً والحواشي على الأرض
فمن بين منقض علينا ومنقض
على أحمر في أخضر تحت مبيض
مصبغة والبعض أقصر من بعض

«وفي سنة ٣٣٩ غزا سيف الدولة الروم، وتوغل في بلادهم، وأغتنم أموالاً لا تحصى ومن كثرة الغنائم لم يستطع الرجوع بانتظام، ووقع في كمين الروم فاسترد الروم أموالهم.

«وفي سنة ٣٤٣ غزا الروم أيضاً، وأغتنم أموالاً أكثر من المرة الأولى، وقتل في الحرب ابن ملك الروم، فعندها استمد ملك الروم من الروس والبلغار العون، بقوات عظيمة، وقصدوا البلاد الإسلامية، وكان سيف الدولة قد تجهز للحرب، والتقى الفريقان، ووقعت بينهم حروب هائلة، وكان النصر حليفاً لجيوش سيف الدولة. وبعد إنهزام الروم إنهماً تاماً أسر المسلمون صهر دمستق المشهور وابن بنته مع أعظم القواد.

«وفي سنة ٣٤٥ غزا سيف الدولة بلاد الروم وداوم غزوه حتى وصل إلى أماسية، وأخذ قلاعاً عديدة، وأموالاً كثيرة، ورجع لمقره ظافراً منتصراً.

«وفي سنة ٣٤٩ هـ غزا سيف الدولة بلاد الروم، وخرّب البلدان، وقتل رجالها، وأسر الصبيان والنساء، وأغتنم الأموال، ولكن عند عودته كانت الروم

أخذت كوكب و قطعت طريقه ، فأشار عليه أهل طرسوس بقتل الأسرى والرجوع لتخريب بلاد الروم ، لأن الرجوع صعب وغير ممكن ، فإذا أعاد الكرة عليهم يفتحون له الطريق ، ولكنه لم يفعل وتجاوز على المرابط ، فغلبت عساكره ولم ينج منهم سوى ثلاثمائة شخص ورجع هو معهم بعد مشاق .

وفي سنة ٣٥٠ ، أرسل سيف الدولة غلامه نجا من جهات ميفارقين ، ودخل بلاد الروم وأتى بغنائم وأسرى كثيرين .

وفي سنة ٣٥١ ، أتى دمستق إلى عين الزربة ، ونقض عهده مع أهلها ، وبعد أن أخرجهم قتلهم ظلماً ، والذين نجوا من يد الروم هلكوا على الطريق وقد أحرق عين الزربة بعدما أخذ مقدار خمسين قلعة من المسلمين وقتل أكثر أهلها ثم رجع لبلدة قيصري .

ويتابع الثعالبي في يتيمة الدهر : «يقال : إن سيف الدولة غزا الروم أربعين غزوة ، له وعليه فمنها : إنه أغار على زبطرة ، وغرقة ، وملطية ، ونواحيها ، فقتل وأحرق وسبى ، وانشى قافلاً إلى درب موزار ، فوجد عليه قسطنطين بن فردس الدمستق فأوقع به وقتل صناديد رجاله وعقب إلى بلدانه ، وقد تراجع من هرب منها ، فأعظم القتل وأكثر الغنائم وقد عبر الفرات إلى بلاد الروم ولم يفعله أحد قبله ، حتى أغار على بطن هنزيط ، فلما رأى فردس بعد مغزاه وخلو بلاد الشام منه ، غزا نواحي أنطاكية ، فأسرى سيف الدولة ، لا يتظر متأخراً ولا يلوي على متقدم ، حتى عارضه بمرعش فأوقع به وهزمه ، وقتل رؤوس البطارقة وأسرى قسطنطين بن الدمستق ، وأصابته الدمستق ضربة في وجهه ، وأكثر الشعراء في هذه الواقعة ، وفيها يقول أبو الطيب المتنبي قصيدته التي مطلعها :

لكل أمرىء من دهره ما تعودا وعادة سيف الدولة الطعن في العدا^(١)

وقال الشيخ ناصيف اليازجي ، في ذكر بناء «الحدث» وهي قلعة عظيمة

(١) الثعالبي : يتيمة الدهر .

الشأن^(١) : كان سيف الدولة قد سار نحو ثغر «الحدث» لبنائها، وقد كان أهلها سلموها إلى الدمستق بالأمان، سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة هجرية، فنزلها سيف الدولة يوم الأربعاء ثامن عشر جمادى الآخرة، سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة هجري. وبدأ من يومه فوضع الأساس، وحفر أوله بيده، فلما كان يوم الجمعة نازله ابن الفقاس الدمستق في نحو خمسين ألف فارس وراجل ووقع القتال يوم الإثنين سلخ جمادى الآخرة، من أول النهار إلى العصر، فحمل عليه سيف الدولة بنفسه في نحو خمسمائة من غلمانة، فظفر به وقتل ثلاثة آلاف من رجاله وأسر خلقاً كثيراً، فقتل بعضهم وأقام حتى بنى الحدث، ووضع بيده آخر شرفة منها، في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب، فأكثر الشعراء في هذه الواقعة، وفيها يقول المتنبي قصيدة مطلعها:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
ومن هذه القصيدة العصماء:

ولست مليكاً هازماً لنظيره ولكنتك التوحيد للشرك هازم
هنيئاً لضرب السيف والهام والعلی وراجيك والإسلام إنك سالم
ولم لا يقي الرّحمن حدّيك ما وقى وتفليقه هام العدا بك دائم

والظلم الذي لقيه العلويون لم يستطع أن يغيب من ذاكرة التاريخ ما كان لهم من دول، عاش أبطالها وماتوا في سبيل رفع كلمة الله، وجعل كلمة القرآن الكريم هي العليا، فقد عرفوا في التاريخ الإسلامي بأندفاعاتهم الفدائية، وبنوا دولاً علوية في أواخر العصر العباسي، ومن هذه الدول:

١ - دولة الفاطميين العلويين في المغرب ومصر.

٢ - دولة البويهيين العلويين في العراق.

٣ - دولة بني عمّار في طرابلس الشام.

(١) الشيخ ناصيف اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب.

٤ - دولة التوحيين العلويين في اللاذقية .

٥ - دولة بني حمّود في الأندلس .

٦ - دولة الحمدانيين في حلب، وهي من أهم الدول العلوية في التاريخ :
٢٣٢ هـ - ٣٩٣ هـ .

٧ - دولة الحمدانيين في الموصل : ٢٩٣ هـ - ٣٦٨ هـ .

٨ - دولة بني الأحمر في الأندلس .

هذه الدول التي حدّث عنها التاريخ وأشاد بمآثرها الإسلامية الخالدة، وكيف أنّها أبلت في سبيل الله البلاء الحسن، ودافعت عن الثغور الإسلامية أشدّ دفاع، بأقوى عزيمة، وصانت العقيدة من التحريف والتشويه^(١) .

وتستلزم الضرورة التاريخية الموضوعية الإشارة إلى أنّه رغم ما مني به العلويون في تاريخهم من فواجع، فقد عرف التاريخ الإسلامي إشراقات التوحيد الفعلي بين المسلمين، وكان ذلك في زمن الخليفة الأموي العادل عمر بن عبد العزيز، الذي إلتمس عطف العلويين خصوم بني أمية القدماء، بأن أعاد فدك^(٢) التي سبق للنبي (ص) أن نحلها فاطمة الزهراء (ع)، وأخذها منها الخليفة الأول أبو بكر «رض» وبأن ألغى سب الإمام علي بن أبي طالب (ع) وأهل بيته من على المنابر، وكان أسلافه من بني أمية يلعنونه، حتى لقد أمسى سنّة وعادة، ووضع بدلاً منها قول الحقّ سبحانه ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾^(٣) والله درّ الشريف الرضي^(٣) رضي الله عنه حيث يقول :

يا ابن عبد العزيز لو بكت العين فتى من أمية لبكيتك

(١) العلويون والتشيع : ص ٤٥ مصدر سابق .

(٢) سورة النحل : الآية ٩٠ .

(٣) العلويون والتشيع - ص ٤٦ .

غير أني أقول إنك قد طببت
 أنت نزهتنا عن السبّ والشتم
 ولو أني رأيت قبرك لأستحييت
 وقليل أن لو بذلت دماء البدن
 دير سمعان فيك مأوى أبي حفص
 دير سمعان لا أغشك غيث
 أنت بالذكر بين عيني وقلبي
 وإذا حرّك الحشا خاطر منك
 وعجبت أنني قليت بني مروان
 قرّب العدل منك لمّا تأتي
 فلو أني ملكت دفعا لمانا
 وإن لم يطب ولم يذك بيتك
 ولو أمكن الجزاء جزيتك
 من أن أرى وما حيتك
 ضرباً على الذرى وما سقتك
 فبودي لو أنني أويتك
 خير ميت من آل مروان ميتك
 إن تدانيتُ منك أو إن نأيتك
 توهمت أنني قد رأيتك
 طراً وأنني ما قليتك
 الجور منهم فأجويتهم واجتيتك
 بك من طارق الردي لفديتك

وعن حال العلويين في عهد الدولة الحمدانية، يقول الشيخ محمود الصالح: «في غضون ذلك العهد الميمون أمن الساحل السوري من غوائل الغزاة الإفرنج رغم توالي غزواتهم عليه، والتي كانوا في أيها ينكصون على أعقابهم مذمومين مدحورين، بفضل ما كان من روابط قومية واجتماعية وأواصر وّدوقرى وتوثق عرى صداقة وولاء، بين هذا المليك الغازي وبين ولاية ثغور الساحل الأشداء، وبتماسكهم للذود عن حوضه تماسكهم بالولاء لآل البيت الطاهرين (ع)، وبإجماعهم على حمايته إجماعهم في الأذان على «حي على خير العمل».

«فقد كان على أنطاكية الأمير أبو العشائر الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان، وعلى اللاذقية الأمراء التنوخيين، وفي طليعتهم الأمراء، محمد وحسين إبن إسحق التنوخي، وعلي ومعاذ ابنا إبراهيم التنوخي، وعلى الجنوب من طرابلس إلى طبرية الأمير ابو الحسن رائق بن خضر الغساني، ثم ابنه الأمير محمد بن رائق المعروف بأمر الأمراء، وكان عامله على صور، وصيدا ومرجعيون الأمير بدر بن عمّار بن اسماعيل، وجلهم مدحه المتنبّي، وقد مرّ بنا

ذكرهم في الفصل الثاني من هذا الكتاب»^(١) .

ورغم ما حاق بالعلويين في تلك الآونة، من نقص في النفوس وفي الأموال والأموال، بسبب صدّ غارات الروم وغزوات الإفرنج المتتالية من جهة، والعمل لإخماد الإضطرابات الداخلية، كفتن الأكراد والبدو والخوارج الشراة من جهة ثانية مما سبب ضعفاً وقلة في عدد العلويين وعددهم، فإنّ العلوي يعتبر ذلك العهد من أخصب وأمرع عهود تاريخ حياته، لأن حكمه نفسه بنفسه واستعلاء كلمة دينه ومذهبه على يده كانا ينسيانه آلام القتل والتخريب، ومشاق الأسر، والأسفار، ويجددان فيه العزم والنشاط، فيقبل على الجهاد والتضيحة بقوى لا تعرف الخور، وعزائم لا يتسرب إليها الإنحلال.

وقد ذكر صاحب كتاب «تاريخ العلويين» محمد امين غالب الطويل: «أن السيد حسين بن حمدان الخصيبي المصري، بعد مجاهداته العظيمة ونجاحه، في ديار الديلم، وخراسان والفرس والعراق، جاء لحي بني حمدان وسكن في حلب مع تلميذه سيف الدولة لحين وفاته، في سنة ٣٤٦ هـ.

«والسيد محمد الجلي الكبير كذلك سكن في حلب، وأصبحت بلدة حلب المرجع الوحيد للعلويين الذي أتبعوا الباب السيد محمد أبا شعيب البصري النميري. وبعد محمد الجلي أي بعد أيام بني حمدان، إنتقلت مشيخة العلويين للسيد أبي سعيد الميمون سرور، وقد رحل حضرته إلى اللاذقية، وسكن فيها، وهناك زاره أعظم بني هلال وساعده على قتل عدوه أي رئيس حزب إسحق الأحمر، وهو اسماعيل بن خلاد المعروف بإسم «أبو ذهية».

ولكن عندما رحل بنو هلال انحلت التشكيلات الدينية عند العلويين، وتفرقوا على مراكز دينية غير مربوطة ببعضها، والمراجع الدينية تسمى: «المشايع»، وتفرّد أهل جبل النصيرة بالتقوى.

«وبعد أفول سلطنة بني حمدان في حلب، أصبح العلويون مرتبطين سياسياً

(١) النبا اليقين عن العلويين: ص ١٣٩ مصدر سابق.

ودينياً بالعلويين المصريين، وبالإختصار نقول: إن مهاجمات الصليبيين جعلت مركز العلويين المنقول، من حلب إلى اللاذقية، ضعيفاً واكتسب مركز مصر أهمية اللاذقية.

أما المركز الشرقي الموجود في بغداد فقد إنفرط عند وقوع النكبة في بغداد، وأخيراً إنفرط مركز مصر العظيم الذي كان يرأسه رؤساء عائلة البلقيني. وذلك في أيام السلطان سليم، وليومنا هذا، لم يتعين لهم مركز منفرد، بل كان شيخ من المشايخ العظام إستقل في رئاسة مركز صغير، وهذا أعظم خسارة للعلويين، وهو من أهم أسباب عدم توحيد كلمتهم^(١).

حكومة التنوخيين العلوية في اللاذقية:

العلويون التنوخيون والغسانيون هم أقدم السكان العلويين الموجودين الآن في سوريا، ولم تكن في اللاذقية وجبال النصيرة تشكيلات إدارية منتظمة قبلاً، بل كانت كل قرية وبلدة مستقلة عن أختها، ولم يكن من السنة في ذلك المحيط إلا نفر قليل في جبله، وكانت جهات صهيون يقطنها اليهود، واللاذقية كان يسكنها المسيحيون والعلويون، وكان أكثر أهل الجبل علويين وكانت معيشتهم شبه إنفرادية، ولكن عندما استولت الروم على محيط اللاذقية، في سنة ٣٥٧، شعر العلويون بالتشكيلات الإدارية والعسكرية، واغتموا الفرصة وأعلنوا القيام على الروم، وكان يرأسهم حسين بن إسحاق الضلعيني العلوي التنوخي، ففازوا واستقل في اللاذقية سنة ٣٦٨، ثم حكم مدة محمد بن إسحق التنوخي، ثم عقبه أخوه إبراهيم.

حافظت دولة اللاذقية العلوية على استقلالها، إلى حين مجيء أهل الصليب، حيث إنقرضت في سنة ٤٧٧ هـ، وبقيت اللاذقية في يد الصليبيين مقدار تسعين سنة، حتى مجيء صلاح الدين الأيوبي الذي استردها وألحقها ببلاد الإسلام ثانية.

(١) تاريخ العلويين: ص ٣٢٥ مصدر سابق.

ونبقي العلويون فيها تابعين للمشايخ المسمّى كل منهم «إمام البلدة» وهو مرجع العلويين في الإفتاء والأمور الدينية، ولكن لم يكن يوجد لديهم تشكيلات سياسية قوية .

أما بنو العريض فهم من الغسانيين، وهم من العرب القدماء في سورية، وقد اهتموا للإسلام على يد أبي ذرّ الغفاري في الشام، ولما استقلت الولايات في أيام العباسيين، استقل محمد بن رايق الغساني، في سنة ٣٢٨ هجرية، وكان مركزه في الشام وطرابلس وطبرية وما بينها من القرى والبلدان، وقد جاء محمد بن رايق، في سنة ٣٢٨، إلى الشام، وأول ما أخذ حمصاً وبعدها الشام، وكانت قبلاً في يد بدر بن عبد الله العامل عليهما من قبل الإخشيد التركي، وبعد نجاحه هجم محمد على مصر، ثم تصالح مع الإخشيد سنة ٣٣٣ هـ. ونصب بدر بن عمّار والياً على طرابلس. وفي أيامه كانت طرابلس من أعظم المراكز للعلويين، وكان محمد بن رايق أمير الأمراء في بغداد، وهذا المنصب أكبر من سلطنة الشام فبقي في بغداد واندرثت حكومته فيما بعد .

دولة بني حمود العلوية:

وقعت أشدّ المصائب والمضايقات الأليمة على العلويين في زمن الحكم العباسي، ولم يبق لهم سوى المحيط الإسلامي، وقد هاجروا من مركزهم بغداد، ورحل أغلبهم إلى أفريقيا حتى عبروا جبل طارق، وتوطن بعضهم في الأندلس، واستقل بعض العلويين في الأندلس سنة ٤٠٧ هـ. وهم بنو حمّود، وكانت أول دار لملك العلويين، بني حمّود، بلدة قرطبة وبعدها مالقة، وكانت مدة ملكهم ٤٢ سنة، وإنقراضهم سنة ٤٤٩ هـ وعدد ملوكهم ثمانية .

وأول بني حمّود هو علي الملقب بـ«المتوكل على الله» وكان عاملاً على مدينة سبتة، في أيام سليمان بن عبد الملك الأموي، وعندما ظهر الفساد وعمّ الخلل في الأندلس، ذهب علي إلى بلدة مالقة وأخذها. وفي سنة ٤٠٧ استولى على بلدة قرطبة واستقلّ فيها، وبعد سنة ونصف قتله غلمانة في الحمام، وجلس

مكانه «المأمون القاسم» .

ونقل المأمون مركزه من قرطبة إلى اشبيلية . وعند ذلك خرج عليه ابن أخيه يحيى، وأخذ منه قرطبة في سنة ٤١٢، وبعد سنة توفي المأمون القاسم، وجلس مكانه «المعتلي بالله يحيى» وتوفي في حرب سنة ٤٢٧، وجلس مكانه أخوه «المؤيد بالله إدريس» وقد توفي هذا في سنة ٤٣١، وجلس مكانه «المستنصر بالله حسن بن يحيى» وبعد سنتين توفي هذا وجلس مكانه «المتعالي بالله إدريس بن يحيى» وكان هذا لين الجانب كثير الصدقات، وكان كل يوم جمعة يتصدق على الفقراء بخمسمائة ليرة ذهباً، ويعطي لكل من قصده الشيء الذي يطلبه، وقد خلع في سنة ٤٣٨ وجلس مكانه «المهدي محمد بن إدريس» وعند وفاته إنقرضت حكومة بني حمّود .

وبعد إنقراض دولة الأمويين في الأندلس استقل الولاة فيها، ومن جملتهم بنو هود الذين أخذوا سرقسطه والشجر الأعلى واستقلوا، وعندما وقع الضعف بيني هود إتفق العلويون هناك، واعلنوا إستقلالهم في سنة ٦٣٠ هـ . وأول أمير لحكومة بني الأحمر العلوية هو أحد أعيان بلدة قرطبة، وبعد استقلاله سمي «السلطان أبا عبد الله محمّد»، وقد دام حكم أبي عبد الله مدة ٤٢ سنة، وله غزوات عديدة، ولم يكن يُغلب أبداً بل كان الظفر حليفاً له في جميع غزواته .

وبعد وفاة أبي عبد الله جلس مكانه ابنه «الأمير محمّد» ثمّ خلفه ابنه المسمّى «الأمير محمد» ومن بعده الأمير «نصر»، وفي أيام الأمير نصر، وفي سنة ٧٠٨، إتفقت الحكومات المسيحية، وجمعت جيشاً بإسم أهل الصليب، وهجموا على مملكة بني الأحمر، وكان الظفر حليفاً للأمير نصر في هذه الحروب العظمى .

بعد الأمير نصر جلس مكانه ابنه «الغالب بالله إسماعيل» وقد تألب عليه أكثر من عشرين حكومة عيسوية، وهجموا عليه بقوة تزيد على مائة ألف رجل كاملي العدة، فقابلهم الملك الغالب بالله، وعدد جيشه «١٥٠٠٠ فارس» و«٣٠٠٠٠ راجل» .

وأحاط الصليبيون بالعلويين ، عند ذلك هجم الغالب بالله ، بشجاعة خارقة ، على النقطة التي كان فيها ملوك الإفرنج مجتمعين وقتلهم جميعاً ففرقت جيوشهم وولت الأديار .

وبعد دوام سلطته عشر سنين قتل الغالب غدرًا ، وجلس مكانه ابنه محمّد ، وقتل هذا غدرًا أيضاً وجلس مكانه أخوه يوسف وقد قتل شهيداً ، أثناء صلاة العيد سنة ٧٥٥ ، وجلس مكانه ابنه محمد ، وخلع الأمير محمد سنة ٧٦٤ ، وجلس مكانه أخوه إسماعيل ، ومن بعده ابنه يوسف ، ثم محمد بن يوسف ، ومن بعده أبو عبد الله محمد ، ثم يوسف ، ثم الأمير علي ، ثم المستعين بالله سعد ، وفي سنة ٨٦٩ ، حبس ابنه أبو الحسن علي ، ثم الحسن ثم محمد ، وعندما أسرت الجيوش الصليبية محمداً المذكور ، جلس مكانه ثانية أبوه الحسن ، ومن بعده أخوه محمّد ، وعند خلاص محمد بن الحسن من الأسر تحارب مع عمه محمد ، وضعفت قوة الجانيين ، واغتمت الفرصة الصليبيون ، واستولوا على بلاد بني الأحمر في الأندلس .

وفي سنة ٨٩٦ ، استولى الصليبيون على غرناطة ، وانقرضت دولة بني الأحمر^(١) .

هجرة الأمير حسن المكزون السنجاري ٦٢٠ هـ

هو الأمير حسن بن الأمير يوسف مكزون بن السيد خضر بن السيد ترخان بن السيد محمد بن رائق بن السيد حسن بن السيد ترخان بن السيد عبد الله بن السيد محمّد بن السيد علي بن السيد حسين بن الأمير مفضل بن الأمير يزيد بن الأمير مهلب بن أبي صفرة الغساني الأزدي ، وينتهي نسبه بملوك اليمن^(٢) .

وحينما استولت الصابئية على مواطن العلويين ، ثم زحف الأكراد بصفة

(١) تاريخ العلويين - مصدر سابق .

(٢) تاريخ العلويين : ص ٣٦٠ مصدر سابق .

المهاجرة لحي العلويين، وأخذ الإسماعيليون بتشديد الوطأة عليهم، حين ذلك استمد العلويون من أمير سنجار الشيخ حسن المكزون السنجاري، سنة ٦١٧ هـ العون. وقد جاء لأول مرة ومعهم خمسة وعشرون ألفاً من العلويين، ونصب خيامه على عين الكلاب، بقرب قلعة أبي قبيس، وعلى سطح جبل الكلبية، وكان ممن إلتجأوا إليه الشيخ محمد البانياسي والشيخ علي الخياط اللذين سافرا لسنجار، وأبلغا الأمير حالة العلويين ومضايقة الأتراك والأكراد والإسماعيلية لهم، فجاء بقوة ظن بأنها كافية.

ولما كان صلاح الدين الأيوبي قد نسق العساكر الإسلامية، وترك من كان رومياً أرمينياً أو صقلياً، وباشر في استخدام الأتراك والأكراد، فلذلك امتلأت سوريا بمهاجري الأكراد، وانتبعت الأكراد لمجيء الأمير حسن المكزون، فأيقظت حلفاءها، وتجمعوا في مصيف، وأغاروا ليلاً على خيام الأمير، وعساكره وغلبوه، فرجع لسنجار خائباً.

وبعد ثلاث سنين من رجعة الأمير حسن، عاد فزحف من سنجار على منطقة العلويين في سوريا ومعهم خمسون ألف مقاتل، عدا النساء والصبيان وهم الذين تشكلت منهم العشائر الحدادية والمتاورة والمهالبة والدرأوسة والنملياتية وبني علي، وقد جاء عن طريق حلب، فالتحق به من هناك بعض العلويين، واحتل المنطقة بعد حروب هائلة، وقد انجذته عائلة البلقيني، بقوة من مصر، وسكنت في جبلة^(١).

عاد الأمير حسن المكزون، وأخذ قلعة أبي قبيس عنوة، واستولى على جبل الكلبية، في مدة ثلاثة أشهر وكانت الرياح تمنعه من اجتياز جبل الشمر، لأن الرياح التي تهب في الجانب الشرقي من الجبل، لم يكن مثلها في الشرق الأدنى.

وعندما استولى الأمير على شواحق جبال النصيرة التي تسمى «الشمر» جعل جبهته الحربية ممتدة ما بين الشرق والغرب، ووجهته إلى الجنوب. وكانت الإسماعيلية قد تركت الأكراد وحدهم في الحرب وصاقت الأمير والعلويين،

(١) المصدر نفسه: ص ٣٦١.

وكان الأمير يسوق أمامه عدداً عظيماً من الأكراد إلى الجنوب، حتى أوصلهم إلى جبل الثلج من جهات عكار، ثم رجع لقلعة أبي قبيس وجعلها مركزاً له، ثم إتخذها مسكناً في الصيف، وجعل قرية سيانو المجاورة لخربة جبلة مشتى له.

وعندما استولى الأمير على الجبل والمنطقة، وأزال الأكراد الذين كانوا مستولين على شرقي المنطقة وأجلاهم عنها وأسقط نفوذ الإسماعيلية، وجمع الكتب الموجودة من عقيدة إسحق الأحمر، وهي شديدة الغلو والضلال واتلفها بالكامل إرتاح العلويون لهذا الإنجاز الكبير.

إنّ قسماً كبيراً من العلويين يعتبرون الأمير حسن المكزون من أعظم مشائخ العلوية المتأخرين، ومن أشهر الأتقياء، لأنه بعدما استخلص العلويين، ونظم أمورهم وسهل لهم أسباب الرفاه، ترك الأمور الدنيوية وأسلم نفسه للتصوف والعرفان والدين. وقد أفتح هذا الأمير باباً أدى إلى إنقلاب في الدين، ومن قبله لم يكن إلاّ الخواص يقفون على نكات الدين في العلوية، وكانت المعرفة لحقوق ووظائف أهل البيت منحصرة في الخواص، بل في خواص الخواص.

وقد كتب الأمير ديواناً شعرياً مشحوناً بالإشراقات الصوفية، والألغاز العرفانية، وهو يعتبر وفق هذا الديوان من فحول الشعراء العرب في القرن السادس الهجري، وقد اتبع أثره من بعده بعض المشايخ، ونظموا الأشعار المكتومة المعاني الكثيرة الألغاز والأحاجي، وله في أهل البيت النبوي عليهم السلام شعر جيد.

كانت ولادة الأمير حسن في سنة ٥٨٣ هـ - ووفاته في سنة ٦٣٨. والمشهور أنه قد دفن في قرية كفرسوسة، بقرب الشام^(١). وهو مزار مشترك للسنين، والعلويين، وقيل إنه مدفون في سنجار العراق، والله أعلم.

وقد كان مجيء الأمير حسن فاتحة خير، لدور سعيد وحياة طيبة للعلويين، وكان على العلويين والإسماعيليين آنذاك - وهما فرقان

(١) تاريخ العلويين: ص ٣٦٣.

شيعيتان - أن يتحدوا تجاه الأعداء المشتركين .

وفي أيام الفاطميين وبني بويه، وهما من أحسن الأدوار الشيعية، وقع إفتراقهم سياسياً، إلا أن هذا الإفتراق لم يصل إلى درجة الحروب والعدوان، وكان من الحكمة أن يتحدوا أمام المصائب الصليبية .

وبعد مجيء الأمير حسن المكزون، أحسَّ الإسماعيليون بوجوب الإتحاد فاجتمع زعماء الفريقين في صافيتا، وكان الإختلاف الأبرز في أساس واحد، وهو أن الإمامة عند العلويين، مثلهم كإخوانهم الجعفرية الأثني عشرية، تسري في الإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع) وتنتهي عند الإمام المهدي محمد بن الحسن الحجة عجل الله فرجه، والإسماعيلية تقول بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق (ع)، وما زالت الإمامة عندهم سارية المفعول حتى يومنا هذا، وفي ذلك الزمن كان الإمام عند الإسماعيلية مكتوماً. ولم يبق لإتحاد العلويين الإثني عشرية والإسماعيلية سوى النية الحسنة. ولكن لم تكن هذه النية الحسنة ضمن التقدير الإلهي، وانفرط المجلس دون نتيجة سنة ٦٩٠ هـ .

وبالرغم من المساعي المصروفة في المجلس الديني في «عانة» بالعراق، لم تتحقق الأمانى . إلا أن الإتحاد في مصر تكوّن بحالة طبيعية، في أيام المماليك البحرية، وأنداك كانت العلوية والجعفرية على وفاق تام مع الإسماعيلية، وكان أمراء الإسماعيلية ومقدموا العلوية يلتحقون بجيش المماليك، ويشاركون بعضهم بعضاً في الجهاد وتحت راية المماليك المصرية. وفي الأصل، كانت حكومة المماليك تشتغل في استخلاص أوطان العلويين من تعديات الصليبيين وتظهر البقية. وفي سنة ٦٨٩، في أيام السلطان المنصور، إعتدئ العلويون على الصليبيين واستولوا على قلعة المرقب التي لم يستطع صلاح الدين الأيوبي الإقتراب منها، وبعد مدة قليلة إستردها الصليبيون، ولكن دامت العلوية في عزمها واستولت عليها في سنة ٦٩٩ هـ^(١) . وبعد أخذها هدموها خشية تكرار التحصن بها .

(١) تاريخ العلويين - مصدر سابق .

ومن شعر المكزون السنجاري في العلويين وأهل البيت (ع) قوله :

قد بدت البغضاء منهم لنا كمالهم منا بدا الحب
ومالنا إلا موالانا لآل طه عندهم ذنب

ويقول في أهل البيت (ع) :

ما زال يخفيني الغرام بحبكم حتى خفيت به عن الأوهام
وفيت حتى لو تصورني الفنا لم يدر أين أنا وفيه مقامي

وقوله :

وعيّروني بذلي في محبتهم وبالذي عيّروني تمّ لي الشرف

قيام الدولة المرديسية وسقوطها:

بعد موت سيف الدولة ومقتل الشاعر أبي فراس، أخذ الوهن والضعف يدبّ في جسم الدولة الحمدانية، وثار قرعويه، وهو من الغلمان الموالي، على الملك سعد الدولة سنة ٣٥٩ هـ. فاستحوذ على حلب فخرج منها خائفاً يترقب، فذهب إلى أمه في «ميفارقين» وهي بنت سعيد بن حمدان أخت أبي فراس، فمكث عندها حيناً ثم سار إلى حماة فملكها وسعى في إمارة حمص التي كان خرّبها ملك الروم سنة ٣٥٩ هـ. ذلك أن ملك الروم دخل إلى طرابلس، فأحرق وسبى وقتل منها خلقاً كثيراً، وكان صاحب طرابلس قد أخرجها منها أهلها لظلمه، فأسر الروم واستحوذوا على أمواله وهي كثيرة، ثم مالوا على السواحل فملكوا ثمانية عشر بلداً سوى القرى، وتنصر خلق كثير على أيديهم وجاؤوا إلى «حمص» فأحرقوا ونهبوا وسبوا، ومكث ملك الروم شهرين يأخذ من البلاد ما أراد، ويأسر من قدر عليه وصارت له مهابة في قلوب الناس، ثم عاد إلى بلده ومعه من السبي نحو من مائة ألف، ما بين صبي وصبية، وبعث سرية إلى الجزيرة فنهبوا وسبوا، وعاد الروم إلى انطاكية فملكوها وقتلوا خلقاً كثيراً من أهلها، وركبوا إلى حلب وأبو المعالي محاصر قرعوية الذي انتزعه ملكها فخانهم وهرب منها فحاصرها

الروم وأخذوا البلد وامتنعت عليهم القلعة، ثم أصطلحوا مع «قرعوية» على هدية ومال يحمله إليهم كل سنة، وسلموا إليه البلد ورجعوا عنه، وفي عودة أبي المعالي عن حلب، هرباً من ملك الروم، رجع إلى عمارة حمص، وبعد أن أتم ترميمها سكنها إلى ان كانت سنة ٣٦٦ هـ. حيث إختلفت الأمور على قرعوية، فكتب أهل حلب إلى أبي المعالي، وهو في حمص أن يأتيهم. فسار إليهم وحاصر «قرعوية» في حلب أربعة أشهر ثم إفتحها^(١).

وبعد موت سعد الدولة، خلفه على المملكة ابنه سعيد الدولة ابو الفضائل الذي اضطربت في عهده نار الفتن، فعجز عن إخمادها وكثرت حوادث الشغب والإضطرابات الداخلية، فلم يستطع ضبط الأحوال، ولم يحسن تصريف الأمور، وكانت قبائل البادية، وفي مقدمتها قبيلة بني مرداس، تلعب دوراً هاماً في حقل إثارة الشغب على الملك الواهي، وحمل الأمة على شق عصا الطاعة عليه، وقد اغتتم المرदाسيون ضعف الحمدانيين فرصة للقبض على ناصية الحكم، فاستولوا على حلب قاعدة مملكة الحمدانيين، وبنوا دولتهم على أنقاض تلك الدولة المترامية الأطراف، التي كان يخشى بطش رجالها ملك الروم.

وباستيلاء المرदाسين على حلب، أخذ التاريخ يغفل ذكر العلويين، وفي سنة ٤١٩ هـ جاء جيش كثيف من مصر إلى حلب، وعليها الملك «أبو علي صالح بن مرداس بن إدريس الكلبي» الذي لقب نفسه: «أسد الدولة فاقتل مع الجيش المصري الذي رجع عن حلب، بعد أن قتل «أسد الدولة» ثم قام بعده على حلب حفيده «نصر» المعروف «بشبل الدولة» وما زالت الدولة المرداسية في حلب إلى سنة ٤٢٩ هـ. حيث قتل الجيش المصري الفاطمي «شبل الدولة» آخر ملوك بني مرادس، واستولى المصريون على حلب وأعمالها^(٢). وضموها إلى ملكهم في مصر، كما ضموا الشام من قبل.

وقد ساهم العلويون بتقوية روح الدعوة الفاطمية وعملوا بكل ما أوتوا من

(١) المختصر في تاريخ البشر: أحداث سنة ٣٥٩ و ٣٦٦ هـ. مصدر سابق.

(٢) المصدر نفسه.

قوة لنجاحها، وإيصالها إلى النفوس، ونشرها في البلاد إعتقاداً منهم أن الخلافة هي حق أبناء فاطمة (ع)، وقد آن لهذا الحق المغتصب أن يعود إلى أهله، وتخلصاً من حكم الدولة المرداسية التي سلبتهم سلطانهم، فأسرعوا إلى البيعة يتفياًون ظلال دولة علوية هاشمية، مكتفين بإعلان شعائرهم الدينية، وإعلاء كلمة مذهبهم الولائي، وكلهم عيون متطلعة، وآمال باسمة للمستقبل الذي عملوا لإزدهاره، وفزعوا من حاضرهم إليه، فلم يضمنوا بثمين في سبيله، ولا رغبوا بشيء عنه، ينشدون الراحة في أفيائه، والحرية ترف عليهم من أجوائه، فيحيون حياة تنسيهم آلام حاضرهم، وتعيد إليهم ذكرى ماضيهم الطيبة العبير، ولكن في القدر ما لم يكن في حسابهم^(١).

ولقد تنكر الفاطميون لإخوانهم العلويين، وجردوهم من مناصب الدولة، ونعموا بمرافق البلاد وخيراتهما، واستأثروا بالحكم دونهم، ولم يقف الأمر بهم دون إدعاء الخليفة الفاطمي العصمة لنفسه، وإعتقاد تابعيه ذلك فيه^(٢) مما لا يتفق واعتقاد العلويين، إذ لا عصمة عندهم، بعد الأنبياء والرسل لغير الأئمة الأثني عشر (ع)، فأصبحوا متفقين مع الفاطميين في المبدأ ومختلفين بالغاية، وعند ذلك انكمشوا على أنفسهم، وانطوا على ذواتهم وآثروا العافية.

سقوط الدولة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية وحال العلويين فيها

استولى الأيوبيون على مصر سنة ٥٦٩ هـ، وأزالوا شعار الفاطميين، وقضوا على عاداتهم وتقاليدهم، ومنعوا الأذان «بحي على خير العمل» وعزلوا قضاة الشيعة، واستنابوا قضاة شافعيين^(٣) فساءت حال العلويين وفُت في عضدهم، ولما سقط في أيديهم أخلدوا إلى السكينة، إشفاقاً على نفوسهم، وهم في أمس الحاجة إلى التضامن، درءاً لخطر الجيش الصليبي، وقمعاً لفتن القرامطة المبهوثة نارها على العلويين خاصة وقد إلتقى الخصمان سابقاً، سنة ٣٥٣ هـ حينما قصد

(١) النبأ اليقين عن العلويين: ص ١٤٦ مصدر سابق.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) علي الجارم بك: رواية سيدة القصور.

القرامطة أخذ مدينة طبرية من يد الإخشيد صاحب مصر والشام، وطلبوا من الملك سيف الدولة أن يمددهم بحديد يتخذون منه سلاحاً، فقلع لهم أبواب الرقة، وكانت من حديد صامت، وأخذ لهم من حديد الناس، حتى أخذ لهم أواقى الباعة من الأسواق، وارسل اليهم بذلك كله، إلى أن قالوا له إكتفينا^(١).

كان موقف العلويين آنذاك بالغ الخطورة والرهبة، فهم بين نارين ملتهمتين: عسف الولاة، وعادايات القرامطة والأنكى من هذا كله، عجزهم عن درء أي الخطرين قبل وضع الحرب الصليبية أوزارها لأن الواجب الديني والوطني كان يحتم عليهم التعاون، ولو مع مبغضهم، لإستنقاذ البلاد من أيدي الغزاة الطامعين، وإقصاء الدخيل الأجنبي عنها، فنسوا مصالحهم الخاصة وتناسوا إحن جيرانهم وسوء معاملتهم، في سبيل المصلحة العامة وأبلوا في تلك الحروب الضروس بلاءً حسناً، تلك الحروب التي كادت تأتي عليهم، لوجودهم جغرافياً في أتونها الملتهب، فقاتلوا قتال المستميت ذوداً عن مقدسات دينهم ومقدرات بلادهم، ودفاعاً عن نفوسهم.

لكن الأيوبيين، ولهم مقاليد الحكم في البلاد، ما فتوا يمعنون بالتضييق على العلويين، وتشديد الرقابة عليهم، وإقصائهم عن موارد الحكم والسياسة، ممّا جرح كبرياء العلويين العربية، وأدمى صدورهم وأفندتهم، وتآلموا وتقطعت قلوبهم حسرات، حينما رأوا بلاداً ملكوها بشفار سيوفهم، وسقوا أرضهازكيّ دمائهم تنتهبها أيدي لا عهد لهم بها من قبل، وينعم بمرافقها وخيراتها غزاة فاتحون، وهم أصحابها الذين درأوا عنها غارات الروم، وخطر القراصنة والإفرنج، يطردون عن مناهلها طرد غرائب الإبل.

وإنما أفضل ما اهدى العلويون إليه، في تلك الفترة القاسية من حياتهم، هو محافظتهم إلى أنسابهم العربية الصحيحة، واحتفاظهم بخالص الحب والولاء لأئمتهم المعصومين (ع). وإنشغال بعض علمائهم بتأليف الكتب القيمة الدالة على سمو مكانة مؤلفيها، العلمية والأدبية.

(١) مختصر تاريخ البشر: مصدر سابق.

والحق أنه لو أتيح لعلماء ذلك العصر وأدبائه إظهار مؤلفاتهم للملأ، ولو تسنى لهم إيصالها إلى النفوس الحرّة والعقول الواعية، لكان لهم من أنصار العلوم والآداب، في المجتمع نصير وظهير، ولكن أنى لهم نشرها وقد كان ولاة الأمر أعداء مذهب التشيع وخصومه الألداء، ضربوا بينهم وبين الظهور على مسرح الحياة بسور من العيون والأرصاء، يُحصون عليهم أنفاسهم ويرقبون حركاتهم وسكناتهم، فرغب الكثير منهم عن حياة الحضارة إلى عيشة البداوة، تفادياً من فتك ينتظرهم في نفوسهم، كما منوا به في نفيس ولائهم، إذ منعوا إعلانه فالتزموا كتمانهم، فغادروا المدن مدثرين الليل حجاً إلى هذه الجبال التي اتخذوا منها أكنناً، ومن غاباتها وكهوفها ملاجئ ومدخلات.

وإنه لما يحزّ في النفوس ويذمي متحجرات القلوب أن يحرم العلم والأدب العربيان ذلك الإنتاج الفكري الخصب، وتأكله دابة الأرض، أو تلتقفه مياه الأنهار والبحار، أو تلتهمه أفواه النيران، خشية مقاصل الظلم ومقامع الإضطهاد، وما استعصي منه على الإبادة والفناء مُني بما هو شر، وحق به ما هو أدهى وأمرّ، من تلاعب السنة السوء بمضامينه، وجري أقلام الإفتراء في حقوله، فحشاها دسّاً وفساداً وأشبعها كذباً وإرجافاً، وأدخل عليها ما ليس منها، من أقوال حائدة، وعقائد فاسدة، إحتقاراً لتلك الآثار الجليلة، وإنتقاصاً من شخصيات مؤلفيها، وإيداناً للمسؤولين بإنزال العذاب الشديد والبأس البئيس بالآخذين بها والعاملين عليها^(١).

نعم دسّ في أوساط العلويين، تنفيذاً لحطة الطعن والتجريح، مرجفون من غواة الفرق البائدة التي من الظلم نسبتها إلى الشيعة، ممّن يسمونهم غلاة الشيعة، الذين آن لرقعة الأرض أن تتخلص منهم، فلا أحسب أن فيها اليوم منهم أحداً، ولم يأن للشيعة، وخاصة «العلويين» أن يتخلصوا من وباء ادعائهم وفساد أرائهم، وأن يخلصوا من أرجاف منافقيهم الذين تسنى لهم تخلل صفوف العلويين والإمتزاج بهم، خلال ما مروا به من مراحل شاقة وتجارب قاسية، وساعد أولئك

(١) النبا اليقين عن العلويين: ص ١٥٣ مصدر سابق.

المرجفين تقهقر العلويين، في ميدان الثقافة والإجتماع على إتمام فكرتهم الخبيثة، والقيام بدعوتهم السيئة، كما أرادها لهم أئمة الجور وقادة الفتن^(١).

سقوط الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك وحال العلويين فيها:

ولقد قامت دولة المماليك في منتصف القرن السابع، وانتزعت السلطة من الأيوبيين، وقبضت على زمام الحكم في مصر وسورية، وأعلنت مذهب التشيع وأعدت الجهر في الأذان «حي على خير العمل» فطابت نفوس العلويين بعض الشيء بذلك، بالرغم من أنهم ما زالوا في معزل عن الحكم، اللهمَّ بإستثناء بعض الأفراد من رؤساء الجند وولاة الحصون والقلاع الذين إختلطوا بالإسماعيليين، وعرف الجميع آنذاك بالفدائيين، والقليل من أحفاد التنوخيين الذين هاجروا إلى لبنان، فتوصلوا بحزمهم وبما أثبتوه من شجاعتهم وإقدامهم في الحروب الصليبية الإسلامية، إلى تسلم بعض الإمارات هناك، يدفعون عنها خطر غارات الإفرنج، وينقلون خراجها إلى دولة المماليك، وهذا أحيأ فيهم حب الحياة، بعد أن كادوا يسأمونها، وجودهم أحراراً يعلنون إعتقادهم ويجهرون بولائهم، إلى أن كانت سنة ١٣٠٥ م عندما أمر السلطان «محمد بن قلاوون» سلطان مصر، ومن «سلاطين المماليك البحرية» رجاله يتسيير حملة عسكرية عظيمة إلى جبال كسروان في لبنان، لإبادة الطوائف الشيعية هناك، إذ كانوا أصحاب البلاد آنذ، كما فصله المطران دبس في كتابه «الجامع المفصل»، وأوضحه المؤرخ عيسى أسكندر المعلوف في كتابه «دواني القطوف» حيث يقول: «ومن جملة من فتك بهم العرب النصرية الذين كانوا في شمال لبنان، ولا سيما في المنيطرة والعاقورة، ونواحي البترون، وعكار، والضنية، ثم امتدوا إلى كسروان قبل سنة ١٣٠٥ م. وكانوا أشداء يساعدون إخوانهم في «وادي التيم ومرج عيون»، والذين تخلصوا من الموت من هؤلاء رحلوا إلى الشمال، أي إلى جهات اللاذقية وانطاكية، واعتصموا في جبالها وبقي منهم قليل في لبنان»^(٢).

(١) المصدر نفسه.

(٢) أنظر كتاب: «المسلمون العلويون من هم وأين هم» نقلًا عن كتابي المطران دبس: الجامع =

والمسلمين، أدرك سرّ تأخّره في هذه البلاد، وقد يتبين له أن جلّ حكامها كان همهم في الغالب زرع بذور العداوة والبغضاء في صدور الناس، والعمل لتوسيع شقة الخلاف بينهم ليتسنى لهم بسط نفوذهم عليهم، وذلك أنا نرى الحكام، وقد أدركوا الفارق بين المذاهب السنية والشيعية، يرتضون لأنفسهم المذهب الأقرب إلى غاياتهم أو شهواتهم ومآربهم، فابتلي الإسلام بهم أشدّ البلاء.

ومن انعم نظر البصيرة في اعمال اولئك الحكام الطغاة، استبانته أهدافهم التي، وإن تباينت أدوات تنفيذها، فهي بجوهرها وحقيقتها واحدة، ألا وهي استعباد الأمة وإذكاء نار الفتنة والتفرقة في نفوس أبنائها ليتمكنوا من السيطرة على مقدراتها، ومن هنا تتجلى الحقيقة إذ تبين، على ضوء

ما تقدم، أسباب التباعد السني - الشيعي، وعندما يتحقق لأحد الحكام نجاح فكرته السيئة، ويتأكد من نمو بذور فسادها في النفوس والقلوب، يعمل سيفه في من ليسوا على مذهبه، ويمعن فيهم قتلاً وتخريباً، وإخوانهم ينظرون اليهم، دونما أدنى شفقة أو رحمة تهزّ كيانهم، أو تحرك من أريحيتهم ساكناً، كأن لا صلة قريبي أو دين تجمعهم. بل على العكس، فكثيراً ما كان الحاكم الجبار ينفذ غايته الخبيثة في إخوانهم على أيديهم.

وقعة هلاكو - نكبة بغداد ٦٥٦هـ

بعد زوال سلطنة بني بويه الديلمية ترك الخلفاء العباسيون السلطنة الدنيوية للسلاجقة، وقد جاء التاتار إلى بغداد وقائدهم آنذاك هلاكو، ومقدار عسكره مايتا ألف رجل، وبعد مناوشة خفيفة غلب المعتصم فالتجأ لبغداد، وأرسل ابن علقم وزيره لكي يتم الصلح بينهم، فرجع الوزير ابن علقم وبشر الخليفة أن هلاكو يحبّ الصلح وينوي أن يزوج ابنته لابن الخليفة أبي بكر، وان يبقى الخليفة على

= المنفصل . وعيسى اسكندر معلوف: دواني القطوف .

سريره، وقد ذهب الوزير والخليفة معاً، ثم رجع الوزير ابن العلقم وحده، وأخذ الأشراف والأعيان والفقهاء، لكي يحضروا عقد بنت هلاكو على ابن الخليفة، فقتلهم التاتار جميعاً ودخلوا بغداد وأمعنوا بالقتل أربعين يوماً وروي أنهم قتلوا «مائتي ألف نفس» وقد رثى شعراء العصر حالة بغداد، في تلك الأيام، ومما قاله بعضهم:

لسائل الدمع عن بغداد أخبار فما وقوفك والأحباب قد ساروا
يا زائرين إلى الزوراء لا تفدوا فما بذاك الحمى والدار ديار

فهلكت الناس واندثرت ثروة البلاد، وملايين من الكتب أُلقيت في نهر دجلة، حتى حصل منها جسر عظيم، وعمّت البلوى في الجزيرة التي كان يقدر عدد سكانها انذ بثلاثين مليوناً، وتولد القحط والغلاء.

وبعد تلك الواقعة، في سنة ٦٥٦ هـ وقبل المعتصم العباسي، هرب عمّه أبو القاسم أحمد لمصر، وبعد ثبوت نسبه لقبوه بإسم «الخليفة» وذلك في سنة ٦٥٩ هـ، وبعد خراب بغداد، جاء هولاءكو لحلب وأخذها، ثم زحف على جهات الشام، وعند ذلك أستمد أهل الشام العون من ملك مصر، وهو الملك «قطز» الذي أرسل جيشه تحت قيادة «بيبرس» ووعدته، أنه إذا وفق لدفع غائلة هولاءكو، ان يعطيه إمارة حلب.

وقد تغلب الأمراء والمقدمون الإسماعيليون والعلويون الموجودون تحت قيادة بيبرس على جيش هولاءكو، وأزالوا إسمه، وعندما لم يف الملك قطز بوعدته ونكل عن إنجاز ما وعد به، قتله بيبرس على الطريق، واستقل بالحكم سنة ٦٥٨ هـ.

وبعد سقوط بغداد بثلاث سنين، جاء أحمد أبو القاسم الملقب «بالمستنصر بالله» واستقبله الملك الظاهر وبايعه بالخلافة، وإسم الملك: «الملك الظاهر ركن الدنيا والدين بيبرس العلائي البندقداري الصالحي».

ويقول صاحب تاريخ العلويين: «وكانت الرياسة الدينية بين العلويين مع عائلة «البلقيني» والرئيس الديني للعلويين البلقيني الذي سُمى بيبرس» الملك

الظاهر» واتحدت العلوية والإسماعيلية سياسة، واجتمعوا تحت راية الملك الظاهر، ثم باشر الملك الظاهر في استجلاب قلوب المسلمين نحوه ووجد المسجد النبوي الذي كان محترقاً، وغسل الكعبة بيده، بماء الورد وافتتح جهات النوبة ودنقلة، وكان أعظم قصده الإتحاد بين المسلمين.

«وعند قتل الملك «قطز» قام علم الدين والي دمشق واستقلّ بها، وتبعه أهالي حلب فقتلوا واليهام، وأجلسوا عوضاً عنه حسام الدين، وهذا استقلّ بالأمر، واغتنم التتار الفرصة، فجاءوا حلباً وقتلوا أهلها، وزحفوا على دمشق فلم يستطيعوا لمقاومة جيش الملك الظاهر الذي أخذ دمشق، واستمر في استخلاص بلاد العلويين، حتى وصل لكيليكييا، وأمراء العلوية معه، وكانت كيليكييا «أدنى» في يد الأرمن فأخذ إياس وانطاكية من يد الأرمن، سنة ٦٦٦ هـ وفي سنة ٦٦٩ هـ استولى على حصن الأكراد وعكار وكانا في يد الصليبيين واستولى على بعض القلاع التي كانت في يد الإسماعيلية. وفي سنة ٦٧١ هـ هجم التتار الصابئية على بلاد العلويين وقد داوم الملك في جهاده والعلويون حوله، حتى توفي في الشام، عام ٦٧٥ هـ».

المجازر والمذابح التي وقعت على العلويين

ممارسات الأمويين

إصطيح التاريخ الإسلامي العلوي بصبغة العنف القاتل، لكثرة الدماء التي أريقت، وكادت تتوقف دفقة الحياة التي تحكمت فيها فظاعة الفواجع، وتركت من بصمات الألم والحزن في النفوس ما لا تزول آثاره على مرّ الأيام، ولا يندمل جرحه على كثر السنين، فيثير من الإحن والحزانات ما نحن في غنى عنه، بل أحوج ما نكون إلى تجاوزه ونسيانه، لكي لا تصبح أيامنا الحاضرة كربلاء متجددة نستحضر فيها الفواجع التي تعمل على تهجير أدمية المسلمين، وقتل الإسلام في الزمن الذي نعيش، فيستحيل التاريخ الإسلامي، في أشع صورهِ المأساوية، مذابح دموية تستدعي الكوارث المصحوبة بسلوك تدميري حاقد.

وشكل استشهاد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) فاتحة التناحر الرَّهيب، والجدير بالذكر أن قاتل الإمام - عبد الرحمن بن ملجم - استخدم سيفاً مسموماً، وقد اعترف، بعد القبض عليه، أنه سمم سيفه بإتقان، لضمان أن تكون الضربة مميتة، إذا هو لم يوفق إلى توجيه ضربة قاضية وهو ما حدث بالفعل، فقد كان على القاتل أن يضربة ضربة خاطفة توفر له وقتاً للهروب من داخل المسجد قبل أن يحاصر.

وقد عاش الخليفة بعد الضربة ثلاثة أيام، رغم وقوعها في رأسه، ويستفاد من العرض الذي أوردته المصادر، عن كيفية الوفاة أن السمّ إنتشر في جسم الإمام ببطء، حتى أجهز عليه في اليوم الثالث، ونحن نستتج من هذا أن خطة الأغيال

كانت قد درست بعناية، ومن جهة أخرى لا تقتصر على الخوارج^(١) مما ضمن لها نجاحاً لم يتوفر لخطة إغتيال معاوية، ويرجع الفارق هنا إلى التفكك في معسكر أهل العراق، وتماسك المعسكر الأموي بالشام، حيث كان لسياسة معاوية، في الترغيب والترهيب، فضلاً كبيراً في إستتبابه.

والمؤرخون ذكروا بأن الأشعث بن قيس كان رجلاً منافقاً ومتهماً في إخلاصه للإمام، وأنه قال: لابن ملجم المرادي قاتل الإمام صبيحة يوم جرح الإمام في المسجد عند صلاة الفجر: «ماذا تنتظر؟ لقد فضحك الصبح»^(٢) فصار الأمر إلى السيف الذي ما لبث أن حلّ محلّ النصّ الإلهي والنبوي في إختيار الخليفة، فقد روي أن رأس الأمويين عدو الله أبا سفيان دخل على الخليفة الثالث عثمان وقال في المجلس: «تلقفوها يا بني أمية - الخلافة - تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان فما من جنّة ولا نار، وإنما هو الملك»^(٣)، فصارت الخلافة إلى الملك العضوض، وتمّ القضاء على قدسيّتها، وعندما سعى الإمام (ع) لتقرير تعزيز ولاية مصر بشخصية كفؤة، وهو مالك الأشتر، أحد قادة الحزب العلوي والحركة المسلحة التي أوصلت الإمام إلى الخلافة، بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان، فسبّب تعيينه قلقاً شديداً لدى معاوية في الشام، فسعى لمنع من الوصول إليها.

ويجمع المؤرخون على أن مالكا - رضي الله عنه، قد قتل بالسمّ، وهو في طريقه لتسلّم منصبه، وذلك بتدبير من معاوية الذي دسّ له السمّ في شراب من عسل، وقد روى الواقدي المؤرّخ الشهير أن الرجل الذي دسّ السمّ للأشتر، كان

(١) يذهب بعض الباحثين والمفكرين إلى أن خطة إغتيال الإمام إشتراك فيها ثلاث جهات قوية التأثير آنذاك وهي:

١ - الخوارج

٢ - رأس الأمويين معاوية بن أبي سفيان

٣ - الأشعث بن قيس، وكان ممن يكرهون الإمام امير المؤمنين (ع).

(٢) ابن أبي الحديد المعتزلي: شرح نهج البلاغة.

(٣) المصدر نفسه.

دهقاناً في العريش، وهذه البلدة من أعمال مصر، لكنها قريبة إلى الشام، وقد إقترنت بالحادث كناية مشهورة لمعاوية، وهي قود- الزنهير، بعد أن بلغه نفاذ خطته: «إنَّ لله جنوداً من غسل»^(١).

ومن أجل إيجاد ولاية يديرون الأقطار الملحقة، بفعل الفتوحات، واستمالتها ويقبلون أن يقفوا إلى جانبه، في نزاعه مع أهل البيت العلوي وشيعتهم في العراق، أرسل معاوية سنة ٤١هـ، عاملاً على الكوفة هو المغيرة بن شعبه، وهو من دهاة العرب، واعتمد عليه في تهدئة الأحوال، فأظهر لينا في معاملة العلويين، وكان سياسياً ذا دهاء، لعب في الفتنة بين علي وعثمان ومعاوية دوراً خطيراً، وفي نفس السنة وجه معاوية بسر بن أرطاة إلى البصرة، ليقمع ثورة قام بها حمران بن أبان، ولم يكن بسر هذا بوال، بل كان قائداً عسكرياً إنتهت مهمته بإنتهاء العمل الذي ندب له، وكان رجلاً خبيثاً مكرراً فاجراً حاتداً فلاقى منه المسلمون الأهوال والموت والدمار وإحراق الحرث والنسل، ولما مات المغيرة سنة ٥٠هـ ضمت الكوفة إلى زياد ابن أبيه - وهو جبار داهية فكان يقيم في البصرة ستة أشهر وفي الكوفة ستة أشهر، ويستخلف على البصرة في غيابه سمرة بن جندب.

وبعد زيارته الأولى للكوفة وخطبته فيها عاد إلى البصرة، وبعث إلى الكوفة نائباً عنه، وهو عمرو بن الحريث، وبقي هو في البصرة وبعث إلى الكوفة أيضاً الجواسيس والعيون، وكان يذهب إلى الكوفة في كل عام مرة ليتفند أحرالها، ويقمع معارضة أهلها، وكان أمر شيعة علي (ع) آنذاك فيها قد إستفحل، بعدما بدا من لين المغيرة وتسامحه في سياسته التي لم تكن تعرف البطش، وقام الكوفيون على عمرو بن الحريث، ممثل زياد فيها، فحصبوه في مسجد الكوفة وهو يخطب فيهم، بتحريض من حجر بن عدي الكندي رئيسهم الذي كان يجتمع إليه الشيعة - وهو صحابي الرسول (ص) - ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه، فتوجه زياد إلى الكوفة، حين بلغته هذه الأخبار، ودخل المسجد وصعد المنبر وحجر جالس

(١) مروج الذهب، للمسعودي: وتاريخ الواقدي.

في المسجد وحوله أصحابه، فخطب زياد مهدداً مترعداً، وأظهر أن عهد سياسة اللين قد ولى، وأنه سيأخذ الناس بأعمالهم، ثم كتب إلى معاوية يستشيريه في أمر حجر، ويذكر أعماله وتجميعه الناس ضد الأمويين، فأجابه معاوية: أن شدّه في الحديد، ثم إحمله إليّ، فبعثه إلى دمشق مع نفر من أصحابه إلى معاوية الذي أمر بقتله في مرج عذراء، بعد أن رفض البراءة من الإمام أمير المؤمنين (ع)، وكان لمقتل الصحابي الجليل حجر - رضي الله عنه - وولده وأصحابه أثر عميق في النفوس، وقد أثار الكثيرين لما اتصف به هذا الرجل من صلابة في العقيدة وإيمان عميق بأحقية آل البيت (ع)، وقد إستغرب البعض قتل معاوية للشهيد حجر - رحمه الله - وقالوا له: أين غاب عنك حلمك السفيناني؟ والله درّ الحسن البصري - رحمه الله - الذي كان يقول: أربع موبقات في معاوية، لو لم تكن له منها إلا واحدة لفضحتّه، الأولى: أنه حارب إمام المتقين علي بن أبي طالب (ع)، والثانية: أنه ولى على المسلمين ولده الفاسق يزيد والثالثة: إدعاؤه النسب لزياد بن أبيه والرسول (ص) يقول: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» والرابعة: قتله الصحابي الجليل حجر بن عدي (رحمه الله).

وأراد معاوية التخلّص نهائياً من الإمام الحسن (ع) فرأى أن خير من يقوم بهذه المهمة ويضمن نجاحها زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس، ومروان بن الحكم طريد رسول الله (ص) من المدينة مدة حياته فدمت له السمّ فمات، وكان معاوية قد وعدّها بمائة ألف وأن يزوجه ولده يزيد، إن هي قتلت الحسن (ع) فوفى لها بالأولى ونكل عن الثانية وقال: نخشى أن تقتليه كما قتلت سبط رسول الله (ص)»^(١).

وعندما هلك معاوية خلفه ابنه يزيد، وكان قد أخذ له البيعة في حياته، فألح أهل الكوفة على الحسين (ع) في القدوم إليهم ومبايعته في الأمر، فاستجاب لهذه الدعوة، ولكنه لم يجد في العراق التأييد الذي كان يتوقع وكان الإمام الحسين (ع) قد بعث بابن عمّه مسلم بن عقيل (رضي الله عنه) ليّمهد له سبيل العمل هناك،

(١) العلويون والتشييع: ص ٣٨، مصدر سابق.

قبل مغادرته مكة فخانه أهل الكوفة، وأسره عبيد الله بن زياد وقتله.

وفيما كان الحسين (ع) في طريقه إلى الكوفة، إعترضته طلائع جيش عبيد الله بن زياد بقيادة عمر بن سعد بن أبي وقاص، وإذ أبي أن يعود من حيث أتى، أو أن يبايع يزيد بن معاوية، رافقوه حتى كربلاء، غربي الفرات، على نحو إثنين وستين ميلاً إلى الجنوب الغربي من بغداد، عند طرف الصحراء. ثم إنهم حاصروه هناك، رجاء ان يكرهه الظمأ على الإستسلام ولكنه أبي، وفي العاشر من المحرم سنة ٦١ هـ ٦٨٠ م، أنذره قائد الجيش عمر بن سعد بن أبي وقاص، صاحب رسول الله (ص) والقائد العسكري البارز بسوء العاقبة، ومع أنه لم يكن في إستطاعة الإمام الحسين (ع) أن يتوقع تأييداً أكثر من أتباعه الكوفيين الذين أفرعهم مقتل مسلم، فقد أبي أن يستسلم لعمر بن سعد متكلاً على الحصانة التي كان يتمتع بها، بوصفه حفيد الرسول (ص) وابن فاطمة الزهراء سيد نساء العالمين (ع) ونجل إمام المتقين علي بن أبي طالب (ع)^(١).

ودارت رحى المعركة، وأبلى أصحاب الحسين (ع) البلاء الحسن، وكذلك أهل بيته عن الهاشميين، مع الفارق الشاسع في العدة والعدد بين المعسكرين، وسقط أخيراً سيد الشهداء وحمل رأسه إلى يزيد، فكان استشهاده زلزالاً مدوياً في حواضر المسلمين زلزل الأرض تحت أقدام الطغاة، مما سيكون له الأثر الأكبر في التغييرات، السياسية بعد حين.

وقد رثى الشعراء، قديماً وحديثاً، الحسين (ع) فأجادوا متأثرين بهذا المصاب الجلل، يقول دعبل بن علي الخزاعي رحمه الله في قصيدته التائية الشهيرة:

قبور بكوفان وأخرى بطيبة	وأخرى بفتح نالها صلواتي
وقبر بأرض الجوزجان محلّه	وقبر بياخمرى لدى الغربيات
وقبر ببغداد لنفس زكية	تضمّنها الرحمن في الغرفات
وقبر بطوس يا لها من مصيبة	ألحت على الأحشاء بالزفرات

(١) صبحي عبد الوهاب الهندي: أصالة الإسلام عند العلويين، مخطوط.

يفرّج عنا الهمّ والكربات
 معرّسهم منها بشطّ فرات
 لهم عقدة مغشية الحجرات
 ونادي منادي الخير بالصلوات
 وبالليل أبكيهم وبالغدوات
 وقد مات عطشاناً بشطّ فرات
 وأجريت دمع العين في الوجنات
 نجوم سموات بأرض فلاة

ويقول الشريف الرّضي - رضوان الله عليه - من قصيدة له :

ما لقي عندك آل المصطفى
 من دم سال ومن دمع جرى
 بحدا السيف على ورد الرّدي .
 لا تدانيها ضياءً وعلا
 وأديل الغيّ منهم فاشتفى
 عمد الدين وأعلام الهدى
 أنّه خامس أصحاب الكسا
 شدّ لخيّن ولا مدّ ردا
 كفنوه غير بسوغاء الثرى
 بأب برّ وجدّ مصطفى
 علماً ما بين نسوان الورى
 جدّ يا جدّ أغثنى يا أبا
 يا أمير المؤمنين المرتضى
 بانقلاب الأرض أو رجم السما
 فعلوا فعل يزيد ما عدا
 عرقت ما بينهم عرق المدى

إلى الجشر حتى يبعث الله قائماً
 نفوس لدى النهرين من أرض كربلا
 تتسمّهم ريب السنون فما ترى
 سأبكيهم ما ذرّ في الأرض شارق
 وما طلعت شمس وحن غروبها
 أفاطم لو خلّت الحسين مجدلاً
 إذن للظمت الخدّ فاطم عنده
 أفاطم قومي يا ابنة الخير واندبي

كربلا لا زلت كرباً وبلا
 كم على تريك لمّا صرّعوا
 لم يذوقوا الماء حتى إجتمعوا
 تكسف الشمس شمساً منهمو
 أدرك الكفر بهم ثاراته
 يا قتيلاً قوّض الدهر به
 قتلوه بعد علم منهمو
 وصريعاً عالج الموت بلا
 غسلوه بدم الطعن وما
 مرهقاً يدعو ولا غوث له
 ويأمّ رفّع الله لها
 أيّ جدّ وأب يدعوهما
 يا رسول الله يا فاطمة
 كيف لم يستعجل الله لهم
 لو بسطي قيصر أو هرقل
 كم رقاب من بني فاطمة

حملوا رأساً يَصَلُّونَ على
يتهادى بينهم لم ينقضوا
ميت تبكي له فاطمة
لو رسول الله يحيا بعده
ويقول رحمه الله في مقام آخر:

جده الأكرم طوعاً وإيماً
عمم الهام ولا حلوا الحبا
وأبوها وعليّ ذو العليّ
قعد اليوم عليه للعزا

راحل أنت والليالي نزول
لا شجاع يبقى فيعتنق البيض
غاية الناس في الزمان فناء
إنما المرء للمنية مخبوء
أي يوم أدمى المدامع فيه
يوم عاشور الذي لا أعان
يا ابن بنت النبي ضيعت
ما أطاعوا النبي فيك وقد

ومضربك البقاء الطويل
ولا أمل ولا مأمول
وكذا غاية الغصون الذبول
وللطعن تستجم الخيول
حادث رائع وخطب جليل
الصحب فيه ولا أجار القبيل
العهد رجال والحافظون قليل
مالت بأرماحهم إليك الذحول

ويقول السيد جعفر الحلي أعلى الله مقامه :

الله أي دم في كربلا سُفِكَا
وأي خيل ضلال بالظفوف عدت
لم أدر رجال المسلمين مضوا
العاصر الخمر من لؤم بعنصره
قد أصبح الدين منه يشتكي سقما
فما رأى السبط للدين الحنيف شفاً
نفسى الفداء لفادٍ شرع والده
أحال أرض العدا نقعاً بحملته
كسا النهار ثياب النقع حالكة
في فتية كصقور الجو تحملها

لم يجر في الأرض حتى أوقف الفلكا
على حريم رسول الله فانتهاكا
وكيف صار يزيد بينهم ملكا
ومن خسارة طبع تقصر الودكا
وما إلى أحد غير الحسين شكا
إلا إذا دمه في كربلا سُفِكَا
بنفسه وبأهليه وما ملكا
وللسماء سما من قسطل سمكا
لكن محياه يجلو ذلك الحلكا
أمثالها تنقض الأشرار والشبكا

ويقول الحاج هاشم الكعبي رحمه الله من قصيدة له :

تالله لا أنسى ابن فاطم والعدا
اسد تظلُّ له الأسود خواضعاً
البرق صارمه ولكن لم تُسْق
بأس يسرَّ محمداً (ص) ووصية
حتى إذا حمَّ الحمام وأن لا
عمدت له كف العناد فسدت
الله مطروح حوت منه الثرى
وغدت أسيرة خدرها ابنة فاطم
نادت فقطعت القلوب بشجوها
إنسان عيني يا حسين أخي يا

ويقول السيد الحميري رضي الله عنه :

أمرر على جدث الحسين
يا أعظماً لا زلت من
مالد عيش بعدر
قبر تضمّن طيباً
أباؤه أهل البر
والخير والشيم المهذبة
فإذا مررت بقبره
وابك المطهر للمطهر
جعلوا ابن بنت نبيهم
لم يدعهم لقتاله
لما دعوه لكي تحك
أولاد أخبث من مشي
فعصاهم وأبث له

وقل لأعظمه الزكية
وظفء ساكبة روية
ضك بالجياد الأعوجية
أباؤه خير البرية
ياسة والخلافة والوصية
المطيية الرضية
فأطل به وقف المطية
والمطهرة الزكية
غرضاً كما ترمى الدرية
إلا الجعالة والعطية
مسم فيه أولاد البغية
مرحاً وأخبثهم سجية
نفس معززة أبيه

فغدوا له بالسابغات
والبيض واليلب اليمما
وهم ألوف وهو في
فلقوه في خلف لأح
مستيقنين بأنهم
يا عين فابكي ما حييت
لا عذر في ترك البكا

عليهم والمشرفة
ني والطوال السمهرية
سبعين نفس هاشمية
مد مقبلين من الثنية
سيقوا لأسباب المنية
على ذوي الذمم الوفية
ء دمأ وأنت به حرية

ويقول الكميت بن زيد الأسدي رحمه الله في رثاء الإمام الحسين (ع):

لكنّ حسيناً والبهاليل حوله
يخضن به من آل محمد في الوغى
وغاب نبئُ الله عنهم وفقده
فلم أر مخذولاً أجلاً مصيبة
يصيب به الرامون عن قوس غيرهم

لأسياهم ما يختلي المتقبل
دمأ طلّ منهم كالبهيم المعجل
على الناس رزء ما هنالك مجلّل
وأوجب منه نصرة حين يخذل
فيا آخرأ أسدئ له الغيّ أول

ويقول الأمير أبو فراس الحمداني رضي الله عنه، في رثاء الإمام الحسين (ع):

يوم بسفح الدير لا أنساه
وأحتزّ رأساً طالما من حجره
يوم بعين الله كان وإنما
يوم عليه تغيرت شمس الضحى
لا عذر فيه لمهجة لم تنفطر
تبا لقوم تابعوا أهواءهم
أتراهم لم يسمعوا ما خصه
إذ قال يوم غدِير خم معلناً
لو لم ينزل فيه إلا «هل أتى»
من كان أول من حوى القرآن من

أرعى له دهري الذي أولاه
أدنته كفا جدّه ويده
يملي لظلم الظالمين الله
وبكت دمأ مما رأته سماه
أو ذي بكاء لم تفض عيناه
في ما يسوؤهُمُ غداً عقباه
منه النبيّ من المقال أباه
من كنت مولاه فذا مولاه
من دون كل منزل لكفاه
لفظ النبيّ ونطقه وتلاه

من كان صاحب فتح خيبر من رمي
من عاضد المختار من دون الوري
من خصه جبريل من دون الوري
أظنتهم أن تقتلوا أولاده
أو تشربوا من حوضه يمينه
أنسيتم يوم الكساء وأنه
يا ربّ اني مهتد بهداهم
أهوى الذي يهوى النبي وآله

حركة التوابين:

ومع حلول شهر ربيع الثاني من سنة ٦٥٨ للهجرة، كانت قد إنقضت أربع سنوات على مقتل الإمام الحسين (ع)، وإذ ذلك إجتمع الشيعة والمطالبون بدمه في النخيلة، غير بعيد عن الكوفة وكريلاء، وعلى رأسهم سليمان بن صرد الخزاعي، فانقلوا إلى قبر الحسين (ع)، وصاحوا على القبر صيحة واحدة، وبكوا، فما روئي يوم أكثر بكاءً منه، وينقل المؤرخون عن أحد الذين شهدوا ذلك اليوم، أنه قال: سمعت جلّ الناس يتمنون أنهم كانوا أصيبوا معه ورفع سليمان بن صرد الخزاعي رحمه الله صوته بالدعاء على القبر، في وسط النحيب: «اللهم إرحم حسيناً، الشهيد ابن الشهيد المهدي ابن المهدي الصديق، اللهم إنا نشهدك أنا على دينهم وسبيلهم وأعداء قاتليهم، وأولياء محبيهم».

وفي عين الوردية غير بعيد عن قرقيسيا، ولثمان بقين من جمادى الأولى، إلتقى جمع سليمان وجمع أهل الشام فتقاتلوا ثلاثة أيام متصلة، لا يحجز بين القوم والقوم إلا الصلاة، وفي اليوم الثالث كثر أهل الشام، وأحاطوا من كل جانب بجماعة سليمان، فلما رأى ما لقي أصحابه نزل عن فرسه ونادى: عباد الله من أراد البكور إلى ربّه، والتوبة من ذنبه والوفاء بعهده، فالّي، فقتل ابن صرد رحمه الله، وتفرق العشرات الذين لم يقتلوا في صندوقه، وكان تفرقهم، آخر حركة التوابين الذي تابوا عن خذل الحسين من شيعة أبيه، بطلب

دمه، وبذل أنفسهم في سبيل ذلك .

وهكذا بعد أن أقام التوابون، النسب الطالبي العلوي الحسيني، فتحوه لمن شاء منهم الإنتماء إليه، ذلك أنهم الحلقة الثالثة أو الجيل الثالث، أو القرن الثالث في نسب شرع يقوم معهم ومن إضطلعوا هم به على الانتساب الطوعي، ومما يجمع التوابين هو موتهم المتأخر، والذي تمنوا عند قبر الحسين (ع) لو أنهم سبقوه، وهذا التمني هو نواة العبارة التي تتردد حتى اليوم في المآتم الحسينية^(١) : «يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً» .

ثورة المختار الثقفي:

ثم قامت حركة المختار الثقفي، تحت شعار الثار للحسين (ع) وأهل بيته، وإعلان مبايعة محمد بن الحنفية - رضي الله عنه - نجل الإمام أمير المؤمنين (ع)، ومن ثمّ الطلب بدماء أهل البيت، فقرّر مصعب بن الزبير، والي البصرة من قبل أخيه عبد الله بن الزبير، أن يهاجمه قبل إستفحال أمره، فتوجه إلى الكوفة، وضرب الحصار عليها، وقطع عن جيش المختار وصول المادة والماء، وقتل الجند رغم إعطائه الأمان لهم، ووصف المؤرخ اليعقوبي هذه المذبحة بأنها - إحدى الغدرات المذكورة المشهورة في الإسلام .

قاتل المختار وأصحابه قتال الأبطال، مدة أربعة أشهر، إلى أن قتل بقصر الإمارة سنة ٦٩ هـ وتوالت الفواجع فتوسل الوليد بن عبد الملك السمّ لسيد البيت العلوي، الإمام علي بن الحسين زين العابدين (ع)، فمات شهيداً مسموماً .

ويذكر التاريخ الإسلامي الأموي عظام العلويين الذين عملوا تحت أعلام الأمويين، ومنهم موسى بن نصير الذي كان قائداً في جيش معاوية، ولما خرج معاوية لقتال علي (ع)، تخلف عن اللحاق به، فغاظ ذلك معاوية فجعل يؤنبه ويذكر فضله عليه، فأجابه موسى: «لا أختار الكفر بربي لأشكر

(١) أصالة الإسلام عند العلويين: مصدر سابق .

عطاياك»^(١). وكان موسى بن نصير المؤسس الفعلي للعلوية في أفريقيا. وبعد وفاة الإمام زين العابدين (ع)، حيث كانت المظالم نازلة بالعلويين بدرجة لا تطاق، جمع ابنه زيد - رضوان الله عليه - كبار الشيعة في الكوفة وشاورهم في الأمر، وطلب منهم النصرة للمطالبة بالخلافة، وقد حارب زيد بن علي بن الحسين (ع) بني أمية، وقاتل قتال الأبطال ولكنه كسر وقتل، ثم صلبه الأمويون مدة أربع سنين، ثم حرقوا عظامه، واستمروا في ممارسة ضغوطهم على العلويين، في كل الجهات، فتتابعت المظالم دون أن تغير من عزيمة العلويين في استرداد الخلافة إلى أصحابها الشرعيين من أهل بيت النبوة (ع).

ممارسات العباسيين:

وخسرت الشيعة الإمامين الجليلين: محمداً الباقر وجعفرأ الصادق (ع) بالسمّ وعلى الرغم من انتقال السلطة من الأمويين إلى العباسيين، فقد ازداد الضغط عليهم في هذا الدور، وكان العباسيون يزدادون شدة على العلويين، كلما ازداد الخطر من دعوتهم، وكان هم المنصور الأول أن يعبد أبا مسلم عن خراسان، وهي معقله ومستقر قوته وسلطانه، وعلى الرغم من أن أبا مسلم رفض ما عرضه عليه المنصور، من الإضطلاع بإمارة مصر، فقد سمح لنفسه بأن يستدرج إلى العراق، حيث قتل على عيني الخليفة قرب العاصمة القديمة «المدائن»، ولقد وجد من يثار له في شخص سفيان الفارسي الذي رفع راية العصيان في خراسان، وتوغل في الجبال، وهناك بين همذان والري هزمته جيوش الخليفة، وقضت عليه، وكان العلويون على الأرجح، حتى اللحظة الأخيرة، يعللون النفس بأن أهل خراسان يعملون لمصلحتهم، ومن هنا لم يدعونا في الحال للأمر الواقع، المتمثل في استيلاء أبناء عمومته من بني العباس على السلطان، ولم تكن تعوزهم العزيمة والحكمة السياسية.

ولقد أظهروا معارضتهم للحكم الجديد، في المدينة على الخصوص أولاً بوصفها المركز الرئيسي للبيت العلوي المعارض، وكان كثير من أفرادهم قد

(١) عمر فروخ: تاريخ الفكر العربي.

تفرقوا لذلك العهد في البلاد، فلم يكن من العامل الذي عينه المنصور على المدينة إلا أن سجن عدداً كبيراً منهم، وبث رجاله للبحث عن زعيم علوي كبير هو محمّد بن الحسن الإمام - ذو النفس الزكية - رضي الله عنه - فكان هذا العمل بالذات هو الذي عجّل باندلاع الثورة، وحسم الوضع لمصلحة المنصور، واستشهد محمد بن الحسن رضي الله عنه ومورست سياسة التنكيل .

ومن المصادفات، أن زار هارون الرشيد الخليفة العباسي الحرم الشريف النبوي، فقال مفتخراً عندما بلغ قبر الرسول (ص): «السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا ابن العم». فقال الإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع)، وكان حاضراً إذ ذاك: «السلام عليك يا أبت»، باعتباره سبط النبي من السيدة فاطمة الزهراء (ع) فأسخط هذا القول الرشيد، إذ شعر بصغر قدره إزاء الكاظم (ع) ، فأمر حينئذ بنقله إلى بغداد، وهناك لاقى الإمام حتفه، على يد زبانية الرشيد في السجن .

ومن الجدير بالذكر، أنّ العلويين كانوا يقتدون، في ذلك الزمن، بالرجل العظيم الإمام موسى بن جعفر الكاظم المشهور بالتقوى وكثرة العبادة، حتى سمّاه المسلمون «العبد الصالح»، وفي زمن المتوكل، اشتدّ الأذى على أهل بيت الرسول، وكان من أعماله، أن أمر بنقل كل من كان من سلالة علي (ع) إلى العراق، وهكذا كان ثم أرسلوا إلى المدينة، والتزم العلويون في ذلك الزمن التكتّم والتقية، وكان ذلك في سنة ٢٣٦ هـ^(١) وفي زمنه قتل الإمام الحادي عشر الحسن العسكري (ع) مسموماً، وفي هذا الزمن إشتدّ خوف العباسيين من خطر الإمامة، فجعلوا يوقعون بالعلويين ويزدادون في إضطهادهم لهم، وقد بلغ الأمر بالخليفة المتوكل أن هدم قبر ريحانة النبي الحسين الشهيد (ع)، وتحويل المياه إلى أرضه وحراثتها، وقتل من كانوا مجاورين لمرقده الشريف، حتى أنّ المتصّر العباسي كتب إلى عامله في مصر أن يشدّد في معاملته العلويين، ويحكم في المحاكم عليهم دون إقامة بيّنة. وكان مجرد ذكر الحسن والحسين يكفي لإنزال

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، وتاريخ أبي الفداء.

العقاب بالذاكر، ولذلك هاجر العلويون إلى محيط إسلامي بعيد، وهو بلاد خراسان، وبلاد الأكراد، كما أنهم هاجروا إلى كيليكيا والشرق الأقصى.

بعد العباسيين:

وعندما اخترق المرادسيون، وهم قبائل من البادية، صفوف الحمدانيين قبضوا على ناصية الحكم، واستولوا على حلب قاعدة مملكة الحمدانيين، وبنوا دولتهم على أنقاض تلك الدولة المترامية الأطراف التي كان ملك الروم يخشى بطش رجالها، وبياستيلائهم على حلب أخذ التاريخ يغفل ذكر العلويين، ويطمس عليهم، إذ ما من ريب أن التاريخ حليف المنتصر، وعند قيام الدولة الفاطمية ساهم العلويون فعلاً بتقوية روح الدعوة الفاطمية، وعملوا بكل ما أوتوا من قوة، لنجاحها وإيصالها إلى النفوس ونشرها في البلاد، وإعتقاداً منهم أن الخلافة حق من حقوق أبناء فاطمة (ع)، وقد آن لهذا الحق المغتصب أن يعود إلى أهله، وتخلصاً من حكم الدولة المرדاسية التي سلبتهم سلطانتهم، فأسرعوا إلى البيعة يتفياًون ظلال دولة علوية، مكتفين بإعلان شعائهم الدينية، وإعلاء كلمة مذهبهم الولائي. ولكن في القدر ما لم يكن في حسابهم، فقد تنكر الفاطميون لإخوانهم العلويين، وجردهم من مناصب الدولة ونعمواهم بمرافقتها واستأثروا بالحكم، وادعوا للخليفة الفاطمي العصمة، وهذا ما لا يتفق مع معتقد العلويين الذين لا يقولون بعصمة غير الأنبياء (ع)، والأئمة الأثني عشر (ع) وقد تقدّم ذكر هذا في فصل سابق من هذا الكتاب.

على أن العلويين المسلمين، في زمن الدولة الأيوبية، إنتقلوا من سيء إلى أسوأ، إلى أن قامت دولة المماليك، في منتصف القرن السابع وانتزعت السلطة من الأيوبيين، وقبضت على زمام الحكم في مصر وسورية، وأعادت الجهر في الأذان بـ«حي على خير العمل» فطابت نفوس العلويين بعض الشيء، رغم أنهم ما زالوا في معزل عن الحكم، وفي عام ١٣٠٥ م. أمر السلطان المملوكي محمد بن قلاوون، سلطان مصر من المماليك البحرية رجاله بتسيير حملة عسكرية عظيمة إلى جبال كسروان في لبنان، لإبادة الطوائف الشيعية، ومن جملة من فتك بهم

العرب العلويون الذين كانوا في شمال لبنان، ولا سيما في المنيطرة والعاقورة ونواحي البترون وعكار والضنية، ثم امتدوا إلى كسروان، وكانوا أشداء يساعدون إخوانهم في وادي التيم ومرج عيون، والذين تخلّصوا من الموت من هؤلاء رحلوا إلى الشمال أي إلى جهات اللاذقية وأنطاكية واعتصموا في جبالها وبقي قليل منهم في لبنان^(١).

ويقول الأب أغناطيوس في كتاب «مصطفى بربر آغا»: «أمر سليمان باشا مصطفى بربر، المتسلم مدينة طرابلس الشام، بأن يسير بالعساكر لتأديب ملة النصيرية القاطنين في بلاد المرقب، فسار المذكور وجرت بينهما حروب كثيرة، مدة أربعة أشهر، فلم يقدر على تملكهم، حيث صعوبة تلك البلاد التي لم تسكن بها الخيل ولا تجوزها العساكر، ثم أرسل مصطفى بربر يستنجد من سليمان باشا، أن يأمر متسلم حماة الملا إسماعيل، بالمعاونة، فحضر متسلم حماه، بعسكر نحو ألفين، وحين وصوله أمر، مصطفى بربر أن يهجموا على النصيرية في قرية . . . يقال لها «عين الكروم» وقد كانت موعرة المسالك ضيقة الطرقات، وعاد متسلم حماه، بعد أن ذاقوا مشقة زائدة، من كثرة الأمطار وتزايد فيضان الأنهر التي جاوزوها عند رجوعهم، وبقي مصطفى بربر مثابراً أمام بلاد النصيرية، إلى أن سلموا له، وارتضى منهم مالا يسيراً، ثم رجع إلى مدينة طرابلس.

وفي هذه السنة، تظاهر بالعصيان أهل مقاطعة القرداحة «النصيرية» في أعمال اللاذقية، فمشى عليهم بربر وحاربهم، وقطع منهم سبعة وعشرين رأساً وأرسلها إلى عكا فانوضعت في عكا ثلاثة أيام للفرجة، وبعدها أرسلها الوزير سليمان باشا للباب العالي^(٢).

وقد حمل بربر على النصيرية مرة ثالثة، نزولاً عند أوامر سليمان باشا والي صيدا وعكا، وأما سبب هذه الغزوة فهو أن سائحاً فرنسياً مرّ في بلاد العلويين، يجوب البلاد مستطلعاً ما فيها من قلاع وحصون مدهشة للصليبيين وغيرهم،

(١) المطران دبس: الجامع المفصل وعيسى اسكندر معلوف، دواني القطوف.

(٢) الأب أغناطيوس: مصطفى بربر آغا.

كقلعة الحصن، وقلعة صهيون، وقلعة مصياف، وقلعة المرقب، وكلها من أعاجيب الزمان، وهناك فتك به جماعة من النصيرية وقتلوه، إبتزازاً لماله، ويجعل قاتليه من مقاطعة بيت ياشوط، وهي تبعد عن جبلة حوالي عشرين كيلو متراً شرقاً فشمالاً^(١).

وتقول الأنسة: «بول هنري بوردو» في رواية أخرى هي فيما يبدو أقرب للحقيقة: «إن السائح القتيل هو الكولونيل بوتان الفرنسي من رجال نابليون بونابرت الأبطال المغاوير وأسمه الأصلي: «فنانان كيتل بوتان» وقد عهد إليه مع رفيقه المسيو نرسيات بمهمة خطيرة، ليمهدا أرض الشرق لغزوة نابوليون ويسيرا غورها».

والسبب الأكثر أهمية في هذه الغزوة هو صداقة السائح الفرنسي لليدي استير ستانهوب الأنكليزية، وهي التي كان لها دور كبير وبارز في تأليب الباب العالي، وتحريضه على إرسال حملة جراحة، للأقتصاص من قتلة صديقتها الفرنسي فجاء تكليف من الباب العالي لمتسلم طرابلس، مصطفى بربر أغا بتجيش الجيوش، فتوجه مصطفى بربر حسب الأوامر، وداس بعسكره الأراضي العلوية، وحدثت جملة مواقع بينه وبين العلويين، وراح منهم جملة قتلى، ونهب عساكره تلك الأماكن، وأحرقوا الزرع، وقطعوا الأشجار، وقتلوا الرجال، وسبوا النساء والأطفال، وبقي مصطفى في اللاذقية خمسة أشهر، إلى أن مهد تلك الأراضي وسلموا له الجميع، وأحرق تلك الأوعار التي على جانب الطريق ثم رجع إلى طرابلس ورجع عسكر سليمان باشا إلى عكا^(٢).

ويقول الأستاذ محمد كرد علي، معلقاً على هذه الجريمة التي مثلت في حق العلويين: «وكان مقتل الطبيب الإنكليزي وسيلة إلى الغارة على ضعاف الرعايا، في زمن أصبح فيه شن الغارات صناعة يحترفها أناس مخصوصون، في

(١) محمد كرد علي: خطط الشام. جزء ٣ ص ٢٨، جورج بني تاريخ سورية المعهود: ص ٤١٦.

(٢) المسلمون العلويون من هم وأين هم: ص ١٩ مصدر سابق.

خدمة متغلب من المتغلبين، وإذا ظلمت من دونك فلا تأمن عذاب من فوقك»^(١).

وروى جورج يني رواية في صورة أفسى وأشد مما رأينا قال:

«في سنة ١٨١٦ م بينما كان أحد الأطباء الإنكليز يجول في جبال اللاذقية، هجم عليه بعض أشقياء النصيريين وقتلوه، فصدرت الأوامر مرات بإلقاء القبض على الفاعلين، فلم يكن من ثمرة، بل زاد شرهم وضرهم، وأبوا دفع المرتبات الأميرية، فأرسل سليمان باشا عسكرياً لردعهم، وسار معهم بربر آغا فغزا بلادهم، وقتل فيهم، وقتل سبعين رجلاً من كبارهم، وحشا رؤوسهم تبناً وبعث بها إلى الوزير سليمان باشا، ومع أن حركاتهم قد خمدت أولاً، عادوا إلى العصيان، ولم يدفعوا المال، فسار العسكر إلى تنكليهم تحت إمرة بربر، فضربهم وقتل من كبارهم خمسة وأربعين رجلاً، وأوقع الرعب في قلوبهم فخافوا.

وبمجيء العثمانيين الأتراك إلى البلاد العربية، بعد انتصارهم في معركة «مرج دابق» عام ١٥١٦م، على المماليك، مارس المنتصر السلطان سليم، على العلويين بنوع خاص، شتى أنواع العذاب والقهر، حتى كانت أضرار الأتراك فوق كل حد، وشاع في ذلك الحين عن السلطان سليم أنه لم يثبت مقدرته الحربية، إلا في محو العلويين وأما في اللاذقية، فلم يبق أثر للعلويين سوى مقابر الأجداد.

مجزرة الطاغية سليم العثماني:

وأهمّ المظالم في التاريخ على العلويين، بعد العهدين الأموي والعباسي، جرت في القرن التاسع الهجري، على يد الداوية السفاح «سليم العثماني الأول التركي» وقد أدرك هذا الرجل، بسبب الفوارق المذهبية، ما تحمله نفوس الشعوب من كراهية أوجدتها السياسة الدهياء، وقام بتغذيتها الولاة الرعناء الظلمة، فظاهر هذا الشعبي الداوية بالغيرة على المذهب السني، فأغرى بعض باعة الدين والضمير من المستثمرين، من قضاة الرشوة وعلماء سوء، من أهل

(١) جورج يني، تاريخ سورية المعهود، ص ٤١٧.

الأطماع الدنيوية نعم! أغراهم بإصدار فتوى بهدر دماء الشيعة «العلويين»
فصدرت الفتاوى «الحامدية»، بتنقيح وإمضاء الشيخ «نوح بن حامد الحنفي».

وبسبب هذه الفتوى الجائرة، والفرية الصارخة بالظلم والإثم كانت تلك
الفضائح المنكرة والمجازر الرهيبة التي مثل بها السفاح العثماني في «الشيعة
العلوية» شرقتيل.

فقد كانت المظالم والتحديات دائمة تجاه العلويين، في حماة وحمص
وطرابلس وحلب، واللاذقية وهذه التحديات تحرك عصبيتهم وتسوقهم لأخذ
الانتقام بأي طريق طبيعي.. . باشر الأتراك، في حماة وحلب، في أصول التعذيب
بطرق غريبة منها أسلوب القتل بالخازوق، وهو جعل وتد طويل ذا أنفين وركزه
من جهة، وجعل الأنف الثاني في دبر المطلوب قتله معذباً وهو شاقولي،
ويسحب الرجل من ساقه حتى يدخل الوتد في جوفه، ويبقى على هذه الحالة حتى
الموت عدة أيام، وبما أن الوتد لا يخزّب في الجوف سوى الأمعاء فلذلك لا
يتوفى من أقعد عليه، إلا بعد ما يحصل الإلتهاب في الأحشاء، وذلك يولد
إضطراباً لا تحمله الشياطين، وهكذا كان نصيب العلويين، مما أدهش العلويين
الضعفاء المنهوكه قواهم والمحرومين من حق الحياة! واسم هذا الوتد في التركي،
«قازيق» وتعرب بكلمة «خازوق» والعملية مسماة «قازيقلمه»، أي الإقعاد على
الخازوق وهي لا تحتاج لمحاكمة أو حكم، بل كان رجال الحكومة مأذونين
بإجلاس من شأوا من العلويين على الخازوق، وكانوا في بادئ الأمر يفعلون
ذلك بكل من أحسوا أنه علوي.

ولم تنحصر المظالم والتعذيب في أصول «قازيقلمه»، فإذا كانت الروح
رهينة ذاك العذاب، يمكن لنا أن نتصور ما كانت عليه بقية الحقوق والأمور^(١).

وبذلك فقد أبيد العلويون تقريباً، ما خلا من سكن منهم جبال النصيرة
المنبعة، حتى سنة ١٣٣٠ هـ - ١٩١٠ م، أي إلى زمن احتلال الإستعمار الفرنسي
وقد طغى عليهم في هذه الفترة المظلمة إسم «النصيريون» حيث مرّت أيام في

(١) تاريخ العلويين: ص ٣٥٢ و٣٥٣، مصدر سابق.

التاريخ «اندثر فيها العلويون من الأناضول، حتى نسي أهل السنة إسم العلويين، وجاء يوم كان فيه الناس يسألون عن عقيدة من يسكنون في «جبل النصيرة» حتى لقد صار المسلمون شيعة وسنة» وكذا بقية الأمم، لا يعلمون شيئاً عن أبناء البشر الذين يقطنون الجبل، حيث أن القتال والمحو والتعقيب والتصييق جعلهم في حالة من الإنحطاط الإجتماعي يرثي لها حقاً، حيث أقتصرت أمور العيش البدائية عندهم، في الجبال النائية الوعرة، على المزروعات والمواشي او الحياة البسيطة، إذ كانت العزلة والإنطواء والمرض والجهل والفقر، وانقطعوا عن العالم مدة ٤١٢ سنة أي زمن قتال الأتراك لهم، ولما اندثر بقية العلويين ولم تعرف ماهية من بقي في الجبل منهم، أطلق عليهم إسم «النصيرية» إذ لم تعرف ماهيتهم ولكن الجبل جبل النصيرة، وسمي الموجودون فيه بإسم الجبل، حتى سنة ١٩٢٠ م، وفي أيلول من تلك السنة، صدر أمر من القومسيرية العليا الإفرنسية في بيروت، وفيه تسمي جبل النصيرة: «أراضي العلويين المستقلة، حيث تقرر لهم شكل إداري خاص، وإن كانوا قد رفضوا هذا «الإستقلال المزعوم» حيث أنهم اعتبروه طعنة نجلاء في إسلامهم وعروبتهم، كما سنذكره في حينه، وبعد ذلك حصلوا على بعض الحقوق حيث تعينت لهم محاكم وقضاة مذهبيون وأحدث لهم مرجع بإسم «قاضي القضاة» والحكم في هذه المحاكم كان على أساس المذهب الجعفري، مذهب أهل البيت (ع)، وكان قد تعين لهم قبل ذلك بعض المشائخ في وظائف «الإفتاء».

ونعود للحديث عن السلطان سليم العثماني فقد ذكر في التاريخ عنه: أنه كان محنكاً في الحرب والسياسة، فقد رأى أن يوقف الفتوح في أوروبا، وان يستولي على بعض بلاد الشرق، فبدأ بفارس، وكان يحكمها «الشاه اسماعيل الصفوي» وقد استاء السلطان سليم من الشاه اسماعيل، لمحاولته نشر المذهب الشيعي في الأناضول، وتحريض الأمراء على مقاومة العثمانيين، ولذلك غزا سليم الأول بلاد فارس وكسر الفرس في موقعة «جلديران» قرب تبريز، في سنة ١٥١٤ م واحتفظ بكردستان وديار بكر وقد حارب السلطان سليم الشاه اسماعيل الصفوي بأسلوب خبيث، فقد عمد لمحاربتة داخلياً بما أوحاه إليه

شيطان السياسة فبعث دعائه في الأمة يحملونها في الخفاء على التمرد وشق عصا الطاعة، ويخوفون اللاشيعيين استعلاء المذهب الشيعي الذي أخذ يتغلغل في الأناضول، حتى كاد يستولي عليه، والشاه غافل عمّا يحاك له فلم ينتبه الشاه إلى نفسه إلا وهو وسط بركان من نيران الفتن، فأخذ يدعو الأمة باللين تارة وبالقسوة أخرى إلى التضامن ونبذ الفوارق، ويحضهم على مقاومة العثمانيين، فغزا عدوه اللدود سليم العثماني التركي بلاد فارس، وكسر الصفويين، وأعمل سيفه بعلويي فارس والعراق.

وبخصوص مصر وسورية قال مؤلفوا التاريخ الحديث: «أما في مصر وسورية، فقد ساءت العلاقات بين المماليك والعثمانيين، لأن المماليك كانوا أصدقاء الصفويين وظهرت منهم بعض تصرفات عدائيه نحو العثمانيين، ومن جهة أخرى كان سكان سوريا يرغبون في التخلص من حكم المماليك لسوء حالة البلاد، وقد اتجه سليم الأول نحو سورية، وحارب المماليك وعلى رأسهم سلطانهم «قانصوه الغوري» في موقعة «مرج دابق» قرب حلب سنة ١٥١٦ م وانتصر عليهم، وقد ساعده بعض ولاة سورية ضد المماليك، منهم: خير بك، نائب حلب والأمير فخر الدين المعني، أمير الشوف في لبنان، ولقد صبّ هذا الشعبي الحاقد جام غضبه على الشيعة عامة والعلويين خاصة فأنقض عليهم إنقضاض الصواعق المحرقة، فأخذهم أخذاً وبيلاً وقتك بهم فتكاً ذريعاً، ولم تهدأ نفسه الشائرة، حتى ظن وبطانته الفاسدة أن تلك الفرقة إنقرضت أو كادت فأغمد سيفه الأثيم المشؤوم، وهو ينظر إلى تلك الدماء البريئة تقطر منه، فتأخذه العزّة بالإثم، وقد أباد بتلك الفتوى الظالمة الجائرة، من مؤمني وشيعة حلب، ما يربو على الأربعين ألفاً، وقيل تسعين ألفاً وانتهبت أموالهم وأخرج الباقون من ديارهم.

لجوء العلويين إلى الجبال وبداية عصر التقهقر فيهم

وعندما سكنت تلك العواصف الهوجاء أخذ العلويون الناجون السالمون من مجازره، في العراق وسوريا، يجمعون بعضهم بعضاً، ويتسللون تحت جناح

الليل إلى تلك الجبال النائية المقفرة، يعتصمون ويلوذون بغاباتها وكهوفها، ولم يقتصر السلطان سليم على المجازر والقطائع والإبادة التي مثل لها في العلويين، بل زاد في الطين بلة، حيناً استجلب العشائر التركية من الأناضول، ويقدر عددها آنذاك بمليون نسمة، وأسكنهم في السهول المحيطة بمعاقل العلويين، من جبال طوروس إلى جبال عكار، ولا تزال بقاياهم في هذه البقاع حتى اليوم، وسلط سليم العثماني الأتراك الوافدين على العلويين المحاصرين في جبالهم، بغية إفنائهم، وهي فكرة خبيثة تهدف إلى أمرين رئيسين: أولهما تترك هذه البلاد، وثانيهما القضاء التام على العلويين، وقد فشل في سوريا لكنهما نجحا في الأناضول، حيث إحتشد فيها بعدئذ الملايين من الترك والأرمن والأكراد.

وقد استطاع الطاغية سليم العثماني أن يحشر العلويين السالمين من أذاه، في هذه الجبال الوعرة الضيقة، لا يستطيع أحدهم الخروج من بينها إلا إذا كان يفضل الموت على الحياة، فالترك محيطون بجبالهم إحاطة السوار بالمعصم، وقد عمّر الأتراك المدائن واستوطنوا السواحل، وبثوا على منافذ الجبل العيون والأرصاد، وكثيراً ما كانوا يهاجمون العلويين في عمر دورهم، فيقتلون ويدمرون وينهبون، حتى اضطرت أكثر العلويين إلى سكن المغاور والأنفاق، تفادياً من سيوف أولئك الغزاة الشعوبيين الذي صحّ فيهم قول الحق سبحانه: ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾^(١).

وتقطعت بالعلويين الأسباب، جراء تلك المحن والخطوب، التي يشيب لمآسيها الولدان، وسدّت في وجوههم المذاهب، تتنازعهم الحسرات وتعتورهم الخطوب والمللمات، والناظر إلى هؤلاء الناس، بعد تلكم المآسي والويلات والمهلكات، يكبر فيهم صبرهم وصمودهم في وجه تلك العواصف والرياح الشعبية الهوجاء التي كانت تتنازعهم، آناء الليل وأطراف النهار، فقد حيل بينهم وبين ما يشتهون من ملذات الحياة الدنيا ومترفاتها، وبذلك أبعثوا عن المدنية والإجتماع، كأن لا وجود لهم على هذه الخارطة البشرية، وسكنت دورهم

(١) سورة المائدة: الآية ٧٩.

وصودرت أملاكهم ونهبت أموالهم وبسبب ما أنزل بهم من ويلات وكوارث وما ألمّ به من نوازل، ولبعدهم عن المدنية والإجتماع وانزوائهم في الغابات والكهوف، تأخروا في ميادين الثقافة والدين والعلم، وتفشى فيهم الجهل والأمية، وطغى عليهم التزمت والإنكماش وزين لهم حبّ الحياة إثارة العزلة فألفوا الوحدة، واستسلموا للإستكانة، وغضوا أبصارهم عمّا يحاك لهم من دسائس، وأصموا أذانهم عما يسمعون من تهم توجه إليهم وأكاذيب تلفق عليهم.

على أن العلويين كانوا صورة طيبة للجهاد، على مدى حركات الإستقلال العربية التي آخرها، أحداث سنة ١٩٢٠م في سورية، وما حديث البطل الفارس الشجاع المرحوم الشيخ صالح العلي بخفي، فقد نشبت الثورة في الجبال والساحل السوري، في شهر أيار سنة ١٩١٩م بقيادة الشيخ الثائر صالح العلي، ومؤازرة لفيف من وجهاء الشعب وقادته، وكثير من رجال الجهاد والتضحية، من مختلف أبناء العشائر العلوية الذين وقفوا في وجه الإستعمار صفّاً واحداً متراصاً متعطشاً للحرية.

وقد اشتهرت هذه الثورة ببسالة رجالها المجاهدين الأحرار، وبأنهاك الفرنسيين، وأهلاك كثير من قواتهم، ممّا إضطر السلطة العسكرية الفرنسية إلى استقدام قوات كبيرة لمطاردها، فقامت في شهر حزيران من سنة ١٩٢١م، آخر معركة في القدموس، دارت فيها الدائرة على الثورة، وانتهت بانتصار الفرنسيين، وقيام حكم الإنتداب في البلاد^(١).

(١) «النبا اليقين عن العلويين» ص ١٦٩ و«العلويون والتشيع» ص ٤٥.

دسائس المستشرقين قديماً وحديثاً على العلويين

المستشرقون فرقة أو جماعة من علماء الغرب يعملون في آداب وتاريخ وعلوم شعوب الشرق، بقناع يسمى نشر الثقافة، وإنارة الأفكار، وتنمية المدارك، وتوسيع دائرة الثقافة وأوربا هزّ كيانهما أن تسقط عاصمة بيزنطة عام ١٤٥٣ م على يد محمد الفاتح، وقد عزم الأوروبيون آنذاك على أنّ اللجوء إلى القوة، والأحتكام إلى السلاح غير مأمون النتائج دائماً، بسبب إراقة الدماء وإزهاق الأرواح وتدمير البلدان، فعمدوا إلى اتجاه جديد يهدف إلى تغيير النظرة إلى الحياة، أو ما يسمى اليوم بعلم السياسة بالفصل والوصل، ونعني به فصل الفرد أو الجماعة أو الأمة، عن التاريخ والتراث والماضي، وقد عرف الأفرنج، فيما مرّ عليهم بسبب التجاور، الكثير من أخلاق وعادات وسلوك المسلمين والعرب، وتعلّم الكثيرون منهم لغة العرب، وقرأوا الكتب والتاريخ، وخبروا مواطن القوة والضعف في بنية المسلمين الإجتماعية، وكذلك تعمقوا بدرس خلافاتهم الطائفية والمذهبية، وحتى القبلية، فأعدوا لكل أمر عدته، ولبسوا لكل حالة ثوبها، فأعدوا العدة وجهزوا الأشخاص، بعد تخصصهم في مدارس أعدت لهذه المهمة، ثمّ نشرهم في بلاد العرب والمسلمين، مزودين بما يكفل لهم النجاح من الأسباب، وبما يحقق الغرض، ويوصل إلى الغاية.

وتوزع هؤلاء بحسب المهام، تحت ستار نشر العلم وترويج الثقافة، والإطلاع على الأوابد، والتنقيب عن الآثار، والحج إلى الأماكن المقدّسة ومنهم إمعاناً في التضليل، من إعتنق الإسلام، وجاء بعد الأستشراق، موكب المبشرين الإنسانيين الذين أقاموا المؤسسات الثقافية، من مدارس ومعاهد وجامعات

ومطابع، وصحف ومجلات ودور نشر، وشركات توزيع ومكتبات ودعاية وإعلان، وترجموا الكتب ونشروا المخطوطات، وأقبل الناس على هذه المؤسسات يعبون من هذه العلوم، ولم يدركوا ما يبئ لهم أو يراد منهم^(١).

ويبدو أن لبنان وعاصمته بيروت كان المرتع الخصب لهذه المؤسسات، حينما نشطت المؤسسات الإستشراقية والتبشيرية وعملاؤها بإصدار الكتب التي تكتظ صفحاتها بالدسّ على العرب والمسلمين، وماضياً وحاضراً، ودأبت على خلق التناقضات بين فئات الأمة ومذاهبها، ونبش سلبيات التاريخ بغية نشر الفتن، وإيجاد الوقيعة بين أبناء الدين الواحد.

وقد عرفنا في هذه المرحلة صاحب «الحقيقة الصعبة» المدعو أبو موسى الحريري» وهو فيما بلغنا «الأب بطرس قزي» والمدعو «عبد الحسين مهدي العسكري» وهو فيما بلغنا عبد الله سلوم السامرائي من زبانية السلطة في بغداد والمدعو «الحسيني عبد الله» و«مصطفى جحا» و«أنور ياسين» وهي غالباً أسماء مستعارة، كما عرف المثقفون عبد الرحمن بدوي، صاحب كتاب «مذاهب الإسلاميين» و«فرسان الحقيقة الصعبة».

إذن فقد عرف قراء هذه المرحلة ما قام به هؤلاء من التحريض والإفتراء والكذب ما أعاد إلى الذاكرة عند الأحفاد، ما وقع في القديم للأجداد، من أمثال هذا الكذب والإفتراء من أمثال: «الملل والنحل» للشهرستاني و«الفرق بين الفرق» للبخاري، والمستظهري، وفتاوى ابن تيمية، ونوح بن حامد الدمشقي، وإذا بالتاريخ يعيد نفسه.

وبعد هزيمة الرومان الصاعقة في معركة «اليرموك» إنتقل الصراع من الرومان إلى البيزنطيين، بحيث أن بيزنطة أصبحت تنظر بهلع وخوف، وتوجس وجزع، إلى الدولة الإسلامية الجديدة الفتية القوية، وراحت تتحين الفرص، للإنتفاض على العالم الإسلامي، وإختراقه من الشمال. واستمرت الغارات، بين المسلمين وخصومهم، أربعة قرون، واشتد سعيها، في أيام الدولة

(١) حامد حسن: وجهاً لوجه: ص ٥٤ مطبعة عكرمة دمشق ١٩٩٢.

الحمداية المسلمة حيث أطلق المؤرخون عليها إسم: «حرب الثغور»، وأطلق عليها العرب إسم: «الصوائف والشواتي».

وبعد سقوط الإمبراطورية الرومانية، على يد برايرة الشمال، بستة قرون قامت فكرة الحروب الصليبية، في نفوس الفرنجة الأوربيين، وكان الإسلام قد بلغ الصين والهند، في سعة فتوحاته إلى أقصى الأندلس وقلب إفريقيا، وأنشأ حضارة قوية متماسكة، وحوصرت بيزنطة في الشمال، في هذه الفترة إنطلق الرهبان يجوبون أوروبا، من أقصاها إلى أقصاها، مستثيرين حماس الناس الديني والعربي، داعين إلى استرجاع الأماكن المقدسة، مبشرين بالنعيم الأبدي للمشاركين في هذه الحروب المقدسة ومقدمين السلاح والأموال للجنود.

وكان من أكثر الدعاة حماساً وإثارة ونشاطاً البابا «إيربان» الذي وقف على المنبر، في مدينة «كلير مونت» فألقى خطبته النارية الحاضرة التي جاء فيها: «يا شعب الفرنجة يا شعب الله المختار، إن شعباً أبعد ما يكون عن الله قد طغا وبغا في بلاد المسيحيين». وتحركت أوروبا عقب هذا النداء، ملوكاً وأمراء، وإقطاعاً وشعوباً، على ما بينها عن عداء وتناقضات، وتدفقت الجيوش إلى الشرق، واكتسحت في طريقها بلاد المسيحيين البيزنطيين أنفسهم، واجتاحت ديارهم وأراقت دماءهم، ونهبت الأقوات في الكثير من شرق أوروبا، وبعض آسيا الصغرى، كما أضطر أمبراطور بيزنطة أن يخضع للأمر الواقع، فأخذت تلك الجيوش الجرارة، تتوغل في بلاد الإسلام، داحرة مجتاحة كل القوى التي تعترض سبيلها، حتى بلغت بيت المقدس، فأقامت ما سموه بالممالك أو الإمارات الصليبية، وأضطر العديد من ولاة وملوك وأمراء المسلمين لعقد الإتفاقيات معها. وقد إستمر الصليبيون في هذا الشرق قرابة مئتي عام: من سنة ١٠٩٥ م. إلى سقوط عكا آخر حصن لهم سنة ١٢٩١ م^(١).

ونعود بالحديث إلى الأستشراق والمتشرقين، فقد نشأ جيل من الناس أنقن لغتهم وأغفل لغته، وتشبه - بكل أسف - بثقافتهم وجهل ثقافة أمته، وتخلق

(١) المصدر السابق، ص ٤٩.

بأخلاقهم وتنكر لأخلاق أمته، فأصبح لا يرى إلا من منظورهم، ولا يزن ولا يكيل إلا بموازينهم.

وقد أوردت موسوعة المشرقين الي أصدرتها «دار العلم للملايين» أكثر من مئتي إسم من أسمائهم، ونوهت بتأليفهم في مختلف العلوم، وخاصة في تاريخ الشرق والغرب والإسلام والمسلمين، والجميع مزودون بالعلم والمعرفة، ولكنهم في الوقت عينه مزودون بالغرض والغاية والقصد، وهم محكومون بتحليل الحوادث بطريقتهم الغربية، وعقليتهم الأوروبية، وفق مناهجهم الثقافية، وهي تختلف عن طرقنا في التحليل، وتختلف عن مناهجنا في ربط الأحداث، بالزمان والمكان والأشخاص والأغراض.

وهناك نماذج من هذه الفئة لم تكتف بما وضعت من تأليف ونشرته من دعايات، بل عمدت، بالتعاون مع مؤسساتها، إلى وضع الموسوعات العامة، يبقى عملها مع زيفه وإضلاله - مصدراً للباحثين، ومنطلقاً للدارسين ومن هؤلاء:

فانتور: متشرق داهية محنك، أمضى في بلاد الإسلام أربعين عاماً، يراقب ويرصد ويرسم ويخطط، وفجأة يظهر في طليعة الحملة الإفريقية التي قادها نابليون على مصر^(١). ومصر لما لها من أهمية في العالم العربي والإسلامي، ولأن موقها يعتبر مدخلاً رئيسياً للشرق الأوسط، فقد لعب الأستشراق دوراً خطيراً وكبيراً في هذا البلد المسلم المهم، وقد توارد وتوافد عليها المتشققون حملة هموم الغرب، تارة بإسم العلم والمعرفة، وطوراً بإسم السياحة والإطلاع، وأشدّ الخطر يأتي ممن تزي منهم بزي المسلمين، وتظاهر بما يرضي المسلمين، من صوم وصلاة، ودرس العادات وتثقف بثقافة القوم، وتعمق بدراسة الدين والأدب والفقہ.

والذي يقيمك ولا يقعدك، أن نابليون الذي دوّخ أوروبا، وأذلّ ملوكها وأمرأها، كان تلميذاً وأداة نجبية طيعة في يد فانتور هذا وأضرابه من المبشرين والمتشققين الذين إقتادوه صاغراً ليقوم بهذه المغامرة، في غزو الشرق ليعيد

(١) المصدر السابق: ص ٥٦.

المجد السالف المضاع، ويجدد الإمارات الصليبية التي دامت مائتي عام.

ويقول محمود أحمد شاعر في كتابه «المتنبى»: «إن فانتور شيطان نابليون ومستشاره وخليله ونجيه، لا يفارقه في الحل ولا في الترحال، يرسم له الطريق، ويعين له المدى، ويحدد له الهدف، ويقدم النصيح والإرشاد»^(١).

وقد أغرى هذا الرجل نابليون، وزين له غزو الشرق، ليعيد مجد أجداده، ويسترد ما فقدوه من الممالك والأمارات اثناء الغزو الصليبي، ويقيم امبراطورية شرقية مترامية الأطراف عظيمة الشأن غزيرة الموارد، فجاء نابليون بتلك الحملة المؤلفة من ٣٦ ألفاً من الجنود القواد والأدلاء والخبراء مزودة بسلاح العصر، من أدوات الفتك والتدمير وأعظم وأفتك تلك الأسلحة على الأمة وتاريخها وحضارتها وتراثها ومقوماتها وخصائصها هم أولئك المستشرقون، من أمثال فانتور ولفيفه، ممن يحمل على كاهله هموم العرب ويعتلج في قلبه كره العرب والإسلام، ويختلج في صدره سمّ العداة لشعوب الشرق، وإذا بفانتور هذا يقود بربرياً متغطرساً مستخفاً بكل القيم، متظاهراً بزي متحضر، فيدمر حضارة شعبه، ويوقف حركة تقدمه، ويشلّ قوة تطلعه ويطمح بتوسيع دائرة امبراطوريته إلى أبعد من مصر إلى سورية، لكنه رجع ذميماً مدحوراً عن أسوار عكا، وقد أوحى هذا المتشرك إلى البربري المتحضر، أنّ المسلمين يستجيبون للزعة الدينية وينقادون للعاطفة الروحية، وأن عليه أن يتظاهر بإعلان إسلامه، ويلبس العمامة، ويارتداء الزي المصري، وبالمشاركة بالأعياد الدينية، وبالإيمان بالقضاء والقدر وبأنه جاء لينقذ المصريين من حكم المماليك الظالمين، ففعل الشقي ذلك.

ومنهم لامنس: وهو متشرك بلجيكي، وراهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام والعروبة، وهو يفتقر إلى النزاهة في البحث، والأمانة في نقل النصوص وفهمها، ويتعبر نمودجاً سيئاً للباحثين في الإسلام، من بين المتشركين، وقد خلف الأب لويس شيخو اليسوعي في إدارة مجلتي «المشرق والبشير» وقد درج على ما درج عليه «ليونى كاتياني» من القول: بأن كتب الحديث كلها موضوعة.

(١) محمود أحمد شاعر: المتنبى.

وفي كتاب لامنس، عن فاطمة وبنات محمّد، كان يشير في الهوامش إلى مراجع غير موجودة مطلقاً، لا يعرف باحث من المستشرقين بلغ هذه المرتبة، من التضليل وفساد النية، وما كتبه في السيرة النبوية، وفي الإسلام وفرقه، فقد عبر عن كراهية للإسلام، في غلّ منقطع النظر^(١).

أمّا ما كتبه عن النصيرين، فقد بذل جهده مستميتاً ليخرجهم من الإسلام إلى المسيحية فكتب ما أوحى إليه ضميره التبشيري، وما حقق به غرضه، وقد بلغ به تجاهل الحقيقة وتجاوز الواقع حدّاً ضاق به معه حتى زميله «رينه دوسو» مع أنهما يشربان من قليب واحد ويسعيان إلى هدف واحد، ففي حين يجهد «لامنس» نفسه، ويكد قلمه، ويعرق جبينه ليقول إنّ النصيرين من أصل نصراني، يأتي «رينه دوسو» بحكم معاكس، ورأي مخالف ويعود بالنصيرين إلى أصول فينيقية^(٢).

ويأتي في المراحل الأخيرة، وتحديدًا بعد ١٩٨٠ م ثالثة الأثافي «أبو موسى الحريري» وهو الأب بطرب قزي، أحد فرسان «الحقيقة الصعبة» وقد استعرض آراء زميله «لامنس ودوسو» ففندها وانتقص منها وزاد عليها، ومما جاء في كتابه «العلويون النصيريون قوله».

«في كل ما كتب لامنس عن النصيرين، لا نجد أية إشارة إلى أي مرجع من مراجعهم، لم يعرف الأب لامنس - كما يبدو - أي كتاب أو أي مخطوط لهم، وهو لم يستق معلوماته من كتبهم، بل من كتب وضعها باحثون فكان مرجعه الأساسي سليمان الأذني النصيري المرتد - ومرجعه الثاني جولاته ورحلاته في بلادهم، وان كثرة المعالم - الخرائب - المسيحية في بلادهم لا يعني أنّ أصلهم نصاري، وقد يغفل الأب لامنس بعقليته الأوروبية أمر التهجير^(٣).

(١) عبد الرحمن بدوي - موسوعة المستشرقين ص ٣٤٨.

(٢) وجهاً لوجه: ص ٥٩، مصدر سابق.

(٣) أبو موسى الحريري: العلويون النصيريون.

والحريري المزعوم وان إختلف مع زميله المبشرين شكلاً، فإنَّ إختلافهم ليس إلاً قصداً، لتوسيع دائرة الإتهام، على أنَّ قارئهم لا يتفلسف من الدائرة التي رسموها، ولا ينتقضي العجب من الحريري هذا، كيف ينقل بعض أقوال زميله لامنس، في بعض الفرق المسيحية ومنها:

«يرى لامنس أنَّ اللعنة التي يطلقها النصيريون على «يوحنا مارون» البطريك الأول للموارنة (٧٠٧ م) ليست هي من صنعهم، لأن الروم الأرثوذكس الملكانيين في سورية، أطلقوها قبلهم، منذ الجيل التاسع، وكتبهم مليئة بها، بسبب عصبيتهم ضد الموارنة أنصار المجمع «الخلقيدوني المسكوني» الرابع (٤٥١ م) الذي حرمت فيه عقيدة الطبيعة الواحدة، فالأب لامنس يرى أنَّ النصيريين من هذه اللعنة، لأن المؤسسات المارونية في جبل السمّاق، حيث يوجد النصيريون، لم تكن كثيرة لتكون فاعلة، ولم تكن قديمة العهد، ففي الأمر صدئ بعيد للجدال بين الموارنة والملكانيين، سابق للجيل التاسع»^(١).

والحريري هذا ورفاقه، من أصحاب، الحقيقة الصعبة كان أحرى بهم أن يعالجوا شؤون قومهم وأبناء عقيدتهم، وإصلاح خلافاتهم، والعمل على توقي لعنتهم، كم هو الحال هنا بين الموارنة والأرثوذكس والملكانيين، وغير ذلك من مئات وآلاف الخلافات التي فرقت المسيحية إلى طوائف وعقائد وفرق وملل ونحل وطقوس.

ومن المستشرقين أيضاً: ماسينيون (١٨٨٣ - ١٩٦٢ م): وهو متشرق فرنسي وعالم آثار، ونحن نعلم أن الإفرنسيين كانوا أكثر شعوب أوروبا إقبالاً على الإنخراط في الحملات الصليبية، وأوفر عدداً. وقد أتقن هذا المتشرق التسلسل، ولعب دوره ببراعة، فدرس - وهو عالم أثرى - اللغات الشرقية في المدرسة الوطنية التي أعدت لتخريج هذه الفئة، وتخرج منها أجيال متلاحقة من المستشرقين الفرنسيين وأجانب، ولا تزال هذه المدرسة، حتى هذا اليوم، في مكانها: رقم ٤ في شارع ليل، بالحيّ السابع من باريس، تؤدي عملها

(١) المصدر نفسه.

بنشاط^(١) .

كان ماسينيون على صلة وثيقة بالأب «شارل دي فوكو» الراهب الذي عاش في صحراء الجزائر بين الطوارق، ووضع قاموساً في لهجة الطوارق، ولعب دوراً سياسياً غامضاً، في الجزائر وتونس، وانتهى الأمر بمصرعه في تونس عام ١٩١٦ م^(٢) .

وقد ركز ماسينيون أبحاثه على الحلاج الصوفي الشهير، واعتبره شهيداً، وقد يتساءل المرء لماذا الحلاج؟ وهو شخصية قلقة غريبة الأطوار والأفكار، وقد وصل به الإغراق إلى الشطح والإجتراء وبلغ به الأمر أن ادعى الألوهية، وقد كان مصيره الفاجع القتل والصلب، والتشهير والتمثيل .

ويقول الأستاذ حامد حسن في كتابه «وجهاً لوجه»: «المسلمون الأول لم يعرفوا التصوف، كطريقة وتقنية ورموز، وإنما عرفوا الزهد، والزهد كما ورد في القرآن الكريم، وكما تمثله وطبقه عملياً الرسول (ص) وأصحابه ذوو النزعات الزاهدة» .

دخل التصوف - كما هو بشكله عند الحلاج وأصحابه - على المسلمين عن طريق العناصر غير العربية، أو الشعوب التي دخلت الإسلام شكلاً، وأضمرت له العداء سرّاً، انحرفت بالزهد حتى صار تصوفاً، ذا تقنية وممارسات خاصة، ومقامات وأحوال ومجاهدات، وزياً خاصاً يتميز به أهله .

وما كان التصوف بشكله هذا إلا تحدياً للشريعة الإسلامية، وتفسيراً منحرفاً لنصوصها وفهماً مغايراً لمقاصدها فالشريعة نصّ واعتقاد، وتكاليف معروفة، أما التصوف، فذوق وقلوب ومواجيد، وطريقة وحقيقة. المتصوفة لا يتقيدون بالنص، وربما لا يؤمنون به، بل يمشون بعيداً في الإستبطان، ويستغرقون بالتأويل والترميز .

(١) عبد الرحمن بدوي: شخصيات قلقة في الإسلام.

(٢) المصدر السابق.

من هنا جاء إهتمام المتشرقين بالتصوف الإسلامي، وأكثر المتصوفة إن لم نقل كلهم غير عرب، لقد وجد المتشرقون في التصوف حجة ودليلاً ومنطقاً، لجعل الإسلام قسمين: أصحاب المواجد والذوق والرموز، وأصحاب النص والشريعة، وهذا ما جعل ماسينيون يرى في الحلاج شهيد عقيدة.

يروى الدكتور هشام الشواف، الأمين العام للمكتبة المركزية في بغداد، عن القس العراقي «وهان الموصلي» المقيم في باريس: أن لويس ماسينيون كلفه بإقامة قداس خاص عن روح الحسين بن منصور الحلاج، في البيعة التي يشرف عليها في باريس، ولكن القس ذكر لماسينيون أن الحلاج متصوف مسلم، والبيعة دار عبادة مسيحية.

ماسينيون تلميذ الأزهر، أكبر جامعة دينية إسلامية، واللابس عمامة المسلم يطلب إقامة قداس عن روح صوفي مسلم في بيت عبادة مسيحي ولا يرى إقامة صلاة عن روحه في مسجد إسلامي؟

وروى الدكتور الشواف نفسه، أنه رأى ماسينيون واقفاً وقفه خشوع وتبتل، في الجامع الكبير في باريس، يقرأ الفاتحة على أرواح العمال الجزائريين الذين سقطوا برصاص الشرطة الفرنسية، لقيامهم بتظاهرة إحتجاج ضد الحرب في الجزائر!!

ونقول: كان الأجدى من صلاة ماسينيون إذاعة بيان، أو نشر مقال في الصحف يستنكر فيه هذا العمل الهمجي، لكنه لم يفعل، بل وقف يقرأ الفاتحة تضليلاً وإمعاناً في التدليس على المسلمين^(١).

وخلاصة القول: إن كل ما نشر وينشر في بيروت «مقر المستشرقين والمبشرين» في النصف الثاني من هذا القرن وقبله حول العلويين لا يعتد به من وجهة الإنصاف والعلم وشرف البحث، وجدية القول والتزام الموضوعية، وما نشر ينطلق من نزعات سياسية، ومذهبية وعنصرية، وكل الكتب: من «مذاهب

(١) وجهاً لوجه - ص ٦٥ - مصدر سابق.

الإسلاميين» لعبد الرحمن بدوي الجزء الثاني وما كتبه الحريري المزعوم: «قس ونبي» «أعرابي هو» «نبي الرحمة» «العلويون النصيريون» وما كتبه أصحاب «الحقيقة الصعبة» وأنور ياسين في «سلسلة الأديان السرية» وكل هذه الكتب تحمل فكرة واحدة، وتلتقي عند غاية واحدة: وهي تفريق كلمة المسلمين، وإيجاد الشقاق بينهم، وإحداث الواقعة بهم.

وقد لا تعجب، إذا علمت أن من الإتفاقات العجيبة أن يتزامن هذا الهراش، من الحملة المسعورة، مع التحرك السياسي المحموم، فكتب عبد الرحمن بدوي، بعد زيارة السادات للقدس وتوقيع إتفاقية «كامب ديفد» وموقف سورية ضد هذه الإتفاقية المخزية.

والأب بطرس قزي (أبو موسى الحريري المزعوم) لم يكتب سلسلة كتبه، إلا بعد حرب الفتنة في لبنان، وتدخل سوريا لنزع الفتيل ووقف حمام الدم، ورحمة بلبنان المعذب الممزق أشلاء آنذ، ومثله مصطفى جحا.

وأما عبد الله سلوم السامرائي مستتراً بإسم عبد الحسين مهدي العسكري، وهو إسم شيعي، فإنه لم يكتب إلا بعد قيام الحرب الإيرانية - العراقية المفروضة على الجمهورية الإيرانية المسلمة، ووقوف سورية إلى جانب الفريق الحق المعتدى عليه.

ويقول صاحب كتاب «ولاية بيروت»: «إنَّ المستشرق «دوستو» ينكر على من يزعم - ويقصد الأب لامنس - إن النصيريين دخلوا في النصرانية قبلاً، ثم انسلخوا عنها، ويقول: ولا بُدَّ لمن يطلع على آراء هذين المستشرقين لامنس وشيخو، أن تعثره الحيرة ويظن الظنون»^(١). ثم يقول: «تعرض المسلمون والنصارى لهذه الفئة (النصيريين) وألصقوا بها العادات الذميمة، لأنه من المسلم به في تاريخ الأديان أن العقيدة الدينية، إذا كانت قليلة الأفراد مسورة بالخصوم والمخالفين لا بُدَّ لها أن تكون عرضة للطعن والقذح، لقد كانت النصرانية في

(١) ولاية بيروت: التميمي وبهجت ج ٢ ص ٢٨.

بادئ أمرها هدفاً لتعرض الرومانيين وافتراءاتهم»^(١) .
 لكن النصيريين لم يتعرضوا لما تعرضوا له بسبب العقيدة الدينية بل بسبب
 العقيدة السياسية .

الفرق بين تأليه المسيح (ع) والغلو في علي بن أبي طالب (ع)

لا يوجد مؤلهة لعلني، بمعنى التأليه المعروف عند المسيحيين للمسيح
 مثلاً، بل يوجد نمط من المغالاة في حبه، عند بعض المسلمين، فيرون إن علياً
 فوق الملخوقين قداسة ودون الخالق والأنبياء مرتبة، أو ما يعبر عنه
 بـ «السوبرمان» أي الإنسان المتفوق، أو حلقة الوصل بين الإنسان والإنسان
 الكامل، وهذا أقصى ما بلغ المغالون في علي (ع). أما القائلون بأقنوم ناسوتي،
 وأقنوم لاهوتي في علي (ع) فلا وجود لهم، ولم يسمع بهم أحد، ولا نعلم عنهم
 شيئاً وربما كان المقصود بهم أولئك الذين مرّ ذكرهم آنفاً، وهو الأرجح،
 والأقرب للمنطق.

ليس في كل مصطلحات العقائد الإسلامية: أقنوم، أو أقانيم، والأقانيم من
 مصطلحات المسيحية التي تجعل الإله في ثلاثة أقانيم: أب، وابن وروح قدس،
 والسيد المسيح لذكره السازم، أحد هذه الأقانيم، وهذا التثليث، كما أجمع
 الدارسون هو مرحلة من مراحل الانتقال من التعدد إلى الوحدانية، فقد إتجهت
 المسيحية في هذه المرحلة إلى القول بالاله الواحد ولكنها لم تستطع الإنعتاق من
 التعددية، فكان الإله الواحد ثلاثة أقانيم، أما الإسلام ودستوره القرآن الكريم فيقوم
 على التوحيد وإفراد الإله: ﴿الله أحد الله الصمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً
 أحد﴾^(٢) ﴿أنما إلهكم إله واحد﴾^(٣) ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾^(٤)
 ﴿ليس كمثله شيء﴾^(٥) الإله في الإسلام متوحد غير متعدد ومجرد غير مجسد .

(١) المصدر نفسه .

(٢) سورة التوحيد .

(٣) سورة الحج : الآية ١٠٨ .

(٤) سورة الأنبياء : الآية ٢١ .

(٥) سورة الشورى : الآية ١١ .

بهذه الواحدانية تفرّد الإسلام، كما تميز بنفي التجسيم والتجسيد والشبه والحوادث، لا تدركه الأبصار، وصنعتة تدل على وجوده، وقدرته توحى بإحاطته بكل شيء ما يرى، وما لا يرى.

أما كيف وجدت هذه المزاعم: تأليه علي، والأقنومان اللاهوتي والناسوتي به ومتى ابتدعت هذه الإفتراءات، واجترحت تلك المثالب والسيئات، فكله من عمل السياسة لدفع «المعارضين» أولاً، ومن سموم الشعوبية ثانياً والمذهبية الضيقة ثالثاً، وأصحاب الكيد للإسلام رابعاً، وعمل الإستعمار وأعوانه من المستشرقين والمبشرين خامساً، ومثل هذا الأمر، وشيبه بهذه الأحداث، ونظير هذه الوقائع، وقريب من هذه النزعات والنزغات حدث للمسيحية في عصورها السابقة.

لقد عرفت المسيحية الإضطهاد بكل أنواعه؛ من السلطات الحاكمة، وتعرضت لأنواع الإختلافات المذهبية، وعانت من التهم والمكائد، والتمزق والتشرد، والتكفير والتبديع وتشديد النكير، وهاكم بعض الأمثلة:

صلب الوالي الروماني الأقنوم الإلهي المتجسد في السيد المسيح، لأنه «عارض» ما يرتكبون من شرور وآثام، فاتهموه بأنه يريد تقويض السلطة. وقال تلامذته صلب مختاراً ليحمل خطايا شعبه!!

ولقي تلامذته ومريدوه ألواناً شتى من العذابات، وعلى رأسهم بولس - رسول الأمم - وسيق إلى روما حيث قطع رأسه، ومات بطرس مصلوباً ورأسه مدلى إلى الأسفل.

ويقول ول ديورانت: «إن أتباع المسيح انقسموا، في القرون الثلاثة الأولى، إلى مئة عقيدة وعقيدة. أما الشيع الضالة الأخرى، فقد كانت مما يخطئه العدّ والحصر، كالمخيلة، والثيودوتية، والمنتنية، والظاهرية والسابلية وغيرهن^(١).

(١) ويل ديورانت - قصة الحضارة - جزء ١١ - ص ٣٩٤.

وهناك الخلافات والإنقسامات على المستويات العليا، كانقسامات
المجامع المسكونية، والحرمان، والطرده، والتكفير، ونورد هنا بعضاً من هذه
الإنقسامات:

- | | |
|---------------------------|----------------------------|
| ١ - مجمع نيقية .. | حرم أريوس ٣٢٥ م |
| ٢ - مجمع القسطنطينية ١ .. | حرم مقدونيوس ٣٨١ م |
| ٣ - مجمع أفسس .. | حرم نسطور ٤٣١ |
| ٤ - مجمع خلقيدونية .. | حرم أوطيخا ٤٥١ . |
| ٥ - مجمع القسطنطينية ٢ .. | حرم الكتبة الثلاثة ٥٥٣ . |
| ٦ - مجمع القسطنطينية ٦ .. | حرم يوحنا مارون ٦٨٠ |
| ٧ - مجمع القسطنطينية ٣ .. | حرم المونوتيلة ٦٨١ . |
| ٨ - مجمع نيقية ٢ .. | حرم محاربي الأيقونات ٧٨٧ . |
| ٩ - مجمع القسطنطينية ٤ .. | حرم فوتيوس ٨٦٩ . |
| ١٠ - التريدينسي .. | حرم البروتستانت ١٥٤٥ . |
| ١١ - مجمع الفاتيكان ١ .. | حرم العصمة البابوية ١٨٦٩ . |

وفي عام ١٠٥٤ تبودل قرار الحرمان بين الكنيستين الغربية والشرقية^(١)
ونكتفي بهذا القدر وندع عرض واستعراض خلافات المجامع الشرقية، اختصاراً
وتوفيراً لوقت القارىء.

لا يعيننا أمر هذه الخلافات، من قريب ولا من بعيد، ولكن الذي يعيننا هو
اهتمام بعض الدوائر والمؤسسات الإستشراقية والتبشيرية، بشؤون الإسلام
والمسلمين وخلافاتهم، وتعقب سلبيات وأخطاء تاريخهم، والتركيز على إظهار
خلافات الفرق الإسلامية مع بعضها، في بعض الاجتهادات، بمظهر الخلاف
الإيديولوجي، واهتمامهم بتأليف الكتب، ونشر المقالات، وتدوين
الموسوعات، وطرح الأسئلة، حول كل صغيرة وكبيرة في التاريخ
العربي - الإسلامي، وإغفالهم ما في تاريخهم هم من الكوارث الخلفية، التي

(١) ستفين رتسيمان - تاريخ الحروب الصليبية - مجلد أول - ص ١٠١ .

تبلغ «الحرمان» ودرجة «الخطيئة» المميتة!!

كل هذه الإنقسامات كانت لأسباب سياسية مغلّفة بأسباب دينية حادة، وماذا في «الحرمان»؟؟ ألا يعني الحرمان من نعمة الكنيسة، وشفاعة القديسين، وإغلاق الملكوت السماوي في وجه روح المحروم، لتظل ضالة حائرة، أو تتلفها الأبالسة والشياطين، حيث تودعها الجحيم وعالم الظلام، وهناك البكاء صرير الأسنان!! أما يعلم صاحبنا الصحفي الباحث أن لدى العالم المسيحي خلافاته وفرقه التي لا تحصى، كما يقول ول ديورانت؟ فليته اهتم هو وشركته بتلك الخلافات، وتركوا المسلمين وشأنهم!!

لماذا يحزّ في وجدانه «الطاهر» ويحزّ في ضميره «الحرّ» ما في الإسلام من نقص في التشريع - كما يزعم - وما بين فرقه من خلافات شكلية، وخاصة العلويين!! يقول السيد المسيح لذكره المجد: يا مرائي لماذا تنظر القذى في عين أخيك، وأما الخشبة التي في عينك فلا تفتن لها؟ وكيف تقول لأخيك: يا أخي، دعني أخرج القذى الذي في عينك، وأنت لا تنظر الخشبة التي في عينك؟ يا مرائي أخرج الخشبة أولاً من عينك، وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى الذي في عين أخيك.

ونسأل بعد هذا، بعد كل ما تقدم، من المرائي^(١)؟؟

ومن المهم في هذا المقام، أن نستعرض بعض آراء أبي موسى الحريري «المزعوم» المخبأة في كتابه: «قسّ ونبي» قال أبو موسى الحريري في بعض ما قال:

١ - أن مكة ليست موطن انطلاقة دعوة التوحيد والإسلام، بل مركز كنيسة نصرانية!!

٢ - إن محمداً أدخله القس ورقة بن نوفل في النصرانية، ليخلفه في كنيسة هذه!!

(١) قصة الحضارة، وجهاً لوجه، مصدران سابقان.

٣- إن القرآن هو ترجمة إنجيل متى، وإن عثمان بن عفان أدخل عليه تحويلاً وتشويهاً مغتناً فترة الحروب آنذاك.

٤- الإسلام ليس إسلاماً بالمصطلح المعروف عنه، بل عقيدة أبيونية!!

٥- إن هذا الإنجيل الذي يدعوه المسلمون قرآناً وصل إلى ورقة بن نوفل باللغة الآرامية، وبالخط العبراني، وعزبه القس ورقة بن نوفل مع محمد، بشيء من التصرف، ويمكن أن يكون لعلي بن أبي طالب شيء من المساعدة على النقل، لأن أسلوبه في نهج البلاغة يشبه أسلوب محمد!!

نحن لا نناقش هذه الآراء الآن، لأننا نعتقد أنه لا يوجد ثقيف في العالم، إلا ويدرك زيفها وبطلانها، والغرض منها، بل نقول لأبي موسى الحريري المخبأ المخبىء وللشركة المساهمة: إنه كان من الأجدي لكم والأجدر بكم أن تبحثوا آراء علماء الغرب، مؤرخي المسيحية، وفلاسفتها، وخلافاتهم الكثيرة الوفيرة، الحادة الرادة، الهازلة الجادة، وتعملوا على سدّ هذا الخلل، ووضع حدّ لهذا الجدل، وذلك لو علمتم وعملتم لكان خير عمل.

وانني - والحال هذه مضطر - وللضرورة أحكامها - وبكثير من الحياء والخجل، أن أضع بين يدي أبي موسى الحريري، و«الشركة المساهمة» مجموعة من آراء علماء الغرب المسيحي، وكتابه ومؤرخيه وفلاسفته، فيما اختلفوا فيه وعليه وبه، من أصول عقيدتهم.

لست مؤمناً إيماناً قاطعاً بصحة الكثير من هذه الآراء، وخاصة ما يخالف ما جاء في القرآن الكريم، عن السيّد المسيح (ع) إنما نوردها للتدليل فقط، وكشاهد على ما نقول:

١- تشكك كثيرون من علماء الغرب المسيحي وفلاسفته ومؤرخيه، من أرباب «الإلحاد العلمي» وشكّوا بوجود المسيح، واعتبروا ما جاء عنه شبيهاً بما جاء عن كرشنا، واوزوريس، وأتيس، وأدونيس،

- وديونيشيش، فأطلقت عليهم الكنيسة، ويحق، إسم «الهراطقة» .
- ٢ - كينجريك وأصحابه يقولون: إن المسيح قد لا يكون له وجود على الإطلاق^(١) .
- ٣ - فولني Volney يجهر بهذا في كتابه «خرائب الإمبراطورية»^(٢) .
- ٤ - هردر Herdr يرى أن الفوارق بين مسيح متي ومرقس ولوقا يوحنا، لا يمكن التوفيق بينها^(٣) .
- ٥ - هنريج بولس Heinrich Poulus يعرض تفسيراً عقلياً للمعجزات، ويعزوها إلى علل طبيعية^(٤) .
- ٦ - دافيد استروس David astrauss يرى أن ما في الأناجيل من خوارق الطبيعة، يجب أن يعد من الأساطير الخرافية^(٥) .
- ٧ - فرديناند كريستان Vardinan Kristan يرى أن رسائل بولس مدسوسة .
- ٨ - برونو بور Bruno Bauer يثبت أن يسوع لا يعدو أن يكون أسطورة، أو طقساً، مزيجاً من اليهودية، واليونانية، والرومانية .
- ٩ - في أواخر القرن التاسع، وعلى يد الأب لوازي Loisy ، بلغت المدرسة الفلسفية ذروتها في تحليل نصوص العهد الجديد، فطردته الكنيسة، ولعته وحرمته .
- ١٠ - المدرسة الهولندية أنكرت، بعد بحوث مضمّنية، حقيقة المسيح التاريخية .

(١) خرائب الأمبراطورية .

(٢) قصة الحضارة مجلد ١١ مصدر سابق .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه .

١١ - وكذلك في ألمانيا، على يد آرثر Arthr .

١٢ - وفي انكلترا، تم إنكار وجود السيد المسيح على يد سميث^(١) ،

. W.B smith smith

ويقول ول ديورانت، بعد هذا العرض المستفيض: وهكذا بدا أن الجدل الذي دام مئتي عام سينتهي إلى إفاء شخصية المسيح إفاء تاماً.

وهناك ما كتبه يوحنا هوس، وتلميذه جيروم، والأستاذ لارون، وبوست، والقسيس المصري إبراهيم سعيد، وما أثبتته دائرة المعارف البريطانية بهذا الصدد.

وماذا يقول مؤلف مروج الأخبار في تراجم الأخيار، عن بطرس وتلميذه مرقص، وموقفهما من السيد المسيح؟ ويقول بولس الرسول عن نفسه: أنا فريسي ابن فريسي (اصحاح ٢٣).

ويقول أيضاً: أنا رجل يهودي (أعمال اصحاح ٢٢).

كما يقول: أنا روماني (أعمال، اصحاح ٩).

ويتهم بأنه أفتك أعداء المسيحية الذي يفشي القتل في تلاميذ الرب (أعمال، اصحاح ١١)، وهكذا تعدد هويات بولس، فريسي، يهودي، روماني، حواربي.

وما رأي أبي موسى الحريري الذي جعل همّه، وجنّد فكره وكرّس قلمه، ونذر وقته وأسر عينيه، لينال من الإسلام كتشريع، ومن المسلمين كفتات، وما قوله بالفرق الضالة، والشيع المتعددة الخارجة على الكنيسة، مثل:

١ - الزهادية: التي تعتبر الزواج من الخطايا^(٢).

(١) المصدر نفسه مجلد: ٦-٧-٨-٩-١٠-١١.

(٢) المصدر نفسه: مجلد ١١.

٢ - المتخيلة : التي تقول : إن جسم المسيح لم يكن لحمًا ودمًا، بل شعباً
وخيالاً!!

٣ - الثيودوتية : التي لم تر في المسيح أكثر من إنسان!!

٤ - المتبنية : التي ترى أن المسيح كان بمولده رجلاً عادياً!!

٥ - الظاهرية : القائلة إن الآب والإبن والروح القدس ليست أقانيم
منفصلة، بل هي صور مختلفة يظهر الله بها للإنسان!!

٦ - والمنكرون وجود المسيح!!

٧ - واليعاقبة الذين يعتقدون بالطبيعة الواحدة!!

٨ - والقائلة بالطبيعتين!!

٩ - والقائلون بمشيئة واحدة.

١٠ - والقائلون أن متى صاحب الإنجيل يهودي عشار، خاطيء، ولا يعلم
بأي لغة كتب إنجيله، أبالعبرية؟ أم السريانية؟ أم اليونانية؟ ومن هؤلاء
القائلين هوس، وبوست، وجيروم، وول ديورانت!!

فهل لأبي موسى الحريري، وكتبة «الحقيقة الصعبة» أن يناقشوا هذه
«الحقائق الصعبة» ويدفعوا أقوال هؤلاء «الهراطقة»؟؟ ويصلحوا ما في البيت من
تصدع وتداع وانهيار؟؟ ويتركوا أمر الإسلام، ورسول الإسلام، ورسالة
الإسلام، والمؤمنين بهذه الرسالة!!

هل لهم أن يزيلوا الإلتباس عن كتبة الأنجيل، ويحددوا تاريخ كتابتها،
وبأي لغة كتبت، ومتى، وكيف وأين، ويظهروا سرّ هذه الفوارق بينها، وكيف
قاربت العشرين عدداً هي : ١ - إنجيل برنابا، ٢ - إنجيل الحواري يعقوب، أنجيل
الحواري توماس، ٤ - انجيل القديس نيكوديم، ٥ - انجيل السبعين، ٦ - انجيل
الإثني عشر، ٧ - انجيل التذكرة، ٨ - انجيل العبريين ٩ - انجيل الناصريين،
١٠ - انجيل المصريين، ١١ - انجيل ديسان، ١٢ - انجيل ماني، ١٣ - انجيل

مرفيون، ١٤ - انجيل ابيون، ١٥ - انجيل متى، ١٦ - انجيل مرقص، ١٧ - انجيل لوقا، ١٨ - انجيل يوحنا.

وكيف اختصرت واقتصرت على أربعة أناجيل فقط؟؟

هل له ولهم، وهم الباحثون أن يزيلوا هذه الإشكالات؟؟ ويريحوا أنفسهم وأفلامهم من عناء البحث والتنقيب عن القرآن وجمعه، وجامعيه، ومتى، وأين وكيف!!

هل له ولهم أن يوضحوا أسباب تلك الزيادات اللاحقة في أسفار العهد الجديد، ويعفوا أنفسهم من إيراد المزاعم والفرضيات، عن القرآن وزيادته وأخطائه اللغوية، ومخالفة بعض تراكييه للبلاغة العربية؟؟ ليجعلوا من أقوالهم هذه أضحوكة عالمية؟؟ هل «للحريري» المزعوم بدلاً من هذه المزاعم، أن يقيم اعوجاج أساليب ترجمات العهد الجديد عن اللغات السريانية والعبرانية واليونانية والرومانية إلى العربية؟؟

لم ينصف علماء الغرب المسيحي السيد المسيح وأمه ورسالته، كما يرى القراء مما تقدم، ولكن الإسلام، الإسلام وحده، هو الذي أنصف السيد المسيح، وعرف شأنه، وصدق رسالته، وبارك أنصاره أليس السيد المسيح في القرآن الكريم، روحاً من الله، وكلمة من الله ألقاها إلى مريم، وأنه يكلم الناس في المهد، وينفخ في الطين فيكون طيراً بإذن الله ويرى الأكمه والأبرص ويحيى الموتى، ومؤيد بروح القدس، وان الله رفعه إليه؟ وإن مريم قديسة عذراء، مطهرة مصطفاة على نساء العالمين؟ وجاء القرآن مصدقاً لإنجيله، وحواريوه هم أنصار الله، وأنهم أقرب مودة للذين آمنوا؟

ليس في الإسلام مؤسسات كهنوتية تنوب عن الله في أمور خلقه، فتعطي وتمنع، وتضمر وتنفع، وتحرم من تشاء، تمتلك مفاتيح السماء والجحيم، وترفع إلى الملكوت من يحمل صك غفران خطاياها، وهناك يستطيب النعيم المقيم، والإغفاءة في حضن إبراهيم، وتلقي إلى الجحيم من لا يحتقب ذلك الصك، وهناك البكاء وصرير الأسنان.

«ربنا يسوع المسيح يرحمك يا فلان ويحلك، باستحقاقات الآمه الكلية القداسة، وأنا بالسلطان الرسولي المعطى لي، أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التي استوجبتها، وكذلك من جميع الإفراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها، مهما كانت عظيمة وفظيعة، ومن كل علة، وإن كانت محفوظة لأيينا الأقدس البابا والكرسي الرسولي، وامحو جميع أقدار المذنب، وكل علامات الملامة التي ربما جلبتها على نفسك في هذه الفرصة، وارفع القصاصات التي كنت تلتزم بمكابدتها في المطهر، وأردك حديثاً إلى الشركة في أسرار الكنيسة، وأقرنك في شركة القديسين، وأردك ثانية إلى الظهارة والبرّ اللذين كانا لك عند معموديتك، حتى انه في ساعة الموت يغلق امامك الباب الذي يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب، ويفتح الباب الذي يؤدي إلى فردوس الفرح، وإن لم تمت سنين طويلة، فهذه النعمة تبقى غير متغيرة، حتى تأتي ساعتك الأخيرة، باسم الآب والإبن والروح القدس»^(١).

ورحم الله مارتن لوثر، وزونجلي وكالفن!!

وما بال أبي موسى الحريري وشركته المساهمة يتجاهلون كل هذا، ويقفزون من فوق التاريخ وينزلون متطفلين واغلين، على الإسلام، ونهي الإسلام، وتاريخ الإسلام، وفرق المسلمين، وخاصة العلويين والدروز والإسماعيليين؟؟

يغمسون أقلامهم في دمائهم، وينشبون أظافرهم في جلودهم وأنيابهم في أعناقهم، ويجعلون منهم - كيداً وعدوياً وافتراء - صابئة وفينقيين، وزرادشتيين، ويزيديين، وشبك ونصارى، ولو أسعفتهم الذاكرة، وزودتهم الثقافة بأسماء فرق شاذة أخرى لما ترددوا لحظة واحدة عن إضافتهم إليها.

وما أجمل ما قاله الشاعر العربي الحكيم في هذا المعنى:

قبيح من الإنسان ينسى عيوبه ويذكر عيباً من أخيه قد اختفى

(١) علي عبد الواحد وافي - الأسفار المقدسة - ص ١١٩.

ولو كان ذا عقل لما عاب غيره وفيه عيوب لو رآها، بها اكتفى

مع الكتاب المحدثين في الإفتراءات على العلويين

١ - محمد كرد علي المؤرخ الدمشقي يقول في خطط الشام وبالحرف: يدعون ألوهية علي رضي الله عنه، مغالاة فيه، ويزعمون أن مسكنه السحاب، وإذا مرّ بهم السحاب قالوا: السلام عليكم يا أبا الحسن، ويقولون إن الرعد صوته، والبرق ضحكته، وهم من أجل ذلك يعظمون السحاب، ويقولون: إن سلمان الفارسي رسوله، وإن كشف الحجاب عمّا يقوله من يمس كتاب بغير إذن ضلال، ويحبون ابن ملجم قاتل علي، ويقولون إنه خلع اللاهوت من الناسوت، ويخطنون من يلعنه، وأنّ لهم خطاباً بينهم، من خاطبوه به لا يعود يرجع عنهم، ولا يذيعه ولو ضربت عنقه، وهم يخفون مقاتلتهم، ومن أذاعها فقد أخطأ عندهم. «ولهم إعتقاد في تعظيم الخمر، ويرون أنّها من النور، ولزمهم من ذلك أن عظموا شجرة العنب التي هي أصل الخمر، حتى استعظموا قلعها، ويزعمون أنّ الصديق وأمير المؤمنين عمر وأمير المؤمنين عثمان تعدوا على علي، ومنعوه حقّه من الخلافة»^(١).

وفي الجواب نقول: إنّ كرد علي نقل هذا الكلام عن القلقشندي في «صبح الأعشى» في نصاعة الإنشاء، وفي فصل سابق من هذا الكتاب ذكرنا الردّ عليه، ونقول هنا وبإختصار: «إن ظهور الغلو في أمير المؤمنين كان منذ نشأة الدعوة المحمّدية، على مشرفها الصلاة والسلام، والعلويون يقولون بأنّ كلام علي فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق، وأن رسول الله (ص) وعلي (ع)، كما جاء عن «فرائد السمطين» و«مسند أحمد» و«فضائل الخوارزمي»، ومناقب الخطيب» من نور واحد، وأنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله تعالى، قبل أن يخلق الخلق، فلما خلق آدم ركب ذلك النور في صلبه، فلم يزل في شيء واحد حتى افترق في صلب عبد المطلب»^(٢).

(١) محمد كرد علي - خطط الشام - مجلد ٦ - ص ٢٦٠.

(٢) الشيخ عبد الحسين آل صادق - المضامير.

ويقول المعري الشاعر المعروف مخاطباً الإمام الحسين (ع):

أحد الخمسة الذين هم الأغراض في كل منطلق والمعاني
والشخص الذين خلقن ضياءً قبل خلق المريخ والميزان
قبل أن تخلق السموات أو تؤمر أفلاكهن بالدوران

وأما بالنسبة لتحليل الخمر، فأول من باع خمرًا في الإسلام هو سمرة بن الجندب المتوفى سنة ٦٠ هجرية، على ما روى أبو الهلال العسكري في «الأوائل» واشتهر الخليفة الأموي يزيد بن معاوية المتوفى سنة ٦٤ هـ. بشرب الخمر، وكذلك اشتهر الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بالخمر والتلوط. وفي خلفاء بني العباس الرشيد كان يشرب في كل جمعة مرتين وكان الأمين لا ينقطع عن الشراب، وذكر الجاحظ في «التاج» أن المأمون كان يشرب في أول أيامه الثلاثاء والجمعة، ثم إنه أدمن الشراب، عند خروجه إلى الشام، في سنة خمس عشرة ومائتين إلى أن توفي وكان الواصل مدمناً للشراب، وكان المعتصم يشرب طوال الجمعة، وكان المتوكل منهمكاً في اللذات والشراب إنهماكاً كبيراً، وجمع كبير غفير من الأعيان والأكابر والقضاة في زمن العباسيين.

وأما القول في أن علياً (ع) في السحاب، فهو قول يعزى إلى الشيعة، فقد قال المرحوم الشيخ الأميني: «قال أبو الحسن الملقب في «التنبيه والرد» قولهم «يعني الروافض»: علي في السحاب، فإنما ذلك قول النبي (ص) لعلي وقد أقبل وهو معتم بعمامة النبي، وكانت تدعى السحاب، فقال (ص): قد أقبل علي في السحاب، يعني في تلك العمامة التي تسمى السحاب، فتألوله هؤلاء علي غير تأويله»^(١).

وقال الغزالي في «البحر الزخار»^(٢) كانت له عمامة تسمى السحاب فوهبها من علي، فربما طلع علي فيها فيقول (ص): أتاكم علي في السحاب».

(١) الأميني: الغدير ج ١ ص ٢٩٠. نقلاً عن التنبيه والرد: ص ١٢٦.

(٢) الغزالي: البحر الزخار - ج ١ - ص ٢١٥.

وقال الحلبي في السيرة: «كان له (ص) عمامة تسمى السحاب كساها علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فكان ربّما طلع علي كرم الله وجهه فيقول (ص): أتاكم علي في السحاب، يعني عمامته التي وهبها له (ص)»^(١).

وأما قوله: ولهم خطاب بينهم. . الخ، فهو سرّ آل محمد، ومن وصايا أمير المؤمنين علي (ع)، «من أذاع سرّنا أذاقه الله لباس الحديد»^(٢) وأيضاً من وصيته لكميل بن زياد: «يا كميل، إذاعة سرّ آل محمد لا يقبل منها ولا يحتمل أحد عليها، وما قالوه فلا تعلم إلا مؤمناً موافقاً».

وقال الإمام الصادق (ع)، في وصيته لأبي جعفر محمد بن النعمان الأحول: «المذيع علينا سرنا كالشاهر بسيفه علينا، رحم الله عبداً سمع بمكنون علمنا فدفنه تحت قدميه».

وقال: إنّ المذيع ليس كقاتلنا بسيفه بل هو أعظم وزراً، بل هو أعظم وزراً، بل هو أعظم وزراً»^(٣).

أمّا تعبير: وهم يخفون مقاتلتهم فهو التقية بذاتها، فقد قال الإمام جعفر الصادق (ع): التقية دين الله والتحصن سيفه، ولولاها ما عبد الله، وقال المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر في كتابه «عقائد الإمامية» عن التقية^(٤):

كانت شعاراً لآل البيت عليهم السلام، دفعاً للضرر عنهم، وعن أتباعهم، وحقناً لدمائهم واستصلاحاً لحال المسلمين، وجمعاً لكلمتهم، ولما لشعثهم وما زالت نسمة تعرف بها الإمامية دون غيرها من الطوائف والأمم، إن عقيدتنا في التقية قد استغلها من أراد التشنيع على الإمامية: فجعلوها من جملة المطاعن فيهم، وإذا كان طعن من أراد أن يطعن يستند إلى زعم عدم

(١) الحلبي - السيرة الحلبية: ج ٣، ص ٣٦٩.

(٢) ابن شعبة الحرّاني - تحف العقول عن آل الرسول.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الشيخ محمد رضا المظفر: عقائد الإمامية.

مشروعيتها من ناحية دينية، فإننا نقول له :

أولاً: إننا متبعون لأنمتنا (ع) ونحن نهتدي بهداهم وهم أمرونا بها وفرضوها علينا وقت الحاجة، وهي عندهم من الدين وقد سمعت قول الصادق (ع) «من لا تقيه له لا دين له».

وثانياً: قد ورد تشريعها في نفس القرآن الكريم ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا مِنْ أَمْرِهِ وَمَنْ يُضِلَّهُمْ فَلَيْسَ بِهِ حَرَامٌ إِلَّا أَنْ يُضِلُّوا وَمَنْ يُهْدِهِمْ فَلَيْسَ بِهِ حَرَامٌ إِلَّا أَنْ يُضِلُّوا وَمَنْ يُضِلَّهُمْ فَلَيْسَ بِهِ حَرَامٌ إِلَّا أَنْ يُضِلُّوا﴾ (١) وقد نزلت هذه الآية في عمّار بن يasar الذي إلتجأ إلى النظاهر بالكفر خوفاً من أعداء الإسلام، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا﴾ (٢) وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ (٣).

وقال زين العابدين (ع):

إنني لأكتم من علمي جواهره كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتننا
وربّ جواهر علم لو أبوح به لقليل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي يرون أقبح ما يأتونه حسنا

٢ - كتاب «ولاية بيروت» مؤلفاه: رفيق التميمي ومحمد بهجت:

١٣٣٦هـ - ١٩١٦م

قال المؤلفان: «وأكثر ما رجعنا إليه من المصنفات، حين الجمع، هو «تاريخ النصيرية ودينهم» للمستشرق رينه دوسو» ومع ذلك فقد كُنّا نرجع إلى الآثار الآتية، كلما مست الحاجة: كتاب «الباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية» كتاب المجموع، كتاب الأسوس» ثم قالوا:

«إن أول إعتقادهم هو تثليث الإلهية، أي إن إيمانهم بثلاثة آلهة يسمون أول هؤلاء الإلهة «المعنى» والثاني «الإسم» والثالث «الباب» ويقصدون الغيب المطلق من المعنى، والإسم الصورة الظاهرة للمعنى أما الباب فهو

(١) سورة النحل: الآية ١٠٦.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٢٨.

(٣) سورة غافر: الآية ٢٨.

الطريق الموصل إلى الغيب المطلق.

«ينقسم أشياع الديانة النصرانية إلى أربع شعب: الحيدرية، الشمالية أو الشمسية، الكلازية أو القمرية الغيبية، لا ننسى أن هذا الإنقسام منحصر في الفروع، وان كتاب المجموع المقدس جعل جميع أفراد النصرانية مندمجة في الوحدة الدينية.

«انتشر دين النصرانية في أوائل القرن الخامس للهجرة، ولم يزل إلى الآن محتفظاً على مكانته الأولى، ويعتقد ذووه بوحدانية الخالق ولكنهم يزعمون تجسد الألوهية في ذات علي ويضعون كلمة «علي الأعلى» بإزاء كلمة علي الله».

«يعتقد النصيريون أن علياً «أب» ومحمداً «ابن» وسلمان الفارسي «روح القدس» وأن سلمان الفارسي خلق الأيتام الخمسة المولجين بإدارة الكون، وخلق مقداد بن الأسود الكندي من هؤلاء الأيتام: الرعد والزلازل والصواعق، وأمر أبو ذر الغفاري بتنظيم حركات الكواكب السيارة، والثابتة وعبد الله بن رواحة الأنصاري بإدارة الرياح، وعثمان بن مظعون النجاشي، بتفقد حرارة الأجسام، وتعهده الأمراض البشرية، وقنبر بن كادان الدوسي بإعادة الأرواح إلى الأجسام ونفثها فيها.

«يزعمون أن الأوقات الخمسة يقصد بها الأشخاص الخمسة المقدسة لديهم، ويقيمون صلاة الظهر باسم «محمد» والعصر باسم «فاطمة» أو بتعبيرهم «فاطر» وصلاة المغرب باسم «الحسن» والعشاء باسم «الحسين» والصُّبح باسم محسن»^(١).

وفي الجواب أقول: إن المرجع الأساسي لكتاب «ولاية بيروت» هو ما كتبه المتشرك رينيه دوسو عن النصرانية. والكل يعلم ما جنته أيادي المتشركين على تراث العرب والمسلمين، ذلك لأنَّ المتشركين في جمهورهم، لا يخلو أحدهم من أن يكون قسيساً أو إستعمارياً أو يهودياً، وان الإستشراق بصورة عامة ينبعث

(١) رفيق التميمي ومحمد بهجت: ولاية بيروت - ط ١٣٣٦ هـ - ١٩١٦ م.

من الكنيسة، وفي الدول الإستعمارية يسير مع الكنيسة ووزارة الخارجية جنباً إلى جنب، يلقي منهما كل تأييد، وأنّ الدول الإستعمارية ما تزال حريصة على توجيه الأستشراق وجهته التقليديّة، من كونه أداة هدم الإسلام وتشويه لسمعة المسلمين^(١).

ومن هنا أمكن القول: إن كل ما ورد في «ولاية بيروت» عن النصيرية مشكوك فيه، لا يوثق به.

وأما الباكورة السليمانية فهو لسليمان الأذني الذي ولد علويّاً، ثم تنصر، ثم تهود، وقد ولد في أنطاكية عام ١٢٥٠ م، ورحل إلى أدنه، ومال إلى السكر، وأظهر إستهتاراً بالدين فطرده رجال الدين ومنعوه من حضور الصلاة في المساجد، فهرب من أدنه، وإنقلب من علوي إلى يهودي، ثم إعتنق أحد المذاهب الإسلامية^(٢)، ثم خرج من الإسلام نهائياً، وتنصر وإعتنق المذهب البروتستانتي لرغبة مادية يحقق فيها رغباته الجسدية، فلما لم يصل إلى المراد قفز إلى المذهب الكاثوليكي، والتحق بإحدى مؤسساته في بيروت، ولبس مسوحهم، وهنا طلب إليه المبشرون أن يكتب عن قومه الذين طردوه وشردوه، فألصق بهم كل فرية، وإختلق لهم كل تهمة، وصبّ جام غضبه عليهم، بإفتعاله كل وصمة.

وكانت آنذاك ولم تزال المؤسسات التبشيرية ناشطة دائماً كعهدها لا سيما في المجالات التي تحقق لها مكاسب سياسية أو استعمارية، ولقد رأت في هذا الشقي الأذني ما يحقق لها ما تصبو إليه، فكتب «الباكورة» وأرضى بها أسياده وحقده، ثم أعقبها «بسوسنة سلميان» فنشروا له ما لفق، وباركوا عمله وأجازوه وما لبث أن رجع من بيروت إلى أدنه، بلباسه ككاهن كاثوليكي ويقال إنه مات خنقاً^(٣).

(١) الدكتور مصطفى السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي.

(٢) ولاية بيروت: مصدر سابق.

(٣) حامد حسن: وجهاً لوجه: ص ٩٩.

وأما تقسيم العلويين إلى شمالية حيدرية، وكلازية غيبية، أو غير ذلك من شمسية وقمرية، فهو هراء يكذبه ما قاله منير الشريف في كتابه «المسلمون العلويون من هم وأين هم» الذي قال وهو أعرف بهم:

إن العشائر العلوية في محافظة اللاذقية هي أربع: عشيرة الخياطين، وعشيرة الحدادين وعشيرة المتاور، وعشيرة الكلبية، ثم خرج من بين هذه العشائر، حزب مذهبي سمي بالحيدريين، يسكن أفراده قضاء اللاذقية غير أنهم لم ينسوا عشائرهم الأولى، ولا يزالون يمتنون إليها بصلة العشيرة، وبعد الحرب العامة الأولى ظهر حزب مذهبي جديد، وسمي نفسه بالغساسنة، وأكثرته من العمامرة، أي من عشيرة الخياطين، وقد إنضم إليه رجال من عشائر مختلفة، فصار عشيرة مستقلة، ولكن بعد موت رئيسه «سلمان المرشد» قد رجع الكثيرون عن هذا الحزب، إلى عشائرهم السابقة»^(١).

والعلويون ينظرون إلى خمسة من الصحابة، من أنصار الإمام علي (ع)، نظرة مشبعة بالإحترام، ويسمون هؤلاء الخمسة بالخمسة الأيتام، وهم: المقداد بن الأسود الكندي، وأبو ذر الغفاري وعبد الله بن رواحة الأنصاري، وعثمان بن مظعون النجاشي، وقنبر بن كادان الدوسي، وهم يرون أن الإمام علي بن أبي طالب (ع)، هو صاحب الحق الأول في زعامة المسلمين الدينية والزمنية، وهو أحق بالخلافة من سواه، وأنه وصي النبي ووزيره، وأن الإمامة منصب الهي يختاره الله لمن يشاء من عباده، وأن الأئمة من بعد رسول الله (ص) إثنا عشر، كل سابق ينص على اللاحق، والعصمة شرط في إمامتهم، آخرهم المهدي محمد بن الحسن الحجة.

وأما سلمان الفارسي المحمدي، فهو صحابي عظيم جليل، قال فيه (ص): «سلمان منا أهل البيت». وقال: «سلمان علم علم الأولين والآخرين، وهو بحر لا ينزف، ذلك رجل منا أهل البيت».

(١) العلويون من هم وأين هم: ص ٦٥ مصدر سابق.

٣ - الشيخ محمد أبو زهرة صاحب تاريخ المذاهب الإسلامية

وقد كتب عن النصيرية ما يلي: «وبجوار الحاكمة في دمشق طائفة خلعت الريقة، وإن كانت لا تنسب نفسها للإسماعيلية ولكنها تتلاقى مع بعضها، في المخالفة للأصول وانحلال بعضها وانخلاعه عن الإسلام، وهذه الطائفة هي «النصيرية» وهي لم تنسب نفسها للإسماعيلية، ولكن تربت في أحضان الذين خلعوا الريقة منها، وإن هؤلاء سكنوا الشام في الماضي، كالحاكمة، وكانوا مع الإثني عشرية وهم يدعون الإنتساب إليهم، ويعتقدون أن آل البيت أوتوا المعرفة المطلقة، ويعتقدون أن علياً لم يمت وأنه إله أو قريب من الإله وهم يشتركون مع الباطنية في أن للشيعة باطناً وظاهراً، وإن باطنها عند الأئمة إذ إن إمام العصر هو الذي أشرق عليه النور فجعله يفهم حقيقة هذه الشيعة وباطنها، وظهرها فقط.

وفي الجملة، كانت آراء هذه الطائفة مزيجاً من الآراء المغالية، في الفرق المنسوبة للشيعة، والتي يتبرأ أكثرهم منها فأخذوا عن السبئية الكافرة المنقرضة ألوهية علي وخلوده ورجعته، ومن الباطنية كون الشيعة لها ظاهر وباطن، خلع أولئك الغلاة ريقة الإسلام، واطرحوا معانيه ولم يبقوا لأنفسهم منه إلا الاسم، وقد اتسع عملهم في قيام الدولة الفاطمية بمصر والشام، ولقد وجدوا من الحاكم بأمر الله من يتلاقى معهم في أهوائهم، ولذلك كان ظهور زعيمهم الحسن بن الصباح في فارس، في عهد الحاكم بأمر الله، وقد أخذ يثير الفتن ضد الدولة العباسية، في الوقت الذي كان يدعي الحاكم الألوهية، وقد بث الحسن دعائه في الشام يدعون إلى نحلته.

وقد كثر بعد ذلك أولئك الغلاة في الشام، واتخذوا لهم مقراً هو جبل «السّمان» الذي يسمى الآن «جبل النصيرية»، وقد كان بعض كبارهم يستهونون مريدتهم بالتخدير بالحشيش، ولذلك سمّوا في التاريخ الحشاشين، وعند الهجوم الصليبي على البلاد الشامية، ومن ورائها البلاد الإسلامية، ماثوا الصليبيين ضد المسلمين، ولما استولى أولئك على بعض البلاد الإسلامية قربوهم وأدنوهم وجعلوا لهم مكاناً مرموقاً.

«ولما جاء نور الدين زنكي وصلاح الدين من بعده، ثم الأيوبيين، إختفوا عن الأعين، واقتصر عملهم على تدبير المكائد والفتك بكبراء المسلمين، وقوادهم العظام، إن أمكنتهم الفرصة وواتهم الزمن.

ولما أغار التتار من بعد ذلك على الشام، مالأهم أولئك النصيريون كما مالأوا الصليبيين من قبل، فمكنوا للتتار من الرقاب، حتى إذا انحسرت غارات التتار قبعوا في جبالهم قبوع القواقع في أصدافها، ليتتهزوا فرصة أخرى»^(١).

وفي الجواب نقول: إنه رحمه الله صحّ فيه المثل الشائع: «خلط عباساً بدباس» وأنه: «إحتطب بليل». فالدروز الحاكمة هم الذين يقولون بألوهية الحاكم بأمر الله الفاطمي، أو بنبوته أو بإمامته. وأما الحسن بن الصباح والحشيشة والحشاشون، فهم جميعاً من الإسماعيلية، وهو إلى حدّ ما، كأبن تيمية، لا يفرّق بين الإمامية الإثني عشرية أو الإسماعيلية، والحاكمة الدروز والنصيرية، فالحسن بن الصباح، كما يعرف كل من اطلع على ألف باء التاريخ والمذاهب، هو الذي أسس دولة «الموت» النزارية في بلاد فارس.

ويقول مصطفى غالب: «ويذكر التاريخ أنّ الإسماعيلية قاموا بدور خطير، في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية، في بلدان مختلفة من العالم الإسلامي، فأسسوا أكثر من دولة لهم في البلدان الإسلامية، فكانت لهم دولة في المغرب أسسها الإمام عبد الله الشيعي، سنة ٢٩٦ هـ، وامتدت إلى صقلية وجنوب إيطاليا، وكان لهم دولة في اليمن على يد ابن حوشب، سنة ٢٧٠ هـ وكانوا لهم دولة في مصر على يد القائد جوهر الصقلي، سنة ٣٥٨ هـ، وأسسوا دولة الموت النزارية في بلاد فارس على يد الحسن ابن الصباح، سنة ٤٨٣ هـ»^(٢).

والحشيشة عرفت في قلعة الموت، على يد أتباع الحسن بن الصباح الذي

(١) محمّد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية: ج ١ ص ٦٣.

(٢) مصطفى غالب: الحركات الباطنية في الإسلام: ص ٦٨.

تزعم الإسماعيلية الباطنية الشرقية، تلك الطائفة التي اشتهرت بين المؤرخين بإسم الحشاشين^(١).

وقد غلط أبو زهرة في تسمية «جبل السمان» والغالب على الظن أن المقصود هو جبل «السَّمَاق» وعنه يقول ياقوت الحموي: «جبل عظيم من أعمال حلب الغربية يشتمل على مدن كثيرة وقرى وقلاع»^(٢)، وعلى ما يذكر أحمد بن إبراهيم الحنبلي المتوفى سنة ٨٧٦ هـ. هو يعتبر من الإسماعيلية يقول: «وفيها بعث العادل إلى بلاد الإسماعيلية، وأحرق سرمين ومعرة مصرين وجبل السماق، وقتل معظم أهله».

وأما قوله: «ولمّا أغار التتار من بعد ذلك على الشام، مالهم النصيريون كما مالوا الصليبيين من قبل» فهو ساقط لا دليل عليه، وهو هراش لا يعدوه وإليك نصّ وحرفية ما ذكره صاحب النهج، ابن أبي الحديد المعتزلي قال في أحداث أصفهان سنة ٦٣٣ هـ: «لقد كان التتار قد أسسوا دويلات حول إيران وما جاورها: وكان الخلاف المذهبي تتلظى ناره في «أصفهان» بين الشافعية والحنفية، حتى حمل الحقد الأسود الأعمى بعض رؤوس الشافعية على أن يرأسلوا قواد التتار، يستنصرونهم على أخوتهم من الأحناف، وفتحوا لهم باب المدينة، ليدخلوها ويقتلوا خصومهم الأحناف، فدخل التتار المدينة بسلام، وقتلوا الجميع أحنافاً وشافعية، بل إنهم لم يستنوا لطفلاً ولا امرأة، فقتلوا على سكان المدينة أجمعين»^(٣).

المصادر التاريخية تكاد تجمع على أن المسلمين كانت لهم فرصة كبيرة أمام أسوار أنطاكية، لسحق القوات الصليبية، لو أنهم كانوا مجتمعين غير مختلفين على كلمة واحدة وراية مخلصمة مؤتلفة، وقد عرف الصليبيون درجة التفكك والإنحلال الذي كان سائداً بين المسلمين، مما مكنهم منهم.

(١) علي صافي حسين: الأدب الصوفي في مصر في القرن السابع هجري.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان: جزء ٢ ص ١٠٠.

(٣) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة.

ويقول ابن الأثير في الكامل وبالحرّف: «إن الإفرنج كاتبوا صاحب حلب ودمشق وسائر أمراء بلاد الشام، أنهم لا يقصدون بلادهم، وإنما قصدهم كان أنطاكية فقط، حتى يمنعوهم من مد يد المساعدة إلى حاكم أنطاكية، ولكن هؤلاء الأمراء كانوا في صراع دموي مع بعضهم البعض فأمر دمشق ثقاف بن تنش كان يحارب أخاه رضوان بن تنش أمير حلب، وكذلك أمير حماه ضد أمير حمص، بعد أن انفصل كل أمير عن الآخر، وجعل مدينته دولة قائمة بذاتها، تعادي جاراتها من المدن الإسلامية الأخرى، وكان الواحد منهم يرجو أن يهاجم الصليبيون إمارة عدوه المسلم، ليتشفى منه، ووصل الحقد ببعضهم إلى إبرام إتفاق مع الصليبيين، على ضرب أعدائهم من الأمراء المسلمين»^(١).

وقد كان أحرى بالشيخ أبي زهرة، لو كان منصفاً، أن يتحرى عن الحقيقة ويتأمل جيداً، وأن يستند إلى وقائع ثابتة مستقاة من مصادر موثوقة، وما كان ينبغي عليه أن يتغافل المآسي التي تعرّض لها العلويون والمذابح التي أوقعها بهم جيرانهم، ويعلم جيداً أن فتوى ابن تيمية ضد العلويين لم تصدر إلا بسبب هذه الممالة التي يتحدث عنها، ولو أنصف لأستنكر الفتاوى التي تبيح ذبح شعب بكامله ومعاملته كالحيوان الأعجم.

والحق أن فتوى ابن تيمية هي التي جرّت غيرها من الفتاوى، وهي فاتحة شرّ على الإسلام، والمسلمين، وسيقف وسيحاسب يوم القيامة حساباً عسيراً، فهي التي ألبت عليهم الأتراك وأوقعت عليهم المجازر، فأين الضمير؟ وأين الإخلاص؟ وأين الحياد؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾^(٢).

(١) تيسير بن موسى: نظرة على الحروب الصليبية بين أمس واليوم.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٢٢٧.

العادات والتقاليد عند العلويين بين السلب والإيجاب

الباطن والظاهر:

شرح صاحب كتاب «التنبيه» معنى كلمة باطن العبادات، فقال:

١ - الصلاة الباطنية هي: الإقبال على الله بالكلية، والإدبار عمّا سواه قلباً ونفساً وعقلاً وسراً وعلانية.

٢ - والزكاة الباطنة هي: عبارة عن تزكية العبد نفسه.

٣ - والصوم الباطن: هو الإمساك عمّا سوى الله عزّ وجل.

٤ - وأما الحج الباطن: فهو مشاهدة الحي القيوم^(١).

يشير بذلك إلى قول علي أمير المؤمنين (ع) لَمَّا سئل: يا أخا رسول الله، هل رأيت ربك؟ فقال: فكيف أعبد رباً لم أراه! «لم تره العيون بمشاهدة العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان».

ويقول صاحب كتاب «الإمام الصادق (ع) ملهم علم الكيمياء»: «نشاهد في رسائل جابر إتجاهاً واضحاً نحو الباطن، وهو مقتبس أيضاً من الإمام جعفر الصادق، فجابر يحدد العلمين: علم الظاهر وعلم الباطن، ويقول في الأول: إنَّه العلم بالسنن العامة على الأمر الكلي اللائق بالطبيعة، والعقول والنفوس الطبيعية وحدّ علم الباطن: أنه العلم بعلم السنن وأغراضها الخاصّة اللائقة بالعقول

(١) حسن بن حمزة الشيرازي: التنبيه: باب التقية.

وذكر ابن حزم: «أن هناك طائفة من الصوفية يقولون: من بلغ الغاية القصوى من الولاية سقطت عنه الشرائع كلها، من صوم وصلاة وحج وزكاة، وحلت له المحرمات، مثل الخمر وغير ذلك»^(٢).

ويقول ابن عربي: «يسقط القصر في الصلاة عن العارفين، إذا سافروا» ويقول أيضاً «سفر الأجسام يضع شطر الصلاة، وسفر الأرواح يضع الصلاة»^(٣).

وهذا يؤكد القول بسقوط الصلاة وبقية الفرائض عن العارف، عند بعض الصوفية، وهذا ساقط وباطل، فقد جاء في كتاب «التنبيه» في باب التقية، عن الإمام الصادق (ع) قوله: «هناك أناس يدخلون في هذه العصابة، ليسقطوا عنهم العزائم والفرائض، أولئك ليسوا مني ولا أنا منهم، أولئك وقود النار»^(٤).

واكثر فرق الإسلام تقول بثنائية الشريعة: الظاهر والباطن، ولا سيما أهل التصوف والعرفان، والعلويون الخصيصيون، وهم شطر من المسلمين العلويين، يؤمنون بهذه الثنائية ولكن حذار من إقامة أحدهما دون الآخر، فهو الهلاك الزينج والكفر والضلال. فقد روى الشيخ أبو محمد عبد الله الجنبلائي، عن الإمام الصادق (ع) قوله: «لا يحلُّ العقدة إلاّ عاقدها، ومن حلَّ عقدة عقدها رسول الله (ص) مزقته الكلاب، وأكلته الهوام، وعاد أعرابياً جلفاً، ويقع في قوم لا يعرفون الله فيعود جاهلياً»^(٥).

وعن الإمام الصادق (ع): «من تمسك بالظاهر المحض فهو حشوي، ومن تمسك بالباطن الصرف فهو ملحد، ومن جمع بين الحالين فأولئك أصحاب أمير

(١) محمد يحيى الهاشمي: الإمام الصادق ملهم علم الكيمياء: ص ١٢٦.

(٢) حامد حسن: المكزون السنجاري: ج ١ ص ١٤١-١٤٢ - ط ١٩٧٠ دمشق.

(٣) الشيخ محيي الدين بن عربي: فصوص الحكم: تحقيق القاشاني.

(٤) التنبيه: مصدر سابق.

(٥) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجنبلائي - إيضاح المصباح.

المؤمنين (ع) (١).

وسأل المفضل بن عمر الإمام الصادق (ع)، عن أناس يسقطون عنهم الفرائض لأنهم يعرفون أشخاصها، فقال: قوم يزعمون أنهم من شيعتك وهم لا يصلّون، ولا يحجّون ويقولون: إنها أشخاص، ومن عرف أولئك الأشخاص تكفيه عن إقامة الصلاة وبقية الحدود، فقال الإمام الصادق (ع): «إنّ جميع الفرائض أشخاص يجب على كل مؤمن معرفتها، ومن عرفها ولم يصلّ ولم يصم . . . ولم يحج . . . فهو مشرك بين الشرك، ولو كان الأمر كما ذكروا لعذر الناس بجهلهم وكان المقصّر والمتعدي حدود الله معذوراً، ولكن جعلها الله حدوداً محدودة، لا يتعدها إلا مشرك أو كافر» (٢).

ويقول الشيخ حسن بن حمزة الشيرازي، صاحب «التنبيه»: «وبالجملة إن ما أحدثه المتقمصون بثوب الإيمان المتشبهون بأهل العرفان، لا يليق إلا بالملاحدة المنخلعين عن ربة الإيمان والدين بالكليّة، بل أستغفر الله وأتوب إليه من تسميتي إيّاهم بالمتشبهة بالمؤمنين العارفين، إذ لو كانوا متشبهين بهم لكانت سيرتهم تشبه سيرة المؤمنين العارفين لا سيرة الملاحدة الجاحدين . . . قال الصادق (ع) للمفضل بن عمر: «يا مفضل، صن دينك» فقلت: يا مولاي، كيف أصونه؟ قال: «بإظهارك العبادة» وقال: «فمن أظهر منكم خلاف ما أظهرنا فقد خالفنا، ومن خالفنا فقد بارزنا، ومن بارزنا أكبه الله على منخريه في نار جهنم»، وعن المفضل قال: سمعت مولاي الصادق يقول: «إن في هذه العصاة قوماً دخلوا أو يدخلون فيها ليسقطوا عنهم العزائم، ويستخفوا بحمل الفرائض، ما هؤلاء مني ولا أنا منهم، أولئك هم وقود النار» (٣).

ويقول الشيرازي: «وبالجملة فمن حمل على الظاهر المحض فهو حشوي، ومن تمسك بالباطن الصرف فهو ملحد، ومن جمع بين الباطن

(١) المكزون السنجاري: تزكية النفس.

(٢) البرهان في تفسير القرآن: الجزء الأول.

(٣) التنبيه: مصدر سابق.

والظاهر، أي بالتقية والتقوى والإيمان، كان موحداً وعارفاً محقاً.

ويقول الشيخ الأمير المكزون السنجاري، في «تزكية النفس»: «إنَّ الله امتحن العباد بالعبادات، وفي السنن والمفترضات إيصاراً لبصائر المؤمنين وآصاراً في أعناق الجاحدين، ثمَّ يقول، في بيان الحكمة من فرض الله للعبادات: «وفرض الله الصلاة، ليزيل بها مقت الكبر من رؤوس المتكبرين، في السجود له، والخضوع بين يديه، وفرض الزكاة، ليواسي الأغنياء الفقراء، مما أفاء الله عليهم من فضله، فتصحَّ بذلك معاشهم وفرض الصيام إمتحاناً للنفوس، بالصبر عن اللذات، وفرض الحج ابتلاء للنفوس في الطاعة، في التوجه إلى البيت الموضوع ببكة، كما ابتلى الملائكة بالسجود لمثل المثال المضروب من الحمأ المسنون، ليميز الطائعين من العاصين، وتنبهها لمقابلة شعائر العارفين، وليتشبهوا بالطواف حوله بالطائفين بالبيت المعمور من ملائكة رب العالمين، في ملكوت السموات، فهذه حكمتها الظاهرة فيما شرَّع لعباده»^(١).

وروى المرحوم الشيخ حسين أحمد في «الزبدة الربية»: «إنَّ الإمام الصادق (ع) أرسل أبا خديجة إلى المدائن، ليقول للمؤمنين منهم: أقيموا الصلاة بعد معرفة باطنها، وصوموا شهر رمضان بعد معرفة باطنه، وحجوا البيت بعد معرفة باطنه، وجاهدوا في سبيل الله بعد معرفة الجهاد، ولا تدعوا شيئاً ممَّا أفترضه الله عليكم، إلَّا وتقيموه باطناً، وظاهراً، ومن ترك الظاهر بعد معرفة الباطن، سلبه الله معرفة الباطن والظاهر معاً»^(٢).

قال الإمام الصادق (ع): «لا يقبل الله عز وجل إلَّا بمعرفة، ولا معرفة إلَّا بعمل، فمن عرف دلته المعرفة على العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له إنَّ الإيمان بعضه من بعض»^(٣).

وفي كتاب «الأنوار والحجب» عن الصادق (ع)، قوله لمحمد بن سنان:

(١) تزكية النفس: مصدر سابق.

(٢) حسين أحمد: الزبدة الربية.

(٣) الأمالي: الشيخ الصدوق: ج ٦٥ - ص ٣٤٤.

إن الله تعالى يقول يا محمد حرام على من أسقط عن نفسه الظاهر، بعد أن عرف الباطن، آلت على نفسي أن أعذب من يفعل ذلك، بعذاب لم أعذب به أحداً من العالمين».

وروى الشيخ عبد الرحمن الخيّر رحمه الله، في «التحفة البديعة قول الصادق (ع) «كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً، أياحبّ أحدكم أن يمشي في الأسواق عرياناً ومن أظهر بخلاف ما أظهرنا فقد خالفنا، ومن خالفنا فقد بارزنا، ومن بارزنا فقد حاربنا، ومن حاربنا أكبه الله على منخريه في النار»^(١)، وعنه (ع): «فانظروا القائم بفرائض الله فيهم، سراً وجهراً كاتماً ما أسرناه معلناً ما أظهرناه، فخذوا عنه معالم دينكم».

ويقول الشيخ أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي:

وليس حلاً لخلق ترك ظاهره	حتى يكون عليمًا بالذي بطنا
وإن يقولوا عرفنا حسبنا ولنا	ترك العبادة إطلاقاً وذاك لنا
فذاك والله شيء لا يصحّ ولا	جاء الكتاب به والصدق بغيتنا
ولا أمرنا بغير الإجهاد وأن	تكون أعمالنا لله طاقتنا
فإن عصينا فنحن الأخسرون به	وإن أطعنا ففضل الله يشملنا

وقال رسول الله (ص) وأئمة الهدى من بعده: «حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة».

وقال عليّ أمير المؤمنين (ع): «إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه»^(٢). وقال (ع): «القرآن أمر زاجر، وصامت ناطق، حجة الله على خلقه، وارتهن عليه أنفسهم».

وعن الباقر (ع): «اكتموا أسرارنا، وانظروا أمرنا، وما جاءكم عنا، فإن

(١) عبد الرحمن الخيّر: التحفة البديعة وعقيدتنا وواقعنا نحن المسلمين الجعفرين العلويين - دمشق ١٩٩٢.

(٢) الشيخ الطوسي: الأمالي: المجلس ٥٦. ص ٣٠١.

وجدتموه للقرآن موافقاً فخذوا به، وإن لم تجدوه موافقاً فردوه»^(١).

ويقول علي (ع) للحارث الهمداني: «وتمسك بحبل القرآن واستنصحه، وأحلّ حلاله، وحزّم حرامه» ويقول: «الله الله في القرآن، لا يسبقكم للعمل به غيركم»، ويقول (ع): «إستفتحوا بكتاب الله فإنه إمام مشفق، وهاد مرشد، وواعظ ناصح، ودليل يؤدي إلى جنة الله عز وجل»^(٢).

١ - العشائرية سموم وتختلف:

وهي من حماقات الجاهلية الأولى، وقد نبذها الإسلام ورسول الله الأكرم (ص)، قال تعالى: ﴿إِنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾^(٣) وفي الحديث الصحيح: «لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود، إلا بالتقوى، كلكم أبناء آدم وآدم من تراب».

والقربى في الإسلام هي قربى الدين والمثل والمبادئ وليس الدم والعرق، وقد تمثل هذا في بواكير الدعوة الإسلامية، يوم هاجر (ص) من مكة إلى المدينة، وأخى بين المهاجرين والأنصار، كما أخى بينه (ص) وبين أخيه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ورحم الله الأمير الشاعر أبو فراس الحمداني الذي يقول:

كانت مودة سلمان لهم رحماً ولم يكن بين نوح وابنه رحم

وقد كان العلويون إبان العصر التركي العثماني والحكم الفرنسي، مقسمين إلى عشائر وهذه العشائر بدورها تمثل روح القبيلة القديمة، بتعصب أفراد العشيرة لبعضهم، ولو بالباطل والخنوع المزري لزعيم العشيرة ومشائخها.

لقد حارب الإسلام «العشائرية» حتى وأدها، فجاء معاوية فبعثها من مرقدها حية تسعى تنفيذاً لمياسته الأموية، خدمة لحكمه الفردي الذي يكفل له البقاء:

(١) المصدر نفسه ج ٩ ص ٢٣١.

(٢) المصدر نفسه: ص ٢٤.

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٣.

سياسة «فرّق تسد»^(١) وحيث أنّ القبيلة العمياء تعمل على هدم مجتمع التوحيد، فقد عمل الإسلام والشرع على هدمها. قال تعالى ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾^(٢) ذلك لأنّ الفرقة مدعاة للكراهية والضعف والإنحطاط والعكس صحيح، فإن الوحدة مجلبة للقوة والظفر والمحبة.

قال سيد الرسل (ص): «والذي نفس محمد بيده، لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنون حتى تحابوا» قال: «ليس ممّا من دعا إلى عصبية».

والذي فرّق العلويين إلى عشائر، والعشائر إلى أفخاذ إنما هو الزعامات الإقطاعية متحدة مع بعض المشائخ النفعيين، من أهل الزكاة والطمع وهذا لعمر الحق جهل بروح الإسلام التي تدعو إلى الوحدة والمحبة.

إنّ للمشائخ في هذا الشعب المصلحة من الإبقاء على التفرقة والغرض هو استغلال أتعاب «العامة» من العشائر بإسم الله.

إنّ طلاب «التزعم» العشائري يريدون المحافظة، من خلال التعصب الأعمى بقبليّة العشائر، المحافظة على مصالحهم، وليكن من بعد ذلك الطوفان^(٣).

٢ - المهر والزواج:

كان العلويون في السابق يحرمون المرأة ميراثها، ويساوم أولياؤها الخاطب على المهر، وكأنها سلعة تجارية، ويقبض الولي «حقوق المرأة» ويصرفها على رغباته وشهواته، مع العلم أن الله سبحانه يقول في كتابه الكريم: ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾^(٤).

ويقول الإمام الرضا (ع): «لو أنّ رجلاً تزوج امرأة، وجعل مهرها عشرين

(١) محمد علي اسير: حياتنا وتقاليدنا: دار الأصاله، بيروت ص ١٣٨ - ط ١٩٨٠.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٣) محمد علي إسبير: حياتنا وتقاليدنا - مصدر سابق.

(٤) سورة النساء: الآية ٤.

ألفاً، وجعل لأبيها عشرة آلاف، كان المهر جائزاً والذي جعل لأبيها فاسداً»^(١).

ويقول الإمام الصادق (ع): «السراق ثلاثة: مانع الزكاة، ومستحل مهور النساء، وكذلك من استدان ديناً ولم ينو قضاءه»^(٢).

وهذه عادة سيئة أخذ المجتمع العلوي المسلم يتخلص منها، وهي بإذن الله إلى الزوال.

وهناك عادة نذر البنات، أي أنه عندما يقع الوالد والوالدة، أو أحد أولادهما الذكور أو البنت نفسها بمرض، ينذر الوالدن مهر ابنتهما أو قسماً من إلى مزار عظيم، والأكثر إلى الخضر (ع) فإذا حان وقت زواج المندورة، يجتمع رجال الدين، ويقترون على مقدار مهرها: بأن تكتب قيمة المهر على ثلاث ورقات وتراً لا شفعاً، أي (٥ - ٧ - ٩) ويدعى الخاطب أو وليه، لأخذ ورقة من الثلاث فإن خرج الرقم الأدنى أو الأوسط، إنتهى أمر تحديد المهر، وإن وقعت القرعة على الرقم الأعلى أعيد الاقتراع ثانية وثالثة، ولا ينتهي إلا بخروج الرقم الأدنى أو الأوسط، وعندها يشرع بإنفاق ذلك المهر، على وليمة يدعى إليها الأقربون والفقراء فيأكلون على حساب المسكينة التي لا ينالها شيء من مهرها، سوى دعاء الفقراء ورجال الدين، الذين لهم أيضاً حصة من ذلك المهر باسم الزكاة»^(٣).

ويقول صاحب «حياتنا وتقاليدنا» الأستاذ الشيخ محمد علي أسبر: «وهناك شيء آخر مخز هو: أن ولي المرأة ينذر لها للزيارة أو يزكيها «للشيخ» وإن نذر الإنسان لإبنه وفلذة كبده عادة جاهلية صرفه، وأن يزكي الرجل إبنته لآخر دليل واضح على بدائية فظة وهمجية بليدة يروي الإمام الباقر عن جده أمير المؤمنين علي (ع) قال: «لو كان لي واديان يسيلان ذهباً وفضة لما أهديت إلى الكعبة شيئاً

(١) الشيخ الطوسي: التهذيب، ص ٣٩١.

(٢) الحرّ العاملي: وسائل الشيعة: ص ٥٢٢.

(٣) المسلمون العلويون من هم وأين هم: ص ١٢٢. مصدر سابق.

لأنه يصير إلى الحجة دون المساكين»^(١) .

فإذا كان علي أمير المؤمنين^(٢) لا يجيز أن يهدى للكعبة، وهي بيت الله، لأن ما يهدي إليها يأخذه خدمها ولا يصل شيء منه إلى المساكين، فكيف أجاز المشائخ لأنفسهم أن يتزكوا مهور بنات الناس المساكين، لا سيما وقد عدَّ الإمام الصادق أكل مهر المرأة سارقاً والرسول الكريم، قال: «لعن الله السارق»^(٣) .

٣ - الزكاة فرضها الله للفقراء والمساكين

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ، وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا، وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ، وَالْغَارِمِينَ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَابْنِ السَّبِيلِ، فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٤) ، وقد عرّف الأمير المكزون السنجاري الزكاة في رسالته: «تزكية النفس» قال: «فرض الله الزكاة ليكون في أموال الأغنياء نصيب للفقراء، فتصلح معاشهم» .

وعلى فرض أن بعض المشائخ، جدلاً ينطبق عليهم اسم «العاملين عليها» ويخصص لهم نصاب، فأين تذهب بالأنصبة الباقية؟ وقد تجاوز الزمن فئتين من الثمانية:

١ - المؤلفة قلوبهم الذين كان يتألفهم الإسلام، بسهم من الصدقات، تجنباً لكيدهم للمسلمين، أمثال أبي سفيان صخر بن حرب، والأقرع بن حابس، وحصين بن عيينة وغيرهم .

٢ - الرقيق حيث لم يعد في المسلمين عبد رقيق يكاتب سيده على مبلغ من المال ليحرّر رقبتة» .

وعليه فيجب أن تؤدى للفقراء والمساكين والغارمين وفي سبيل الله، وليس

(١) وسائل الشيعة: ص ٣٥٨ .

(٢) حياتنا وتقاليدنا: ص ١٤٠ .

(٣) علم الهدى السيّد المرتضى: أمالي المرتضى: القسم الأول، ص ٥٠ .

(٤) سورة التوبة: الآية: ٦٠ .

إعتباطاً إلى المشائخ الجهلة من التجار الدينيين، وقد يكون فيهم الغني الفاحش بغناه فكيف صارت الزكاة وقفاً على المشائخ، ومن نصبهم أئمة على الناس؟ ومن جعلهم طبقة لها امتيازاتها واحتكاراتها الطبقية، من فرض لهم الزكاة بأسرها؟! إنها عادات صورها الجهل، والإحتكار، وحبّ التسلط والمال، والطبقية ومن الذي قال إنّ جميع أبناء هؤلاء يولدون مشائخ، ولو كانوا جهلاء سفهاء؟

والغريب أن الشعب الطيب يحني لهم الأعناق، ويقبل أياديهم، ويقدم لهم فريضة الزكاة إمتثالاً لتقليد خلفه الطغيان وعهود الظلام، وفرضه التخلف العقلي أو الجهل بالإسلام. والغريب أنّ غالبية المشائخ العظمى أغنياء أثرياء، ومن أبناءهم موظفون كبار في سلك الدولة ومن أصحاب الأملاك والدور والعقارات ومنهم الطبيب والتاجر، والمهندس والوزير. والصادق (ع) يقول: «تحرم الزكاة على من عنده قوت سنة»^(١).

ويقول الباقر (ع): إن الصدقة لا تحلّ لمحترف، ولا لذي مرة سوي قوي، فتزهرها عنها»^(٢).

ويقول علي (ع) في نهج البلاغة: «ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا، ويضعه في الآخرة، ويكرمه في الناس، ويهينه عند الله، ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه، ولا عند غير أهله، إلاّ حرمه شكرهم، وكان لغيره ودهم».

والعجيب أن التجار بالمشيخة لا يعملون كما يعمل الناس، وقد عمل الأنبياء والأوصياء (ع)، فكان نوح (ع) نجاراً، وكان هود (ع) مزارعاً وكان داود (ع) يصنع الدروع وكان إدريس (ع) خياطاً وكان موسى (ع) راعي غنم وكان محمد (ص) يعمل تاجراً للسيدة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، وكان علي (ع) ينضح الماء لليهودي من البئر.

(١) وسائل الشيعة: ج ٤ ص ١٦. مصدر سابق.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٥٩.

وقد روى أبو سعيد الطبراني في كتاب «المعارف»^(١) : عن الإمام الصادق (ع) قوله : «يجب على المؤمن أن يعرف الله فيوحده، ولا يسأل الناس شيئاً ولو مات كفافاً» .

وجاء في مقدمة «كشف الحجاب عن قلب الجاحد والمرتاب قوله : «يقوم شيخ البلد بجمع الزكاة من المستحقة عليهم في مواسم معروفة، بعد القيام بواجبها باطنياً، وترفع هذه الزكاة إلى شيخ البلاد مع أسماء المستحقين للصدقة في بلده، وشيخ البلاد يقرّ صرف هذه الأموال على مستحقيها، وهكذا كان يطبق هذا الركن الإسلامي ويحقق التكافل الإجتماعي، فأين نحن اليوم من هذا النظام الدقيق الذي يعود على الشعب بالخير والمثوبة والمواساة»^(٢) .

٤ - الأعياد

المسلمون العلويون يعيدون مثل سائر المسلمين في عيد الفطر، وعيد الأضحى، ومن أعيادهم الشيعية «عيد الغدير»، وهو يوم الثامن عشر من ذي الحجة، يوم استخلف رسول الله (ص) علياً (ع) وقال : «من كنت مولاه فعلي مولاه» ولهم أيام أعياد تاريخية غير عيد الغدير ومنها :

أ - يوم المباهلة :

يقع في ٢١ ذي الحجة وهو يوم قدوم وفد نصارى نجران على المدينة، بقصد مباهلة النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم، وفيهم علي وفاطمة والحسن والحسين وقد طرح النبي عليهم رداءه ونزل في هذا اليوم قول الحق سبحانه : «فمن حاجك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين»^(٣) وبعض

(١) أبو سعيد ميمون بن قاسم الطبراني : المعارف .

(٢) محمد حسن هلال : كشف الحجاب عن قلب الجاحد والمرتاب : تقديم حامد حسن : ص ٩ مخطوط .

(٣) سورة البقرة الآية : ٦١ .

العلويين يطعمون في هذا اليوم الفقراء ويحسنون إليهم .

ب - يوم الفراش :

وهو يوم هجرة النبي (ص) إلى مكة، والتجاؤه إلى غار حراء، ومبيت علي (ع) في فراشه، فحسبه كفار قريش (ص) نائماً، وقد تسنى له (ص) أن ينجو منهم، وفي ذلك يقول الشاعر هاشم جردان الكعبي رحمه الله :

ومواقف لك دون أحمد جاوزت	بمقامك التعريف والتحييداً
وعلى الفراش مبيت ليلك والعدا	تهدي إليك بوارقاً ورعوداً
فرقدت مثلوج الفؤاد كانما	يهدي القراع لسمعك التغريداً
واستصبحوا فرأوا دوين مرادهم	جلاً أشمّ وفارساً صنديداً
رصدوا الصباح لينفقوا كنز الهدى	أو ما دَرَوْا كنز الهدى مرصوداً

ج - ليلة النصف من شعبان :

وهذه الليلة محترمة عند جميع الطوائف الإسلامية، والعلويون يحيونها بالصلاة والدعاء، والإطعام والزكاة .

د - يوم عاشوراء :

وهو يقع في العاشر من المحرم وهو يوم إستشهاد سبط رسول الله (ص) الإمام الحسين بن علي (ع) في كربلاء العراق، على يد الجلاوزة: يزيد بن معاوية، وعبيد الله بن زياد، وعمر بن سعد بن أبي وقاص، والشمر بن ذي الجوشن، وأضربهم من ملاحدة بني أمية، وهو يوم الأحزان الأكبر، فلا يتزوج فيه العلوي ولا تقام فيه الأفراح، ولا تغسل الملابس وتكثر فيه العبادات، والطاعات، والصلوات، والزكوات والإطعام، والصدقات .

وأما الأيام التي تسربت إليهم من مجاورتهم وهي إلى زوال فهي :

أ - يوم الميلاد :

وهو يقع في رأس السنة الشرقية، وفيه يحتفل النصارى بميلاد المسيح (ع)

ونرجح أنه قد تسرب إليهم من مجاورتهم المسيحيين الأرثوذكس، بمرور الزمن، وفيه يذبح بعضهم الذبائح ويتزاورون علماً بأن هذا العيد ليس له ذكر في المذهب العلوي وهو محصور في الشمال.

ب - عيد الزهور:

وهو يقع في الرابع من نيسان، شرقي، وهو يقابل النيروز عند العجم الفرس والأكراد، والأرجح أنه جاء من الفرس، في زمن الدولة البويهية الشيعية في العراق.

ج - يوم الصليب:

ويقع في ١٤ أيلول شرقي، وهو عيد نصراني تسرّب إلى العلويين في الأرجح من الجوار، والعلويون يجعلون منه تاريخاً لأجور رعاة الماشية، والزراع، وقطف الأثمار والبدء بالزراعة فقط، والشراء من المعارض التي تقام في كل سنة في «دير الحميراء تيلكلخ» وفي «دير مار الياس» صافيتا حيث يذهب العلويون لشراء لوازمهم من هناك، ولا دخل لهذا اليوم في المذهب العلوي البتة.

د - يوم البربارة:

ويقع في ٣ كانون الأول الشرقي، وهو لا دخل له في أصول المذهب العلوي، وإنما الراجح أنه تسرب إليهم من المسيحيين المجاورين، وقد اتخذ العلويون منه عادة الذبح، وهذا العيد محصور في الجهة الشمالية في الجبل العلوي^(١).

والحق أنّ هذه الأعياد ليس لها إحترام عند جميع المسلمين العلويين، بل هي في بعض المناطق، وأكاد أجزم بأنها زالت بنسبة ٩٥ في المئة، وهي ليست من أصول المذهب.

(١) المسلمون العلويون من هم وأين هم: ص ١٣٨.

٥ - الخمرة:

قال الله تعالى: ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة في الخمر والميسر، ويصدكم عن ذكر الله فهل أنتم متبهون﴾^(١) وفي بيان التحريم أمور منها:

١ - أن الله تعالى قرنها بالميسر والأزلام والأنصاب.

٢ - أن الله سمّاها رجساً.

٣ - هي من عمل الشيطان.

٤ - أن الخمر أداة الشيطان لإيقاع العداوة.

٥ - أن الخمرة هي أداة أيضاً للصدّ عن الصلاة.

٦ - الإستفهام الإنكاري التقريري، في قول الحق سبحانه: ﴿فهل أنتم متبهون﴾.

وقال الأستاذ حامد حسن في مقدمته على «كشف الحجاب عن قلب الجاحد والمرتاب»: «ولقد سمعت من يجتهد ويتأول لفظة «فأجتنبوه» بأنها ليست قاطعة في التحريم، وفاته أن الضمير في إجتنبوه هو للرجس، وفاته أيضاً أن لفظة «إجتنب» من معانيها «الجنابة» المعروفة شرعاً»^(٢).

وقد قال الله سبحانه: ﴿ويحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث﴾^(٣).

وقال رسول الله (ص) في الحديث الصحيح: «الخمرة أمّ الخبائث» متفق عليه.

(١) سورة المائدة: الآية ٩٠ - ٩١.

(٢) كشف الحجاب عن قلب الجاحد والمرتاب - ص ١١ - مصدر سابق.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) في نهج البلاغة: «فرض الله ترك شرب الخمر تحصيئاً للعقل».

وقال رسول الله (ص): «ما أسكر كثيرة فقليله حرام» و«كل مسكر حرام». واما الإشارة إلى الخمرة التي ترد في أشعار المتصوفة، كابن الفارض، والمنتجب، والمكزون، وغيرهم من العارفين أصحاب القلوب والمواجيد، فليست هي الخمرة المادية المحرمة في القرآن، وإنما هي خمرة الحب والوجد والعرفان الصوفي، كما هو الحال عند الشيخ ابن عربي والطار والسهروردي.

وقد رأينا في زمننا الرديء هذا بعض المتمشixin ممن يزعم بأن الله لم يحرم الخمرة، وهو زعم قديم؟ فعن علي بن يقطين قال: ان المهدي الخليفة العباسي سأل أبا الحسن الإمام الكاظم (ع) عن الخمر، فقال: هل هي محرمة في كتاب الله تعالى، فإنَّ الناس إنما يعرفون النهي ولا يعرفون التحريم؟؟ فقال له أبو الحسن: بل هي محرمة في كتاب الله، فقال: في أي موضع هي محرمة في كتاب الله يا أبا الحسن؟؟ فقال: قول الله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(١) ثم قال (ع): وأما الإثم فإنها الخمر بعينها، ويقول الشاعر امرؤ القيس في الخمرة:

شربت الإثم حتى ضلّ عقلي كذاك الإثم تذهب بالعقول
ويقول شاعر إسلامي آخر:

نهانا رسول الله أن نقرب الخنا وأن نشرب الإثم الذي يعقب الوزرا

وسئل الإمام الباقر (ع): ما أكبر الكبائر؟ فقال: شرب الخمر، فأعاد الرجل عليه السؤال، كأنه لا يصدق فقال: ألم أقل لك يا ابن أخي، شرب الخمر إن شرب الخمر يدخل صاحبه في: الزنى والسرقه وقتل النفس التي حرّم الله، والشرك بالله وأفاعيل الخمر تعلقو على كل ذنب، كما يعلو شجرها على كل

(١) سورة الأعراف: الآية ٣٣.

شجر (١) .

وقال الإمام الصادق (ع) «ما عصي الله بشيء أشدّ من شرب المسكر، إنّ أحدهم ليدع صلاة الفريضة، ويثب على أمه، وبنته، وأخته، وهو لا يعقل» (٢) .

وفي كتاب الإحتجاج للطبرسي يقول الصادق (ع): جواباً لمن سأله عن التحريم للخمر: «حرّمها لأنها أم الخبائث وأس كل شر، يأتي على شاربها ساعة يسلب لثّه، ولا يعرف ربّه، ولا يترك معصية إلّا ركبها، ولا حرمة إلّا إنتهكها، ولا رحماً ماسة، إلّا قطعها، ولا فاحشة إلّا أتاها، والسكران زمامه بيد الشيطان، إن أمره أن يسجد للأوثان سجد، وينقاد حيثما قاده» (٣) .

وروى الفيض الكاشاني، في تفسيره في شرح الآية (٩١) من سورة المائدة، وهي قول الله تعالى: ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متتهون﴾ (٤) أنّ أبا بكر الخليفة الأول شرب الخمر فسكر، فجعل يقول الشعر ويكي على قتلى المشركين من أهل بدر، فسمعه النبي فقال: «اللهم امسك على لسانه» فأمسك فلم يتكلم حتى ذهب عنه السكر فأنزل الله تحريمها بعد ذلك بقوله: ﴿قل إنّما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق﴾ (٥) ثم قال رسول الله (ص): «من شرب الخمر فاجلدوه فإن عاد فاجلدوه فإن عاد فاجلدوه فإن عاد في الرابعة فاقتلوه» .

ويقول صاحب «حياتنا وتقاليدنا»: أمّا ما يروونه من أنّ أحد كبار الصوفية قال:

لا تشرب الراح إلّا مع أخ ثقة مهذب عارف بالعلم والدين

(١) محمّد علي دخيل: الإمام محمّد الباقر: ص ٦٧ .

(٢) الفيض الكاشاني: الضافي في تفسير القرآن: شرح الآية ٢١٩ من سورة البقرة .

(٣) الطبرسي: الإحتجاج ج ٢ مطابع النعمان النجف الأشرف ١٩٦٦ م .

(٤) سورة المائدة: الآية ٩١ .

(٥) سورة الأعراف: الآية ٣٣ .

ويدعون أنه يقصد بذلك «الراح المادي المسكر» إن هذا الإدعاء باطل، وهو تشويه لذلك الصوفي الجليل لأنه يقصد بالراح المذاكرة بعمل التصوف واصطلاحاته حيث إتفقوا على تسمية ذلك خمرة وراحاً. . ووصفوها بأنها، معتقة. . وأنها تضيء في باطن اللبيب، وأنها خلقت قبل أن يخلق الكرم»^(١).

القبور والمزارات والنذور

زيارة القبور للعبرة وطلب الرّحمة لأصحابها وتذكر الآخرة، هو من المستحبات، وأمّا أن يكون المقصود من الزيارة - ما خلا قبور الأنبياء والأئمة (ع) - الشفاء من المرض، وتقبل النذور والزكوات لبعض المتمسّخين الجهلة، فهو الشرك بعينه يقول الإمام الرضا (ع): «لا تشدّ الرحال إلى شيء من القبور إلّا إلى قبورنا»^(٢).

والحق أن لا وساطة بين الله وبين عباده، ولا سيما الذين يتأكلون بالباطل من تجار الأديان، وأنّ الله يطلب من عباده أن يخاطبوه مباشرة، بلا واسطة، قال تعالى: «أدعوني أستجب لكم»^(٣) وقد كان المشركون في الجاهلية يتقربون إلى الكهنة، بإعتبارهم الوسيلة إلى الآلهة، وقد أجاد المرحوم الشيخ عبد اللطيف سعود حينما قال:

<p>وأهملنا به شرع الصلاة إلى حجّ أضيع إلى زكاة لباطنها الخفيّ عن العُداة ولا داع إليه من الدعاة على قمم الجبال الشامخات من العقلاء منا والدهاة</p>	<p>ودستور جعلناه صلاة كذا باقي الحدود فمن صيام تركنا ظاهراً لتكليف منها ولم نؤمر بذلك من نبيّ وتعمير المقامات العوالي وتقديم النذور لهنّ حتى</p>
--	--

(١) حياتنا وتقاليدنا: ص ١٨٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٥ أبواب المزار.

(٣) سورة غافر: الآية ٦٠.

تُزار وترتجى للنائبات
مصائد للدراهم والهبات
لنذر الشاة بل نذر البنات
عادة وحاذورا طلب الترات
لهم تركتكم شبه الجناة
وإن قدروا ففي حال الحياة
عليكم كالشعوب على الولاية
متى يتلى عليه وذا أناة
عوائد والفروع الملحقات
عليه ولا ورب الكائنات
ولم أبرح عليه أختبات

وما للأنبياء هنا قبور
ولكن أهل أطماع بنوها
ولا عجب وإن أمسى عجيباً
فيا قوم اتقوا الأنبياء قبل ال
لأن عوائد أورثتموها
سيتقمون بعد الموت منكم
خوارج كلهم يغدون يوماً
فلا يغط إنتقادي ذا حصاة
فإني لا أخالفكم بغير ال
وأصل الدين ما عندي إعتراض
ويعجبني وأهواه يقيناً

ومن العجيب أن بعض المشائخ يقدمون على بناء قباب لهم وهم أحياء، وهذا من قوت الكادحين من فقراء ومساكين، ويريدون من ذلك أن يزورهم العوام بعد موتهم ويقدمون لهم النذور، ويقبلون الحجارة، ويحولون قبورهم إلى أصنام جاهلية مما دعا إلى هدمه الشرع الإسلامي، العلو في الأرض، قال الله تعالى: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً﴾^(١) والأدهى والأنكى أن نرى أن الذين يبنون القباب ليسوا من المتحمسين للمساجد وإعمارها، وإقام الصلوات فيها، وفيهم يقول الله سبحانه: ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾^(٢) ويقول تعالى: ﴿ما كان للمشركين أن يعمرؤا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم فيها خالدون، إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا

(١) سورة القصص: الآية ٨٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ١١٤.

من المهتمين ﴿^(١)﴾ وإن بناء القبّة لا يفيد المقبور عند الله شيئاً وإنما الذي يفيدُه هو عمله من خير وشرّ، على أن بناء القبّة قد يكون أكثر كلفة من بناء المسجد، فكيف يمنع المشائخ بناء المساجد وهو فرض عين، وبينون القباب، وهي في أحسن الحالات مستحبة، إن كان صاحبها من أهل الدين والورع ^(٢).

(١) سورة التوبة: الآية ١٧ - ١٨ .

(٢) أنظر كشف الحجاب عن قلب الجاحد والمرتاب: ص ١١٣ مصلر سابق .

هل العلويون غلاة؟

الغلوّ هو تجاوز الحدّ، والغلوّ في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، هو الاعتقاد بأنّه الله تعالى، وهذا كفر صريح، لأنّه لا يجوز الاعتقاد بألوهية رجل بشري يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق، وقد غالى كثير من الناس منذ فجر الإسلام بأمير المؤمنين وبأولاده المعصومين (ع)، وفيهم العالم والعارف وكذلك الجاهل، وقد قال (ص): «يا عليّ يهلك فيك اثنان: «محبّ غالٍ ومبغض قال»، وقد ذهب بعض العلماء إلى أن سبب الغلّو بأمير المؤمنين (ع)، هو ما كان الناس يرونه ويسمعونه من خوارق العادات، والإخبار بالمغيبات، وإنطاق الجماد، ومخاطبة الحيوان وعلمه بكثير من العلوم، ومخاطبته أهل كل لغة بلغتهم، وعلمه بالمغيبات ولا سيما الخمس التي حصرها الله تعالى بنفسه فقال: ﴿إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾^(١) وقد نقل عن الإمام الشافعي رضي الله عنه قوله:

حار الوريّ كلهم في أمر حيدرة والعالمون بمعنى أمره تاهوا
فإن أقلّ بشر فالعقل يمنعني واتقي الله في قولي هو الله^(٢)

ومن أمثاله قوله (ع): «إنّ لي الكرّة بعد الكرّة، والرجعة بعد الرجعة، وأنا صاحب الكرات والرجعات، وصاحب النقمات والصلوات والدولات

(١) سورة لقمان: الآية ٣٤.

(٢) سلوني قبل أن تفقدوني: ج ٢ ص ٣٧.

العجيبات». وقوله: «أنا جنب الله، وكلمته، وقلب الله، وبابه الذي منه يؤتى، فيّ وعلى يديّ تقوم الساعة وفيّ يرتاب المبطلون»^(١) ومن ذلك أيضاً: قلعه (ع) باب خير، وحمله إياه ووضع جسراً يصله بيده، وقوله: والله ما قلعته بقوة جسدية ولكن بقوة إلهية، وقال الشاعر الأزري رحمه الله:

وبرئٍ مرحباً بكفّ إقتدار أقوياء الأقدار من ضعفهاها
ودحاً بابها بقوة بأس لو حتمه الأفلاك منه دحاهها

ومما تذرعه به الغلاة: قوله (ع): «جميع أسرار الكتب السماوية في القرآن، وجميع ما في القرآن في الفاتحة، وجميع ما في الفاتحة في البسملة، وجميع ما في البسملة في النقطة وقال أنا النقطة»^(٢)، وزعم الغلاة أن قوله تعالى: ﴿ووظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب﴾^(٣) نزلت في فتح خيبر، واحتجوا بقوله (ع): «أنا دحوت أرضها، وأنشأت جبالها، وفجرت عيونها، وشققت أنهارها، وغرست أشجارها، وأطعمت ثمارها، وأنشأت سحابها، وأسمعت رعداً ونورت برقها، وأضحيت شمسها فيها»^(٤).

والذي نحن متحققون منه هو أن علماء العلويين يقولون بالتجلي، ويقصدون تجلي الله لمخلوقاته، ويستدلون بما جاء عن لسان النبي، من أمثال قوله (ص): «رأيت ربي في أحسن صورة»^(٥)، ومثله «خلق الله آدم على صورته» ومثله «رأيتكم ربكم كالقمر»^(٦) ومثله «إن الله جلّت قدرته يتجلى يوم القيامة، بصور متنوعة متعددة، ويتحول من صورة إلى أخرى

(١) مشارق أنوار اليقين: ص ١٧٢.

(٢) ينابيع المودة: ج ١ ص ٦٨.

(٣) سورة الحشر: الآية ٢.

(٤) مشارق أنوار اليقين: ص ١٧٢.

(٥) إبراهيم الباجوري: جوهرة التوحيد ص ٢٤٦ - ٢٦٨. مكتبة الغزالي، حماه ١٣٩٢ هـ.

(٦) المصدر نفسه.

غيرها^(١) ، ويستدلون على التجلي بآيات من القرآن الكريم، من أمثال قول الحق سبحانه: ﴿فلما تجلّى ربّه للعجل جعله دكاً وخرّ موسى صعقاً﴾^(٢) وتجليه مع الملائكة: ﴿وجاء ربك والملك صفّاً صفّاً﴾^(٣) ومثله: ﴿هل ينظرون إلّا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾^(٤) ، وتجليه للنبي (ص) برداء العزّة والكبرياء، وقد ورد عن أكثر علماء الحديث: ان جبريل تجلّى للنبي بصورة دحية بن خليفة الكلبي وتجليه لمريم بصورة بشرية، وذلك ان جبريل لم ينقلب إلى صورة دحية بل تلك الصورة مثال مؤد عن جبريل، ولا يستحيل مثل ذلك في يقظة أو منام^(٥).

وقد تحدّث الشيخ العلم أحمد الأحسائي، وهو من مفكري علماء الشيعة، عن هذا المعنى من التجلي في الأنبياء والأئمة المعصومين (ع)، فقال في شرح الزيارة الجامعة: «إنما ظهروا للناس بما لبسوا من الصورة البشرية التي هي محلّ التغيير والتبديل، وهي صورة كثيفة من العناصر الأربعة، وإنما لبسوها لئتم ما أورد الله، من إنتفاع المكلفين بهم، في قوله سبحانه: ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾^(٦) وكانت الصورة البشرية عرضية لهم، لأنها ليست منهم، وإنما هي من آثارهم، فلما انتهت الحاجة إليها ألقوها في أصولها الأربع، كلّ في أصله، فكانوا كما كانوا في أعالي عالم الأنوار، معلقين بأوائل عللهم من الأمر الذي قام به كل شيء»^(٧). إنّ ظهورهم في البشرية وما بعده مما أشرنا إليه مثاله الصورة التي

(١) أحمد محمد حيدر: التكوين والتجلي: ص ٨٨. دار الشمال، طرابلس لبنان، ط ١٤٠٧ هـ.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٣.

(٣) سورة الفجر، الآية: ٢٢.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١٠.

(٥) أحمد بن زين الدين الأحسائي: شرح الزيارة الجامعة - الطبعة الثالثة - طهران - مطبعة الإسلامي ١٣٩٠ هـ.

(٦) سورة الأنعام: الآية ٩.

(٧) أحمد بن زين الدين الأحسائي: شرح الزيارة الجامعة - مصدر سابق.

ظهرت منك في المرأة، فإن جرم الزجاجة الصقيل للصورة بمنزلة الصورة البشرية لهم، لظهورهم (ع)، إذ لولا جرم الزجاجة الصقيل لما ظهرت الصورة مع أنها موجودة في ذلك وجوداً عرضياً لك لا ذاتياً، لأنه نورك وشعاعها، فإذا ذهبت المرأة خفي الشبح لعدم شرط ظهوره، فكان لما كان في أعالي عالم ظهورك الذي هو عالم أنوارك، أي أنوار أفعالك، معلقاً في أوائل علله من الأمر الذي من فعلك، أي ظهورك الذي قام به كل شيء، من آثار ذلك الفعل، فافهم هذا ففيه بيان وجواب على كشف جميع الأسباب، ورفع الحجاب، ولولا أن المرأة صورت الهيكل المقابل على ذاتها، لما أعطت العكس في المرأة، ومن أين يكون العكس في المرأة إذا لم تكن صورة مقابلة»^(١)، ثم يقول الشيخ الأحسائي: «اعلم أنهم أنوار، لا كثافة في أجسامهم بوجه، بحيث لا تدركها الأبصار بل أكثر البصائر، وهي حينئذ في رتبة لطافة العرش، فإذا زالت الكثافة البشرية التي هي علة الإدراك قلنا: إنهم معلقون بالعرش وهم في حفرهم. ويرى بعض الصوفية أن الله يتجلى بصور لا عداد لها، قال أحدهم^(٢):

إن التشكل في الصور	نعت المهيمن في الخبز
وبذاك أنزل كتبه	فيما تلاه من السور
ولقد رأيت مثاله	بمطوّل وبمختصر

والذين يقولون بالتجلي هم أهل التنزيه، ويستندون في ذلك إلى الأحاديث الشريفة بتجليه سبحانه، مثل قوله (ص): «يجمع الله الناس يوم القيامة، فيأتيهم في صورة غير التي يعرفونه بها، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فيأتيهم بالصورة التي يعرفونه فيقول: أنا ربكم فيقولون: «أنت ربنا سبحانه ربنا»^(٣) ومثله قوله الحق سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا

(١) المصدر نفسه.

(٢) نسبت هذه الأبيات للحلاج ولأبي بكر الشبلي.

(٣) صحيح مسلم، مسند أحمد بن حنبل والفتوحات المكية.

بلى»^(١) وهل كانت هذه المخاطبة إلا بالتجلي؟ وقوله سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(٢) ومثله ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾^(٣) يشرحه الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف وبني عرفوني»^(٤)، دالاً دلالة قطعية أنهم عرفوه بذاته، ومعرفته بذاته لا تكون إلا بتجليه، وأحاديث التنزيه كثيرة، عرفتنا أن الله سبحانه لا يُرى بكنه ذاته، كما أنه لا يعرف بكنه ذاته^(٥).

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٢) سورة النساء، الآية ١٦٤.

(٣) سورة الذاريات: الآية ٥٧.

(٤) آية الله الخميني، الآداب المعنوية للصلاة: ص ٤٤٢.

(٥) محمد أحمد حيدر: الحيرات: ص ١٨٣ - دار الشمال، طرابلس، ط ١، ١٩٩١.

العلويون والتقمص

التقمص أو التناسخ معتقد قديم جداً، وبه قالت معظم الأديان القديمة، ومنهم الهنود القدامى، وهم قالوا: إن روح الإنسان تهجره لتحلّ في حيوان أو حشرات أو نبات، أو قديس، وهي بذلك تبقى تزاوّل حالة من الخلود إلى الأرض، وبذلك يكون للروح عندهم كياناً مستقلاً يقوم بذاته، والراجح أن فكرة الخلود وحبّ البقاء، هي السبب الأساسي لفكرة التناسخ. ويقول البيروني، وهو من أعلام المسلمين ولد سنة ٣٦٢هـ - ٩٧٣ م: «كما أنّ الشهادة بكلمة الإخلاص هي علامة إيمان المسلمين، والتثليث علامة النصرانية والأسباب علامة اليهودية، فكذلك التناسخ علم النحلة الهندوسية، وتقرر الهندوسية أنّ روح كل كائن تعود في نهاية مطافها إلى مصدرها الأول الذي نشأت فيه، وهو الله، والإنسان أحد هذه الكائنات، وروحه قطرة من الله انفصلت عنه إلى أجل محدود، ثم تنتقل من كائن عن طريق التناسخ، ثم تعود في النهاية إلى الله متى جاء أجلها، فالديانة البرهمية كانت في الأصل - على ما يبدو في أسفارها - ديانة توحيد مشوبة بعقائد: «وحدة الوجود» و«تناسخ الأرواح» و«رجوع الكائنات إلى الخالق»، وما إلى ذلك من المعتقدات التي إنتقل كثير منها إلى التصوف الإسلامي، ولكنها - أي البرهمية - إنتهت إلى التثليث، أي القول بثلاثة آلهة، وإن اعتبرت واحداً، وهي: ١ - برهما: الخالق، ٢ - سيفا: المدر، ٣ - يشنوا: الحافظ المجدّد»^(١).

والإعتقاد بالتناسخ، أي إنتقال الروح من هيكل إلى آخر أو عودتها بعد الموت، وقد عرفه الهنود، والبوذيون، والجينيون، والمصريون، والرومان، وقد

(١) حامد حسن: المكزون بين الإمارة والشعر والتصوف: ج ١ ص ٢٨٧، دمشق.

عرفته كذلك شعوب آسيا الوسطى، إِمَّا مهاجراً إليهم شرقاً من مصر، أو مرتحلاً إليهم غرباً من الهند، حيث تسرب إلى المسلمين .

يقول ابن حزم: «إفترق القائلون بالتناسخ إلى فرقتين: الأولى تقول: إن الأرواح بعد مفارقتها الأجساد تنتقل إلى أجسام أخرى، وإن لم تكن من نوع الأجسام التي فارقتها، وهذا قول أحمد بن حافظ، وأحمد بن ناموس، وأبي مسلم الخراساني، ومحمد بن زكريا الرازي الذي صرَّح بذلك في كتابه المعروف: «العلم الإلهي» فقال: «لولا أنه لا سبيل إلى تخليص الأرواح، من الأجساد المتصورة بالصور الصحيحة إلى الأجساد المتصورة بصورة الإنسان، إلا بالقتل والذبح، لمَّا جاز قتل شيء من الحيوان أو ذبحه البتة»^(١) .

على أن الكتب السماوية كلها تقول بعودة الروح، ولكن عودتها تسمى: «البعث» أو المعاد، أو النشور أو القيامة، وهناك أقوال وإختلاف بين أن ترجع الروح إلى هيكلها ثانية، أو تبعث مجردة منه، والقرآن الكريم يشير إلى أنها تعود يوم القيامة إلى جسدها، وتحشر للحساب، والأدلة كثيرة منها: قوله تعالى:

١ - ﴿أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور، وحُصِّل ما في الصدور﴾^(٢) .

٢ - قول الحق سبحانه: ﴿خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر﴾^(٣) .

٣ - قوله سبحانه: ﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون﴾^(٤) .

٤ - قوله جلَّ جلاله: ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا﴾^(٥) .

(١) ابن حزم: الملل والأهواء والنحل: ص ٩٠ ج ١ بيروت .

(٢) سورة العاديات: الآية ٩ - ١٠ .

(٣) سورة القمر: الآية ٧ .

(٤) سورة ياسين: الآية ٥١ .

(٥) سورة النبأ: الآية ١٨ .

٥ - ﴿منها خلقناكم، وفيها نعيدكم، ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾^(١).
وهذه الآيات الكريمة تشير إلى أنّ الروح تعود إلى جسدها مرة ثانية للحساب، باستثناء الآية الخامسة، فإنها تشير إلى النفس، ويمكن حمل ذلك على الشمول أو المجاز المرسل، وهذه الآيات وإن لم تدل على التناسخ فقد وجد القائلون بالتناسخ فيها دعماً لنظريتهم، وخاصة في «العودة» والقائلون بالتناسخ يعتقدون بعودة الروح ثانية وثالثة، وفي أجسام عليا ودنيا، إلى أن تظهر وتصفو، ويدعون هذا تناسخاً ومفسرو الأديان السماوية يعتقدون بعودة الروح ثانية فقط، وإلى جسدها الذي فارقت، ولأجل الحساب، والتقاص، فيما قدمت من خير أو اقرت من شرور وآثام، ويسمون ذلك بعثاً، ومعاداً، وقيامه ونشوراً، وعليه فإن القاسم المشترك بين هؤلاء وأولئك هو «العودة».

ويقول الأستاذ حامد حسن، وهو من مفكري العلويين وعلمائهم، في كتابه: «وجهاً لوجه»: التقمص ليس عقيدة علوية معروفة، كما يزعم صاحبنا الباحث، بل هو مفهوم فلسفي، ورياضة عقلية يفرضها العقل الواعي الباحث عن حقائق الكون، وظواهر الطبيعة، وخاصة الإنسان، وهناك جدلية تقوم بين المنظورين الديني والفلسفي!!

«كل دين من الأديان السماوية، وحتى الأديان الوثنية تفترض أن إلهها مطلق الكمال، لا نقص في كماله، ولا ريب في حكمته، ولا جور في قضائه، ولا ظلم في تدبيره، وهذه مسلمات لا جدل فيها ولا شك، ولا ارتياب عند كل ذي دين، أما الماديون فلهم شأن آخر لا يعنيننا هنا بحثه!!

«عندما أبصر أنا، أو أنت، أو هو، أو هي، إنساناً ناقص التكوين، مشوّء الخلق، أصمّ أو أعمى، أو معقد، أو ناقص الأطراف منذ ولادته، فتساءل، ويحق لنا أن نتساءل، وبحسرة، وإشفاق، وحيرة: لماذا خلقه الله هكذا؟؟

(١) سورة طه: الآية ٥٥.

«الآله - وكما يجب - عادل، والعدل بين مخلوقاته من صفات الكمال التي تليق به، أو هي صفة ملازمة له ضرورة، ولكن لماذا ولد زيد سوى الخلق والتكوين، وولد عمرو مشوّه الصورة، وناقص التكوين؟؟»

«وهنا يلجأ العقل إلى التعليل والبحث عن أسباب، إشباعاً لجوعه إلى المعرفة، وتحقيقاً للغاية التي أوجده الله لأجلها، واكتناه سر ما يحيط به من ظواهر الكون الواسع المليء بالأسرار، ونفيّاً للظلم عن الإله الخالق الذي يؤمن بكماله وعدالته.

«وهنا، وفي غمرة ما يراه وما يؤمن به من عدالة الله، لا يجد حلاً لهذه المشكلة في دينه ولدى عقله، إلّا إذا افترض حياة سابقة واعمالاً سالفة، نتجت عنها عقوبة لاحقة، هذا ما يطالب فيه العقل ليصل إلى الحل»^(١).

أدلة القائلين بالتناسخ:

استدلوا بأمور:

أ - أنّ النفس لو لم تنتقل، بعد فساد الجسم الأول إلى غيره، بقيت معطلة بلا عمل، لأنّ البدن بمنزلة الآلات والأدوات للنفس، ودونه لا يستطيع القيام بأي عمل.

والجواب أنه إذا كان لا بدّ للنفس من عمل، بعد فناء الجسد، فربما كان من نوع آخر، كالإشراق والإبتهاج.

ب - أن النفوس هي عبارة عن كمية محدودة العدد، لأنها موجودة بكاملها فعلاً وخارجاً، لا تزيد ولا تنقص، أما الأجسام فلا نهاية لها، بل تتجدد وتبديل على التوالي فإذا لم تنتقل النفس بين أبدان عديدة، لزم أن تبقى أبدان بلا نفوس، لأن توزيع الأقل على الأكثر بالتساوي محال.

وأجيبوا أولاً: بأنه لم يثبت، بالتتابع والإستقراء، أنّ النفوس أقل من

(١) حامد حسن: وجهاً لوجه: ص ١٣٢. مطبعة عكرمة، دمشق ١٩٩٢.

الأجسام، وثانياً: أنه يلزم من الإفتراض ثبات العجز لله سبحانه، لعجزه عن خلق نفوس بقدر الأجسام التي خلقها، وثالثاً: يلزم أن يعاقب البدن الثاني، الذي حلت النفس فيه، بجريمة البدن الأول، الذي كانت فيه النفس، مع أنه لم يعص الله، وإنما عصته النفس في البدن الأول، فعذابه بجريمة غيره يكون ظلماً وعدواناً، وحاشا لله الظلم، ولا تزر وازرة وزر أخرى.

ج - أن اختلاف الناس في الخلق وتشويه بعض الصور، بزيادة أو نقصان، دليل على التناسخ، وهذا إنما يكون بسبب الظلم الذي اقترفته النفس في الجيل السابق، بمقتضى قاعدة العدل في الله سبحانه، بخلق هذا كامل الخلقة، وذاك ناقص الخلقة، وذلك في بيت غني، وذلك في بيت فقير، وهذا في بيت رفيع، وهذا في بيت ضيع، وهذا دليل أكيد على التناسخ.

وأجاب خصومهم، بأن إختلاف الناس في الخلقة لا منافاة فيه لعدل الله سبحانه لأن حكيمته وعنايته ومشيتته الربانية إقتضت إيجاد الموجودات على ناموس الطبيعة، والأسباب العادية المؤدية إلى مسبباتها الخاصة، واستدلوا بأن المطر النازل من السماء، مع غاية لطافة طبعه، لا ينبت في الأرض السبخة إلا الأشواك، وفي الحدائق والترب الطيبة إلا الورد والرياحين، والمطر أعطى المأم لكلتا الترتبين، سواسية وبالعدل، وإنما الإختلاف في القابل والمفاض عليه، قال تعالى: ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها﴾^(١) وعليه فإن النطفة التي يتكون منها الجنين، إذا زادت على مقدار الخلقة التامة، وبقي منها فضلاً لا تهمل سدئ، بل يفاض عليها صورة من سنخ صورة أجزاء البدن، فتكون - مثلاً - إصبع زائدة فزيادة الإصبع إنما هي بسبب النطفة المؤدية إليه، وقد تكون الزيادة والنقيصة بسبب عوارض يصاب بها الجنين، وأمه حامل به، ويؤيد هذا العلم الحديث. وقس عليه كل ما تجد في الخليقة من الإختلاف، في جواهرها وأعراضها، فهو لأسبابها الخاصة المؤدية إلى إختلاف المسببات، بمقتضى ناموس طبيعة الأسباب التي جعل الله تعالى لها دخلاً في المسببات، وهذا

(١) سورة الرعد: الآية ١٧.

ينسحب أيضاً على مسألة الغنى والفقير، والرفعة والضعفة^(١).

د - وقوع المسوخات، وقد وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدَقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَآ فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا، أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ، وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾^(٢) وفسر بعضهم الآية فقال في قوله تعالى: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَآ﴾ أي نمحو منها الأنف والعين والحاجب، فتصبح كاللوح أو نردّها على أدبارها ونمسخهم قردة، ومن قول الحق سبحانه: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ أُعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾^(٣).

يقول الحسن البصري في شرح هذه الآية: «أن نجعلكم قردة، كمن مسخ قبلكم إن لم تؤمنوا برسولنا»^(٤).

وجاء عن المرحوم الشيخ محمد جواد مغنية: «أنه تعالى قادر على بعثكم بعد الموت، في صورة لا عهد لكم بمثلها إطلاقاً»^(٥)، وقال تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَىٰ أَنْ نَبْدِلَ أَثَالِكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ، وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٦) وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ، فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾^(٧).

وأجيبوا: بأن هذه قضية أجراها الله في زمن نبي من أنبيائه، وكانت خرقاً

(١) أحمد زكي تفاعلة: النفس البشرية ونظرية التناسخ: ص ٧٥، الشركة العالمية للكتاب،

بيروت ١٩٨٧ م.

(٢) سورة النساء: الآية ٤٧.

(٣) سورة البقرة: الآية ٦٥.

(٤) روح البيان في شرح القرآن: المجلد ٦ ص ٤١٤.

(٥) محمد جواد مغنية: التفسير المبين: ص ٦١٧.

(٦) سورة الواقعة: الآية ٦٠ - ٦١ - ٦٢.

(٧) سورة الإنفطار: الآية ٨.

للعادة على طريق الإعجاز، تأييداً لنبيه، ، وردعاً للناس عن غيهم، فلا يقاس عليها، كفضية إنشقاق القمر وردّ الشمس، وغيرهما، رغم أن هذه المسوخات كلها هلك، وهذه الحيوانات في يومنا على صورها فقط، بإجماع الأمة، وكان سبب مسخهم، خروجهم عن الحدود الدينية التي قررت لهم في شرائعهم، وقد علل الإمام الرضا (ع) ذلك، ففي كتاب «الوسائل» عن أبي الحسن الأشعري، عن الرضا (ع) قال: «الغيل كان ملكاً زانياً والذئب مسخ، كان أعرابياً ديوثاً، والأرنب مسخ، كانت امرأة تخون زوجها ولا تغتسل من حيضها، والوطواط مسخ، كان يسرق تمور الناس، والقردة والخنازير قوم من بني إسرائيل اعتدوا في السبت، والجريت والضب فرقة من بني إسرائيل لم يؤمنوا حين نزلت المائدة على عيسى ابن مريم (ع) فتأهوا، فوقعت فرقة في البحر، وفرقة في البرّ، والفارة وهي الفويسقة» والعقرب كان ناماً، والدبّ والوزغ والزنبور كان لحاماً يسرق في الميزان» وهذه المسوخات وهي كثيرة، قد وردت في الروايات أحكامها، وهذا كله بناءً على أن المسخ كان مسخاً حقيقياً، وأمّا بناءً على أنه كان مسخاً معنوياً، أي أنهم بدلوا أنفسهم، وغيروا قلوبهم، وصرفوها عن وجهة الإيمان وطاعة الرحمان، إلى طاعة الشيطان من الكفر والعصيان، فمسخ الله قلوبهم على شكل تلك الحيوانات من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَتْ حَتَّىٰ يَغْيُرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ﴾^(١).

وأخيراً وليس آخراً، فقد قالت بعض المذاهب بالفسخ وهو الإنتقال، أو التحول من الإنسان إلى الحيوان، والمسخ وهو تغير الصورة، والرسخ، وهو إحلال الروح في المعادن والجمادات، وقال غاندي: «إنني أؤمن بتعاقب الحيوانات، كما أؤمن بوجود جسمي» والله في خلقه شؤون.

(١) سورة الرعد: الآية ١١.

العلويون والقضاء والقدر

عَرَفَ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) أفعال العباد، وقسمها إلى ثلاثة فقال: الأعمال ثلاثة: فرائض، وفضائل، ومعاصي، فأما الفرائض فبأمر الله ومشيتته، وبرضاه وبعلمه وقدره، يعملها العبد فينجو من الله بها، وأما الفضائل فليس بأمر الله، لكن بمشيتته وبرضاه وبعلمه وقدره، يعملها العبد فيثاب عليها، وأما المعاصي فليس بأمر الله ولا بمشيتته ولا برضاه، ولكن بعلمه وقدره، يقدرها لوقتها، فيفعلها العبد باختياره، فيعاقبه الله عليها، لأنه قد نهاه عنها فلم يته.

ولقد قسّم العلماء أفعال الإنسان إلى زمرتين: خير وشرّ، وقد إنقسمت الفرق الإسلامية في هذه المسألة إلى ثلاث:

أ - المفوّضة - وقالت إن الله خلق الإنسان وأودعه العقل المميز، وخلق الخير والشرّ، وأوضح له طريقهما، وترك له الإختيار بعد أن رفع تأييده له، أي فوّض إليه أمر نفسه، واستدلوا بالآيات القرآنية التالية:

١ - قوله تعالى: ﴿ألم نجعل له عينين ولساناً وشفقتين وهديناه النجدين﴾^(١).

٢ - قوله سبحانه: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾^(٢).

(١) سورة البلد: الآية ٨ - ٩ - ١٠.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٠٥.

٣ - قوله تعالى: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾^(١).

٤ - قول الحق سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَتْ حَتَّىٰ يَغْيِرُوا مَا بَأْنَفْسِهِمْ﴾^(٢).

ب - المعجزة: قالت: إن الله خلق الإنسان، وخلق الخير والشر، وإن أمور الحياة لا تقوم بالخير لوحده، وإن الشر لا بُدَّ منه، والإنسان مجبر على أعماله المختلفة، من خير وشر، وليس له من الاختيار نصيب، وهؤلاء كالقدرية الذين يقولون: إن كل ما يأتيه الإنسان من عمل، خيراً كان أم شراً، مقدّر عليه من الله، سابق له أو كائن معه، ومقولتهم مشهورة: «أمنت بالقدر، خيره وشره، من الله»، وقد ورد في حقهم قول الرسول الكريم (ص): «القدرية مجوس هذه الأمة» وقد تدرّج المعجزة بالآيات الكريمة التالية:

١ - قوله تعالى: ﴿من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً﴾^(٣).

٢ - قول الحق سبحانه: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير﴾^(٤).

٣ - قوله سبحانه: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾^(٥).

٤ - قوله تعالى: ﴿ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم، هو ربكم وإليه ترجعون﴾^(٦).

ج - المنزلة بين المنزلتين: وهي تعني أن أفعال العباد صادرة عنهم

(١) سورة آل عمران: الآية ١٣٣.

(٢) سورة الرعد: الآية ١١.

(٣) سورة الكهف: الآية ١٧.

(٤) سورة الحديد: الآية ٢٢.

(٥) سورة السجدة: الآية ١٣.

(٦) سورة هود: الآية ٣٤.

باختيارهم، وليسوا بمجبرين عليها، أو أنها ليست فعلاً لله ولا مخلوقة له خلق تكوين، بل خلق تمكين، بمعنى أن الخالق خلق في الإنسان القدرة على فعل الشيء وتركه، وخلق فيه الجوارح التي يقدر بها على الفعل، والأدوات التي يتوصل بها إليه، ولو شاء منعه لمنعه، وبين له طريق الخير، وأمره باتباعه، وبين له طريق الشر، ونهاه عن سلوكه، وإذا أطاعه فبتوقيفه واقتداره، ودليلهم من القرآن الكريم الآيات التالية:

١ - قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ، إِمَّا شَاكِرًا، وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(١).

٢ - قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مَهْلِكُ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمِهَا رَسُولًا﴾^(٢).

٣ - قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٣).

٤ - قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٤).

وقد قال بالرأيين الأولين، المفوضة والمجبرة من السنة، وبالرأي الثالث، قالت الإمامية الإثنا عشرية، والعلويون منهم، فهم يقولون بالإختيار مع المدد من الباري عز وجل، وعمل الإنسان، خيراً كان أم شراً، هو عمله من جهة وهو إختياره من جهة أخرى. وهذا الإنسان لولا المدد المتصل من الباري سبحانه لما أستطاع أن يفعل شيئاً، بعد أن بين المولى سبحانه لعبده الخير وأمره به، وأبان له سلوك الشر، وأمره بإجتنابه، وهذه حقيقة الأمر بين الأمرين: قال الإمام جعفر الصادق (ع) في هذا الصدد: «لا جبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين».

(١) سورة الإنسان: الآية ٣.

(٢) سورة القصص: الآية ٥٩.

(٣) سورة ق: الآية ١٦.

(٤) سورة الزلزلة: الآية ٧-٨.

وقد سميت هذه المشلكة بالجبر والإختيار، وحرية الإرادة، والقضاء والقدرة، وأعتبرت مشكلة المشاكل، وحرار فيها الفلاسفة، وقال بها اليونانيون قبل أن يعالجها المعتزلة. فالأبيقوريون يرون أن الإرادة حرّة في الإختيار، والرواقيون يرون أنها مجبرة على السير في نهج لا تقدر أن تتخطاه.

والقول بالجبر يؤدي حتماً إلى القول بظلم الباري عز وجل، لأن القول به يعني أن الإنسان غير مختار، فهو إذن مجبر على القيام بأعماله على إختلافها، فهو مجبر على فعل الخير، ومع ذلك يثاب عليه، وكذلك مجبر على فعل الشر، ويعاقب عليه، وهذا ضرب من العبث، تعالى ربنا عما يقول الظالمون.

فجهم بن صفوان وأتباعه، القائلون بالجبر المطلق، يرون أن كل أفعال الناس واقعة بقدر من الله، وليس الإنسان إلا محلاً لما يجريه فيه، وأن الإنسان والجماد سواء، لا يختلفان إلا في المظهر، فمظهر الإنسان أنه مختار، وفي الحقيقة لا إختيار له، أما الجماد فمجبر مظهراً وحقيقة، والأفعال تنسب إلى الإنسان مجازاً، كقولنا: كتب فلان وأحسن وأساء، وهي مجازات كقولنا: «أثمرت الشجرة، وطلعت الشمس» فالأفعال جبر، والتكليف جبر، والثواب والعقاب جبر، وجهم بن صفوان كان يقول بفناء الجنة والنار، لإستحالة تصور حالة لا تنتهي آخراً، كما لا يتصور حركات لا تنتهي أولاً، حتى يكون الله آخراً لا شيء معه^(١).

ويقول الشيخ محمود الصالح في «النبا اليقين عن العلويين»: «في أفعال العباد التكليفية كلها، يعتقد المسلمون العلويون أن الله عزّ شأنه خلق العبد، ومنحه الأستطاعة على الفعل والترك، قطعاً لعذره في ترك ما يؤمر به أو فعل ما ينهى عنه، وأوجده مختاراً له حرية الإرادة والمشيتة في أفعاله الشخصية، فهي منه وله، ولم يجبره تعالى على فعل ولا ترك، بل العبد اختار منهما مستقلاً، ولذا يصح عند العقل والعقلاء مدحه ومثوبته على فعل الخير، ولومه وعقوبته على فعل الشر، وهو موكول في أعماله إلى نفسه، بعد أن وضحت له مناهج الخير

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين: ج ٣، ص ٨١.

والشر، ووُعد وأُوعِدَ عليهما المثوبة والعقوبة، على السنة الدعاة الصادقين: ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾^(١). وبذلك، يكون العباد مريدين لأفعالهم غير مجبرين عليها ولا مهملين، بل انهم عنها مسئولون وعليها محاسبون، إن خيراً وان شراً بدليل قوله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يراه﴾^(٢).

«وقد يأبى العقل، إثباتاً للعدل الإلهي، إلّا الإقرار بوجود تحمل العباد مسؤولية أعمالهم، وصدورها عن إرادته، وإتيانهم إيّاها بمحض إختيارهم، لا جبر ولا إهمال إذ لو كانوا مجبرين لبطل الثواب والعقاب، ولا فضل لمحسن ولا مسئولية على مسيء، ولو كانوا مهملين لانتفى الإقرار بوجود المبدع الأول وقدرته على تدبير مكوناته وقوة سلطانه عليها، ولاختل نظام هذا الكون البديع، وعمت الفوضى سائر أجزائه، ولم تكن فائدة في بقية الأنبياء، وانزال الكتب، والوعد والوعيد».

ثمّ يستطرد فيقول: وممّا لا ريب فيه، أنّ الباري سبحانه لا يحاسب العبد عمّا يخرج عن حدود سيطرته، ولا يكلفه بما ليس في مقدوره، ولذا فإن الله تعالى لا يحاسب العبد على حركة قلبه ودورة دمه، ولا يسأله عن كونه طويلاً أو قصيراً، أو غير ذلك من الأعمال التكوينية، وإنما يحاسبه على أعماله التكليفية وهي كل ما دخل في حدود الأوامر والنواهي، مخاطباً به البالغ العاقل، يحاسبه لأنه لم ينفذ الأمر، مع قدرته على التنفيذ، أو لم يترك النهي، مع قدرته على الترك، وهو بهذا مسئول عمّا هو قادر على فعله أو تركه فحسب^(٣) إنتهى.

«وقيل: إن الجبر له جذور في اليهودية، والمسيحية، ولكن الدكتور عبد الحلیم محمود، شيخ الجامع الأزهر الأسبق، يقول ما ملخصه ومعناه: «إنّ الذي مكّن للقول بالجبر في الإسلام، وعمل على إشاعته، بين عامة المسلمين، هم بنو أمية، وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان^(٤)، فإنّ استيلاءه على الخلافة،

(١) سورة النساء: الآية ١٦٥.

(٢) سورة الزلزلة: الآية ٧-٨.

(٣) النبأ اليقين عن العلويين: ص ٨٣-٨٤-٨٥، مصدر سابق.

(٤) علي سامي النشار: الفكر الفلسفي في الإسلام. وأحمد أمين: ضحى الإسلام.

كان في نظر أكثر المسلمين، مخالفاً لأصول الخلافة، وخروجاً على قاعدتها الديمقراطية «الشورى»^(١).

(١) وحول مسألة الشورى، يقول العلامة الحجة السيد عبد الله الغريفي، في كتابه القيم: «التشيع - نشؤه - مراحل - مقوماته» وبالحرف: «هذا الاحتمال - الشورى - يفترض أن الرسول (ص) قد منح الأمة صلاحية اختيار القيادة، الفكرية والروحية والسياسية، التي ترعى المسيرة وتصون التجربة، وفيه أولاً عدم توفر النص الذي يدعم هذا الاتجاه، فليس في الروايات التي بين أيدينا، والمدونة في مصادر الحديث المعتمدة، ما يشير إلى ذلك، في حين أن المسألة في هذا الاتجاه، لو كانت مطروحة من قبل الرسول (ص) لكان لها وجود واضح في خطابات الرسول (ص) وبياناته، لتوفر الدواعي والأسباب لذكرها، وعدم إخفائها ومصادرتها، وحول الآيات الكريمة، والمراد من ذلك في قول الحق سبحانه: ﴿فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله﴾ (آل عمران/١٥٩). ﴿الذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ (الشورى/٣٨). هذان النصان أجنيان عن موضوع القيادة والخلافة، والنص الأول توجيه للرسول أن يدعو المسلمين إلى القتال، بأسلوب المشاورة، مع تأكيد النص على أن الموقف مناط بعزم الرسول (صلى الله عليه وآله) وقناعاته لا بمشورة المسلمين، وقد برهنت حالات المشاورة على صوابية اختيار الرسول (ص) كما حدث في غزوة بدر، والتشاور لا يمكن أن يكون في القضايا التي ورد فيها تحديد شرعي، فليس لأحد صلاحية في قبيل تشريعات الله. قال تعالى، في معرض مسألة الإمامة، ضمن المساحة المحددة شرعاً: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾ (القصص/٦٨). وقال: ﴿ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ (الأحزاب/٣٦).

هذا أولاً، وثانياً، أن صيغة الشورى تواجه إشكال «الغموض الشرعي» ويعني به عدم وضوح المعالم التشريعية لهذه الصيغة، فلا نملك بين أيدينا تحديداً تشريعياً لهذا المبدأ السياسي الجديد. معناه؟ حدوده؟ تفاصيله؟ موازينه ومقاييسه وضوابطه؟ أدواته التنفيذية ووسائله التطبيقية؟ وفيه ثالثة أن أطروحة الشورى، لم تتوافر على أي لون من ألوان التطبيق، من واقع التجربة التي مارست السلطة وزعامة الأمة بعد الرسول (ص). ورغم أن الاتجاه الذي تولى السلطة السياسية في هذه المرحلة هو صاحب التنظير، لأطروحة الشورى، إلا أننا لا نجد لها صدى في الممارسة العملية، لاختيار القيادة وتعيين الزعامة،

إنَّ الملابس التي رافقت التحكيم، والدور الذي لعبه عمرو بن العاص، كل ذلك كان معروفاً عند المسلمين، لذلك أراد الحاكمون أن يشيعوا بين العامة والدهماء، أنَّ كل حركة من حركات الإنسان، وكل ما في الكون، إنما يتم بقضاء الله وقدره، وأنَّ الإنسان مجبر لا مخير فيما يأتيه من الأعمال، وأنَّ الخلافة، بناءً على ذلك، جاءت بقضاء من الله وقدره، وهذا القول يبرره إنتقال الخلافة، إلى يزيد وأمثال يزيد، وجعلها ملكاً عضوضاً متوارثاً، بعيداً عن رأي المسلمين وإختيارهم وشورايم: «أمرهم شورى بينهم»^(١). كما أنه يبرر كل ما يقوم به الطغاة المستبدون الظالمون من المظالم.

وقد جاءت حقيقة القضاء والقدر، في جواب الإمام الحسن بن علي (ع)، للحسن البصري، وهو نصُّ قيم رائع: «أما بعد، فمن لم يؤمن بالقدر، خيره وشره، أنَّ الله يعلمه فقد كفر، ومن أحال المعاصي على الله فقد فجر، إن الله لم يطع مكرهاً، ولم يعص مغلوباً، ولم يهمل العباد سدىً من المملكة، بل هو المالك لما ملكهم، والقادر على ما عليه أقدريهم، بل أمرهم تخيراً ونهايم تحذيراً، فإن أئتمروا بالطاعة لم يجدوا عنها صاداً، وإن انتهوا إلى معصيته فشاء أن يمنَّ عليهم، بأن يحول بينهم وبينها فعل، وإن لم يفعل فليس هو الذي حملهم عليها جبراً، ولا ألزهم بها كرهاً، بل منَّ عليهم بأن بصرهم وعرفهم، وحذَّريهم وأمرهم ونهايم، لا جبراً على ما أمرهم به، فيكونون كالملائكة، ولا جبراً على ما نهايم عنه، والله الحجَّة البالغة، فلو شاء لهداكم أجمعين، والسلام على من أتبع الهدى»^(٢).

على أن المهاجرين والأنصار الذين حضروا «السقيفة» لم يفكروا إطلاقاً بذهنية الشورى، والخليفة الأول أبو بكر حينما حدَّد خليفته في زعامة المسلمين لم يتعاط مع نظام الشورى، والخليفة الثاني عمر أوكل أمر التعيين إلى ستة من الصحابة، ضمن شروط وضوابط حدَّدها لهم، ولم يجعل لبقية الأمة أي دور حقيقي في الإختيار.

(١) سورة الشورى: الآية ٣٨.

(٢) ابن شعبة الحراني: تحف العقول عن آل الرسول: ص ٢٣١ - طهران ١٣٧٦ هـ.

ومن روائع نهج البلاغة، في جواب من يرى القضاء والقدر بمعنى الجبر، قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع): «لعلك ظننت قدراً لازماً وقضاء حتماً، لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، والأمر والنهي، ولم تأت لائمة من الله لمذنب، ولا محمداً لمحسن، ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء، ولا المسيء أولى بالذم من المحسن».

وعن الإمامين الباقر والصادق (ع): «إن الله عز وجل أرحم من أن يجبر خلقه على الذنوب ثم يعذبهم بها، والله أعز من أن يريد أمراً فلا يكون، قال: فسئلاً: هل بين الجبر والتفويض منزلة ثالثة؟ قالوا: «نعم، أوسع مما بين السماء والأرض»^(١).

(١) الشيخ حسن الحلبي: مختصر بصائر الدرجات.

العلويون من خلال آثارهم وأقلامهم

المنتجب العائسي (١) ٤٠٠ هـ (٢)

يقول في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع):

يا من يعاند من جهل أبا حسن
فتى جميع المعاني فيه قد جمعت
لأيها تنكر الأضداد...؟ عنصره
أم زوجه أم بنيه أم أخوته
إعطاءه الراية المنصور حاملها
فضائلا كالنجوم الزهر مشرقة
كن واثقاً بعلي واتبع سبباً
والله لا فاز إلا اللائذون به

رماك غيِّك بعد الرشيد بالتية
وليس في الخلق معنى من معانيه
أم علمه أم تقاه أم مغازيه؟
لأحمد أم قضاه في فتاويه؟
أم باب خيبر لما راح داحيه؟
تخسي الحسود، وتخزي من يعاديه
ينجيك من حرّ نار أنت صالحه
وكلّ من بات يدعى من مواليه

ومن شعره في المدح أيضاً:

جواد أعار المزن جوداً وماجد
حوى ذروة العلياء كهلاً وأمرداً

(١) فن المنتجب العائسي وعرفانه: ص ١٨٨. دار النعمان، بيروت ١٣٨٨ هـ، ط ١.

(٢) هو أبو الفضل محمّد بن الحسن الملقّب بالمنتجب العائسي، نسبة إلى بلدة عانة في العراق بين هيت والرقّة: شاعر علوي، عباسي العهد، ومن متصوفي القرن الرابع الهجري، يعتبره العلويون من أعظم علمائهم ورجالاتهم، فكراً وزهداً وتصوّفاً وعلماء، والمشهور أنّه ولد حوالي سنة ٣٣٠ هـ وتوفي حوالي سنة ٤٠٠ هـ.

هو الطود حلماً، بل هو البحر مجتدى
ولو لامة فيه العذول وفندا
على رأيه فيما يراه مقلداً
يحاول أبكار المعالي تصيداً
وكان دعاه في السماوات أحمداً

* * *

هو البدر نوراً والنجوم فضائلاً
كريمٌ أبى إلا التفضل في العلى
وتابع آباء كراماً ولم يكن
وأوغل في بحر التبحر غائصاً
دعاه العلي الشان فينا محمداً

ومن شعره في السياسة :

قد عضّ غاربهما من تحتها القتب
ورائهم للمنايا جحفلاً لجب
من خلفه رجلٌ في سيره خبب
بكيدهم لنبي الإيمان واحتربوا
وطعن سمر كما تستبذل القرب
أنا عليٌّ فلم تحملهم الركب
وسيفه لرقاب القوم يحتطب
لا السهل يعصمهم منه ولا الحذب
وشلوه بدم الأوداج مختضبُ
بمثل حبتر أين البحر والقلبُ
ولا يقاس بقدر الدرِّ مُخشَلِبُ
وإنما لا يساوي المندل الخشبُ
والله لا فضة تغني ولا ذهبُ
ومن زفير لظى يعلو لها لهبُ

* * *

جاؤوا بأمهم الحمرا على جمل
مصممين على حرب الوصي ومن
فانظر إلى جمل من فوقه هبل
وقام حزب بني الشيطان متصباً
ضرب بيض يزيل الهام موقعه
فصاح فيهم أمير النحل من غضب
فظل جمعهم المشحون في بدد
مشتتين كأنعام مشردة
كلّ تراه بسيف الحق منجدلا
يا من يقايس من جهل أبا حسن
لا يستوي النور والظلمات في نظر
كلّ النبات إذا شاهدته شجرُ
يا بايع الدين بالدنيا لشقوته
فاعلق بحبل عليّ تنج من كرب

ومن شعره في العتاب :

عن الغير في طرق الهوى أتجنب

هو يُتكمُّ يا آل عمرو وإنني

أناشدُكم بيتاً به أتعَبُ
على النار من جمر الجوى يتلهب
بعاداً فما أدري بما أتقرَّبُ
بأوصافكم بين المجالس أخطبُ
لمن كان يوماً للشنا يتكسبُ
ولو عَنفوني العاذلون وأظنوا
تساعوا علينا بالمحال وألبوا؟
وقوم ببغي ذلك المجد خرَبوا؟
لننظر في الحالين من هو أنجبُ؟
وهل يستوي، يوماً، بريء ومذنبُ؟
ولم يحفظ الفرض الذي هو أوجبُ
فنصرُكم المظلوم أذكى وأثوبُ
ويحلفُ بالله العظيم ويكذبُ؟
لمال أخيه ظالماً يتغصَّبُ
يُغيرُ على مال الخليل ويسلبُ؟
فإن الذي يُدني المسيء لأخيبُ
فَعقباه سوءٌ للرّضيع يُشيبُ
حسينُ بن فضل بالتقى متجلببُ
فتشكرُ مسعاه معسداً ويعربُ

فلا تُحوجوني يا بني الفضل إنني
تغنى به صبّ فقال وقلبه
تقرَّبْتُ بالإحسان جهدي فزادني
دعوني أصوغُ الشعر فيكم وأنثي
فحسنُ الشنا أسنى وأربحُ متجراً
وإني الذي لا أنثي عن وداكم
أيحسنُ منكم أن تُصافوا معاشراً
وهل يستوي قومُ بنوا مجد دينهم
تعالوا نقيس الأمر بيني وبينكم
وشتان ما بين الثريا إلى الثرى
دَعُوا ظالماً قد سنّ في الدين بدعةً
ولا تنصّروا من سادَ ظلماً بيغيه
أفي الدين أن المرء ينقضُ عهده
فيصبح من بعد اليمين وعقدها
وفي أيّ شرع أن من شاء منكم
لئن خاب من ساء الصديق بصنعه
فلله فيما سنة بجهالة
ومن عَجِب أني أوصي وفيكم
فتى من نُمير الأكرمين معظمُ

* * *

ومن شعره في الحكمة والفلسفة:

معانيه عن حصر وعن أن يحددا
ممثلة بالذرة كان بهابدا
فمجدّه بالحق من كان مجددا
فقالوا: بلى، أضحى لك الكلّ عبداً

ولكن رأى أن الإله تعاضمت
تجلّى لأبصار البرايا بصورة
نراه بها يوم الأظلة ظاهراً
وقال لهم: جهراً، ألسن بر بركم؟

فخرت له الأملاك من قبل سجداً
وأول نور كان لله وحداً
نردد في الأطوار عوداً ومبتداً
بما كان من إقرارنا ساعة النداء
وذو الجهل والإنكار زاد تمرّداً
خبيث ومنهم طيب طاب مولداً
ويُسعد فيها من له الله أسعداً
ويُصلح هذا ماله ذاك أفسداً
كثيفاً به قد كان أضحى مقيداً
فمن منهم يمضي مُنافيه مُنجداً
وعلوئها يبغي السموات مُصعداً
وهذا لغى في الضلال تردداً
فما زرع الزراع إلا ليحصداً
لك الخير، ممن لَج في الظلم واعتدى
فمن ذا الذي أضحى بمالٍ مخلداً
صديقاً صفيّاً أو تصدّ به العدى
ودفعك بالمعروف عن خلّك الردى

وقد كان أبدا الميم من نور ذاته
هو البيت والعرش المكين لعارف
وأخرجنا من عالم الكون والفنا
وكرّر آيات الظهور مذكراً
فذو العلم والإيمان زاد تيقنا
وكل على قدر الأصول فمنهم
وهانح في الأجساد يشقى أخو الشقا
يُباين هذا فعل هذا تناقضا
إلى أن ترى منك اللطيف مفارقاً
هناك يعودُ الجنسُ طالب جنسه
فأرضيها يبقى مع الأرض ماكثاً
وما الناس إلا اثنان: هذا أخو هدى
فكن زارعاً ما أنت حاصدهُ غداً
ولا تبغ في الأرض الفساد ولا تكن
ولا تحسبنّ المالَ خلّدَ أهله
وما المالُ إلا أن تُسرَّ بيذله
ولا الدينُ إلا تركك الشرِّ والأذى

ومنه أيضاً:

وقل لعينك في أطلالها جودي
تظفي لهيبَ سليب اللبِّ معمودِ
قد أخلقتها النوى من بعد تجديدِ
فهنّ ما بين تصويب وتصعيدِ
على الغصون بتسجيع وتغريدِ
رفقاً، فالفك باقٍ غيرُ مفقودِ

إن كنت لي صاحباً قف لي بهيودِ
عسى الدموعُ إذا نهلت غواربها
منازلُ أنكرتنا بعد معرفة
تخالفت زفراتي والدموعُ بها
وربّ هاتفة هاجت جوى حرقِ
فقلتُ، إذ أعلنت بالتوح نادبة

لو كنت بالوجد مثلي ما اكتحلتي ولا خُضبت كفاً ولا طوقتِ بالجد

ومن شعره في الغزل والشباب:

وليلة بت أجلوها لشمس ضحى
مع كل هيفاء مصقول ترائبها
تخالها إن شدت والكأس دائرة
قد كان ذاك ووقتي يانع نضراً
بان الشباب فبن الغانيات ومن
لو كان يرجى لماضي العيش مرتجع
وحسرة لا يكاد الطرف يدركها
تزري على عاصفات الريح رفلتها
لا تشتك الأين من سهل ولا وعر
ناديتها ووميض البرق يؤنسها

المدح بالنسب العرفاني

إلى علي بن بدران الجواد خدي
حلف السحاب فلأل التوائب
فتى جرى وسحاب الجوى فانبجست
بيت في طلب العلياء منفرداً
كسب الثناء له إلف تعشقه
حمدت دهرأ به قبد كان عرفني
لا فضله كان في عيني بمحتقر
وافى إلي كتاب منه خلث به
أو كالرياض تبدأ زهرها بهجاً

رب المكارم نجّاز المواعيد
بذال الرغائب، مأوى كل مطرود
كفاه إذ صن صوب المزن بالجد
قد كحلث منه أجفان بتسهد
وليس يثنيه عنه فرط تفيدي
وقبله كان دهري غير محمود
ولا الجميل الذي أولى بمجحد
قلائداً في نحور الخرد الغيد
أو لؤلؤ في خلال السلك منضود

كَأَنِّي نَمَلٌ مِنْ بَنَاتِ عَنُقُودِ
تَجَلُّ عَنْ حَصْرِ أَوْصَافٍ وَتَعْدِيدِ
أُضْحَى بِهَ الدِّينِ فِي عِزِّ وَتَأْيِيدِ
يُنْبِيكَ مِنْ غَيْرِ تَنْقِصٍ وَتَزْيِيدِ
شَادَ التَّقَى وَالْمَعَالِي أَيُّ تَشْيِيدِ
وَذَا مَعِينٍ عَلَيَّ الْآبَادِ مَوْزُودِ
بِهِ غَدُونَا نُغْذِي كُلَّ مَوْلُودِ
أَهْلُ الصَّلَاحِ وَأَهْلُ السَّادَةِ الصَّيْدِ
أَمْوَالِهِمْ حِينَ لَا جُودٌ بِمَوْجُودِ
أَهْلُ الصَّلَاحِ وَأَهْلُ السَّادَةِ الصَّيْدِ
وَأَنْتُمْ دُونَ خَلْقِ اللَّهِ مَقْصُودِ
قَوْلِي، وَمِعْبُودِكُمْ بِالسَّرِّ مَعْبُودِ
وَلَا يُقَاسُ بِتَمَثِيلٍ وَتَحْدِيدِ
فَإِنَّ مَعْنَاهُ بَاقٍ غَيْرُ مَفْقُودِ
إِلَى حَقَائِقِهِ مِنْ غَيْرِ تَقْلِيدِ
فِي ظِلِّ عِزِّ عَلَيَّ الْآيَامِ مَمْدُودِ
مِنَ النَّصَارَى بِتَبْعِيضٍ وَتَجْسِيدِ
وَلَا النِّسَاءِ، وَلَا بِالْخَصِيصَةِ السُّودِ
دِينًا فَذَلِكَ شَقِيٌّ غَيْرُ مَسْعُودِ
أَوْ مَنكَرٍ عَنِ جَنَابِ الْحَقِّ مَطْرُودِ
حَيًّا، وَذَلِكَ مَيْتٌ غَيْرُ مَلْحُودِ

فَرُحْتُ مِنْ لَفْظِهِ الْمَنْظُومِ ذَا طَرَبِ
فَضَائِلُ كَالنَّجُومِ الزُّهْرِ مَشْرِقَةُ
هُوَ الْخَدِيجِيُّ ذُو الْمَجْدِ الْأَثِيلِ وَمَنْ
عَنْ هَالَتِ، الْحَسَنِ الْمَيْمُونَ طَائِرُهُ
عَمُّ الْخَصِيصِيِّ ذِي الْعِلْمِ الْمَتِينِ وَمَنْ
بِحِرَانٍ بِالْفَضْلِ كُلِّ رَاحٍ ذَا شَرَفِ
أَنْتُمْ عَمُومَتَنَا حَقًّا وَذَكَرَكُمْ
وَفِي نَمِيرِ الْكِرَامِ الْغَرِّ مَجْتَمِعُ
الْبَاذِلُونَ لِمَنْ يَغْشَى دِيَارَهُمْ
وَفِي نَمِيرِ الْكِرَامِ الْغَرِّ مَقْتَبَسِي
بَنِي نَمِيرِ رِضَاكُمْ مَتَهَى أُمْلِي
أَيَّامِكُمْ فَهِيَ أَيَّامِي وَقَوْلِكُمْ
سَرٌّ خَفِيٌّ جَلِيلٌ لَا يُحَاطُ بِهِ
وَبَاطِنٌ ظَاهِرٌ إِنْ غَابَ عَنِ بَصْرِي
عَرَفْتَهُ عَنْ يَقِينِ بَاتٍ يَجْذُبُنِي
وَهَا أَنَا عَنْ يَقِينِ فِي أَبِي حَسَنِ
وَلَا أَقُولُ كَمَا قَالَتْ مُضَلَّلَةٌ
وَلَا أَقُولُ بِفِرْعَوْنَ وَصَاحِبِهِ
إِنَّ الَّذِي بَاتَ يَرْجُو غَيْرَ دِينِكُمْ
أَبْرَأَ إِلَى اللَّهِ مِنْ ضِدِّ يِعَانِدِكُمْ
تَرَاهُ فِي صُورَةِ الْأَحْيَاءِ فَتَحْسِبُهُ

ومن شعره في الخمرة العرفانية:

أطاعني الكون من أقصى نواحيه
يزداد من نور باريه تلاليه

مولي إذا قلت: إنني عبد طاعته
عرفته حين كون الذرة منبسطاً

ونلتُ من حضرةِ اللاهوت كأس
شربتهُ فانتشى كلّي به طرباً
ما زلتُ أنهبها طوراً وأنهلها
حتى ثملتُ فلاح السكر في فنا
صهباء كانت ونون الكاف ما برزت
ختمت سمعي وطرفي في هواه فلم
كما ختمت يقيني والبصيرة في
هدى منزهاً عن قذى شك وتمويه
فاعجب لمن راح روح القدس ساقيه
والشوق قد نَبَهْتُ وجدِي دواعيه
جانبي السرورُ وغثاني مغنيّه
والشيء مندمج في علم باريه
أنظر سواه، ولا أصغي لواشيه
هوى إمام علا عمن يساميه

ومن شعره في أسرار الوجود العلوية والسفلية:

وفهم الأشباح والأرواحا
ويفقه المشكاة والمصباحا
بدا فلاح كوكباً ذرئاً
ويعلمُ الخفيّة الجليّة
زيتونة وسطى فلا شرقية
يلسوخ نور زيتها مضيّاً
هذا ويُنبيك عن الأخبار
وعن جنان الخلد والأنهار
ورمزها وينشر المطويّاً
ما الماء ما الهواء ما السّماء
ما جنّة المأوى وما حواء
هزّت فألقت رطباً جنياً
ما العرش ما الكرسي ما جبريل
ما مالك النار وعزرائيلُ
والفيلُ إذ أضحى بها مرمياً
ما كوكبُ شاهد إبراهيمُ
فقال: هذا ربّي الكريمُ؟

ما الطور ناجي فوقه الكليمُ وكيف كان ذلك التكليمُ؟
لما دنا مقرّباً نجيّاً

ما يوسفُ ما جبّه ما الذيبُ وما القميصُ والدمّ المكذوب
وما صواعُ الملكِ المطلوبُ ما فتيا السجن وما المصلوبُ؟
إذ جاء شيئاً ويحه فريّاً

ما نسوةٌ في يوسف عواذلُ ما البقراتُ السبعَ ما السنابلُ؟
وما العجاف للسمان تأكلُ إذ قصهنَّ الملكُ الحلاجِلُ؟
وقال يا قوم اسألوا العبريّاً

ما الباب ما حطّةٌ ما الدخولُ ما سبع نيران لها تفضيلُ؟
أربعة منها لها تفضيلُ وسبعةٌ أخرى أتى التنزيلُ؟
بها فجانِبُ بحرِها اللجّيّاً

ما كهيعص ثجّةٌ لُ وما الحواميمُ لها تفضُلُ؟
وما الطواسينُ لها تفضُلُ ولا أقول إنها تفضُلُ؟
يعرفها من كان لوذعيّاً

ما ص ما ق ون والقلمُ واللوحُ أجرى فيه ما كان حكمُ
ما النارُ إذ آنس موسى ذو الكرمِ وما العصا هسّ بها على الغنمِ؟
تجسّد طوراً وروحانيّاً

ما قسّمُ بالعاديات ضبحاً محقّقُ فالموريات قدحا؟
بيانه فالمغيرات صُبحا وقوله: إنا فتحنا فتحا
لمن عنا، إن كنت معنويّاً

ما الطور ما يس والدخانُ ما الفلكُ المشحون ما الطوفانُ؟
من كان فرعونُ ومن هامانُ لم حمل الأمانة الإنسانُ؟
لما تشكّي الكونُ منها العيّا

مَن ذلك الإنسانُ ما الأمانةُ من كان قابيلُ أخو الخيانة
مَن عاقر الناقة ذو المهانةُ ما صرّخ فرعون وما الإبانة
عنه، وعجلُ كان سامريّاً

ما المرّ في النبت وما الحلاوة ما سببُ المكروه والطلاوة؟
وما هو الليث أخو الضّراوة يخشاه ذو لينٍ وذو قساوة؟
يقتنصُ الإنسيّ والوحشيّاً
ما المحدثُ الأوّل ما القديمُ ما الحيّة ما شيطانها الرجيمُ؟
ما حزنُ يعقوبَ وما الكظيمُ ما باطنُ الجمار والحطيمُ؟
إذ كان قُدسيّاً غداً مكّيّاً . .

* * *

المكزون السنجاري^(١) : ٥٨٣ - ٦٣٨ هـ

نثره:

الرسالة الموسومة:

بتزكية النفس في معرفة بواطن العبادات الخمس:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله، المتجلي لأبصار أهل البصائر، الظاهر بحلل البهاء في المظاهر، العالي عن شبه المخلوقين، البريء من شبه المتخلفين، المعنى الحقّ، والإله الصدق، ذي الأمر الأزليّ، الخالق السرمديّ، الأحد القادر بذاته، الغني عن أسمائه وصفاته، مُبدئ بداية العالمين، ومنتهى مطلب الطالبين الذي لا بداية لأوليته، ولا نهاية لآخريته، لا تُدرکه البصائر، ولا تحجبه السواتر، الغيب المنيع المشهود، المتعالي عن النعوت والحدود، مقيم الحُجُب والأبواب، ومُرتّب المراتب والأسباب، وضارب الشُجف والأسوار، وصاحب الصُحُف والأسرار،

(١) هو الأمير أبو محمد الحسن بن يوسف الملقب بالمكون السنجاري: عالم وأمير وفيلسوف من قمم العرفان والتصوف يعتبره العلويون منقذاً وفيلسوفاً ومن رجالاتهم الكبار، إستجد به العلويون في سوريا من تعديت خصومهم الأتراك والأكراد والإسماعيليين، فجاء من سنجار العراق على رأس حملة من خمسين ألفاً، واستنقذ قومه وقهر أعداءهم، وهناك عشائر علوية كريمة تنتسب إليه بسوريا.

مُرشد أرباب القلوب، والدال إليه بأبه من مكان قريب، ممتحن العباد بالعبادات، وفي السنن والمفترضات، إبصاراً لأبصار المؤمنين، وآصاراً في أعناق الجاحدين، استعمل كلاً على شاكلته، وأوقف كلاً عند استحقاقه في سابقته .

أحمدته حمداً مُعترف بعجزه عن القيام بحدِّ حمده، مُعترف من بحار فضله ورفده، وأستهده سبيل قصده إلى محلِّ مجده، وأشهد أنه الأحد، لا من عدد، الظاهر بذاته من غير جسد، المنتزه عن الصاحبة والولد، وأشهد أن الواحد أول مبتدعاته، وأجلُّ مخترعاته، ومُبدئُ مرضاته، وموقعُ أسمائه وصفاته، حمدُه المحمود، وبيته المقصود، وعرش استوائه، ومقام استعلائه، وأشهد أن الواحدانية بابُ رحمته، وسبيلُ رشدِه ومعرفته، والمؤذنُ بأحدِّيته، سينُ سرِّه، الصَّادرُ عن ميم أمره، شهادةً مبرّاةً من الشك والإرتياب، مدخرة عنده ليوم العرض والحساب .

وأسألُ المعنى القديم، الصَّلوات: على الحجاب العظيم، والباب الكريم وأن يُفيض من صلواتهما على: الألف اليتيم، والأربعة التايين له، صلاة متصلة بالنقباء، والنجباء، والمختصين، والمخلصين، والممتحنين . . موصلة لأسرار المؤمنين باللاحقين . . وملحقة اللاحقين بالمستمعين . . والمستمعين بالسائحين . . والسائحين بالمقدسين . . والمقدسين بالروحانيين . . والروحانيين بالكروبيين والكروبيين بالمقربين، وأن يوفّر من فواضل بركاتهم، ونوافل صلواتهم، نصيب من أجرى إليّ النعمة على يديه، وجعلني الله حجة له، لا حجة عليه . . وعصمني من الزبغ والزلل، وقادني إلى العلم والعمل، وأفادني عقل عاقل . .

أما بعد: فإنني، لما رجعتُ إلى مدينة سنجار، بعد الهجرة . . وقد أوتيتُ إلى ظلِّ مدين، ووردتُ ماءها، وأجرتُ نفسي، وقضيتُ الأجل، وأكملتُ العدة، وخرجت مستأنساً نار الهداية من وادي التجلي في مفازة الخير، وسمعتُ النداء من الشجرة المباركة العالية عن حدود الأين بواسطة الداعي ووحى العقل . .

سألني من وجب حقه عليّ، وحسُنَ ظَنُّهُ بي، وصحّت الأخوة بيني وبينه، في المسارعة إلى شأنه بملتمسه. . في أن أؤلف له رسالة جامعة لأقسام العبادات الخمس، المشروعة على لسان الناطق في ثامن مقاماته الذاتية، من الصيام والصلاة والحج والزكاة والجهاد. . بعد أن أُبَيِّنَ الظواهر الأصلية ومجازها، وحقيقتها، والإسلام الذي بُنيت ظواهرُ الخمس على ظاهره، والإيمان الذي لا تُعرفُ بواطنها إلا به، وأقسامها، ومجاز الإسلام وحقيقته، ومُستقرّ الإيمان ومستودعه. . فبادرتُ بعون الله وحسن توفيقه، إلى تأليف هذه الصورة المسطورة وبذلت فيها جهد العاجز، وذلك في سنة عشرين وستمائة. .

ثمّ إنني أهملتها مسوّدة، حياءً ممّن يقفُ عليها، لقصور عبارتي في إيضاح معانيها، ولعدم ثقتي بصحّة نظري في ترتيب فصولها ومبانيها. .

. وفي سنة سبع وعشرين وستمائة، جرت بيني وبين سعيد الموفق، أبي جمال الدين بن مكة، مذاكرة في معناها، فذكرتها له، فسألني الوقوف عليها، فاعتذرتُ له بعدم تنقيحها، فأعاد عليّ السؤال ثانية، وثالثة، في نساختها له. .

ولمّا لم أجد سبيلاً للإعتذار عن ترك إجابته، بادرت إلى تقرير قواعدها وقوانينها، وإيضاح دلائلها وبراهينها، لاشتمالها على فروع شجرة طوبى العالمة عن جهات الحيز، الدانية بقطوفها لأفهام المخلصين للحق، التي حرّم الله الفردوسَ على الجاهلين بشمارها الآتية أكلها في كل حين، لأنّها باطن ما شرع من العبادات، وحقيقة ما دعيت إليه الدعاة، من الصلاة والصيام والحج والزكاة والجهاد، وسائر الأوامر الشرعية، وعلى معرفتها الإقرار بها الثواب، وعلى الجاهل بها والمنكر لمعانيها العقاب، وقد سميتها، بتزكية النفس في معرفة بواطن العبادات الخمس، وبنيتها على مقدّمة، وسبعة أبواب، مبينة موضحة:

الباب الأول: في معرفة العبادة، وبواطنها، وأقسامها.

الباب الثاني: في معرفة باطن الإسلام، وأقسامه، ومستتر الإيمان

ومستودعه.

الباب الثالث: في بواطن الصلاة، ولوازمها، ومعرفة أشخاصها.

الباب الرابع: في معرفة الصيام، ولوازمه، ومعرفة أشخاصه.

الباب الخامس: في معرفة باطن الحج، ولوازمه ومعرفة أشخاصه.

الباب السادس: في معرفة باطن الزكاة، ولوازمها، وأقسامها.

الباب السابع: في معرفة الجهاد، ولوازمه وأقسامه.

وأما المقدمة ففيها تقريران: التقرير الأول: إعلم أيها الأخ البرّ الرحيم . . جعلك الله ممن استقرت عندهم معرفته، وتمت لديهم في الملكوت الأعلى نعمته . . إنه لما أوجب الله تعالى طلب العلم على كل عاقل، إستلزم ذلك الوجوب وجوب بذله لأهله على كل عالم . . لإستحالة حصول ما وقع به التكليف بدون المتعلم، وذلك على اختلاف مراتب العلوم، حقيقة ومجازاً، خصوصاً في العلوم الخفية، فإنها بعيدة عن كسب الخيال، غامضة عن بديهة الفكر، محجوبة عن تصور الوهم، فلا تُعرف إلا من مبادئها ولا تُوجد أسرارها عند غير أهلها، وكيف تُحصّل جواهرها بعوارض الأعراض، وتدرّك أشعة شمسها، بالأبصار المراض؟ وإنما تظهر بالدليل، ويُسلّك إليها في منهج السبيل، وقد تفاوتت مراتب طلابها، واختلّفت مراتب طلبهم وحالاتهم، ولم يبلغ أحد منهم غاية إلا وظهر له أنّ وراء تلك الغاية غاية، قد انقطع عندها علمه، وقصّر عن إدراكها فهمه .

والمعرفة بهذا المقام تنهى من عرفها أن يصرف وجهه عن الكلام، على ما وهبه الله من العلم الإلهي، ولو كان يسيراً من كثير، لأن كل مرتبة سماء لما دونها، أرض لما فوقها، ولا سبيل للسالكين إلى الوصول إلى سماء المعرفة، دون العروج في الدرجات المتوسطة، بين درجته وبين تلك الدرجة العليا، بالأخذ عن تناهي كل درجة يسلك فيها، حتى تنتهي الخطوط إلى مبادئها وتقف العقول عند بارئها وقفاً .

وقد ورد في الكتاب الموسوم: بالصراف في مسالك المؤمنين، بعد خلعهم

قُمْصَ التَّاجِيلِ وَاللَّحُوقِ بِدَرَجَةِ الْلَّاحِقِينَ، قَوْلَ الْعَالَمِ مِنْهُ السَّلَامُ: «لَا يَشْهَدُ السَّالِكُ عِنْدَ الْوُصُولِ إِلَى رَتْبَةِ الْلَّاحِقِينَ غَيْرَ نَوْرِ الْمَمْتَحِنِينَ، فَيَلْقَى إِلَيْهِ سِرًّا مِنْ عِلْمِ الْحَقِّ لَمْ يَمَرَّ عَلَى سَمْعِهِ فِي الْبَشَرِيَّةِ، فَإِذَا ثَبَتَ عَلَيْهِ، وَعَمِلَ بِهِ، رَقِيَ رَتْبَةً الْمَسْتَمِعِ، فَيَتَجَلَّى لَهُ الْمُخْلِصُ فَيَلْقَى إِلَيْهِ سِرًّا لَمْ يَسْمَعْ فِي دَرَجَةِ الْلَّاحِقِ فَإِذَا ثَبَتَ عَلَيْهِ وَعَمِلَ بِهِ، رَقِيَ رَتْبَةَ السَّائِحِ، ثُمَّ لَمْ يَبْرَحْ يَرْقَى رَتْبَةً بَعْدَ رَتْبَةٍ، وَيَسْمَعُ سِرًّا بَعْدَ سِرٍّ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى رَتْبَةِ الْمُقْرَبِ، وَهِيَ غَايَةُ مَا يَقْطَعُهُ الْعَارِفُونَ مِنَ الدَّرَجَاتِ الْعُلْيَا، وَهِيَ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى الَّتِي عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى...»

وإنما أوردتُ هذا الفصل تنبيهاً على علم الله تعالى الذي بينه وأوليائه، كيلا يقف السالكُ إلى الله تعالى عن طلب الزيادة من المعرفة، ويعتقد أن الغاية في سبب ما حصل له منها، مع وجود كتب مشائخ أهل التوحيد، وذلك في بيان تفاوت المقامات في العلم الإلهي، وأنَّ كلَّ أدنى يأخذُ عن فوقه، فنظرتُ بنعمة الله إلى من دوني من العاملين على مقامي من المعرفة، فإنني أحببتُ أن أحدثهم بنعمة الله علي، امثالاً لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ...﴾^(١). لتشتد بذلك رغبتهم في الوصول إلى ما وصلتُ إليه، وتسمو همتهم إلى العمل على ما أنا عاملٌ عليه على أنني أدنى المؤمنين مقاماً، وأقلُّ العارفين عرفاناً، وإنما يعجلو مقامي على الطالبين، الذين لم يبلغوا أشدهم، وارتفاعُ مقامي عليهم من مدّة الطلب فقط، وإذا بلغوا ما بلغتُ صار اللاحقُ بي منهم سابقاً لتقصيري في العلم، وقصور ذهني عن الفهم، وبهذا التقرير تجاسرتُ على تأليف هذه الرسالة، غير جاهل بضعف عبارتي، وقلة مادتي، في إيضاح جليل ما التزمتُ عليه من الكلام على العلوم الحقيقية والأسرار الدقيقة الباطنة الخفية.

وأعوذ بعصمة مولاي العلي، من التحريف والتبديل والتصحيف فيما أوردته بما ليس لي فيه عمل، سوى تقريب معانيه، بل هو ممّا نقلته من كتب الموحدين، وسمعته من أفواه المؤمنين متبعاً غير مبتدع في جملة أصول هذه الرسالة، وأما فروغها، لا أصولها، فربّما خصّني منها زيادة كشف، ومطابقة لا

(١) سورة الضحى: الآية ١١.

تخالف الأصل، استخرجتها بقرع يد الإخلاص من أبواب اللطف الخفي.

والتمس مَمَّن وقف عليها من ساداتي العارفين وإخواني المؤمنين المحققين، إصلاح ما زاغ عنه البصر، وإيضاح ما طغى فيه السهو في النظر، تكثرُماً منهم عليّ، وبراً وإصلاحاً إليّ.

وبجبل مولاي الحق، أعتصم من العدول عن عدل سته، وأتمس لطف المعونة في إبلاغ دعوته، واستعفيه عن السهو في النظر وعثرة اللسان، وأستشفيه من أمراض الشك به وعوارض الغفلة والنسيان.

وإني استهديه إليه، وأستدله عليه، وأستوبه لبناً عاصماً من الجهل، وقولاً جارياً مع العدل، لي ولسائر إخواني في سبيل معرفته، فمنه تُطلب الخيرات، وعن سحائب جوده تُنزّل البركات، إنه جوادٌ كريمٌ عليّ عظيمٌ.

التقرير الثاني: أعلم علمك الله الخيرات: إن سبب فرض ما افترضه الله على عباده. . من: معرفته، وتوحيده، والتصديق به، والإخلاص له، ونفي الصفات عنه، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله، وموالاته وأوليائه، ومعاداة أعدائه، واتباع أوامره، واجتناب نواهيه وتعليق الثواب بطاعته، والعقاب بمخالفته، مع استغنائه عن طاعة المطيعين وعدم تضرره بمعصية العاصين. . هو من جهة ما اقتضته الحكمة، في وجود الوجود على ما هو عليه، من الدني والشريف، والقوي والضعيف، والخير والشر، والإيمان والكفر، ليجري ذلك في قسطاس العدل إلى الداني والقاصي، والمطيع والعاصي، وذلك بعد أن وهب للمكلفين استطاعة وافية بالتكليف، قدرة على تركه، والشاهد بذلك قوله تعالى:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(١) . . لقطع المعذرة في ترك القيام به، وجعل ذلك التكليف إتماماً لوجوده على أهل وجوده، إذ كان النعيم الدائم والحياة السرمدية منوطين بما كلف الله عباده من المعرفة، إذ به تخرج النفوس، من ظلمة الجهل إلى نور العقل، بحقائق الأسرار الإلهية، والأشخاص النوارية الممددة

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

بِقُوَاهَا لِنَفُوسِ الْأَبْرَارِ، وَتِلْكَ هِيَ اللَّذَّةُ الْبَاقِيَةُ وَالْعَيْشَةُ الرَّاضِيَةُ، فَلِذَلِكَ كَانَ التَّكْلِيفُ تَمَامَ الْوُجُودِ، لَمَا فِيهِ مِنْ بُلُوغِ النُّفُوسِ الْكَمَالَ الْمُمْكِنَ لَهَا، الَّذِي لَا يَحْصُلُ بِدُونِهِ، وَهَذَا التَّكْلِيفُ الْأَوَّلُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فِي عَالَمِ الظُّلِّ وَالشُّبْحِ، عِنْدَ وَقُوعِ الْإِعْتِرَاضِ، فِي الْأَخْبَارِ الصَّادِرَةِ إِلَى النُّفُوسِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾^(١) وَهِيَ مَلَائِكَةٌ، بِتَجْرُدِهَا عَنِ الْأَجْسَامِ فِي عَالَمِ الْمَلَائِكَةِ، بِقَوْلِهِمْ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا، وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ؟ وَنَحْنُ نَسَبِّحُ بِحَمْدِكَ، وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾^(٢) وَالشُّكُّ الْوَاقِعُ فِي الْمَتَجَلِّيِّ، مِنَ الْمَتَجَلِّيِّ لَهُ، حِينَ قَالَ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ...﴾^(٣).

وَلَمْ يَكُنْ مَا شَهِدَهُ مِنْ كَثَافَةِ صُورَةِ الْمَتَجَلِّيِّ، مَعَ إِنْتِفَاءِ الْجِسْمِ عَنْ ذَاتِهِ، إِلَّا مِنْ جِهَةِ ظَلْمَةِ الْإِعْتِرَاضِ، فِي مَقَابِلَةِ الْأَخْبَارِ وَالْجَهْلِ بِمَعْنَى الْإِسْتِخْلَافِ، وَإِتِّهَامِ الرَّبِّ بِفِعْلِ غَيْرِ الْوَاجِبِ فِي الْحِكْمَةِ، إِذْ يَجْعَلُ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ، يُفْسِدُ صَالِحَهَا، وَيَسْفِكُ دِمَاءَ أَوْلِيَائِهِ فِيهَا، وَلِتَرْكِيَةِ أَنْفُسِهِمُ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ، وَذَلِكَ مَا حَكَاهُ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ...؟ وَنَحْنُ نَسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ...﴾^(٤) فَرَدَّ عَلَيْهِمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، عَلَى وَجْهِ التَّجْهِيلِ لَهُمْ: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ...﴾^(٥).

ثُمَّ أَجْزَاهُمُ التَّكْلِيفَ الثَّانِيَّ، بَعْدَ إِنْهَابِهِمْ مِنْ دَارِ الْقَرَارِ إِلَى دَارِ الدُّورَانِ وَمَقَارِنَةِ الشَّيْطَانِ، جَزَاءً لِإِعْتِرَاضِهِمْ عَلَيْهِ، فِيمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ، وَوَعَدَهُمْ قَبُولَ التَّوْبَةِ، فِي مَتَابَعَةِ الْهَدْيِ الْآتِيِّ مِنْهُ، بِقَوْلِهِ لَهُمْ: ﴿فَمَنْ تَبَعَ هِدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ...﴾^(٦) وَجَعَلَ ظَاهِرَ التَّكْلِيفِ الثَّانِيَّ إِصْرًا، لِلْمَصْرُوعِينَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، وَنُورًا مُخْرَجًا مِنْ ظُلُمَاتِ الطَّبِيعَةِ لِلنُّفُوسِ الْمُنِيَّةِ إِلَيْهِ، لِيُظْهِرَ فِي

(١) سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ ٣٠.

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ ٣٠.

(٣) سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الْآيَةُ ١٢.

(٤) سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ ٣٠.

(٥) سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ ٣٠.

(٦) سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ ٣٨.

العاصين عدله، وفي المطيعين فضله، وأفادَ الهابطين أبصاراً ناظرة، وأسماعاً واعية، وعقولاً هادية، وهداهم النجدين، ودلهم على المقامين، ونزّه نفسه عن ظلمهم، بعد تقديم الحجة، وإيضاح المحجّة، بقوله تعالى: ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾^(١) وأبانَ دعاءه لهم إلى الهدى، وعدلهم عنه إلى الضلالة بقوله تعالى: ﴿وأما ثمود فهديناهم، فاستحبوا العمى على الهدى﴾^(٢).

فتمت كلمة ربك صدقاً فيما قضاه، وعدلاً فيما أمضاه، وجعل العلم والعمل جَوَادِيّ التَّسَابِقِ، في بلوغ غاية اللذات الروحانية، والجهل والكسل سبب السلوك، في أليم العقوبات الجسمانية، ولم يفرض ما فرضَ ممّا تقدّم ذكره، إلا لإفتقار المخلوقين إليه ظاهراً وباطناً، فإنّه فرض معرفته لتعرّف بها الأشياء، إذ لا سبيل إلى معرفة حقيقة الصنعة، إلا بعد إثبات الصانع لها، لأنّها لم تُوجد إلاّ منه، وهو صانع كل مصنوع، وقادرٌ كلّ مقدور، ولا سبيل إلى معرفة الأشياء إلاّ به، وفرض توحيدهِ ليُفيد النفوس العلم بوحدته، ويُزيلَ عنها ظلمة الجهل به، وفرض الإيمان به في ستر غيبه، ليحصل لها بذلك الخلاص، في مشاهدة شهادته، وتذكيراً للناس، وإرشاداً إلى علامات من القدرة القاهرة، والأنوار الباهرة، وفرض الإسلام، إدخالاً للنفوس الشريرة تحت أوامرِ الأنفس الخيرة، ليقبَلْ شرّها، وتنكسر شوكتها، وفرض التصديق بملائكته وكتبه ورسله، تنيهاً للنفوس على شرفِ مقامات أهل الطاعة، وعظم درجاتهم عنده، وفرض طاعة أولى الأمر، بقوله تعالى: ﴿أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول، وأولي الأمر﴾^(٣) ليأتمرَ مَنْ دونهم بأوامرهم، وينتهي عن نواهيهم، لتتنظم أحوال الوجود بستتهم، وتكفَّ أكفّ العداوات بسطوتهم.

وفرض الصلاة، ليُزيلَ بها مقت الكبر من رؤوس المتكبرين، في السجود

(١) سورة النحل: الآية ١١٨.

(٢) سورة فصلت: الآية ١٧.

(٣) سورة النساء: الآية ٥٩.

له والخضوع بين يديه، وفرض الزكاة، ليؤاسي الأغنياء الفقراء، ممّا أفاض الله عليهم من فضله، فتصلح بذلك معائشهم.

وفرض الصيام امتحاناً للنفوس بالصبر عن اللذات الحسية، وتقويةً لاستعدادها لقبول اللذات القدسية، ولترقّق به القلوب، وينقمع به سلطان الشرّ، وتلين قلوبُ الأغنياء للفقراء بالآلام الداخلة على نفوسهم، من قبل الجوع.

وفرض الحج، ابتلاءً للنفوس بالطاعة، في التوجّه إلى البيت الموضوع ببكة، كما ابتلى الملائكة بالسجود لمثل المثال المضروب من الحمأ المسنون، ليميّز الطائعين من العاصين، وتنبهاً على مقابلة شعائر العارفين، وليتشبهوا بالطواف حوله، بالطائفين بالبيت المعمور من ملائكة ربّ العالمين، في ملكوت السماء.

وفرض الجهادَ لقطع دابر أهل الفساد، من الكافرين فهذه حكمة الله الظاهرة في ما شرع لعباده.

وأما حكمته الباطنة ففيها مسالك لا يعرفها إلا أهل الإجابة السّابقة، ولا يطلّع عليها إلا الآحاد من ألوف الألف، لأنّها النعمة الشاملة، واللذة الكاملة، والدرجة العليا، والمعرفة العظمى، وهي الأسماء التي عرضنا عنها، في هذه الرسالة، بالإشارة إليها، والدلالة عليها من المقامات القدسية، والذوات العقلية، العالية عن ذوات الأجساد الكاملة بالقوة والإستعداد، التي وُضعت السُننُ دالة عليها، والفرائضُ بإزاء مظاهرها، ولا يُلجُ الملكوت الأعلى من جهلٍ مقاماً من مقاماتها، أو أنكر رتبة من رُتبها.

ولن تُقبل المحافظة على صور العبادات الظاهرة المشروعة على ألسن النطقاء من المرسلين، إليهم التسليم، دون الغوص على معانيها، والتدبّر لما أودع من الأسرار الإلهية فيها، ومن أمعن ببصر بصيرته، في تعيين أوقات العبادات، التي لا يجوز الإتيانُ بها قبل أوقات دخولها، أو ترتيب أوضاعها التي لا يجوز خلأها علمٌ أنّ لها معاني غير الطاعة، ولو كان المراد، منها الطاعة فقط لجاز للمصلّي أن يصليّ ضحوة النهار، وأن يجعل الفريضة فيها عشر ركعات،

وأن يصومَ شهراً من الشهور المتقدمة على شهر رمضان الآتي، ويجعله سلفاً عن صومه، ولم تتعلق صحة الحجِّ بليلة عرفة، لأنَّ تعجيل الطاعة على أوقاتها زيادة في الطاعة، وذلك غيرُ مؤدِّ للفريضة عند عامة المسلمين، وهذا كلُّه، ممَّا يحدو الأذهان السليمة على ركوب العزيمة، في ما افترض على عباده، فإنَّ الله عز وجل أعدلُ من أن يتعبَّد بأمور لا تعدل مبانيتها، ولا تُعقلُ معانيها، وقد قرن الثواب بفعالها والعقاب بتركها، وإنما أوردتُ هذا التقرير، ليتضح الباطنُ في هذه الرسالة، بوجوب معرفة ما تضمنت من أشخاص العالم النوراني، على كلِّ راغب في الخلد، إذ لا سبيل إلى العروج إليه دون معرفة بواطن ما تقدَّم ذكره من العبادات، وبالله التوفيق، بمنه ولطفه.

الباب الأول

في معرفة أقسام العبادة وصفة باطنها

إعلم أيها الأخ البرُّ الرحيم: أنَّ لفظَ العبادة يدلُّ على معنيين: احدهما الطاعة، والقيام بفرائض الله تعالى، التي شرعها لعباده على ألسن رسله، ودعاته.

والثاني معرفته، وهو الذي ذكره أهلُ التفسير، لقوله تعالى: ﴿وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليعبدون﴾^(١) والمعنى ليعرفوني.

وقد انقسم الناس في معرفة الله تعالى، إلى أقسام، لا يمكن لبشرٍ شرحها وحصرها، لأنها تتعدَّد بعدد السَّالِكين إليه، فيما لم يزل ولن يزول، وذلك أنَّ لكل منهم إشارة إلى معرفة الحق، ولم تتجاوز إشارتهم حدَّ عجزهم عن إدراك كمال المعرفة، والإحاطة من علمه إلا بما شاء، وأن لا يقع التساوي بين الأنفس البشرية، من كل الوجوه، لاختلاف السَّوابق في النشأة الأولى، فلذلك امتنع تساويهم في النظر إلى جهة الحق؟

لكن، ترجع المناظرة إلى أصول يمكننا أن نذكر بعضها على وجهٍ كليٍّ، على سبيل الإشارة إليها والدلالة عليها، وإن كانت ضدَّ الحق، فالشيء يُظهره ضدُّه لثلاً يشتكل على المؤمن الضَّعيف، لأنَّ غرضنا في ذكرها، أن نوضح الحقَّ في بيان بطلانها، إذا لُعرِفَ الحقُّ معرفةً حقيقيةً مجردة من الباطل ليقع التمييز بينهما وذلك أنَّ من الناس من قال: «عرفت الحق بالعجز عن معرفته» فاقتنع من المعرفة بعجزه، دون معرفة الحق، وذلك سبيلُ الحائرين.

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

ومنهم من قال: «عرفته في مصنوعاته، وآثار الصّنة . . .» وذلك مقام المنقطعين .

ومنهم من قال: «عرفته بأوصافه . . .» ولم يعرف أنه جهله بإدخاله في حد الصفة الموجودة من قبل الواصف، وأوجب تعدّده في ذاته، بتعدّد الأوصاف التي قد أوقعها به، من طريق جهله بوحدة ذاته، واستغنائها عن الوصف الزائد عليها، الجاري في حديث الواصف لها به، وذلك مقام المشركين .

ومنهم من قال: «عرفته بأسمائه . . .» والأسماء إنما يُعرف بها من يكتنّفه حدّ العارفين به، لتحصل لهم بها الإشارة إليه، ويحصل له بذلك التمييز عنهم وفيهم، وذلك القول قول المتجسّمين .

ومنهم من قال: «عرفته في عقلي . . .» ولم يعرف سفه دعواه، في أنه عرف عقله في غير الله، وذلك تصوّر الجاهلين .

ومنهم من قال: «عرفته بنفي معرفته . . .» ولم يعلم أنه قد أجاز إمكان العدم لوجود ذاته تعالى، لأنّ ما لا يمكن شرحه ومعرفته لا يمتنع عدمه، وتلك إشارة الملحدّين .

ومنهم من قال: «عرفته بكليته . . .» فأدخله في حيز معرفته، وتلك دعوى التائهيّن .

وقد صرفت وجهي عن الإطالة، في تعديد ما شاكل هذه الأقوال الفاسدة، طلباً للإختصار، والإيجاز هو غرضنا في هذه الرسالة، لأننا قد ذكرنا أكثر أصول معارف التائهيّن عن معرفة الحقّ، المحجوبين عن أسرار الخفيّة، وقد أشرت إليها ونهت عليها، لمن كان له قلب أو ألقى السّمع وهو شهيد . . .

وقد عقب هذا الفصل بذكر الأسماء المشروعة، بإزاء المشاهدات القدسية من ذاتيات الأحاد، ومثلياته بمقامات اسمه الواحد وذاتيات الإسم، وامتزاجاته بمقام الوحدانية، وذاتيات الوحدانية، من أول الدور إلى آخر السّطر، لأنّ أصل المعرفة الحقيقية، شجرة ذات أصل ثابت وفرعها باسق، لا ثنال ثمرتها إلاّ برفع أيدي السّؤال إلى فروعها الزاكية، فأصلها الأزل، وفرعها الأبد، وثمرها

السرمَد، وهذه الرُتْبُ الثلاث، هي التي عبّر عنها أهل التوحيد، بالمعنى والحجاب، والباب، وقد عبّر عنها الحكماء: بالباري، والعقل، والنفس، وهي التي تُعرَف بمعرفتها سائرُ الأشياء، فالمعنى من هذه الرُتْبِ الثلاث، هو الحقُّ الأول، الذي ابتدَع الحجاب الأول والحجاب الأول هو الذي خلق الباب، والباب هو الذي اختصَّ الأيتام بقدره المشيئة الظاهرة فيه، وكذلك ظهرت المقامات الخمس من العالم الكبير النوراني، رتبة عن رتبة، وعن الرُتْبِ الأخيرة، تكوَّنت سائرُ الموجودات ممّا دونهم . .

وإنما ذكرتُ ذلك، ليعرف العبدُ الوسائط التي بينه وبين باريه الحقِّ، ولا سبيل إلى معرفة هذه المقامات إلّا بمعرفته، ومعرفته لا تصحّ إلّا بذاته، وذاته لا تعرف إلّا برويته، ورؤيته لا تمكن إلّا بتجليّة، وتجليّه لا يُدرِك بكَماله، لأنَّ التجلّي يقعُ بحسب قوّة الناظر إليه، ومعناه رفعُ الحجاب، حجاب الظلمة عن بصر المبصر، ليشاهد من ذات المتجلي على قدر طاقته في حدِّ عجزه وكلال بصره عن مشاهدة نور اللاهوت، من غير تغيير في ذات المتجلي، بحركة توجبُ الإنتقال له عن حال بطونه، وإنّما شهدَ بذلك من قبل تقلُّب القلوب والأبصار، وذلك في مشاهدة الشهادة، تعالى عن الحركة والسكون، وتنزّه عن حلول الأجساد والتغيّر والفساد، وهو القادر الذي لا يعجزُ، والظاهر الذي لا يتحيّزُ، لا تحويه الجهات، ولا تقع عليه الأسماء والصفّات، الحيُّ، العالمُ بذاته، الغنيُّ عن أسمائه وصفاته، وسائر مبتدعاته، لا يفعل إلّا إبداعاً، أفادَ وجوده وجودَ الموجدين، ما عرفه من كيّفه، وجهل ذاته من وصفه، فبإفادته القدرة للقادرين سُمّي قادراً، وتعليمه العلم للعالمين سُمّي عالماً، وكذلك كل ما وُصف به، إنّما أُجري عليه، من قبل أنّه وهبهُ، لا من قبل أنّ الوصف كمالٌ لذاته وهو زائدٌ عليها.

وأكملُ المعارفِ به لأهل المزاج نفيُّ خطِّ الخيال العارض في الوهم لذاته ونفيُّ حدّه عند تجليه، كالشجرة المباركة الطالعة من طور سيناء المنعوتة بالخروج عن حدود الجهات، في قوله تعالى:

﴿شجرة مباركة، زيتونة، لا شرقية لا غربية...﴾^(١) بإثبات القدرة الظاهرة، وتحقيق الحق، ووجود العيان، ورفع الحصر عن الصفة المشهودة، من غير إثباتها ولا إثبات ما هو سواها، هي هو، ولا هو هي، فمن حلّ هذا الرمز ظفر من المعرفة بالكنز، ولم يبلغ قرار المعرفة من لم يعرف مواقع الصفة، لقول العالم منه السلام: «من عرفَ مواقعَ الصفة بلغَ قرارَ المعرفة، فيتجنبُ فصل الإفراج، ويُنزّه وصلَ الإمتزاج، فهذا سرُّ الأسرار وأجلُّ مراتب أهل الإقرار...»

وقد بقي أن أبيّن أقسام الظهورات، ليُعرف بها الذاتيّ، والمثليّ والإمتزاجيّ:

إعلمُ أنّ الظهورَ ظهوران: ظهور إفراج، وظهور مزاج، فأما ظهور الإفراج، فظهور النورانية، وظهور المزاج، فالظهور كمثل الرتبة الوُسطى، بين رتبتَي النور والظلمة، وفي هذه الرتبة يقال: ذاتي، ومثلي، وامتزاجي، ومعنى الذاتيّ هو المقام الذي تقع الغيبة والظهور به من كلّ مقام من هذه المقامات الثلاثة، المقدم ذكرها، والمثلي هو صلاة الأُحد على اسمه الواحد، بإزالة مقامه الظاهر للأبصار، تحت تلالي نوره، من غير ظهور به، وظهورُ الإمتزاج يُزيلُ حكم الوحدانية منه.

(١) سورة النور: الآية ٣٥.

الباب الثاني

في معرفة أقسام الإسلام وحقيقته ومعنى الإيمان ومستقره ومستودعه

أَعْلَمَ يَا أَخِي، عَلَّمَكَ اللَّهُ الْخَيْرَ: إِنَّ الْإِسْلَامَ يَنْقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ: مُجَازِي، وَحَقِيقِي.

أَمَّا الْمُجَازِي: فَيَنْقَسِمُ النَّاسُ فِيهِ إِلَى خَمْسَةِ أَقْسَامٍ: الْأَوَّلُ: كإِسْلَامٍ مِنْ أَسْلَمَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، بظَاهِرِهِ دُونَ بَاطِنِهِ، خَوْفًا مِنَ الْقَتْلِ، وَرَغْبَةً فِي الَّذِي كَانَ يَنَالُهُ مِنْ أَمْوَالِ الْكَافِرِينَ، فِي تَسْلِيمِ ظَوَاهِرِهِمْ إِلَى صَاحِبِ النَّامُوسِ وَالِدَعْوَةِ، صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَيُسَمَّى ذَلِكَ إِسْلَامًا، فَهَمُ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِالذِّكْرِ، بِالْإِسْلَامِ دُونَ الْإِيمَانِ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ: آمَنَّا، قُلْ: لَمْ تُؤْمِنُوا، وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾^(١).

الثاني: كإِسْلَامٍ مِنْ أَسْلَمَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِي إِسْلَامِهِ تَبَصُّرٌ بِدَلِيلِ عَقْلِيٍّ، وَلَا مَرَجُّ حُجَّةٍ، إِلَّا أَنَّهُ وَجَدَ أَبُوهُ عَلَى أَمْرٍ فَتَابَعَهُمَا عَلَيْهِ، مِنْ غَيْرِ غَوْصٍ لَهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ، وَلَا فَحْصٍ عَنْ صِدْقِهِ أَوْ كُذْبِهِ، وَذَلِكَ يُسَمَّى هَمَجٌ رُعَاعٌ.

الثالث: كإِسْلَامٍ مِنْ أَسْلَمَ وَرَكِبَ مَطِيَّةَ هَوَاهُ الَّتِي هِيَ جِسْمُهُ وَنَفْسُهُ، وَفِي سَبِيلِ النَّظَرِ إِلَى جِهَةِ الْحَقِّ بِغَيْرِ زَادٍ، وَحَاوَلَ إِقْتِحَامَ الْبَحْثِ مِنْ غَيْرِ شَرِيعَةِ الْحَقِّ، فَعَدَلَ بِهِ إِلَى الْبَاطِلِ عَنِ وِرْوَدِ شَرِيعَةِ الْحَقِّ، فَلَمْ يَزَلْ تَائِهًا فِي حَالِ خَيَالَاتِهِ، لَا يَجِدُ لَهُ ظِلًّا يَأْوِي إِلَيْهِ، وَلَا دَلِيلًا يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ يُسَمَّى تَائِهًا.

الرابع: كإِسْلَامٍ مِنْ أَسْلَمَ وَسَفَهُ، نَفْسُهُ تُرَغَّبُهُ عَنِ الْإِثْتِمَامِ بِأَثْمَةِ الْحَقِّ،

(١) سورة الحجرات: الآية ١٤.

وأقام نفسه علماً لرعاي الأمة وامتلاء البطن، يصددهم عن سبيل الحق، ويدعوهم إلى اضطهاد المؤمنين، والمخالفة لأئمة الحق المعصومين من كل ذلك، اشتغالاً منه عن أوامر الله تعالى، ومشاركته في شرعه إضلالاً لعباده، وطعنًا في دينه، وتكذيباً لرسوله، وتكبراً على أوليائه، بالتزخرف لتباعة الأقوال، ويجوز في عقولهم المحال، وذلك يُسمى مُضلاً.

والخامس: كإسلام من أسلم ووقف عند حسن ظنه، وإن قبحه العقل، واعتقد أنه قد بلغ كمال ما يجب عليه من المعرفة، وعلا في نفسه عن طلب الزيادة، وانحجب عن طلب العلوم في ظواهرها، وبمجازاتها عن طلب حقائقها، وتدرّع من العلم إسمه وجهل معناه ولبس من الزهد رسمه ولا يدري ما وراءه وذلك يُسمى مُبْتِئاً.

وعن الإغترار بهذا المقام، نهى الرسول، بقوله: «إن هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق، فإنَّ المنبت لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى...».

وأما القسم الحقيقي، فله خمسة لوازم، لا يصدق على إنسان بعدم لازم منها:

الأول منها: تسليم الأمر إلى صاحب الدعوة الصادقة عن الله تعالى، عند مشاهدة المعجز الذي هو علامة الصدق، بسلامة القلب من أمراض الشك في شيء من أوامره، وإن جهل من قبل هذا المعجز بمعناه.

الثاني: الإيمان بالله ورسوله، وكتبه وملائكته، من غير طعن في أحد منهم.

الثالث: الإستانان بجميع سننهم الظاهرة، والمحافظة على جميع ما فرضه الله تعالى على ألسنتهم، من غير إخلال بشيء منها، والإنتهاء عن جميع ما نهوا عنه.

الرابع: كف اليد واللسان، عن تناول دماء الناس وأموالهم وأعراضهم، وتجنب أذاهم، لقول الرسول منه السلام: «... المسلم من سلم الناس من عينه ويده ولسانه...».

الخامس: صدق في القول، وإخلاص في العمل، وورع عن المحارم، ونصر للمؤمنين، وخذل للمشركين، وتسكين لغضب النفس، وصفح عن المذنب، وإحسان إلى المسيء، وتفضل في المكافأة، وعدل عن الجور، وخوف من العقوبة، وطمع في الرحمة، رضاً بأمر الله، وقنع بقسمه، واعتراف بعدله، وإيماناً بفضله، وذلاً لأعداء الله، وعزاً لأوليائه، وزهد في الدنيا ورغبة في الآخرة، وميل عن الشبهات، وأنفة من الشهوات، ورحمة للخلق، وسخاء في النفس، ووفاء بالعهد، وأمانة في الودائع، واجتهاد في طلب العلم، وحسن الأدب مع العلماء. وحرص على تحقيق الحق بخلع ثياب المعصية، وصقل مرآة البصيرة، برفع صورة الهوى عن النفس، لتقبل حكاية ما قابلها من شعاع شمس العقل المشرق على النفوس الخيرة، والأرواح الطاهرة النيرة، فمتى صححت هذه الأفعال في حق إنسان، كان مسلماً بالحقيقة جديراً بأن يخلع عليه خلع القبول، وأن يقابله وجه الإقبال في الدخول إلى الحرم الأيمن، الذي حرّم الله العذاب على داخله، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (١).

وها هنا الإشارة في باطن الإيمان: أعلم أيها الأخ، أن الإيمان ينقسم إلى قسمين: أحدهما مستقرّ، والثاني مستودع: فالمستودع: مسلوب عمّن لم تسبق له الإجابة والإيمان في عالم الظلال بالنور المتجلّي، كمثل المثال المضروب من الحمأ المسنون، لامتحان سائر العالمين بالسجود له، وإنما يقع الإيمان ها هنا للشاك هناك، مجازاً لا حقيقة، بواسطة مصاحبته للمؤمنين من أهل المزاج، وإنه مفارق لهم بانتقاله عنهم، فإن ثوابه على حدوث إقراره مع قدم إنكاره، عدل من الله في حقه، غير أنه لا يلج الملكوت الأعلى، ولا يتجرّد عن موارد المزاج.

وأما المستقر: فهو مقام أهل الإيمان في العالمين، والتصديق بالرؤيتين، وله عشر خصال، من أقرّ بهنّ دخل الملكوت الأعلى:

الأولى منها: معرفة الله في جميع ظهوراته.

(١) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

والثانية: معرفة الولي .

والثالثة: معرفة ولي الولي .

والرابعة: معرفة إبليس مما كانت بدايته .

والخامسة: معرفة قوام القسط .

والسادسة: معرفة الأشخاص الذين أقيموا في ضياء القدس .

والسابعة: قبوله لعلم الله، والتصديق لرسله .

والثامنة: تعظيم أهل معرفته .

والتاسعة: أن يكون، هو وأخوه، في الدين والدنيا، شرعاً واحداً .

والعاشرة: كتمان سرّ الله، وستره عن غير أهله .

فهذه الخصال، التي ترفع من كملت فيه، عن كون الحسّ إلى عالم القدس، ولا بأس أن نبيّن وجه التّعبّد بهذه الخُصال، على سبيل الإيضاح للمستضعفين، لئلاً يشتكل عليهم . فأقول وبالله التوفيق .

أمّا المعرفة له في سائر ظهوراته: فتلك التي قدّمنا ذكرها، في فضل العبادة، من المقامات الذاتية، والمثلية، من غير منع لظهوره في غيرها، فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ: لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لَنفد البحرُ قبل أن تنفد كلمات ربّي ولو جئنا بمثله مدداً﴾^(١)، أي لظهوراته، وأراد بذلك امتناع حصرها بالعدد، وإنّما تُعرف بوجه كليّ، ليصدّق بها المؤمنون، فقد قال العالم، منه السلام: «من عرف الحقّ من وجه، وأنكره من آخر، فقد جهل أكثر مما علم . . .» وذلك بمحوّ العرض العارض من الظلمة الموجودة، من قبل المشاهدين لنور الذات، وإثبات القدرة العالية عن الأسماء والصفّات .

وأما معرفة وليّه، فإنها معرفةٌ حجابيه الأعلى، الذي لا فاصلة بينه وبين

(١) سورة الكهف: الآية ١٠٩ .

مولاه، وهو عرش ذاته، وموقع أسمائه وصفاته، والإقرار له والعبودية، لأنه أوّل نور أظهر منه ولم يَبِّنْ عنه، فأوجد به الوجود، وجعله كعبته، وفرض إليها السّجود، غير أنه عبده الخاضع لديه، والمعنى إلهه العالِي عليه .

ومعرفة ولي الولي، فإنّها معرفة باب الرحمة، وسراج الظلمة، فهو نور نوره وآيةٌ تقديره .

ومعرفة إبليس ممّا كانت بدايته فإنّ بدايته كانت من ظلمة الإعراض، الذي هو اعتراض الملائكة في جواب الاختبار لهم، بقوله: ﴿إني جاعلٌ في الأرض خليفة، قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها، ويسفك الدماء، ونحن نُسَبِّحُ بحمدك ونقدّسُ لك؟ قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾^(١) فردّ عليهم في جواب اعتراضهم، وتجهيلهم وإثبات علمه، بقوله: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون . .﴾ فأقام لهم من ذلك الإعراض ظلمة، حجبت أبصار الشاكين عن معنى العلم الذي ظهر لهم من الصورة، التي أمروا بالسّجود لها، وأوقعت عندهم الشك في ذات المتجلّي بها، فوقفوا عند مشاهدتها وراء حجاب الظلمة الحاصلة من قبل شكهم، وثنت أعناقهم إلى ذات الجهل الموجودة من دار الأنفة، عند الأمر بالسّجود، لقوله: ﴿أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين . .﴾^(٢) قطعهم عن اعتبار قوله تعالى: ﴿فإذا سويته، ونفخت فيه من روحي، فقواله ساجدين﴾^(٣) فأوقفهم عند الصورة، وحجبهم عن معرفة الروح القائم بعلم ما جهل الملائكة، وهذا ظاهر الباطن في معرفة إبليس، لعنه الله .

وأما معرفة قوام القسط، فهي عدم الاعتقاد أنّ الله تعالى جبر الناس على إتيان ما نهاهم عنه، واضطرهم إلى ترك ما أمرهم به، ولكن جعل لهم الإستطاعة في فعل الخير والشرّ، وقد سبق تقرير ذلك في التقرير الثاني من صدر هذه الرسالة، وجعل ما حلّ بهم من السعادة والشقاوة مكافأة على

(١) سورة البقرة: الآية ٣٠ .

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٢ .

(٣) سورة الحجر: الآية ٢٩ .

أفعالهم، من الطاعة والمعصية، عدلاً منه ورحمةً.

ومعرفةُ الأشخاص الذين أقيموا في ضياء القدس، فهي معرفةُ المقامات للعالم الكبير النوراني.

وأما التعظيم لأولياء الله، فإنه على قدر قرب المؤمن من الله، ومعرفته به، يكون تعظيمه لأهل طاعته . . . ومن لم يُعظَّم المؤمنين فليس منهم .

وأما كونُ المؤمن يكون هو وأخوه، في الدنيا والدين، شرعاً واحداً، فذلك من طريق عدالة المؤمن، لأنه إذا اعتقد أنه وأخاه في دينه عبدان لله - وقد أفاض الله عليه شيئاً من فضله، إمّا من عرض الدنيا، وإمّا من جوهر الآخرة - فيجب عليه أن يساوي أخاه في ما من الله به عليه، لتساويهما في مقام العبودية، فإن الله لم يمنع أحدهما من ذلك، إلا ليمتحن به قلب الذي أعطاه، وينظر إلى وفائه بعهده .

وأما صونُ سرِّ الله، فتزويه له عن أسماع الشاكين لئلا يخرجوا من تحت ما جعلَ عليهم من الآصار، ويقابلوا معرفة الله بالجهل والإنكار .

وإن كان قد خرجتُ عن غرضي، بشرح هذا الخبر في هذا الفصل، فإني أعود إلى ما هو الغرض من ذكر مقامات الإيمان الحقيقيّ .

فإمّا رسمه فإنَّ الحدَّ لا يكشفه، فإنَّ نورَ إلهي، موجبٌ للنفوس كمالَ الذات الروحانية إذا امتزج بها وحصل لها به التصديق الخالص من الإرتياب، والمؤمنون فيه على ثلاث طبقات: طبقة إيمانها مخصّ، وطبقة تمخّص إيمانها وطبقة لم تتمخّص .

فالأولى: العالم الكبير النوراني، المنزّه من شوائب الكدر، والثانية: العالم الصغير الروحاني، والثالثة: العالم الصغير المزاجي البشري .

وأما درجُ العالم الكبير النوراني فخمسةُ آلاف درجة . . ودرجُ العالم الصغير مائةُ ألف، وتسعة عشر ألف، درجة . . ودرج العالم الصغير البشري، وهو عالمنا، وهم غيرُ داخلين في الحصر، لعدم تناهي أعدادهم، ولعدم التساوي

بينهم في البشرية، لإختلاف مناظرهم إلى الحق، وذلك بحسب اختلاف أمرجتهم وقوالهم، بسبب سوابق أعمالهم . .

ومراتب العالم الكبير سبعُ درج وهم: الأبواب، والأيتام، والنقباء، والنجباء، والمختصون، والمخلصون، والممتحنون .

والعالم الصغير الروحاني، أيضاً، ينقسم على سبع درج وهم المقرَّبون، والكروبيون، والروحانيون، والمقدَّسون، والسَّائِحون، والمستمعون والألَّحقون .

وأما العالم البشريُّ المزاجيُّ، الذي فيه ترتيبُ الناس على سبع درج وهم: المسلمون، والمؤمنون، والعارفون، والعالمون، والموقنون، والمخلصون، والموجلون، وإنما جعلتُ بعدد الأشخاص، لامتناع التساوي، على ما بينتُ في التقرير الأول .

الباب الثالث

في معرفة باطن الجهاد

إِعْلَمْ وَفَقِّكُ اللهُ لِمَرْضَاتِهِ، أَنَّ الْجِهَادَ هُوَ أَحَدُ الْمَفْتَرَضَاتِ الْخَمْسَةِ، وَهُوَ فَرَضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَالِمِ الْأَعْضَاءِ وَالْجَوَارِحِ، وَعُرْفُهُ الشَّرْعِيُّ يَدُلُّ عَلَى مَعْنِيَيْنِ: أَحَدُهُمَا: قِتَالُ الْمُسْلِمِ لِأَهْلِ الْكُفْرِ بِاللَّهِ، مَعَ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ. وَالثَّانِي: جِهَادُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ، فِي مَخَالَفَةِ الْهَوَىِّ: وَالْمَحَافِظَةِ عَلَى فِعْلِ مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ وَفَرَضَهُ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ الصَّادِقِ مِنْهُ السَّلَامِ، مِنْ فِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَاجْتِنَابِ الْمَعَاصِي وَالْمَحْذُورَاتِ، وَهَذِهِ أَحْكَامُ ظَاهِرَةٍ.

وَإِنَّ التَّعَبُّدَ الْبَاطِنَ يَأْتِي عَلَى سَبْعَةِ أَوْجِهٍ: الْوَجْهَ الْأَوَّلُ مِنْهَا: مَجَاهِدَةُ الطَّالِبِ لِعِلْمِ الْحَقِّ نَفْسَهُ، عَلَى رَفْضِ الْمَأْلُوفَاتِ، وَتَرْكِ الشَّهَوَاتِ وَتَصْفِيَةِ النَّفْسِ، مِنْ الْعَقَائِدِ الْفَاسِدَةِ وَالْخَيَالَاتِ الْكَاذِبَةِ، وَاجْتِهَادِهِ فِي خِدْمَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَكْرُوهِ وَامْتِحَانِهِمْ لَهُ، وَالْإِنْكَارِ عَلَى أَهْلِ الْغَلْظَةِ فِيهِمْ، وَالذَّمِّ لَهُمْ، بِمَهْمَا اسْتَطَاعَ، مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ.

الثَّانِي: مَجَاهِدَةُ النَّفْسِ، وَمَجَاهِدَةُ الْعَارِفِ لِأَهْلِ بَيْتِهِ وَعَشِيرَتِهِ وَجِيرَانِهِ، بِإِظْهَارِ التَّقِيَّةِ لَهُمْ وَالتَّسْمِكِ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ، وَإِنْ خَالَفَهُمْ بَاطِنُهُ، فِي إِتْيَانِ ذَلِكَ الْفِعْلِ وَالْمَحَافِظَةِ عَلَى الْمَشْرُوعَاتِ الظَّاهِرَةِ، بَعْدَ مَعْرِفَةِ حَقَائِقِهَا، لِيَسْلَمَ لَهُ بِذَلِكَ دِينُهُ وَنَفْسُهُ، مِنْ أَهْلِ الْمِيلِ عَنْ رَأْيِهِ وَعَقِيدَتِهِ.

الثَّالِثُ مِنْهُ: مَجَاهِدَةُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ يَدَيْ إِخْوَانِهِ، بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ، وَقَدْ قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا...﴾^(١) وَصَبْرُهُ عَلَى الْمَكْرُوهِ وَمَا يَسْمَعُ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاقِ، وَاجْتِهَادِهِ فِي الْأَفْعَالِ الَّتِي تَنْقُلُهُ مِنْ عَالَمِ الْحَسِّ إِلَى عَالَمِ الْقُدْسِ..

(١) سورة العنكبوت: الآية ٦٩.

الرابع منها: جهادُ المؤمن بلسانه، في إيضاح براهين أئمة الحقِّ، والتنبيه على لطفِ معانيهم، والتبرؤ بالقلب واللسان من مخالفيتهم، واللعن لأئمة الضلال عن سبيلهم، والنشر لمساوىء أعدائهم، وإذاعة محاسن أولياتهم . .

والخامس منها: سماحُ المؤمن بنفسه وعرضه، في حفظ نفوس إخوانه وأعراضهم، والصَّون لأسرارهم . .

والسادس منها: قتال المؤمن لأهل الشُّرك بالسيف، عند قيام الدَّاعي إلى الحقِّ . .

والسابع منها: معرفة شخص الجهاد، والإتباع لأوامره، والإنتهاء عن نواهيه، وهو ربُّ الرتبة العالية والأنوار العلوية . . جعلنا الله بهدايته من المهتدين، ولبابه من القاصدين، ولحجابه من الخاضعين السَّاجدين، ولمعنويته من المؤحدين المخلصين، ووفَّقنا للحوقِّ بالأحقين، والإستماع من المستمعين، والسياحة مع السَّائحين، والتقدّيس مع المقدَّسين، والراحة مع الروحانيين، وإزالة كربنا مع الكربيين . . ورزقنا قرب المقرَّبين، إنه جواد كريم عليٌّ عظيم . .

هذا آخر ما انتهى إلينا من غامض الكلام، من البواطن المستورة، في معاني العبادات المذكورة التي أفرز بها العارفون وأنكرها الجاهلون، وذلك ما سما عزمي الكليلُ إلى تحصيله، من علم الموحِّدين، وإنَّه ربما أوردت ملاحظات، من شرح معانيها، يختصُّ استخراجها بفكري الكال، وإن لوحظ فيها انحرافٌ عن الصواب فمَتِّي غَلْطُهُ . . والحمد لله أولاً وآخراً، وصلواته على مشاكي أنواره ومعادن أسرارهِ، تَمَّت الرسالة بحمد الله وحده، وصَلَّى اللهُ على سيِّدنا محمَّد وآله وسلَّم . . (١) .

نماذج من شعر المكزون السنجاري

سماء العقول (٢) :

أَقَلَّ بِمَالِي وَرُوحِي الْفِدَاءَ لَبَدْرَ لَه الشَّمْسِ أَضْحَتْ ضِيَاءَ

(١) أسعد أحمد علي: معرفة الله والمكزون السنجاري: مجلد ٢ ص ٣٠٤، دار الراشد

العربي، بيروت، ط أولى ١٣٩٢ هـ.

(٢) معرفة الله والمكزون السنجاري - المجلد الثاني - ص ٢٧ .

وفيه الفناء يُنيلُ البقاء
وعنه الخلافُ يزيدُ الشقاء
ويُجلىُّ النهارُ إذا ما تراءى
وعن كلِّ قلبٍ بفهم تناءى
وفيهما النفوسُ تؤمُّ السماءَ
بُعْدُ ومن حلَّ فيه ثواءُ
نراه به لم نُسرِّ الدُّعاءَ
وأقصِدُ بدرًا وأدعو ذكاءَ
رفضتُ التقى وكشفتُ الغطاءَ

عزيزٌ له الذلُّ عزَّ النفوس
ومنه القبولُ يُديمُ النعيم
يَجْنُ الظلامُ إذا ما توارى
فمن كلِّ طرفٍ لِهولهم تدانى
به الأرضُ صارت سماءَ العقول
وليس على قربه بالمكان
ولو لم يكن حاضرًا للعيان
أغالطُ عنه عقولَ الرِّجالِ
ولولا التقيّة في مذهبي

كتاب من واحدة الحُسن:

إذ أرتني صباحها في مسائي
في سُراها، عدتْ به أعدائي
هواها إلى ذوي الأهواء
وعدتني الإبلال من بلوائي
قبض اليأس منه بسط رجائي
من وفى لي منحتهُ بوفائي
صرتُ أهوى منيتي لمُنائي
بمقام الأبرار والشهداء
الأقصى أرتني أسرّة الإسراء
في قراها بناظري أحشائي
سِدرَةُ المنتهى إليها ورائي
من قذى طيبتني فراق صفائي
موردًا للعطاش بعد ظمائي
به الموتُ مُية الأحياءِ
وأعادت شهادتي بنداءِ

أمرتني بستر كشف غطائي
ودعتني، وأودعتني سرًّا
ونهتني إذ نهتني عن بثِّ
وإلى الفجر أوعدتني وفيه
فأزاحت خوف الوعيد بوعدٍ
وعلى الموت بايعتني وقالت:
ولتعلقها المنى بالمنايا
وبها إذ قضيتُ نجبي قضت لي
ومن المسجد الحرام إلى
وأقرت بنور نار قراها
وانثت عند ما انثت لي إماماً
وبروباصها تهياً خلاصي
وورودُ السراب منها ثنائي
وبعين الحياة سرتُ إلى حيِّ
غيبتني من بعدما أشهدتني

فثناني استحياءها في اثنتائي
 وبألطافها إليها دعنتني
 بكتاب فيه شفاءً اكتسابي
 ناطقٌ صامتٌ مبينٌ معمّي
 ظاهرٌ باطنٌ أنيقٌ عميقٌ
 محكمٌ ذو تشابهٍ وائتلافٍ
 فعليه جعلتُ وقفاً فؤادي
 وإليه عند الخصام احتكامي
 حبّذا ما به حبتني على الهجر
 فسناها أهدى لعيني ضياها
 بصفها ممنوعة أن تراها
 ولعجزي عن أن أراها بإياها
 فعليها ما دلّ قلبي سواها
 ولهذا شاهدتُ آيات صحبي

نحوها ماشياً على استحياء
 وأرثني نزولها في سمائي
 من وعيد القلى بوعد اللقاء
 سائرٌ كاشف قريب نائي
 شاهدٌ غائبٌ عن الأغنياء
 في اختلاف الآيات والأجزاء
 عندما جاء جامع الأشياء
 فلذ رحمتٌ داحضاً خصمائي
 جزاءً منها لصدق ولائني
 وهداها أسرى إليّ هُدائي
 عين راء إلا بوصف الرائي
 بدتُ بالصفات والأسماء
 وإليها لم تدعني بسوائي
 ونهايات ما رأوا في ابتدائي

تثليثُ النَّصَارَى

بان في قَدْ حبيبي
 نابتٌ فوق كَثيبِ
 بدرٍ محمولٌ القُلوِبِ

وجهُ تثليثِ النَّصارَى
 غصنٌ بان تحت بدرِ
 فهو موضوعٌ لحمَلِ الـ

زهـد:

مِنْ نكاحٍ ومطعمٍ وشرابِ
 في جبالٍ ولا برقع ثيابِ
 في حرامٍ ورغبةٍ في ثوابِ

ليس زهدٌ الفتى بتحريم حلِّ
 وارتباطٍ بالرُّبُطِ أو باعتزالِ
 بل بقصدٍ فيما أحلَّ وزُهدِ

عنقاء مغرب:

مَنْ عَاجَ بِي يَزْدَادُ فِيَّ تَعَجُّبًا
وَأَرَى الَّذِي وَارَى قَبَاهُ فِي قُبَا
بِالصَّبَابِيَةِ عَنْهُ قَلْبِي مَا صَبَا
أَمْسَيْتُ فِي أَهْلِ الْهُوَى مُتَرَبِّبًا
الْبَيْتَ الْحَرَامَ مُسْبَحَلًا وَمُصَلَّبًا
أَمْسَيْتُ فِي بَيْعِ الْهُوَى مُتَقَرَّبًا
دَوْحِي غَدَا بَيْنَ الْفِيَا فِي مَشْرَبَا
يُضْحِي لِمَا يَبْقَى بِهَا مَتَكَسِّبَا

أَصْبَحْتُ مِنْ عِنْقَاءِ مَغْرِبِ أَعْجَبَا
أَهْوَى مَلِيحَةَ فَارِسٍ فِي فَارِسِ
وَلِي الْحَنِيفَةُ مَذْهَبٌ وَتَوْلَهِي
وَبِإِسْرَائِيلَ لِي فِي آلِهِ
وَإِذَا غَدَوْتُ مُصَلِّبًا اسْتَقْبَلُ
وَدَمُ السَّمِيحِ مَدَامَتِي فَلَذَا بِهَا
وَدَمُ الضَّحَايَا لِلَّوَا حِي عَنْ حَمِي
نَارِي لَضِدِّي جَنَّةٌ وَبِظَلِّهَا

تواصل

وَبَابٌ إِلَيْهِ بِالشُّجُودِ أَنْابُوا
لَهَا شَاهِدٌ عَدْلٌ بِهَا وَكُتَابٌ
فَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ حَضَرْتُ وَغَابُوا
بِمَعْرِفَتِي لِي بِالصَّبَابَةِ عَابُوا
وَلَمْ يَكُنِّي عَمَّا شَهِدْتُ نَقَابٌ
بِغَيْرِ مَزَاجٍ وَالْجَسُومُ تَرَابٌ
يَدُومُ رِضَاهَا وَالْأَنَامُ غَضَابٌ
إِلَى كَوْنِهَا الْمَائِي وَهُوَ عِبَابٌ
بِغَيْرِ حِجَابٍ وَالْمِثَالُ حِجَابٌ
لِمَعْنَى لِأَهْلِ الْعِشْقِ فِيهِ جَوَابٌ
إِلَيْهَا وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ إِيَابٌ
فَبِغَيْرِ الَّذِي سَمَّيْتُ لَيْسَ يَصَابٌ
ذَهَابِي، كَمَا ظَنَّ الْغَوَاةَ ذَهَابٌ

لَعَلْوَةٌ دُونَ الْعَاشِقِينَ حِجَابٌ
وَعَقْدٌ وَثِيقٌ لَا يُحَلُّ وَذَمَّةٌ
فَإِنْ أَنْكَرَ الْعُدَّالَ وَجَدِي بُحْبَهَا
عَرَفْتُ فَآتَرْتُ الْهُوَى وَبِجَهْلِهِمْ
وَشَاهَدْتُ أَوْصَافَ الْكَمَالِ لَوَجْهِهَا
وَلِي وَلَهَا بَيْنَ الظَّلَالِ تَوَاصُلٌ
زَمَانَ الرِّضَى مِنْهَا عَلَيَّ وَلَيْتَهَا
وَبِالْخَمْسَةِ الْأَكْوَانِ مَا زَلْتُ سَالِكًا
وَفِي كَوْنِهَا النُّورِي شَاهَدْتُ نَارَهَا
وَمَا حَجَبْتَنِي عَنْ قَلَالٍ وَإِنَّمَا
وَإِنْ أَبْعَدْتَنِي بَعْدَ قَرْبِي فَإِنَّ لِي
وَإِنْ ظَنَّ صَحْبِي أَنَّ قَصْدِي غَيْرَهَا
وَمَنْ أَيْنَ لِي عَنْهَا وَفِي جَوْ دَارَهَا

رَبَّةُ الْحُجُبِ

وَعَبْتُ عَنِّي بِهَا مِنْ شِدَّةِ الطَّرِبِ
 جَمَالِهَا فِي حِجَابٍ غَيْرِ مُحْتَجِبِ
 خَلَقْتُ وَقَدْ شَوَّهَدْتُ بَيْنَ الْخِلَاقِ بِي
 وَهِيَ الْعَلِيَّةُ عَنِ نَظْمِي وَعَنِ خَطْبِي
 وَوَجَّهَهَا عَنِ بِلَادِ التَّرِكِ لَمْ يَغِبِ
 بِحَسْنِهَا وَاخْتَفَتْ فِي ظِلْمَةِ الْغَضَبِ
 إِلَى لَوْيِ فَصَارَ الْحَسَنُ فِي الْقَرَبِ
 مِنَ الْمُحِبِّينَ أَهْلَ الصِّدْقِ وَالْكَذْبِ
 إِلَّا بِأَسْمَائِهَا فِي ظَاهِرِ الْكُتُبِ
 وَقَدْ تَعَلَّقْتُ مِنْ لَمِيَاءِ السَّبَبِ
 وَبِإِنْتِسَابِي إِلَيْهِ يَتَهَيَّ نَسْبِي
 وَهَذِهِ فِي هَوَاهَا أَشْرَفُ الرُّتَبِ
 هَانَ عَلَى حَبِّ لَيْلِي فَهُوَ ابْنُ أَبِي

لَبَّيْتُ لَمَّا دَعَتْنِي رَبَّةُ الْحُجُبِ
 وَأَحْضَرْتَنِي مِنْ غِييِي لِشَهْدَنِي
 مَشْهُودَةً لَا يَرَاهَا فِي الْأَنَامِ بِهَا
 مَوْصُوفَةً لَمْ أَصِفْ إِلَّا وَصِيفَتَهَا
 تَرْكِيَّةً فِي بِلَادِ الْهِنْدِ قَدْ ظَهَرَتْ
 أَبْدَى الرِّضَى حَسْنَهَا فِي الْفَرَسِ فَاثْتَهَجُوا
 وَأَلَوْتَ الْحَسَنَ عَنِ آيَاتِ فَارِسِهَا
 فِي كُلِّ حَيٍّ لَهَا حَيٌّ تَطُوفُ بِهِ
 وَيَدَّعِي وَصَلَهَا مِنْ لَيْسَ يَعْرِفُهَا
 وَلَسْتُ مَمَّنْ غَدَا فِي الْحَبِّ مَتَمَّا
 وَبِالْيَتِيمِ اقْتَدَائِي فِي مُحَبَّتِهَا
 وَبِالشَّعِيْبِي أَذْعَى بَيْنَ شَعْبَتِهَا
 فَأَيُّ صَبٍّ تَهَوَّأَهَا وَجَاءَ يُزْ

العُجْبُ:

لَأَنَّ سَهْلِي عِنْدَهُمْ صَعْبُ
 مَشْرِقُ شَمْسِي لَهُمْ غَرْبُ
 رَوْسُهُمْ حَلٌّ بِهِ الْقَطْبُ
 طِفْلًا وَأَشْيَاخُهُمْ تَجْوُ
 فِيهِ مَعَاشٌ بِالرِّبَا يَرْبُو
 هِ الشَّمْسُ لَا يَسْتَرُهَا الْحَجْبُ
 فِي مِلَّةِ الْإِسْلَامِ لِي تَرْبُ
 بِأَبَاهِ مَنْ جَلَّ بِهِ الصَّلْبُ
 قَشُورُهُ عِنْدَ النَّهْيِ لَبُّ

بِي لِلرُّوِي فَلْيَطْلُ الْعُجْبُ
 وَقَبْلَتِي فِيهِمْ شِمَالٌ كَمَا
 وَأَخْمَصِي وَاطْئَةُ مَا عَلَى
 لِأَنِّي طَرْتُ إِلَى غَايَتِي
 فَلِيْلَهُمْ عِنْدِي نَهَارٌ وَلِي
 وَلِي بِهِ نَجْمٌ وَبَدْرٌ وَفِي
 وَالسِّدْرِ لِي دَارٌ وَاتْرَابُهَا
 وَعَقْدُ زَنَارِي فِي بَيْعَتِي
 وَلِي حَدِيثٌ عَنِ قَدِيمِ الْهُوِي

رشد الطريقة :

أرددُ في نار الجوى بعد جئتني
 أعادُ بيأسي وارداً نارَ خيفتي
 وتبدلني منه جديداً لشقوتي
 تُرددُني في دورة بعد دورة
 يُفطرُ أجفاني بتصعيد زفرتي
 فأخلق تجديدُ الأسي ثوب جدتي
 عدولي على وجدي ولم تشف غلتي
 يعاتبُ جفني بالكرى بعد هجعتي
 الذي هبطت نفسي به بعد رفعتي
 بوعر الفلا من بعد ظل الأظلة
 ما تحمّل حيّ الحب عن كل ميّت
 على حبها أهل الشعوب البعيدة
 وفي شعبهم أخرجت في الفطر فطرتي
 وأتبعتها بالنفل بعد الفريضة
 على الحب من عادى ولي وليتي
 بخلع التقى فيها ولبس التقية
 إلى وصلها بعد القطعية وصلتي
 مراتبهم في عالم العشق دلت

فأمسيتُ في ليل الجفا بعد وصلها
 إذا أخرجتني من لظاها مطامعي
 فكم جسد أنضجتُ في نار هجرها
 وكم كرهة كرت عليّ بكورها
 وحزني على ما فات من زمني بها
 ألمت فلمت بالأسى شعث الأسي
 وأشفت بما شفت به الجسم من ضني
 وأهدت لعيني في المنام خيالها
 دنث في علاها من حضيض مقامي
 وأبدا عتابي لطفها بي على الرضى
 وما الصوم في شرع الهوى غير صون
 وباعدتُ فيها الأقربين مقارباً
 وفي الصوم أديتُ الزكاة لأهلها
 وقمت بأحكام الفرائض ظاهراً
 وواليت من والى ذوبها معادياً
 ودنث كما دان الدعاء لحسنها
 جعلتُ صلاتي في الغرام بذكرها
 وطهرتُ أعضائي بعرفان من على

ذكر النبي محمد (ص):

رسول، نبي، رؤوف، رحيم
 سميع، بصير، خبير، عليم
 وساع، وذاع، وراع، حميم
 مكان، مكين، صراط، قويم

لأحمد في الذكر وصف عظيم
 شهيد، بشير، سراج منير
 نذير، مجيد، ولي نصير
 كتاب ميين، قوي، أمين

ذكوْرٌ، شكُوْرٌ، صبوْرٌ، وقوْرٌ حميدٌ، مجيدٌ، غفوْرٌ حليمٌ

العشق الإلهي:

أحبّك حبّاً جاوز الحبّ بعضه
ونافلة لي منك أمسى تهجدي
وخالد وجددي في هواك يزيده
وحقّ لمثلي أن يهيم بمثل من
وفي طول عمري ليس يمكن عرضه
بذكرك . . يا من سنّة الحبّ فرضه
من الجاهل اللّاحي على العشق بعضه
سما لك حسن في البرية أرضه

الصلاة:

وقل إذا قمت إلى صلاتها:
حيّ على معرفة الحسن الذي
وجهت وجهي للتي جمالها
مستسلماً مسلماً لأمرها
واثلاً ثناها راعياً وساجداً
وذمّ على فعل الصلاة تتصل
لأنها معرفة السرّ الذي
حيّ على خير الصلاة والعمل
قد وهب الحسن لربّات الكلل
عن جهة الأوصاف بالتحديد جلّ
معتصماً بجلبها من الزلزل
عساك تحظي بالقبول ولعلّ
بمن إليها بالصلاة قد وصل
باطنه اسم على معناه دلّ

الشريعة:

أمي الشريعة والمقيم لها أبي
أعز والدتي . . وأنكر والدي . .
وأفرّ من أنسي إلى وحش الفلا . . ؟
وبنو بينها كلهم إخواني
وإلى عداي أفرّ من أعواني؟
إن كنتُ ذاك فلسْتُ بالإنسان

أقاموا حدود الله:

ولم أزل بوشاح الشقم مُشحاً
أغشى فنون الأسى طوراً وتغشاني

حمائمه سادة من آل حمدان
 بجله من طغاة الإنس والجان
 بطور سيناء من أجيال فاران
 كلاً ولم يشهم عن حبها ثان
 على الحفاظ وجافوا كل خوآن
 وأنجم الليل تهدي كل حيران
 إلا كما نظرت من شخص كيوان
 وذكرهم في صلاة الليل قرآني
 مني أراه إلى الرحمن قرباني
 أشباحهم خللاً من روض رضوان

حتى أنتهيت بأصحابي إلى حرم
 قوم أقاموا حدود الله واعتصموا
 واستأنسوا بالدجى النار التي ظهرت
 لم ينسهم عهدا تبديل معهدا
 وفوا لعلوة بالميثاق واتحدوا
 هم الجبال الرواسي في علوهم
 سما فلم ترهم عين الجهول بهم
 هم عياذي إذا ما مسني وصب
 وقصد بابههم حجبي وقربهم
 صلى الإله على أرواحهم وكسا

أين المفر:

بل: أين أنت. .؟ والكل فيك
 فلماذا استحال ما ينهيك
 وأنت النور فيها، بالعين إذ يحكيك
 وتفويض كل أموري إليك
 وأهل الوجود عطايا يديك
 لنفسي حسن اتكالي عليك

أين لا أنت، كي يقر إليه. .؟
 وإليك انتهاء كل وجود
 واستبين العمى لعين. .
 عليك أتكالي إله الوري
 وغير خفي بأن الوجود
 لذلك لم يُبق في اختياراً

أنا ميت الهوى:

إن تعذني تعذ إلي الروح
 وينفخ في من ذي الروح روح؟
 لحل عقود إحرامي بيبخ
 إلى أهل الهوى أوحاه يوخ
 إلى نار لعارها تلوح

أنا ميت الهوى وأنت المسيح
 متى ينشق عن جسدي الضريح
 وأحكم عقد زناري بعقد
 وأسمع من سنا يوح نداء
 وأفتح الصراط بغير شك

تُرايباً ويقدمُني المسيحُ
وقد شهر السلاح له السليخُ
بها كأسِي وقديسي سطيحُ
به كمزاج أتراحي يُزيحُ
عليه في السفينة ناح نوحُ
فإن فناه مِن تَرَحِي مُريحُ

وأخرجُ نافضاً لتراب رأسي
ورايات الصَّليبِ لذي تسرى
وإنجيلي على صدري وكفي
وأسقي من حميم الظلِّ ماءً
وأقرنُ بالحديد إلي قرين
وأفني في هواها خطَّ جسمي

الموت والحياة:

وعدتني الإبلال من بلوائي
ناعم العيش، في الهوى، بشقائي
بفنائِي وجدتُ فيه بقائي؟
وفي الأهل أرافُ الخلفاء
قبل كوني، وشدَّتي، ورخائي

والى الفجر، أوعدتني، وفيه
أنا بالموتِ عشْتُ في الأحياءِ
أيُّ وجد بين الوريِّ مثلُ وجدِي
فهو لي صاحبٌ إذا أنا سافرتُ
وله مابه وجدتُ وجودي

دعوة جامعة:

وباطني بين الوريِّ ظاهرُ
يوثها الواردُ والصادرُ
يرفضها من جهله الفاجرُ
يدعو بها المؤمن والكافرُ
أنسَةٌ ليسَ بهانافِرُ
لغير مغنى مشهدي الزائرُ
وخاذلي ليس له ناصرُ
ومطلقني ليس له أسرُ

أولُ وجدِي ماله أخِرُ
وشرعتي في الحبِّ مبذولةُ
وستي فيه لأهل التقى
ودعوتي جامعة للوريِّ
وسرحة الأرام في رامتي
وزائغاً أصبح عن رشده
فمنكري ليس له عارفُ
وموثقي ليس له مطلق

نور محمد (ص):

كلُّ المحاسِنِ جزءٌ حسنٍ محمّدٍ وإليه مرجعُها وعنه صدورُها
وسناه لو لم يَخش أنوار السّما وات العُلَى لم يَبْدُ فيها نورُها
قدّمت مكارمُه وجلّ ثناؤه إذ عزّ في كلِّ الوجود نظيرُها

الإيمان والعدوان:

تالله ما آمن بالله مَنْ لم تأمن الأخيَارُ مِنْ شرِّه
ولا وفى بالعهد لله مَنْ وافق غَدَّاراً على غدره
وليس للخالق سبحانه أن يجعلُ العدوان من أمره

العلامة الشيخ سليمان الأحمد^(١): ١٢٨٧ هـ - ١٣٦١ هـ

صورة خطاب الإمام شرف الدين الموسوي قدس سره
للعلامة الشيخ سليمان الأحمد رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة شيخنا ومولانا العلامة الجليل الشيخ سليمان أحمد الأفخم
دام عزه.

أيها الأخ الكريم والولي الحميم، فدتك نفس ولهت بولائك، وولعت
بصدق إخائك، ووقاك قلب أشرب الإخلاص لك، فأخذت بمجامعه إلى
الإختصاص بك، ويفديك جسم بات فيك نضو سقام وصرير غرام، يستوقد
الشوق ضلوعه، ويضرم أنفاسه، يحيه وميض برق يتألق من ناحيتكم، وينعشه

(١) من أعظم علماء العلويين في القرن العشرين، فقيه وعالم لغوي كبير، عضو المجمع
العلمي بدمشق في زمنه، مشهور بالتقوى والإصلاح، مدفون في السلاطه من أعمال
جبله - سوريا.

وافدُ نسيم يهبّ من جهتكم، ولا غرو إن لجَّ بي الوجد، والتعجب نيرانه في أحشائي، فأنت نور عيني ونفسي بين جنبي، والله عائدتك بكتابك المصوغ من عجسد اللطف وإبريز الكمال، فزتُ اليوم بتناوله، وكنت متغيباً أتجوّل في مهمات البعض من إخواني، وبرجوعي الآن إلى صور استقبلوني به، وقد أخذ بمجامع الأفئدة واتصل بنياط القلوب فما الدر المرصوف واللؤلؤ المنضود إلاّ دون غرّره ودُرّره، وما الخز اليماني إلاّ دون أفواف وشيه، وما خالص النضار وسبائك العسجد إلاّ دون فرائده وقلائده، فهل أحمد إلاّ أياديك، وأشكر إلاّ مساعيك، جزاك الله خير جزاء المحسنين، والسلام عليك وعلى منّ لديك، أخص منهم حجة العرب وقدوة أهل الأدب قرة الناظر شبلك الفاضل، راجياً إفادتي عن أحواله، بلغنا الله فيه الهناء والغبطة والحبور، ومتّع الأئمة بوجودكم المبارك.

الأقلّ الأحقر

١٦ محرّم الحرام

عبد الحسين شرف الدين الموسوي

صورة خطاب الإمام الحسين كاشف الغطاء
إلى المرحوم العلامة الشيخ سليمان الأحمد رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

عن بيروت ٢٤ رجب ١٣٣٢ هـ

لَكُمْ سرائر في قلبي مُخَبَّأَةٌ لا الكتب تنفعني فيها ولا الرسلُ

من عبد الله محمد الحسين النجفي، إلى أخيه في الله وصنوه من دوحة ولاية الله، والحظوة بمعرفة أسرار الله، الشيخ الفاضل الحر الشيخ سليمان أحمد دامت محامده.

أخي:

شوقي إليك على البعاد تقاصرت عنه خطاي وقصرت أقلامي
واعتلّت النسماتُ فيما بيننا مما أحملها إليك سلامي

أكتب إليك كتابي هذا والشوق مبرح، وروض الصبر مصوّح، ذاكرًا
سجاجة تلك الأعراق، ودماثة تلك الأخلاق، وغزير ذلك الفضل، وقد عافني
الصروف والمحن (عافك الله) طول ما مضى، عن التحرير إليكم واستطلاع طلع
سلامتكم (أدامها الله).

أملي وثيق بالله عزّ شأنه وبناصع إخوانكم، أن سوف أجد جواب كتابي هذا
قد سبقني إلى النجف، تخبرونني فيه عن سلامتكم التي هي القصد الأول،
عافاكم الله من كل سوء بسره الخفي ثم تعرفونني وصول صندوق الكتب،
وتجعلون المراسلة إلينا بالعنوان الذي سبق لكم منا، كما أنني لا أستريب منكم في
دوام المراسلة، فإنها الصلة والمواصلة وبذلك أرجو أن يجعلنا الله من الملاء
الأعلى، ويجمع بيننا في الرفيق الأسمى.

وفي الختام، تحياتي غادية ورائحة منك إليّ ومني إليك، قدم بالعزّ
والشرف والسّلامة، والسلام.

آل كاشف الغطاء النجفي.

صورة خطاب الإمام محسن الأمين العاملي (قدس سره)
إلى المرحوم العلامة الشيخ سليمان الأحمد رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

العالم الفاضل الكامل، حضرة الشيخ سليمان أحمد المحترم

سلام عليكم

ويعد...

فقد وصل كتابكم الكريم، تاريخ ٧ الحاضر، وفهمت كلما ذكرتم، سألتكم
عن قانون للقضاة الشيعيين يرجعون إليه عند اللزوم، في إبراز الأحكام
والإعلامات، فلا يوجد سوى الكتب الفقهية، لأن القضاة من الشيعة لم يكونوا

إلا في هذا الزمان، أما في بلاد العجم فالقضاة هم المجتهدون، ويصدرون الأحكام ويكتبونها حسب ما يؤدي إليه نظرهم، بمقتضى قواعد الشرع، نعم إنني شارح في طبع كتاب التبصرة، مع شرح له مختصر، وعبارته سهلة، فربما يكون فيه المطلوب، وقريباً يمثل للطبع «إن شاء الله» بمطبعة العرفان، يصلكم بالبوسطة «إن شاء الله» الكتب المحررة أدناه مع جواب المسائل، أما الثمن فيمكنكم تحويله لنا على أحد التجار بالشام، بواسطة أحد تجار اللاذقية، أو على إدارة البوسطة، أو على البنك السوري، إن كان له شعبة بطرفكم، أما التحويل ضمن مكتوب مسوكر بالبوسطة فيخشى فيه من السرقة، والذي صار إرساله الآن هو أربع نسخ من الشرائع، ونسخة من الروضة، والباقي يصلكم قريباً «إن شاء الله» والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حزّره الأفل

محسن الأميني الحسيني

١٦ رجب ١٣٤١ هـ

صورة خطاب حجة الإسلام والمسلمين
المرحوم السيد عبد الحسين نور الدين (قدس سره)
إلى المرحوم العلامة الشيخ سليمان الأحمد، رحمه الله تعالى

بسم الله تعالى

لسان الخطابة، ويراغ الكتابة وساحر البيان، وقسّ الزمان، منهج الصدق والصادق بالحق، العالم الفاضل جناب الأخ الأبرّ الشيخ سليمان أفندي أحمد أيده الله ورعاه، آمين سلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أما بعد . . .

فإني أحمد إليك الله سبحانه وأسأله لك التوفيق والرعاية، لقد أطلعت على ما كتبه عن كتاب «الكلمات» وترويعكم له وتقديركم له حقّ قدره، وما جاء في كتاب جناب الأخ الشيخ عارف أفندي فله تلك العاطفة الشريفة التي جُبلت

عليها، لقد صافحت منها كفاً كريمة ونفساً عبقرية، وركناً من أركان الدين، وعلماً من أعلام المسلمين، يناط به الأمل، ويرأب به الصدع، ويُلَمَّ به الشعث، فأحرى بك أن تكون أكبر مصلح، وأقوم مرشد، وأفضل داعية للحق، وأقوى مساعد على نشر الفضل.

وياليت للفضل من أبنائه أمثالك ولو قليل، فتزهو رياضه، وتُحمي حياضه، وتوثق عروته، وتسمو ذروته، فأرجو منه سبحانه إعلاء ذكرك، وإصلاح أمرك، وأن يوفقنا لإتمام هذا الكتاب، فإني واثق بالله بأنه سيكون آية في بابه، ولكن زهد الناس في المعارف الدينية، وقلة ذات اليد يثبط عن السير، والتوفيق بيد الله.

أخصّ بالتحية فخر العرب، وإمام الأدب، وعاهد تاجه وذباله سراج، شبلكم الكريم بدوي الجبل، محمد أفندي حرسه الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حرّره الأقل

عبد الحسين نور الدين

حرّر في ٧ صفر ١٣٤٨ هـ

المأخذ على شرح الشيخ «محيي الدين الخياط»^(١) لديوان «أبي تمام» للعلامة الشيخ سليمان الأحمد (قدس سره)

كان الشيخ محي الدين الخياط - رحمه الله - من جهاذة اللغة المتصلعين، وقد أطلق عليه مريدوه «حجة اللغة» كما أطلقها البعض على اليازجي والشرتوني، وقفتُ على شرحه ديوان أبي تمام الطائي، يقول في مقدمته: «وأجيز من يتقدّم التفسير، مبيناً مظانّ الخطأ المخالفة لأصل وضع اللغة أو مقصد الشاعر المتجاوز فيه» بخمسين نسخة من الديوان نفسه، بشرط أن تعلق تلك المظانّ على العشر ولا تنزل عنها فكان في هذا التحديّ إغراءً لي على مطالعته والنظر فيه متبعمًا، وهاك ما

(١) الإمام الشيخ سليمان الأحمد: علي سليمان الأحمد - مطبعة الإسكان العسكرية.

دمشق ١٩٩٠.

عَثَرْتُ عَلَيْهِ فِيهِ مِنَ الْأَغْلَاطِ الَّتِي لَا مَجَالَ فِيهَا لِلَّهِ لِلتَّمَحُلِ وَالتَّأْوِيلِ ، حَسَبِ
شَرْطِهِ :

كَمْ أَحْرَزْتَ قُضْبُ الْهِنْدِيِّ مُصَلَّتَةً تَهْتَرُ مِنْ قُضْبٍ تَهْتَرُ فِي كُثْبٍ
قَالَ فِي شَرْحِهِ : الْكُثْبُ - الْقُرْبُ .

وَالصَّوَابُ : الْكُثْبُ هُنَا : جَمْعُ كَثِيبٍ مِنَ الرَّمْلِ ، وَالْمُرَادُ بِالْقُضْبِ وَالْكَثْبِ
فِي الْبَيْتِ ، الْقُدُودُ وَالْأَرْدَافُ ، وَلَا مَدْخَلَ لِلْقُرْبِ هُنَا .

بَا عَقَبَ طَوْقَ أُيْحَى عَقَبٍ عَشِيرَةٍ أَنْتُمْ ، وَرُبَّتْ مُعَقِبٌ لَمْ يَغْعِبِ
الشَّرْحُ : الْعَقَبُ : الْأَوْلَادُ ، وَيُرَادُ بِهِ الْأَتْبَاعُ ، الْمَعْقَبُ كَمَنْبِرٍ : الْخِمَارُ أَوْ
الْقِرْطُ .

وَالصَّوَابُ : مُعَقِبٌ بِالضَّمِّ : إِسْمٌ فَاعِلٌ مِنْ أَعَقَبَ . أَيِ : وَرُبَّتْ مُعَقِبٌ كَأَنَّهُ
لَا عَقِبَ لَهُ . وَأُيْحَى مُنَاسِبَةٌ لَذِكْرِ الْخِمَارِ أَوْ الْقِرْطِ .

وَقَدْ عَلَّمَ الْأَفْشِينَ وَهُوَ الَّذِي بِهِ يُصَانُ رِذَاءُ الْمُلْكِ عَنْ كُلِّ جَاذِبٍ
بَأَنَّكَ لَمَّا اسْتَخَذَلَ النَّصْرُ وَاكْتَسَى أَهَابِيَّ تَسْفِي فِي وَجْهِهِ التَّجَارِبِ

الشَّرْحُ : أَهَابِي : جَلْدِي . . وَهُوَ خَطَأٌ كَبِيرٌ مِنْ مِثْلِهِ . وَالصَّوَابُ : أَهَابِي :
بِالْفَتْحِ : جَمْعُ أَهْبَاءٍ : جَمْعٌ لِلْهَبَاءِ : الْغُبَارِ وَدِفَاقِ التَّرَابِ سَاطِعَةٌ أَوْ مَنْشُورَةٌ عَلَى
وَجْهِ الْأَرْضِ . وَالشَّيْءُ الْمُنْبِثُ الَّذِي تَرَاهُ فِي الْبَيْتِ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ
قَوْلُهُ : تَسْفِي : مِنْ سَفَتِ الرِّيحُ التَّرَابَ إِذْ ذَرَّتَهُ كَمَا فِي الشَّرْحِ .

وَقَدْ قَرَّبَ الْمَرْمِيُّ الْبَعِيدَ رَجَاؤُهُ وَسَهَّلَتِ الْأَرْضُ الْعِرَارَ كِتَابَتُهُ

الشَّرْحُ : الْعِرَارُ الْمَتَبَادِرُ أَنَّهُ الْوَعْرُ ، وَلَمْ أَرَهُ فِي كِتَابِ اللُّغَةِ الْخ . . .
وَالصَّوَابُ : الْعِرَارُ : وَهِيَ الْأَرْضُ الصَّلْبَةُ .

خَفَّتْ دَمَوْعُكَ فِي إِثْرِ الْجَيْبِ لَدُنْ خَفَّتْ مِنَ الْكُثْبِ الْقُضْبَانُ وَالْكَتْبُ

الشَّرْحُ : الْكُثْبُ : الْمَاءُ الْقَلِيلُ . وَالْقُضْبَانُ : النَّوْقُ الَّتِي لَمْ تُرَضَّ . الصَّوَابُ

المراد بالقضبان والكتب: القدود والأعجاز على حدّ قوله: قُضِبْتُ تَهْتَرْتُ فِي كِتَابٍ.

وقوله: خَفْتُ: مِنْ خَفَّ الْقَوْمُ ارْتَحَلُوا مُسْرِعِينَ.

وَمِنْ بَدِيعِ قَوْلِهِ: أَجَلٌ أَيُّهَا الرِّبْعُ الَّذِي خَفَّ أَهْلُهُ. وَالْمَعْنَى جَلِيٌّ.

لَا شَرِبَ أَجْهَلٌ مِنْ شَرَبَ إِذَا وَجَدُوا هَذَا اللَّجِينِ، فَدَارَتْ فِيهِمُ الْعُلْبُ

الشرح: اللجين: زبد أفواه الإبل.

الصواب: اللجين بضم ففتح: الفِضَّة، وَالْعُلْبُ: جمع علبة: قدح ضخم من جلود لإبل، أو من خشب يُحَلَّبُ فِيهِ، يَسْتَجْهَلُ مَنْ يُوَثِّرُ عَلَى أَقْدَاحِ اللَّجِينِ هَذِهِ الْعُلْبُ الَّتِي تَكُونُ غَالِبًا مِائَةَ الْأَقْدَارِ وَالْأَدْنَسِ.

يُشَبِّهُ قِصَائِدَهُ بِأَقْدَاحِ اللَّجِينِ وَسِوَاهَا مِنْ أَقْوَالِ الشُّعْرَاءِ بِالْعُلْبِ وَالْمَعْنَى ظَاهِرٌ.

تَأْتِيهِ فَرَىٰ طَنَا فَتَحْكُمُ فِي لُجَيْنِهِ تَارَةً وَفِي ذَهَبِهِ

الشرح: فرى، منهزمة. الطنى: الفجور، أو داءٌ يُصِيبُ الطَّحَالَ.

وَالصَّوَابُ: فَرَّاطُنَا: جمع فارط: من يتقدم القوم إلى الورد لإصلاح الخوض، وهو لطالب الماء كالرائد لطالب الكلاء، ومنه: «أنا فرطكم على الحوض» وقول أبي تمام «وغدا فارطي فيها صدوقاً ورائدي» فانظر هذا الغلط الفاضح.

أَبَا اللَّيْثِ لَوْلَا أَنْتَ لَا نُصْرَمُ النَّدَىٰ وَأَدْرَكْتَ الْأَحْدَاثَ مَا قَدَّ تَمَنَّتْ

الشرح: الأحداث الصغار. المراد بالأحداث، هنا: نواب الدهر لا غير، وسطوا على أحداثه أحداثاً، فانظر عدم التروى.

إِنَّ الْهَمُومَ الطَّارِقَاتِكَ مَوْهِنًا مَنَعْتَ جَفُونَكَ أَنْ تَذُوقَ حِثَاثًا

الشرح: موهن ضعيف: حثاثاً قليلاً..

الصواب: الموهن نصف الليل أو بعد ساعة منه، ولا مدخل للضعف

هنا . . . وإن كان من معانيه .

أَنلَهُ بِاسْتِمَاعِكِهِ مَحَلًّا يَفُوتُ عَلَوُهُ الطَّرْفَ الطَّمُوحَا

الشرح: الطَّرْف: الفرس الكريم .

الصواب: الطَّرْف بالفتح . والطماح كناية عن تطلُّب المعالي .

كنت عن غرسه بعيداً فأدنتني إليه يدك عند الجداد

الشرح: الجداد: الماء في طرف الفلاة . . أبعد المرمى .

الصواب: الجداد: صِرام النخل وهو له كالتطاف للعنب . .

يُقْرِي مُرَجِّجِهِ مُشَاشَةً مَالَهُ وَشَبِيءُ الْأَسِنَّةِ ثَغْرَةٌ وَوَرِيداً

الشرح: الوشي - النقش . . هذا غلط ، صوابه ، وشبا الأسنَّة ثغرة ووريدا ،

الشبا: جمع شباة: الحدّ .

فَمَا قُلِّبِي فِيهَا لِأَوَّلِ مَاتِحٍ وَلَا سَمُورِي فِيهَا لِأَوَّلِ عَاضِدِ

الشرح: السَّمُور هنا الشرب ليلاً ، والعاضد: القريب ، من عضد الحوض

وهو جانبه .

الصواب: السَّمُور - العضاة ، واحِدته سَمُورَةٌ: «لدى سمرات الحيّ ناقف

حنظل» «يا ساهر البرق أيقظ راقد السَّمُور» والعاضد: اسم فاعل من عضد الشجرة

قطعها ، ومثله الخاضد لمهدّب السدر .

وَاسْتَيْقِنُوا إِذْ جَاشَ بِحَرْكٍ وَارْتَقَى ذَاكَ الزَّيْبُرُ وَعَزَّ ذَاكَ الزَّرَّارُ

الشرح: الزبير والزار صوت الأسد . .

والزاراة: الأجمة فالزار مخففاً: اسم جمع لها .

فَكَانَ لَهُمْ جَهْرٌ بِإِثْبَاتِ حَقِّهِ وَكَانَ لَهُمْ فِي بَزْمِهِمْ حَقُّهُ جَهْرٌ

الشرح: بَزْمِهِمْ حقه: صدقهم حقه «كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ» .

الصواب: في بزهم حقه: أي سلبهم إياه، وصواب البيت هكذا.

فكان له جهراً بإثبات حقه وكان لهم في بزهم حقه جهراً
يريد أن النبي (ص) كان له جهراً بإثبات حق علي في قوله: من كنت
مولاه.. وكان لهم جهراً في بزهم إياه هذا الحق وسلبه منه قهراً، والمثل «من عزَّ
بزاً»، مشهور.

يُصْبِحُ الداعريُّ ذو الميعة المرُّ جَمُّ فِيهِ كَأَنَّهُ مَأْبُوضُ
الشرح: المأبوض: المقيد..

المأبوض: المصاب بمأبضه، وهو باطن الركبة، كما فسَّره الشارح عند
شرحه. مهاة النقا لولا الشوى والمأبض.

أَخَذْتُ بِجَبَلٍ مِنْهُ لَمَّا لَوَيْتُهُ عَلَى مِرْرٍ الْأَيَّامِ ظَلَّتْ تَقَطَّعُ
الشرح: مَرَّر - جمع مرّة وهي خلطٌ من أخلاط البدن..

والصواب: المِرَّة: القوَّة والشدة، وطاقةُ الحبل «تَقَبَّضَتْ مِنْهُ بِالْمَسْتَحْصِدِ
المِرَّة».

أَمَّا الدَّمُوعُ فَقَدْ أَذْكَرْنَ مَا سَلَفَا فَلَا تَكْفَنَنَّ عَنْ شَأْنِيكَ أَوْ يَكْفَا
الشرح: الشانِيء - المبغض يكفُّ: يسكب الدمع..

الصواب شأنيك مثني الشأن، أحد مجازي الدموع من العين: «أصبحتُ
وشأني معرَّبٌ عن شاني» وانظر عدم التروي إلى ما يؤول.

لَوْ لَمْ تُفْتِّ مِسِنَّ الْجُودِ مَذْزَمَنَ بِالْجُودِ وَالْبَاسُ كَانَ الْمَجْدُ قَدْ خَرِفَا
الشرح: تفتت: تدق. البأس: الشدة.. والصواب لو لم تُفْتِّ مِسِنَّ
الجدود: أي لو لم تصيِّره فتىً لكان قد خرف. ظاهر.

وَعَزَّزْتُ بِالسَّبْعِ الَّذِي بَزَّيْرُهُ أَمَسَتْ وَأَصْبَحَتْ الثَّغُورُ غَرِيْفَا

الشرح: الغريف - صوت الجنِّ والرمال . .

الصواب: غريفا . والغريف غابة الأسد .

وهي كالظبية الثَّوار ولكنَّ ربَّما أمكنت جُناة السَّحوقِ

الشرح: الجناة - القاطفون . .

الصواب: جناة بالفتح - كل ما يُجنى: أي أنها وإن كانت كالظبية النوار

«النفور» فربما أمكنت خبابة النخلة السحوق ووجه التمثيل ظاهر .

يوم حلق الملمات ذاك وهذا في الرِّوم حَزَّ الحُلوقِ

الشرح: الملمات: النازلات . . غلط .

الصواب: اللمات جمع لمة . ويوم تحلاق اللَّمَم مشهور، ولولا تفسيره

الملمات بالنازلات لاحتمل كون الغلط مطبعياً .

أتتك أمير المؤمنين وقد أتى عليها الملاء أدمائه وجراوله

الشرح: الملاء - القوم . الأدماء: اللطفاء . والجراول: الغلطاء . . أبعد

كثيراً .

الصواب: الملا: جمع ملاة: فلاة ذات حرٍّ وسراب . والأدماء .

الأراضي اللينة ذوات الرمل . والجراول: الأراضي الغليظة ذات الحجارة:

يخاطب ممدوحه واصفاً ناقته بأنها أتته وقد أتى عليها الملا سهوله وحزونه . أي

أذهب شحمها: أتى على الشيء: أنفده . . وعليه الدهر: أهلكه وقد اتضح

المعنى ولسنا بصدد إطالة الشرح .

بمحمّد صار الزمان محمّداً فينا وأعتب بعد سوء فعاله

الشرح: أعتب: ترك العتاب .

الصواب: من أعتبه - أزال عتبه أي أرضاه .

بالراقصات كأنها رسلُ القطار والمقربات بهنَّ مثلُ الأفكلِ

الشرح: المُقْرَبَات - الإبل المحزومة للركوب - الإفكل طائر.

الصواب: الراقصات: وصف للإبل. والمقربات: الخيل، والأفكل: الرعدة.

كالأجدلِ الغطريف لاح لعينه خُزْرُ، وأنت عليه مثلُ الأجدلِ
الشرح: الخزْر - الحساء من الدّسم.

الصواب: خُزْرُ: بزايين: وهو الذكر من الأرانب.

ما زال يُبرمُهَنَّ حتى إنَّه ليقال: ما خلق الإله سجيلاً
الشرح: السجيل: الصُّلب الشديد.

الصواب: سجيلاً: بالحاء المهملة: ضد المبرم: «على كل حال من
سجيلٍ ومبرم».

رأيتك للسّفَرِ المطرّد غاية يؤمّونها حتى كأنك منهلٌ
الشرح: السّفَر: «سكن الفاء ضرورة»: المطرّد: الطويل.

الصواب: السّفَر: جماعة المسافرين، كالشّرْب للشاربين. والمطرّد:
المطروود كثيراً كالنعام المطرّد. فلا ضرورة هنا، بل زعمٌ وجودها غلط: «ومضى
السّفَرُ» فسّر - هو السّفَر بالمسافرين هناك.

لَمَّا وردنا ساحة الحسن انقضى عَنَّا تَعَجْرُفُ دولة الأمحال
الشرح: الأمحال: الأباطيل.

الإمحال: مصدر أمحل المكان: ضد أخصب فذكر الأباطيل هنا، من
الأباطيل.

كالغيث ليس له - أريد نواله أو لم يُرَدّ - بُدُّ من التهطال
الشرح: البُدُّ الفراق.

الصواب: البُدُّ هنا: المحيد والمعدَّل: أي هو كالغيث لا بُدُّ له من التَّهْطال
«السَّكْب» أريد نواله أو لم يُرَدَّ. فانظر.

لم يكسَّ شخصٌ فيأه حتى رمى وقتُ الزوالِ نعيمهم بزوالِ
الشرح: الفيء: الغنيمة.

الصواب: فيء الإنسان: ظلُّه، فهو غلطٌ كبيرٌ على صِغَرِه.

أتعدو به في الحرب قبل اتقاره وفي الحربِ قد أعيا الوريُّ مُصمئله
الشرح: اتقاره: اشتدادُ حرِّه.

الأقرب للصواب: أن يكون اتقاره: مصدر اتقَر الغلام: ألقى ثناياه: أي
منذ صغره.

ما دام هرونُ الخليفةُ فالهُدَى في غبطةٍ موصولةٍ بدوام
الشرح: الغبطة - تمنى مال الغير.

الصواب: الغبطة هنا: الفرح والسرور. ولم ترد بمعنى ما فسره.

مُستسلمٌ لله سائسٌ أمّةٍ بذوى تجهضمها له استسلامٌ
الشرح: الذوى: العجاج الصغار. تجهضمها: تعظمها.

الصواب: بذوي تجهضمها: أي بأصحاب التَّعْظَم منها له استسلام
«واضح» جمع ذو بمعنى الصاحب.

ملا المَلاَ عُصَباً فكاد بأن يُرى لا خلفَ فيه ولا له قُدَّامُ
الشرح: الملا: الناس، العُصَب: الجماعات.

الصواب: الملا: جمع ملاة: تقدم ذكرهما: كالفلا جَمع فلاة، وما أكثر
الأوهام في مثلها بهذا الشرح.

سَفَعَ الدَّوْبُ وجوههم فكانهم وأبوهمُ سامٌ أبوهم حامٌ

الشرح: السَّفْع: السود. الدؤوب الخلق . .

الصواب: سَفَع الدؤوب: أي سودها الإجهاد وغيرها.

فاسلم فما سلم الأعداء منك ولا فاتوك في الدهر بالأوتار والدمن
الشرح: الدَّمَن: آثار الدار . .

الصواب: الأوتار والدمن: الأذحال والحقود.

هذا بعض ما وقفتُ عليه، في النظرة الأولى، من الأغلاط التي لا مجال
فيها للتَّمحل والإحتمال. وأما ما وقع فيه، من الإخلال والتصحيف والتساهل،
فحدّث ولا حرج وإليك نموذجاً عنه.

ولطابَ مرتبَعٌ بطيبة واكتستُ بُردَيْنِ بُردَ ثرىٍ وبُردِ ثراءِ
الشرح: فَسَّرَ الثرى: بالأرض والثراء: بالغنَى . .

والصواب: أنه من ثريت الأرض ثرى ثرى: نديت ولانت بعد الجمود،
والثرى أيضاً: الندى والغنَى كالثراء بالمدّ.

جهميّة الأوصاف إلا أنهم قد لقبوها جواهر الأشياء
الشرح: جُهْمَة الليل: قريبٌ من السَّحَر: قال الجُعدي:

وقهوة صهباء باكرتها بجهمة والديكُ لم ينعبِ
والمراد هنا مظلمة الأوصاف أو غليظتها، إنتهى ولم يُرد إلا المعنى
الأخير.

وإذا تشاجرت الخطوبُ فريثها رأيا يفلُ مضاربَ الأعداءِ
الشرح: الفَري - القطع.

الصواب: قريثها من القرى الضيافة.

رجلٌ بدا فملا المشارق نوره متهللاً كالجونة البيضاء

الشرح : الجُون: يُطلق على الضوء والظلمة، والأول هو المقصود هنا .
والجونة: من أسماء الشمس .

سلي هل عمّرت القفر وهي سبابٌ .

والصواب: عمّرتُ بضم التاء للمتكلّم .

لو اقتسمت أخلاقه العزّ لم تجذّ معيياً، ولا خلفاً من الناس عائباً
الشرح: الخلف من الناس السقط الرديء .

الصواب: ولا خلقاً. ولا معنى للخلف هنا .

لارقة الخصر اللطيف غذّتهمُ وتباعّدوا عن فطنة الأعرابِ

الصواب: لا رقة الخصر: يصف جماعة من قوم الممدوح خرجوا عن
طاعته، فهو يستعطفه عليهم معتذراً له بأنهم غير محنكين، وقد ظهر معناه

فلم توقدي سُخْطاً على مُتَنَصِّلٍ ولم تنزلي عتياً بساحة مُعْتَبٍ

الشرح: مُعْتَب: بريء من العتاب. والحقّ انه اسم فاعل من أعتبه: أي
أرضاه، يعني أنه لا يبالي بسخطها ولا يُعْتَبها.

وخطيّة شمسيّة قمريّة مهفهفة الأعلى رداح المُحَقَّب

الشرح: المُحَقَّب: المشدود بالحَقَاب، وهو شيء تعلق به المرأة الحلي
وتشدّه في وسطها .

الصواب: المحقب: مكان شدّ الحقاب .

وأرادوك بالبياتِ ومن هذا يرادي متالعاً أو عسييا

الشرح: يرادي: يناضل .

الصواب: يرادي: من المرادة: المرامة بالمرادي: وهي الصخور جمع

مرداة .

فإذا ما الأيام أصجن خُرساً كظماً في الفخار قام خطيباً
الشرح: الكظم: الإمساك والكتم.

والأحسن أن يُقال: كُظماً: جمع كاظم: الساكت.

هو الإضحيان الطلق رقت فروعها وطاب الثرى من تحته وزكا التُّربُ
الشرح: الإضحيان: اسم نبات.

ولا بأس أن يُزاد: ويوم أضحيان مضيء لمناسبة الطلق.

كان بلاد الروم عُمّت بصيحة فضمّت حشاها أورغا وسطها الثُّقبُ
الشرح: السقب - ولد الناقة الذكر.

وكان ينبغي الإشارة إلى قضية فصيل ناقة صالح الذي، بسبب رغائه على
أمه هلكت ثمود.

ولا اجتليت بكر من الحرب ناهد ولا ثيب إلا ومنهم لها خطب
ولعل الأصح: خطب بالكسر. والخطب: الرجل الذي يخطب المرأة،
فهو خطبها وهي خطبه: «فهو كفؤ لها وهي كفؤ له».

إذ افتخرت يوماً ربيعة أقبلت مجنبتى مجد وأنت لها قلب
الشرح: مجنبتى مجد: أي على جانبيها المجد.

المجنبتان: ميمنة الجيش وميسرته.

بجودك تبيض الخطوب إذا دجت وترجع عن ألوانها الحجج الشهب
الشرح: الحجج - السنون.

والشهب: البيض: الخ. ويُعبّر بها عن سني الجذب والمحل، فعدم
بيان هذا المعنى إخلالاً.

فاستنبطتُ مديحاً كالأري في لصابه
الشرح: لصابه: التصاقه أو بيوته الضيقة.

الصواب: اللصاب: جمع لصب. الشعب الصغير في الجبل، والعسل في
شده، مثل يُضرب لشدة الحلاوة.

ومصيب شواكل الأمر فيه مشكلاتٌ يُلْكَنَ لُبَّ اللَّيْبِ
الشرح: يُلْكَنَ - يَمْضَغَنَ.

الصواب: يُلْكَنَ: يجعله لكاناً.

كُلُّ شِعبٍ كَتَمَ بِهِ آلَ وَهَبٍ فَهُوَ شِعبِي وَشِعبٌ كُلُّ أديبٍ
الشرح: الشُّعب: الحيِّ العظيم.
الصواب: الشُّعب: بالكسر المَسلك والطريق.

لو رأينا التوكيد خُطَّةَ عَجَزٍ ما شفَعنا الأذان بالشويب
الشرح: الشويب: ترديد الصوت..

والصواب: ثَوَّبَ المؤذِّن: دعا الجماعة إلى الصلاة بقوله: «حيَّ على
الصلاة» مرتين أو قال في أذان الفجر: «الصلاة خير من النوم» مرتين ففي الشرح
إخلال.

خُذْهُ وَإِنْ لَمْ يَرْتَجِعْ مَعروفه محضٌ إذا غَلَّتْ الرجالُ مُهذَّبٌ
الشرح: الغلث - شدة القتال.

الصواب: غلث الرجال: خلطوا: أي هو محضٌ مهذَّب لا خلطة فيه إذا
غلث الرجال.

دعيني على أخلاقي الصمِّلِ التي هي الوفر أو سربٌ ترنُّ نوادِبُه
الشرح: الوَفْر: الكاملة والصواب: الوَفْر: المال الكثير. أي هي الغنى أو
الموت.

إليك جزعنا مغرب الملك كلما وسَطْنَا مَلاسلِطَ عَلَيْكَ سَبَابِئُهُ
الشرح: ملاسلط - اسم موضع.

والصواب: «وسَطْنَا فلا صلت عليك سبابه»: أي قالت: اللهم صلِّ عليه
استعمل الشاعر هذا التعبير في غير مكان.

أرى الناس منهاج الندى بعدما عفت مهائِعُهُ الْمُثْلَى وَمَجَّتْ لَوَاجِبُهُ
الشرح: مجت: رُميت.

والصواب: مَحَّتْ بِالْمُهْمَلَةِ أي درست، والعبارة ظاهرة.

سقيت صداه والصفيح من الطلى رِوَاءَ نَوَاحِيهِ عِذَابٌ مُشَارِبُهُ
الشرح: الرِّوَاءُ - حسن المنظر.

الصواب: والصفيح من الطلى رِوَاءَ نَوَاحِيهِ . من الرِّيِّ: ضد العطش.

كانت بنات نصيب حين ضنَّ بها على الموالي ولم تحفل بها العربُ
الشرح: ضنَّ: بخل، لم تحفل: لم تهتم.

هذا كل ما قاله على هذا البيت وكان ينبغي أن يشير إلى بنات نصيب الشاعر
الذي مثل أشعاره بها، وأنه لولا عطف هذا الممدوح لنالها من الكساد ما نال
أولئك، وهو إخلالٌ قبيح.

قد جلبته الجنوب فالدين والدُّنيا وصافي الحياة مِن جَلْبِهِ
الشرح: الجنوب: ريح الجنوب.

والصواب: قد حلبته من حلبه بالحاء المهملة، يصف غيثاً في الأبيات
السابقة.

له جلالٌ إذا تسربلُهُ أكسبَهُ البَارَ غَيْرَ مُكْتَسِبِهِ
الشرح: البَار: الإكثار.

ولعلّ الصواب: البأو . وخير بدل غير والبأو العُجب والزهو .

فلا تغيب محلّك كل يوم من الأنواء أطاف السحابِ
الشرح: تغيب: تتردد . . غلط .

الصواب: تغيب من الإغباب وهو المجيء يوماً والترك يوماً ومنه: «زر غباً
تردد حُبّاً» يدعو له بملازمة الأنواء محله على الدوام .

بمفعمة الأنساع مؤجدة القرى أمون السرى تنجو إذا العيسُ كلتِ
الشرح: مؤجدة: تامة .

والصواب: مؤجدة القرى - قوية الظهر .

وأحيا سبيل العدل بعد دثوره وأنهج سبل الجود حين تَعَفَّتِ
الشرح: أنهج: قوّم .

لو قال: أوضح منهاجها، لكان أحسن .

القى عليه نجاره فأتى به يقظان لا ورعاً ولا ملثائا
الشرح: الملثا: المتردد .

والصواب: ولا مُلثائاً: من التاث الأمر، اختلط والتبس، واللؤثة: حماقة
واختلاط في العقل . وإذا كان الغلط في «ملثائا» مطبعياً فتفسيره بالتردد ليس
كذلك .

ما سرّ قومك أن تبقى لهم أبداً أو أنّ غيرك كان استنزل الكذجا
الشرح: الكذج: المأوى «معرّب» .

والصواب: استنزل الكذج: حمل أهلها على النزول قسراً على حكمه،
وهي من حصون الخزّمية أصحاب بابك ووقائعه التاريخية مشهورة وصواب (أو
أن): وأن:

وأصبحت فحمة جأواء ليس ترى في نظم فرسانها أقتا ولا عوجاً
الشرح: جأواء.. كدراء اللون في حمرة.

والصواب: فحمة بدل فحمة، من الإقتحام، والجأواء: هي الكتبية يعلوها
لون السواد لكثرة الدروع.

قد حلّ في صخرة صمّاء معنقة فانحت برأيك في أوعارها درجا
الشرح: معنقة: منعطفة..

والصواب: مُعنقة: مرتفعة والمعنق من الأرض: ما صلب وارتفع وحواليه
سهل.

فكان المُنغذّ فيها مقيمٌ وكان الساري عليهن عادٍ
الشرح: المُنغذ: الذاهب.

أصلها: المغذ، بالمعجمة: أي المسرع، فإذا كان زوال النقطة مطبعياً،
فحق الشرح أن يكون المغذّ الذاهب مسرعاً، والإفلم أجد المُنغذّ بمعنى الذاهب.

أنت ناضلت دونها بعطايا عائدات على العُفّاة بوادٍ
الشرح: بوادٍ - ظواهر.

والصواب: عائدات بُوادي: من العود والبدء: لا من الظهور.

متى تحلّل به تحلل جناباً رضيعاً للسوّاري والغوادي
الشرح: السوّاري: سراة الليل والغوادي: السائرون في الغداة.

والصواب: السوّاري والغوادي: السحب المتشرة مساءً وصباحاً،
والشرح عجيب.

وأين يحورّ عن قصد لساني وقلبي رائحٌ برضاك غادٍ
الشرح: يحورّ ينقص أو يحار أو يرجع..

والصواب : يجور والجورُ عن القصد معلوم .

وأزّت بين حيّ بني جلاح شبا حربٍ وحيّ بني مصادٍ
الشرح : أزّت أو قدت كذا .

الأصح : أرّث بين القوم : أغرئ وأفسد . وأرّث النار : أوقدها .

ولو كَشَفْتَنِي لوجدت خرقاً يُصافي الأكرمين ولا يُصادي
الشرح : يُصادي : يعارض .
الصواب : يُصادي : يداهن .

يا أحمدُ بن أبي دُواد حططتني بحياطتي ولددتني بلدودي
وصوابها : إمّا حُطتني وإمّا احتطني . وحططتني لا تعطي المعنى المقصود
من البيت .

حذاء تملأ كلّ أذنٍ حكمةً وبلاغةً وتذو كلّ وريدٍ
الشرح : حذاء - قارصة أو طاعة .
والصواب : قصيدة حذاء : سائرة .

وَقُرُّ النفوس إذ كواكبُ قُصعبٍ أردين عَفريتَ الوغى المريدِ
الشرح : الوقر : الحمل الثقيل .

وصواب الشطر : «وَقُرُّ النفوس إذا كواكب قُصعب» : جمع وقور : ذو
الوقار ، مثل صبور وُصْبُر وغيور وغيُر قُصعب اسم القبيلة .

ومكارماً عتقِ النجار تليدةً إن كان هضْبُ عما يتين تليداً
الشرح : عما يتين : جبلين .

والصواب : اسم جبل .

ما خطبُهُ ما دهاه ما غاله ما ناله في الحسان من خرده
الشرح: خرده: طولُ سكوته حياءً.

والصواب: من خُرده جمع خريدة: البكر لم تُمسّ.

فهم يُميسون البُخترية في بُرودهِ والأنامُ في بردهِ
الشرح: بروده: ثيابه، ولم يزد.

وهو إخلالٌ كبير. فالبرود: الأثواب المخططة والبُرد أيضاً جمع بُرد: كساء
أسودٌ من الصوف، فلعلهما كانا يومئذٍ نوعين متمايزين، ولا مناسبة لبردة
بالفتحتين كما هو مرسوم.

ما رنه لـدنه مثقفه عراضه في الأكف مطرده
الشرح: عراضه: صفحته.

الصواب: عراضه: يصف الرمح.

يا مضغناً خالداً لك الثكلُ إن خلداً حقداً عليك في خلدة
الشرح: المضغن: الحاقد.

والصواب: أضغنه: جعله يحقدُ عليه.

أصادفت كنزاً أم صبحت بغارة ذوي غرة حاميهم غي شاهد
الشرح: ذوي غرة: غافلين.

والصواب: ذوي عزة: كثيري المال، والعزة: خيار المال.

فرعت عقاب الأرض والشعر مادحاً له فارتقى بي في عقاب المحامد
الشرح: رعت: أفزعت عقاب: جمع عقبة، وهي المرقى الصعب من
الجبال.

الصواب: فرعت: من فرع العقبة أرتقاها، لا من الرّوع والفرع، ويكف
يفزع العقبة؟

هذا على كتديه كل حادثة تخشى وذاك على اكتاده اللبّد
الشرح: اللبّد الصوف.

الصواب: اللبّدة: شعر الأسد جمعها لبّد.

فتى يوم بزّ الخُرَميّة لم يكن بهيابة نكسٍ ولا بمعرّد
الشرح: بّد الخرمية: اسم الأرض..

والصواب: بّد الخرميّة: القلعة التي كانت حصناً لهم.

لغمري لقد حرّرت يوم لقيته لو أنّ القضاء وحده لم يبرّد
الشرح: يبرّد: من برد إذامات، أو ضعف، أو وقع أسيراً..

ولا شيء منها يناسب مقصد الأبيات، ذاك لأن المحارب نجا من الممدوح
فهو يقول له: لعمري لقد حررت «من الحرّ» للعدو لولا أنّ القضاء برّد عنه،
فالأجلُ حصنٌ حصينٌ وكفى به حارساً، فهو يعتذر عنه إذ أفلته الخصم بدفاع
القضاء.

تخب بنا أدمُ المهاري وشؤمها على كلّ نشز متلثب وقد فد
الشرح: متلثب: من اللوبة أي الحرّة وهي الأرض ذات الحجارة السود.

الصواب: متلثب: طويل مستقيم ممتدّ، لا من اللّابة واللّوب.

لها من لوعةِ البين التّدام يعيد بنفسجاً ورد الخسود
الشرح: الإلتدام ضرب الصدر في النّوح.. والمتبادر هنا: أنّ اللّدم هو
الضرب على الخد وإن كان ذاك من معانيه.

إذا خرّجت من الغمرات قلنا خرجت حبائساً إن لم تعودي

الشرح : الحبائس : المحبوسة عند البيوت . .

ماذا فهمنا؟ . . بل الحبائس : جمع حبيسة مؤنث الحبيس : وهو من الخيل والإبل الموقوفة في سبيل الله ، فهو ينذرنا الله إن لم تعد : يُهدُّها بالذبح .

أما وأبي الرِّجاء لقد ركبنا مطايا الدَّهر من بيض وسود
قلائصُ شوقهنَّ يزيد شوقاً ويمنعن الرقاد من الرقود

الشرح : القلائص : التوقِ الرقاد والرقود : النوم .

الصواب : يريد بالقلائص : الأيام والليالي والرقود : جمع راقد .

فهب وهلاً لخيالكِ والمنايا تُشَدُّبُ مُهْجَةَ البطلِ النجيدِ
الشرح : الوهل : الفزع .

والصواب : هب وهلا : زجر للخيل ، لا من الهبة والوهل .

حتَّى لقد ظنَّ الغُواةُ وباطلُ أني تجسَّم فيّ روح السيّد
الشرح : الغواة : الضالون . وباطلُ : أي ظنهم . انتهى .

وأخلَّ بعدم شرحه لفظة السيد هنا ، وهو السيد الحِميرِي ، المنقطع في شعره إلى أهل البيت ، وهو أكثر الناس شعراً في الجاهليَّة والإسلام ، ومغزاه بيِّن .

ومُزَحَّزحاتي عن هواك عوائق أصحرن بي للعنقفير الموبد
الشرح : العنقفير : الداهية . والموبد : الأبدية .

لا يوجد هذا المعنى في مادة «أبد» من المعاجم ، فالصواب : المؤيد بالياء : وهو الأمر العظيم والداهية أيضاً ، ويؤتى بها للتأكيد كالضيلم الخنفيق .

وما زال منشوراً عليّ نواله وعندي حتى قد بقيت بلا عند

الشرح : العند : القلب والمعقول . . تركتني أصحابُ الدنيا بلا أمل . وفي «القاموس» ويقال عندي كذا فيقالُ ولك عند : استعمل غير ظرف .

ذكرت المعاجم هذا المعنى، وظني، بل يقيني أن أبا تمام لم يردّه إنما أراد
«عند» التي هي الظرفية، على حد قول المتنبي:

ويمنعني مما سوى ابن محمّد أيا د له عندي تضيق به عند
وهذا كقول الراجز: «ليتَ وهل تنفع شيئاً ليتُ» فالمسألة سهلة.

وناديتني الثّوب لا أنني أمرؤُ سلاك ولا استثنى سواك برافد
الشرح: الثوب: تكرار الرجوع.

والصواب: تكرار النداء.

تلاقى بك الحيّان كعبٌ وناهذُ فأنت لهم كعبٌ وأنت لهم نهذُ
الشرح: النهذ: الثدي. . لم يزد

كعبٌ ونهذُ: علمان لأبوي قبيلتين: وتصور كيف يكون الممدوح لهم كعباً
وثدياً.

فَعُوجَا صَدورَ الأرحبيّ وأسهلا بذاك الكتيبِ السهل والعلم الفرد
الشرح: الأرحبي: يُراد به الفرس الكريم.

والصواب: الأرحبيّ: من الإبل لا من الخيل.

فعلوت هامته فطار فراشها بشهاب موتٍ في اليدين مجرد
الشرح: الفراش: موقع اللسان من فعر الفم.

والصواب: فراش الدماغ: وهي عظامٌ رقيقةٌ تبلغ القحف، واحدها
فراشة، وهي المقصودة هنا لا سواها.

خلاتق لو كانت من الشعر سمّحت بدائعها ما استحسّن الناس من شعري
الشرح: سمّحت: ذلّلت أو ثقفت.

والصواب: سَمَّجَت «الجيم»: من السماجة، ضد الحسن المستحسن.
إذ لا صدوق ولا كنود إسماهما كالمغنيين ولا نوار نُوارُ
الشرح: الكنود: كافر النعمة. نُوار: امرأة.
والصواب: أَنَّ صدوق وكنود ونُوار أسماء نساء.

ضمَّنت له أعجامها وتكفَّلت أوتارها أن تُنْقَضَ الأوتارُ
الشرح: الأوتار «الثانية»: جمع تِرَة، وهي الثَّار.
والصواب: جمع وتر: وهو الثَّار.

والناس بعَدك ما تغيَّر جوتي لفراقهم إن أنجدوا أو غاروا
الشرح: الحبوة: العطاء، واسم من احتبى بالثوب: إذا اشتمل به.

وهي هنا: أن يجمع الرجل ظهره وساقية بثوبه أو بيديه، فإذا قالوا فلانُ
تحل له الحَبَى: أرادوا أنه عظيم يُهْتَم به، وبالعكس إذ أرادوا تهوين الأمر قالوا:
فلان لا تحل له الحَبَى. . أليس هذا هو مقصود الشاعر. وهل يستفاد غير هذا
المعنى من الشرح؟

بِدُرَّة حَقَّها من حولها دُرُرٌ أرضى غرامي فيها دمعي الدُرُّ
الشرح: الدُرَّة: اللؤلؤة الكبيرة. والدرر: جمع: «يشبه الحسان ودمعه
بالدُرر».

والصواب: الدُرُّ بفتح فكسر: نعت من درّ الدمع وغيره: سال بكثرة فهو
درر صفة مشبهة:

ولذلك شعري فيك قد سمعوا به سحر وأشعاري لهم إشعار
الشرح: إشعار: إعلام.

والصواب: بالفتح للإسمين: «وأشعاري لهم أشعار» لا غير.

والهاشميون استقلّت عيرهم من كربلاء بأوثق الأوتار
الشرح: أوثق: أقوى وأثبت.

والصواب: أوثق: جمع وسق.

يروح ويغدو بالبيان لمعشر يروح بهم غمرو ويغدو بهم غمر
الشرح: الغمر: الكريم الواسع الخلق. «ومن لم يجزّب الأمور».

والصواب: هو الحقد والغلُّ هنا لا غير.

للمجد مستشرف وللأدب المجف — أو تَرِبٌ وللتدى حلَسَ
الشرح: المستشرف: المنظور. الحلس: الكبير من الناس.

كلّا، بل الحلس: بمعنى الملازم يقال: فلان جلس خيل، وحلَسَ بيته،
ويصفون الفارس بأنه من أحلاس الخيل.

والصواب: جلس بالجيم: وهو الجليس بمعنى المجالس، والمستشرف:
من يرفعه نظره شرف، بخلاف ما فسره.

مخلّق وجهه على السبق تخليف عروس الأبناء للعريس
الأبناء: قوم سكنوا اليمن فالكلمة لا تحتاج تفسيراً.

خلائق فيه غضة جدد ليس بمنهوكية ولا لبس
الشرح: لبس مختلطة.

والصواب: لبس: ملبوسة جمع لبس: وهو الذي لبس كثيراً فصار بالياً،
كما علق الشارح على قول الشاعر:

وجديدة المعنى إذا معنى التي تشقى بها الأسماع كان لبيسا
نافس أهل العُلا فاجتاز عقلهم منهم فأصبح مُعطى الحق منفوسا
الشرح: نافس: فاخر والمنفوس الشيء الثمين.

والصواب: منفوساً مغلوباً بالمنافسة .

ولرُبِّ كِفْلٍ في الحروب تركته لصعابها حِلْساً من الأحلاسِ
الشرح: الكفل: وهي فرجة صغيرة . .

الصواب: الكِفْل هنا: من لا يثب على ظهور الخيل، فأنظر.

وحائن أخرق داويته رداعةً داهيةً دَرْدَيْس
الشرح: الحائن والأخرق: الأحمق. الرداعة: من ردع فلان إذا وجع
جسده كله. الدرديس: العجوز.

والصواب: الحائن: الهالك، رداعة: طعنة تردع جسمه تلتطخه بالرداع:
وهو الدم. والدرديس: صفة للداهية، ولا معنى هنا للعجوز.

أقرم بكر تباهي أيها الحَفْضُ ونجمها أيُّهَذَا الهالك الحرض
الشرح: القرم: السيّد الحفّض: الجمل الضعيف. الحرض: الرديء.

والصواب: القرم: فحل الإبل والحرض: المشرف على الهلاك: ﴿حتى
تكون حَرَضاً﴾^(١) الآية:

تنحي على صخرة صماء تحسبها عضواً خلوت به تبيري وتتنحضُ
الشرح: تنحي: تأتي: تنحض: يقل لحمها.

والصواب: تبيري: من برئ السهم: نحته وانتحض: أزال النحض: وهو
اللحم.

سهم الخليفة في الهيجا إذ استقرت بالبيض والتفت الأحقابُ والعُرْضُ
الشرح: الأحقاب: السنون: العرض: معظم الناس . .

والصواب: الأحقاب هنا: جمع حقب: الحزام يلي حقو البعير، أو حبل

(١) سورة يوسف: الآية ٨٥.

يشدُّ به الرجل من بطن البعير . والغرض : جمع غرضة : للرجل ، كالحزام
للسرج ، كُتِي بهما عن اشتداد الأمر . والتفتت : يجوز ان تكون «التفت» .

أرادت بأن يحوي الغنى وهو وادع وهل يغرس الليث الطلى وهو رابضُ
الشرح : الطلى : الأعناق .

والصواب : الطلى : جمع طلا : ولد الظبي .

إليك سرى بالمدح قوم كأنهم على الميس حيَّات اللِّصاب النَّضائضُ
الشرح : الميس : الميل ، اللصاب : شقوق الجبل ، النضائض : المحركة
لسانها .

والصواب : الميس : شجرٌ تتخذ منه الرحال . والنضائض تحريك الحية
لسانها ، لا النضائض بالهمز .

يا أحمد بن أبي دؤاد دعوة ذلت بشكرك لي وكانت رِيضاً
الشرح : الرِيض : السهلة ذلت : صارت ذلولاً .

والرِيض : الجامح : «كما يتوقى رِيض الخيل حازمه» فانظر .

قد كان صَوْح نبتٌ كل قرارة حتى تروح في ثراك ورَوْضاً
الشرح : ترَوْح : طال : رَوْض : لزم الرِياض .

كلا : بلا ترَوْح : من الريح ، ورَوْض صار كالرَوْض .

حلة سَابَرِيَّةٌ ورداءٌ كسحا القِيض أو رداء الشجاع
الشرح : السَّجا : النواحي ، القِيض : القشرة اليابسة على البيضة .

والصواب : سحاء القِيض : ما يُقشر عنه .

بجوده انصاعت الأيام لابسة شرخ الشباب وكانت حلة شرفاً
الشرح : الحلة : ثوبان من جنس واحد .

وإنما هي جُلَّةٌ «بالجيم» شرفاً: أي نوقاً مُسنَّةً .

ولو يُقال أمرٌ السيف شرَّهما ما شام حديه حتى يُقتل الخلفا
الشرح: شام: نظر .

بل شام السيف سلَّه وأغمده: من الأضداد .

ولَّوا أغشيتهم غطارِفةً لغمرة الموتِ كشافين لا كشفوا
الشرح: كشف: منهزمون .

كشف: جمع اكشف من الترس .

فإن الظوا بإنكار فقد تركت وجوههم بالذي أوليتهم صُحفا
الشرح: أَلظَّوا: التحوا .

وإنما هي: أَلظَّوا «بالطاء»: ستروا ووجدوا .

ولئن ثوى بك ملقياً أجرامه ضيف الخطوب لقد أصاب مُضيفاً
الشرح: أجرامه: ذنوبه .

والصواب: أجرامه: جُمْلَةُ جسمه . كالأجلاد: «كقاذف يوماً بأجرامه» .

يقظان أحصدت التجاربُ عقده شزراً وثقف حزمه تثقيفاً
الشرح: الشزر: المائل .

الصواب: الشزر: شِدَّةُ القتل .

ولئن أطلتُ مدائحِي لنبائلٍ لك ليس محدوداً ولا موصوفاً
الشرح: النبائلُ: الخصالُ الحسنة .

وإنما هي: لنبائل: أي لبعطاء .

يؤوبُ إلى شمائلٍ منه ميثٍ قليات الأماعز والبُرَاقِ

الشرح: الأماعز: الغزلان، البُرّاق: الحملان من الضأن.

والصواب: الأماعز: الأراضي الغليظة، جمع أمعز:

إذا الأمعز الصوّان لاقى منا سمي تطاير منه قاذخٌ ومُغْلَلٌ»

البُرّاق: جمع برقه: غلظ فيه حجارة ورمل وطين، وانظر تصرف الشارح.

ثم ألقى على دروئيّة البرك محلاً باليمن والتوفيق

الشرح: دروئيّة البرك: موضع.

والصواب: درولية: اسم مدينة، والبرك: ما ولي الأرض من جلد صدر

البعير: يقولون هذه العبارة إشارة إلى طرح الثقل على المبروك عليه.

أورثت صاغري صغاراً ورغماً وقضت أو قضى قبيل الشروق

الشرح: صاغري: رجل، الصغار: الذلّ.

صاغري وأوقضى: مكانان. يذكر أنّ سيوفه أو خيله أورثت صاغري ذلاً

وصغاراً وقضت دين أو قضى عليها قبيل الشروق.

كم أفاءت من أرض قرّة من قرّة عين وربرب موموق

الشرح: الموموق: المحبوب.

والصواب: هنا: مرموق منظور إليه لحسنه والموموق يأتي بعد ذلك

بيتين.

لاذو الحقود اللقح اللاتي ترى كشح الصديق ولا العداة الحيل

الشرح: اللقح: المزدوجات الكشح إظهاراً لعداوة العداة الأعداء.

الحيل: غير المزدوجات.

والصواب: اللقح: جمع لاقح: خلاف الحائل من النوق، وجمعها الحيل

أي انه صفوح لا تلقح حقوده، ولا تحيل. عداته: جمع عده فانظر كيف ذهب

الوهم مذهبه . وكشح الصديق : عداوته : كسحة كسحا : عادة الكاشح : العدو .
تروى بأروع يغتدي ويروح من زواره وضيوفه في حففل
الشرح : الجحفل : الشجاع .

والصواب : الححفل : الجيش الكثير .

وبنفسى القمرُ الذي بمُحجَّرٍ أمسى مصوناً بالنوى مبذولا
الشرح : المحجَّر : الدائرة . .

محجَّر : اسم مكان بعينه .

قد قلتُ وهي تنال من عرض الفلا بملاطس في الوخد غير أوالي
الشرح : الأوالي : الأوائل .

الأوالي : هنا جمع اليه ، من ألا يألو : قصر . يقال : لا آلوك نصحاً : أي
سأجتهد ولا أقصر . وما استفدنا من الأوالي ولا الأوائل .

وكانت كئاب شارف السن طرقت بسقب وكانت في مخيلة حائل
فسرّ الناب والشارف والسقب ، وترك طرقت .

والتطريق : وجع الولادة : «إلى بطن أم لا تطرق في الحمل» والحائل :
خلاف اللاقح ، أي كانت فيما يخال حائلاً فطرقت بسقب ، فهي من هذه الوجهة
ما يلفت النظر .

كلاب أغارت في فريسة ضيغم طروقا وهام أطعمت صيد أجدلا
الشرح : الضيغم : الأسد الهام : جمع هامة . الأجدل : الصقر .

ماذا استفدنا؟ كان يجب أن يقال : الهام : جمع هامة : طائر من طير الليل ،
وهو الصدى : أي البوم ، ليصح إنها أطعمت صيد الأجدل .

ووردنا موقناً عليه شواذباً شعناً بشعث كالقطا الإرسال

الشرح: الشُّعْثُ: المنتشرون.

كان عليه أن يقول: شُعْثًا أي الخيل. بشعثٍ: أي فرسانها، والأشعث: المتلبّد شعر الرأس لقلة الدهن يعني همهم المعالي لا الزينة.

فليشكروا جنح الظلام ودروزاً فهم لدروزٍ والظلام موالٍ
الشرح: دروز: رجل... .

كلّاً: بل دروز: هي القلّة التي اعتصموا بها فلعلّها اسم قلعه.

وسروا بقارعة البياتٍ فزحزحوا بقراعٍ لا صلفٍ ولا مختالٍ
الشرح: القارعة: على الطريق.

والصواب: القارعة: الداهية.

أبني بكل خريدةٍ قد أنجزت فيها عدات الدهر بعد مطالٍ
الشرح: أبني: دخل.

الصواب: أبنا: أي رجعنا يريد السبايا التي أخذت من بابك.

أرضٍ مصرّدةٍ وأخرى تجنّم تلك التي رزقت وأخرى تُرحمُ
الشرح: مصرّدة: لا شجر بها.

التصريد: السقي دون الري.

المجد أعنقُ والديار فسيحة والعزّ أقعسُ والعديد عرمرم
الشرح: أعنق: أسرع.

أعنق: أطول عنقاً.

عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد سهمكم لا يسهمُ
الشرح: لا يسهم: لا يتغير.

والصواب: لا يسهم: لا يغلب: من ساهمه فسهمه يسهمه: قارعه فغلبه .
مَنْ شَرَّدَ الإِعْدَامَ عَنْ أوطَانِهِ بالبذل حتى استطرف الإعدامُ
الشرح: استطرف: صار مالاً طارفاً: أي جديداً .
الصواب: استطرف: عُدَّ طرفه يتحف بها لندرته .
كل فدم أخاف حين أراه مقبلاً أن يشجنني بالسَّلام
الشرح: السلام: الحجارة .
السلام: التحية هذا كقول العامة: كلامه كالضرب على الرأس، من أبلغ ما
يُعبَّر به عن الجلف الجافي .
كما كاد ينسى عهدَ ظيماءَ باللَّوى ولكن أَمَلْتُهُ عليه الحمائمُ
الشرح: أملته: أطالته .
الصواب: أملته وأقلته: من أملى الكتاب، وأمله على الكاتب: لقنه إياه
فكتبه .
رأت قسماً قد تقسَّم نضرها سرى الليل والآساد فهي سواهم
الشرح: سواهم: ضامرة . .
الصواب: سواهم: متغيرة شاحبة .
وما هو إلا القول يسري فيغتندي له غُررٌ في أوجه ومواسم
الشرح: المواسم: علامات الحسن .
كلاً، بل العكس: أي القول له غرر في أوجه: وهو الثناء الحسن، ومواسمُ
في أوجه، وهو القول السوء تشبيهاً بوسم الإبل .
فالمواسم هنا: جمع ميسم: المكواة لا علامات الحسن .

أعطيتني دية القتيل وليس لي عقل ولا حق عليك قديم
الشرح: العقل: الدية.

الصواب: العقل: ما تدفعه الأقارب عن القاتل، ومنه القود على القاتل
والدية على العاقلة، يقول: إنه أعطاه دية القتيل وهو ليس من عاقلته، وليس له
عليه حق قديم: يصفه بزيادة الكرم.

لامته لام عشيرها وحميمها منها خلائق قد أبرّ ذميها
الشرح: أبرّ فعل خيراً..

الصواب: أبرّ: كثر وضبطت لفظة لام بالفتح: وهي لام بالضم فاعل
لامته: اسم عشيرة. وعشيرها وحميمها: بدلان من لام.

الك حاربت يوم الليل منصرفاً بالداعرية حسرى شعبة البدن
الشرح: الداعرية: يريد بها الخيل الكريمة.

الداعرية: يريد بها الإبل نسبة إلى داعر: فحل كريم.

وقالت عزاء ليس للموت مدفع فقلت ولا للحزن إذ بات مدمع
الشرح: المدفع آله الدفع.
هو هنا مصدر لا اسم آلة.

جُدغَتِ لئن صدّقت أن غيابه تكشّف إلا عن وجوه الأهاتم
الشرح: الأهاتم: جمع أهتم: وهو فاقد مقدم الأسنان.

وليس المراد هذا، بل الأهاتم: قبيلة تنسب إلى الأهتم. منها الممدوح:

فقد هتم النعمى هميم بن غالب بما سار من أقواله في الأهاتم
قتله سرّاً ثم قالت جهرة قول الفرزدق لا بظبي أعفر

الشرح: الفرزدق: الشاعر. الظبي: الغزال. الأعفر: الذي يعلو بياضه

حمرة. انتهى. طار في مسكين الدارمي، أحد من يبغضهم الفرزدق، (وظني أنه خالد بن عبد الله القسريّ أو زياد بن سُميَّة) أجابه الفرزدق بأبيات منها:

أمسكينُ أبكى الله عينك إنما جرى بضلالٍ دمغها فتحدراً
أقول له لما أتاني نعيُّه به لا بظبي في الصريمة أعفرا

كان يجب التلميح إلى هذه القصة، ففي الشرح إخلالٌ كبير كما ترى.

لما فككتُ رقاب الشعر عن فكري ولا رقابهم إلا وهمُ حيض
الشرح: حيض: جمع حائض (حرك ثانية ضرورة) ولا معنى لها ها.

فالصواب: حُبُض بالباء: من حبض الرجل: مات: يقال: ما به حبض ولا نبض، والحيض: من صفات النساء لا القوم.

إذا خُراسانُ عن صبيِّزها كسرت كانت قياداً لنا أنيابه العضل
الشرح: العضل: الغليظة.

هي العُصَل بالصاد: جمع للتاب الأعصل: وهو المعتوف - يصفون به ناب الصل.

وشبيهه الذي استقلت به العير من الحبّ خاضعاً كالطليح
والصواب: الجبّ: يشبهه بيوسف الصديق (ع)، يجوز أن يكون التصحيف مطبوعاً.

نماذج من شعر العلامة المرحوم الشيخ سليمان الأحمد في مدح أهل البيت عليهم السلام

نشأت على الدين الحنيف:

نشأت على الدين الحنيف على يدي ولقنتني بالقول والفعل هديه
أب من كرام أنجبوا وكرائم فأشرب قلبي حب أبناء فاطم
وكهلاً ومذ نيظت عليّ تمائمي سلكتُ على منهاجه القصد يافعاً
وفي الله لم تأخذه لومة لائم وقد كان حرّ القول مبلغ علمه

فلا مطلب شاهده من معاصري

ماذا يقول المادحون بفضلكم :

يا عترة الهادي البشير بحبكم
ماذا يقول المادحون بفضلكم
سبقت فبشرت الوري بوجودكم
ضلاً امرؤ قصد الطريق وماله
فتلاوة الآي التي نزلت بكم
والسعي في نشر المناقب منكم
حلت مودتكم بقلبي فهي لي
حليتها فحياتي الأولى بها

سفينة النجاة :

إن طغى زغرب الضلال فأنتم
إن طه مدينة العلم حقاً
وهو الدين عنكم وإليكم
زينة الجسم في الحياة ولاكم
وبه قامت السماوات والأرض
يالها من مكانة قد تسامت

هبني للولاء لآل طه :

وقفت بباب عفوك مستغيثاً
أقلني ما جنته يدي إجتراماً
أنا العبد الذليل حططت رحلي
لجأت به إلى حرز حريز
فهني لي للولاء لآل طه
وما أنا للكثير بمستحقي

والأ سمت جداً إليه عزائمي

وبكم نصول على العدى ونطول
وبه أتى التأويل والتنزيل
بشري بها مستشرف جبريل
في سعيه منكم إليه سبيل
قربى إليه وذكركم تهليل
حج لكل موحد مقبول
حال بإذن الله ليس تحول
شرفت وفي الأخرى هي المأمول

لنجاتي بني البتول السفينة
والوصي الإمام باب المدينة
فاز من عنكم تقلد دينه
وهو للنفس في غد خير زينة
وأهل اليمين حازوا السكينة
شرفاً عند ذي الجلال مكينه

مؤود الظهر بالوزر الثقيل
وما أسلفت من قال وقيل
بياب السيد الملك الجليل
ومنه أويت في ظل ظليل
وظلك سيدي فاجعل مقيلي
ولا مولاي يرضى بالقليل

أفضل العالمين بعد الرّسول :

سيّد الأوصياء زوج البتول
محكمات التّنزيل والتأويل
سَيِّ وصيًّا فخلّ قولَ الجَهولِ
ولاءٌ وذاك حسبي وسولي

أفضلُ العالمين بعد الرّسولِ
صنوهُ من على معانيه دلت
كانَ منه مكان هارون من مو
قد تمسّكتُ منه بالعروة الوثقى

قدّمتُ للمُهيمِن الوهّاب :

قد عظم الأمر عن العتابِ
وجدَّ وجدِّي بي واكتسابي
لرحمة تُنال أم لعذاب
بين يدي نجواي وإقترابي
محمد وآله الأنجبابِ
وبابه الهادي إلى الصّوابِ
وخير من يمشي على الترابِ
والفوز في البدء وفي المآبِ

دعني لما بي فكفاني ما بي
وطال يا حسرتي اغترابي
وليتني أدري هل انقلابي
قدّمت للمُهيمِن الوهّاب
مُستشفعاً بصاحب الجنابِ
حبّ النبي المصطفى الأوابِ
وسرّ ما أنزل في الكتابِ
بهم أنال العفو في انقلابي

فكرت فيما يريح النفس :

وينقذ القلب من همّ ومن حزين
ولا أخوا منحة يخلو من المِحنِ
ضمن الشرائع والأسفار والسُننِ
صدق الولاء يقيناً في أبي الحسنِ
إن شئت تحيي حياتي ناعماً فكُنِ

فكرت فيما يريح النفس من وصَبِ
فما وجدت فتى يصفو له زمن
ولم أجد راحة للنفس كاملةً
إلاّ التقيّة والتسليم يعضدهُ
حييت في ذلك مراتح الضمير كذا

فعلُ الواجبات من العبادّة

تَشْكُكِ بالعبادة والزهادّة
عمل الواجبات من العبادّة
مستنبطاً بذل اجتهاده

لا يفخرونّ أخو ال
أنافى اعتقادي كلّ ف
مثل الفقيه بدينه

شهُمٌ يَسُودُ قَبِيلَةً
وَأَمِيرٌ جَيْشٍ بَأْذُلٌ
وَمُعَلِّمٌ الْأَوْلَادِ يُكْثِرُ
وَكِذَاكَ رَاعِي السَّرْبِ
كُلُّ يُؤَفِّي حَسَبَ مَنْزِلِهِ
وَمَنْ السَّعَادَةَ أَنْ تُكْ

كل شيء نيظ بسبب:

أَدَّى بِهَا حَقَّ السِّيَادَةِ
دَمَهُ يَصُونَ بِهِ بِلَادَهُ
فِي رُقِيهِمْ اعْتِدَادَهُ
يَدَأْبُ مَخْلَصاً عَنْهُ زِيَادَةَ
غُدّاً أَجْرَ الْإِجَادَةَ
وَنِ مَلْهُمَا طَلَبَ السَّعَادَةَ

لا تنسبوا إن جهلتم أصلَ حادثة
فقدرةُ الله جلَّ اللهُ صالحةً
لو كان في الكون شيء لا نظام له
ولم يكن من دعاء يستحيل ولو
وإنما كلُّ شيءٍ نيظ في سببٍ
فمن رأى الضبَّ في لَجِّ البحار له
لا تنكروا كلَّ ما لم تعلموا فلکم

إلى القضاء لضعف الفهم والفكر
أن يولدَ الناس من أنثى بلا ذكر
إذاً لجاز استواءُ العُرف والنكر
قلنا بجعل رواحِ الوقتِ في البكرِ
فقس من العالم العلوي وافتكر
حلٌّ أو الحوت يقفو مسرح العكر
أضيع بالجدد معنى جد مبتكر

العلامة المرحوم الشيخ أحمد محمد حيدر^(١) ١٣٠٨ - ١٣٩٥ هـ

جاء في كتابه القيم «ما بعد القمر»:

المقالة العاشرة الأديان ورجال الدين:

«إن تعصب أكثر رجال الأديان لأديانهم هو تعصب ملّي أو قومي، فأنا لم أرَ رجلاً من سائر رجال الأديان قدر أن يأتي بحجج معقولة تكذب الدين الآخر، وتثبت تحقيق دينه لا سواه، هذا لم أره، ولا أظن أن أحداً رآه، وجميع ما هنالك

(١) ولد المرحوم العلامة الفيلسوف الشيخ أحمد محمد حيدر في قرية حلة عارا - جبلة - محافظة اللاذقية - سوريا - يعتبر من أعظم علماء العلويين في القرن العشرين، له مؤلفات قيمة منها: ما بعد القمر، النغم القدسي، التكوين والتجلي، الحيرات، ومنها مخطوط: الهبطة، النفحات واللفحات، نائر الأوهام، الدماغ، شرح التبيين.

تأويلات وإحتمالات وتمحلات، والأخرى والأنكى تعادي أصحاب الدين الواحد، وتكفير بعضهم بعضاً، وكل هذا مما يلقيه رجال كل دين لتابعيهم، يصورون لهم حسنات الأديان الأخرى سيئات شنيعة. وأعجب ما عند الجميع، هو ما عند علماء فرق الإسلام من تفرقة، فيكف يكون الإسلام مصدر انشقاق على نفسه، وهو الداعي إلى الإيمان بجميع الرسالات التي سلفت، ولا ينكر منها إلا ما نسخته الشرائع نفسها؟! وربما كان هذا النسخ لاختلاف مقتضيات الزمن، وربما وجد لها تأويل جميل.

«لم يمنع العقل الإسلامي من التدين بما جاء به موسى (ع) مثل ما في الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين عن (لوط) النبي وابنته، وتعري نوح من ثيابه من جراء شربه الخمر، ولعن ابنه كنعان لأنه أخبر أبويه بتعري أبيه، ولم يمنعه حيلة يعقوب على أبيه برأي أمه (رفقة) حتى أخذ بركة أبيه دون أخيه (عيسو)، ولا قصة داود، وأوريا الحثي، وكيف أرسله أمام الجنود ليقتل، فيأخذ زوجته، وكان ذلك، ولا ما في قصة يوشع بأن الله قال له: «أذهب خذ لنفسك امرأة زنا وأولاد زنا»، ففعل، ثم بعد هذا الإصحاح أو في هذا الإصحاح، يقول النبي، «وقال لي الرب: اذهب أيضاً أحب امرأة حبيبة صاحب وزانية» كل هذا وأشكاله لم يمنع المسلم من تقديس الكتاب المقدس، ولكنه يعلم أن هذا وأمثاله مدسوس بالكتاب المقدس، ومعروف بداهة أنه ليس كلاماً إلهياً ولا نبوياً، لم يدعنا الإسلام إلى أن ليس إلا الإسلام، بل عرفنا أن الأديان كلها حق، وكلها طريق إلى الله، إلا أن الإسلام هو وحده الدين الصالح، بأحكامه المادية والمعنوية، للحياتين المادية والمعنوية، وقد حقق له الكثير من العلماء هذا.

«فالقُرآن يدين برسالات إبراهيم، والنبيين من بعده: ﴿وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط، وما أوتي موسى، وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم﴾^(١) وعدد القرآن أنبياء غير هؤلاء، وذكر أنه يوجد أنبياء لم يقصصهم على محمد (ص): ﴿منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٦.

عليك»^(١) «وإن من أمة إلا خلا فيها فيها نذير»^(٢) .

وكان الرجل النادر (مهاتما غاندي) يتكلم بلغة تعاليم الإسلام عندما قال :
«لا أريد أن يحجب عني داري الهواء من سائر نواحيه، بل أريد أن تهب عليّ رياح
الثقافة من كل الجهات، ولكنني لا أريد أن تأسرنني ثقافة من هذه الثقافات» .

ألا ترى ان هذه الكلمة وأمثالها، من سائر كلام الحكماء هي من النفحات
القدسية التي نفثها الإسلام على العالم، بأخلاقه وأحكامه؟ ومن هذا القبيل تبرم
الأستاذ «أحمد زكي» من الكلمة المأثورة عن الإمام علي، أو الخليفة عمر: اللهم
اعطني إيماناً كإيمان العجائز» تبرم منها لأنها - كما فهمها - ترمي إلى الجمود،
وتقطع الطريق على من يريد التقدم، ولكن قائلها سواء كان الإمام علي، أو
الخليفة عمر، لم يقصد منها إلا أن يجعله الله مؤمناً بالله والإسلام إيمان العجائز،
لأن العجوز عندما يبلغ العتي من العمر لا يقدر على تغيير ما اعتقد، وكيف يكون
معنى هذه الجملة غير هذا، وهما كلاهما من أركان دعوة داعية للتجدد أزلاً
وأبداً، قال (ص): «لا تخلقوا أولادكم بأخلاقكم، فإنهم ولدوا لزمان غير
زمانكم» .

«والمفروض برجل الدين، أن يكون حراً بتصرفه وتفكيره، وأن ينزه يده
ولسانه وجيبه وضميره عن كل ما يشينها، ينزه يده عن أن يمدّها لما ليس له، لا
يمدّها للتقبيل أو للإستجداء، فإن كلاهما لا يحل له، وينزه لسانه، عن أن يكون
مراحاً للرياء والتزلف، وينزه ضميره من تبعات الحقد والبغضاء، هكذا يجب أن
يكون رجل الدين، لأنه الوساطة بين الله والأمة، أليس من واجب هذه
الوساطة أن تكون شريفة النية والمقصد، لتكون مقبولة عند من تتوسط لديه؟!
بلى! التزمنا الناحية التي توهمنا أنها تظهرنا دائماً شكلاً ملائكياً في أعين الأمة،
فتضفي علينا مسوح الإكبار، والإعجاب، وتخولنا الحق في ابتزاز أموال الأمة
بالطرق المستقبحة، وسلب كرامتها، باستعبادها راضية وإخضاعها مسرورة،

(١) سورة غافر: الآية ٧٨ .

(٢) سورة فاطر: الآية ٢٤ .

لأنها تعرف أنها تؤدي واجباً إلهياً.

«لقد عمّينا على الفئة التي سمينها «عواماً» معرفة أي شيء من الحقائق، حتى صورنا لهم، أن تحت كل شيء من الأشياء ملكاً روحياً أو شيطاناً رجيماً، وأنهما تحت تصرف كل واحد منا، نسعد بهما من نشاء ونشقي بهما من نشاء.

«ومن جراء ذلك استفتى فئة (العوام) حتى عن الكبريت: هل يجوز إشعال النار به؟ وعن الإستصباح: هل تجوز الإستضاءة به في المساجد؟ وعن الهاتف: هل يجوز استعماله في المعاهد الدينية؟ وعن الجغرافيا وعلوم الطبيعة: هل يجوز تعليمها للتلاميذ؟ وقد كنا نحرم عليهم تعلم اللغة العربية، وحتى القراءة في أي كتاب، إن لم يكن مخطوطاً. وأعرف قرية من قرانا (حسب) لها منجم يقول بأن كل ولد يتعلم فيها القراءة يموت، فلم يتجاسر أب أن يعلم ابنه فن القراءة، حتى جائها بعض الشيوخ فتزكى من عدة رجال بها تعليم أولادهم، فزكوه بأن يعلموا أولادهم فنّ القراءة، مضحين بأولادهم، خوفاً من أن يردوا طلب الشيخ، فيقعوا تحت عقاب أمر من التضحية بالولد.

«لم نزل بهذه الفئة، فئة العوام، حتى أوهمناهم أنهم يعيشون من هذا العالم في سجن مغلق، وأن كل واحد منهم يعيش بين قبيلة من قبائل الجن، الذين لا يرى منهم إلا آثار أفعالهم، حتى اعتقد كل واحد منهم أنه إن مد إصبعه إلى شيء ما، لا بد من أن ينطلق منه، شيطان متربص، أو ماردم محبوس.

«أما الآن فقد انتبعت العقول المغفلة، واستمد العوام من دينهم الإسلامي دين الفطرة ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾^(١) استمدوا منه، بيقظتهم، طرق التقدم في كل شيء، وعلموا: «أن طلب العلم فرض على كل مسلم ومسلمة» وعلموا أن المسلم أولى من غيره بكل علم، لأن الإسلام علم الدنيا والآخرة، علم الحق والخلق»

«ويكفي ما احتقناه من أوزار هؤلاء المتخلفين الذين أخرناهم ولم نتقدم،

(١) سورة الروم: الآية ٣٠.

فعلى التحقيق أنهم لولانا - نحن المشايخ - لواكبوا ركب التقدم، وسايروا موكب الحضارة والعلم، ولكننا عملنا وعملنا لنبقيهم كما هم فنبقى نحن أشياخهم المتصرفين بهم كما نحن» .

«ليس في أصل الإسلام الجمود على عادة موروثه، ولا رفض شيء جديد لأنه جديد، إننا لم ندرس الدين الإسلامي دراسة وافية، ومن منا درس منه شيئاً، فإنما اقتصر على جهة من جهتيه: المادية المحسوسة أو المعنوية المجردة، فمن تعرف على جهته المعنوية أدير بكليته عن جهته المادية، إلا القليل من أعلام علماء الإسلام، ولا تتم معرفة الإسلام معرفة صحيحة، إلا بمعرفة الجهتين المعنوية والمادية، والعمل بها حسب المستطاع» .

«ولا أغالي إذا قلت: إننا أهملنا كلنا هاتين الجهتين، إلا ما اتخذناه آلة للتمويل، ولخبرتنا أن التمويل عن طريق «التمشيح» يحتاج أحد أمرين: إما الشكل العلمي الأخاذ، بالعمة الناصعة البياض، الأسطوانية الوضع، الطويلة اللف والمدار، والجبّة الفضفاضة المتموجة مع إتقان هيئة مشيتها الوثيدة، وإما الشكل الأبله الوديع، مع رخامة الصوت وتهلهل الثياب وخشونتها، وتنكيس الرأس، والعصا القوية الشاذة الهيئة، والخطوة الوثيدة، قليل منا من تعدى هذين الشكلين، وقليل منا من انتسب إلى أحدهما إلا وتمول» .

«والمؤسف القاتل، أن الشباب المثقف قلما أعطى من وقته شيئاً لفهم شيء من كتاب أو سنة، وقد إبتلوا (منا) بمن لا يعلم، إلا أن العلم نفس الدين نفساً، حتى لم يبق منه ولم يذر، فحينئذ صار كالمتيقن أن الدين خرافة، وزاده تيقناً، بظنه هذا، إفتاء بعضنا، بأن العلم يتنافى مع الدين، وما حققنا بهذا الإفتاء الا تعريفنا عن أنفسنا، وأن هذا نصيبنا من العلم، ويتضح لك هذا جلياً إذا سمعت أحداً يؤول آية كريمة، أو شيئاً من الحديث الشريف، فسمع منه ما يناوىء الحديث والقرآن» .

«وما أروع ما ورد عن أفلاطون: بأنه «لا يرى علماً يرفع نظر النفس إلى فوق، إلا إذا تناول الأمور الحقيقية غير المنظورة، فكل من حاول درس موضوع

محسوس، لا أراه تعلم شيئاً فنفسه ناظرة إلى تحت لا إلى فوق، ولو استلقى على ظهره وعيناه إلى السماء».

إننا من هذا السواد الأعظم، ولا فرق بيننا وبينه، غير أننا درسناه وعرفنا كيف نتلاعب به، ليلتف منه حول كل واحد منافئة تقده وتمجده ولا تزال الهوة عميقة واسعة، بين السواد من الناس وبين أحرار العلماء، ولكن العلم، مهما حورب، ونكل بأهله، لا بد من أن ينتصر، فسقراط مات مسموماً، وأفلاطون بيع بسوق العبيد، وأرسطو فر من أثينا وانتحر، وفيثاغورث مات قتيلاً، وسجن الرئيس ابن سينا، وهكذا ولكن سقراط لم يمت، وأفلاطون حرر العبيد، وأرسطو نحر الجهل، وفيثاغورس عاش مؤبداً، وابن سينا سجن الخرافات، وقد تقدم شيء من هذا.

إنني أرى أن شر الناس في الإسلام من يحرم على خلق الله أن يتفكروا في خلق الله، ومن يحرم الإجتهد على العلماء العادلين، فيما دون النص، فيكون قد قضى على الإنسانية بالحرمان من نعمة العقل والعلم، والإنسانية نفسها ليست شيئاً إلا نعمة العقل والعلم.

«ألا يجب أن نؤمن بما جاء من الآيات القطعية الدالة التي لا تتعارض مع قطيعات العلم، فإن العلم المشكوك بصحته إنما يتعارض مع المشكوك بصحته من الدين، ولذا يجب أن نسوق الدين مع العلم بالسنة الكريمة، أو نبقي مع بلاهتنا متدينين، دون أن نعكر على العلماء علمهم وجليل مباحثهم، عدا عما نرميهم به من ضروب التفكير وأنواع الإلحاد، ونعلم الناس بغضهم واحتقارهم، احتقاراً للعلم والأخلاق، فتجر بذلك علينا، من العلم وأهله، كوارث الإستصغار والاحتقار».

وما أحسن ما قال فوتير: «رجل الدين الغبي يثير احتقارنا، ورجل الدين الشرير الرديء يولد الجزع فينا، أما الناضج المتسامح، البعيد عن الخرافات، فهو الجدير بحبنا واحترامنا».

«إن ركب العلم ماض، وموكب الحضارة سائر يكتسح، لا يقف أمامهما

شيء، يمهدان العقاب، ويذللان الصعاب، إذا استسلمنا لهما طائعين، وإلا استسلمنا مكرهين. فالكشف المذهل تلو الكشف، والنظرية إثر النظرية، ولا مناص من مواكبتهما، وإلا نابذنا العلم وكذبنا الحقائق، فقذفتنا الحضارة من حالق، وسحقنا العلم بأرجل الجهل، بنكرانا عظمة الله.

«فهل يكون لنا عذر إن عملنا عمل رجال الدين، في كل زمن من الأزمان، فالمعروف عنهم أنهم إن لم تتهياً لهم سلطة تمكنهم من اضطهاد العقل والعلم، التجأوا إلى الغيبة، ولاذوا بالنميمة، وتدرعوا بالشتائم، وتحصنوا بالإقذاع، كما نحن فيه الآن، ولكنهم إذا تمكنوا من سلطة قوية تمكنهم من اضطهاد العلم والعقل، انقضوا عليهما، يجندلون ويفترسون.

ولعلك علمت عن (محكمة التفتيش) وجمعية (الأكليروس) كيف طاردتا أحرار الفكر، وأغمَلتا فيهم الحرق والتقتيل والشنق.

[وإليك نبذة عن محكمة التفتيش وأحكامها]:

«أنشأ البابا (جريجوري) التاسع محكمة التفتيش، أو ديوان التحقيق، عام ١٢٢٣ م وكانت هذه المحكمة أداة عاملة لقوى الجهل، ومبدأ هذه المحكمة: (لأن يدان مائة بريء زوراً وبهتاناً، ويعانون العذاب ألواناً، خير من أن يفلت من العقاب مذنب واحد، ومن ساهم في تقديم الوقود الذي يحرق به الملحد استحق المغفرة).

«وأصدر مجلس الفاتيكان في عام ١٨٧٠ قراراً بأن (البابا معصوم من الخطأ) ولكن وواحسرتاه على العباد، مهما سخطنا ونكلنا وكفّرنا، فالفكرة الصحيحة حية لا تموت، لأن الذي يموت هو الذي شمله الزمان والمكان، وما لا يتقيد بزمان ولا مكان لا يقوى عليه الفناء، لأن حركته دهرية وحركتنا العملية هذه (ويا حسرة على العباد) مكانية صرفة لأنها وليدة الجهل.

«وأرى أن الكلمة الأخيرة التي وجهها سقراط لحكام أثينا الذين حكموه بأن يشرب السم فيموت، هي الكلمة التي يقولها كل حكيم لقومه الظالمين له، فإن لم

يكن قالها لفظاً فقد قالها فعلاً .

«قال سقراط : «لو أنكم اقترحتم إخلاء سبيلي، بشرط أن أتخلى عن بحث الحقيقة، لقلت لكم: إني أشكركم أيها الأثينيون، ولكن أؤثر أن أستجيب لطاعة الله، الذي أعتقد أنه هيأني لأداء هذه الرسالة، على أن أنصاع لرأيكم، وما دام بين جنبي نفس يتردد، وقوة أشعر بديبها في كياني، فلن أتوقف عما أنا به» .

* * *

المقارنة بين عيسى ومحمد (ع)

رأيت كثيراً من الشباب تروقه دعوة عيسى (ع) أكثر مما تروقه دعوة محمد (ص)، وذلك لما بدعوة عيسى (ع) من الرفق واللين، ولأنها قامت بالمعجزة فقط، ودعوة محمد (ص) قامت بالسيف، كما زعم النصارى، لذلك أحببت أن أكتب مقارنة بين الدعوتين، فأقرأها - أيديك الله - وعلمي مما علمت رحمك الله :

أنت تعلم أن الله سبحانه خلق الأشياء كلها ذوات ظواهر، وبواطن يعرف باطنها بواسطة ظاهرها، وخلق الله كل ما خلق من الأضداد، في عالم الكون والفساد، لأجل الإنسان، لأن الإنسان صفوة الأكوان وخلاصة العوالم ومجتمع الحقائق، فلو قابل نسخة العالم الكبير على نسخة العالم الصغير، لرأى نفسه جامعاً للجميع، ووجد نفسه نباتاً وحيواناً وملكاً روحانياً مادياً جسمياً ومجرداً صرفاً ومحسوساً بحتاً ماءً وناراً، وهواءً وتراباً، رحماناً وشيطاناً، سبعاً وشاة، وهكذا . . من كل محسوس ومعقول . وحي وموات، وساكن ومتحرك، وهو خليفة الله، في الولاية والحفظ والرعاية، له وجه في الحدث يمدّ به، وهو

النفس، ووجه في القدم يستمد به من الخالق، وهو العقل، وخلع على هذا الخليفة أسماء وصفاته، بإلقاء مقاليد الأمور إليه، و تنفيذ تصرفاته في ملكه وملكوته، وتسخير الخلائق له، بحكمه وجبروته، وجعل له، بحكم إسميه الظاهر والباطن، حقيقة باطنه وصورة ظاهره، ليتمكن بهما من التصرف، فحقيقته الباطنة هي الروح الأعظم، والعقل وزيره، والنفس الكلية خازنه، أما صورته الظاهرة فهي صورة العالم من العرش إلى الفرش، هكذا قال الجميع، ولذلك جعل الله للإنسان تكاليف تقوده إلى الله مناسبة لتركيبه، فلطيفه يجب أن يكون تكليفه لطيفاً، ومحسوسه يجب أن يكون تكليفه محسوساً، فأرسل الرسل مبشرين ومنذرين، محللين ومحرمين، تطهيراً لأجسام البشر وعقولهم، وتصفية لأرواحهم ونفوسهم، وتوسعه لمعارفهم وعلومهم.

ولكن الدعوات الإلهية تمثت مع المدعويين، بقدر عقولهم واستحقاق قبولهم، لطفاً من الله، ورحمة من تكليف ما لا يطاق، وفرض ما هو فوق المحتمل، فكانت الشريعة الموسوية مادية صرفة وديوية بحتة: «من آمن به وصدقه خصبت زروعه، ودرّت ضروعه، وتضاعف نبته، وكثر خيره. . ومن كذبه افتقر وذللّ، وأخذته البلايا والمحن، من صواعق محرقة إلى ضفادع مؤذية، إلى قلب الماء دماً، إلى طوفان القمل والجراد وما أشبه» ليس بها أثر للأخرة فلا جنة ولا نار، كما هو مبسوط في محله.

ثم كانت الدعوة العيسوية أخروية بحتة وروحانية صرفة: «من ضربك على خدك الأيمن، فحوّل له الأيسر أيضاً»، و: «من سخرك ميلاً، فتسخر له ميلين» و: «من طلب رداءك أعطه ثوبك ورداءك» و: «لا تدخر مؤناً فالذي يرزق الطير، تغدو خماصاً وتعود بطاناً، يرزقكم» كلّ هذه الدعوة الشريفة على هذا النمط، لا بل تزيد على ذلك. . بالحرية التي تكاد تكون مطلقة بالمآكل والمشارب، كقوله (ع): «أما تفهمون أنّ كل ما يدخل الإنسان من الخارج لا ينجسه، لأنه لا يدخل إلى القلب، بل إلى الجوف ثمّ يذهب في الخلاء» وفي قوله هذا، جعل الأطمعة كلها ظاهرة، ثمّ قال لهم: «ما يخرج من الإنسان هو الذي ينجس الإنسان، لأنه من باطن الناس، ومن قلوبهم تنبعث مقاصد السوء، فالفحش

والسرقة، والقتل والزنا، والطمع والخبث، والغش والفجور، والحسد والنميمة، والكبرياء والسفه. . جميع هذه المنكرات تخرج من باطن الإنسان، فتنجسه» «وأما الأكل، بأيدي غير مغسولة فلا ينجس الإنسان» .

وهذا هو الذي هوّن على أتباعه أكل المحرّمات في التوراة، كالخنزير والحلزون وغيره، لا يفرقون بين شيء وشيء، وقد قدّموا للمسيح (ع) امرأة قبض عليها وهي تزني، فقالوا له: إن موسى أوصانا أن مثل هذه ترحم، فانحنى يكتب بإصبعه على الأرض، فاستمروا في سؤالهم، فقال: «من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر، فخرجوا وبقي المسيح والمرأة، فقال لها: أما أدانك أحد فقالت: لا، فقال وأنا لا أدينك، اذهبي ولا تخطئي» .

أبمثل هذه تكون شريعة صالحة لقيادة البشر وتنظيم أمورهم؟! وأي نفس ليس لها وازع من حكم، وراذع من شرع، تقدر على ضبط أمرها وحزم شأنها، فتسير حيث الأوامر الإلهية، وقد هيء لها أن تنشط من عقاب الشرع وعقابه؟ لا بل من عذاب الضمير، وخوف التشهير أيضاً؟! لأنها أحكام نبي داع إلى الله، بمعاجز وقدر، ونصائح وعبر .

يقول بولس: من تلامذة المسيح - في رسالته لأهل رومية: «وأما أنت، فلماذا تدين أخاك؟ وأنت أيضاً، لماذا تزدري بأخيك؟ لأننا جميعاً سوف نقف أمام كرسي المسيح لأنه مكتوب أنا حيّ، يقول الرب: «إنه لي ستجثو كل ركبة، وكل لسان سيمجد الله، فإذا كل واحد منا سيعطي عن نفسه حساباً لله، فلا يحاكم أيضاً بعضنا بعضاً» .

وأما شريعة محمد (ص)، فإنها جمعت بين المحسوس والمعقول، والمادي والمعنوي، وأعطت لكل أحكاماً على قدره، مصداقاً لقوله (ص): «لكل نفس تكليف»، و«الطرق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق» فدعوته (ص)، ثلاث رتب: الرتبة الأولى: الشريعة، وهي أحكام المحللات والمحرّمات، والأوامر والنواهي، ويندرج تحت أحكامها العموم، العالم والجاهل، والمتعلم والامي، والذكر والأنثى: «السارق تقطع يده»، «والزاني يجلد» والقاتل يقتل» لا

يستثنى من هذه الأحكام أحد، هرباً من الفوضى العاملة على تهديم الأخلاق وتحطيم النظام. ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾^(١).

الرتبة الثانية، وهي الطريقة: فكان الشريعة، بجميع أحكامها، طريق إلى معرفة ما وراءها، من أسرار وأحكام، لا يجوز أن يعرفها رجل الشريعة، وإذا عرفها لا يجوز أن تفرض عليه أحكامها، حتى تظهر آثارها عليه، فتكيف أعمالها وتسير به إلى أمثال أوامرها فهو مكلف بأحكام الشريعة فقط، وصاحب الطريقة يكلف علاوة على التكاليف الشرعية، بما فرضت عليه أحكام الطريقة، بأن يصفح عن المسيء، وأن يواسي أخاه، بكل المواد الدنيوية والأخروية، وأن ينفق على إخوانه من فضلات رزقه: ﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾^(٢) أي الزيادة، وهذا زيادة عما فرض على الرجل الشرعي، لأن الرجل الشرعي لم يكلف إلا بالنصاب المذكور في كتب الشريعة، فهو من الذهب والفضة جزء من أربعين جزءاً، وكذلك الحبوب وغيرها، فرض على كل منها فرض خاص، وذلك لأن الرجل الشرعي باقٍ على استغراقه في حب المادة، لم يروضه العلم الإلهي، ولم تهذب الأخلاق الشرعية، ولم يتذوق برد الإيمان وحلاوته، فيرى ان التقرب لله سبحانه بالأشياء المادية الفانية أولى من تمتعه بها وادّخارها.

الرتبة الثالثة: الحقيقة من وراء الطريقة: وكان الطريقة بكل معارفها وأعمالها طريق مؤد إلى الحقيقة، ولها شروط وأحكام وآداب تتعالى عن معرفة صاحب الطريقة، فلم يرض (ص)، من صاحب الحقيقة أن يعفو عن المسيء، كما رضي بذلك من صاحب الطريقة، بل أمره بالإحسان إليه، ولم يكتف منه بالنصاب الشرعي، ولا المواساة، بل فرض عليه المساواة، وهي أن يقاسم أخاه جميع ما يملك، جاهه وسيفه وسراريه، وكل شيء يملكه دون زوجه، لأن زوجه ليست مُلكاً له، لا بل أمره أن يؤثر أخاه على نفسه. ﴿يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾^(٣) فصاحب الشرع شأنه القيام بالأعمال الشرعية وأحكامها،

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٩.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٩.

فإن تعدى نواهيها اقتصر منه، رياضة لنفسه، ورعاية للمجتمع الإنساني، ولأنه لم يروّض بعد، ولم يقدر على احتمال أذى الآخرين، لكبر في نفسه، وعنجهية ممقوتة تملك عليه ميوله وأهواءه، رضي الله له أن يقتصر نفسه من ظالمه، ولكن بالعدل، قال سبحانه: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾^(١) وقال علي (ع): «ردوا الحجر من حيث جاء، فإن الشر لا يدفعه إلا الشر» وإنفاقه من ماله، بحسب ما فرض الشرع فقط، وصاحب الطريقة باقٍ تحت أحكام الشريعة، ياتمر بأوامرها، ويتهي عن نواهيها، وعليه أحكام لنفسه خاصة، فحكمه، في مقابلة العدوان، الصّبح عن المسيء، وحكمه في الإنفاق، أن يُنفق من ماله جميع ما لا يحتاجه، علاوة على الزكاة المفروضة وحكمه مع إخوانه، أن يواسيهم في سائر الشؤون وصاحب الحقيقة، باقٍ تحت أحكام الشريعة، وله أحكام لنفسه خاصة، لم يرض له الشارح الأعظم (ص)، مقابلة المسيء، ولا العفو عنه، بل فرض عليه الإحسان، ولم يرض منه النصاب من ماله ودوابه. الخ. ولم يرض منه المواساة، بل فرض عليه المساواة، وهو أن يقاسم، أخاه بكل ماله، من مال وجاه وغير ذلك، وهو قوله (ص): «لكل نفس تكليف» و: «الطرق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق وحسنات الأبرار سيئات المقربين» يدل على هذا، عليه أن يؤثر إخوانه على نفسه، وعلى هذا: إن الذي يُعطي الثوب والثوبين، ويتسخر الميل والميلين، هو محمد (ص) لا السيد المسيح وحده عليه السلام، فتكليف المسيح عامٌ بوجه واحد، ولا تكليف هناك يجرّ النفوس ويضبطها، فالنفوس تألف الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، وتحن إليها، ما لم تروّضها الشريعة على سلوك الطريقة لاعتناق الحقيقة. فإذا تركت هذه النفوس المملأى بالشر من فرعها إلى قدمها، دون وازع شرعي وقانون للإقتصاص الإلهي، كانت الفوضى، وعمت الإباحية. أتردعها كلمة المسيح، صلوات الله عليه وسلامه لا دينونة إلا لله؟.

وأما المعاجز فلم تكن لعيسى (ع) معجزة، من إحياء ميت، وإبراء أكمه أو

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٤.

أبرص، وما أشبهه، إلا كان لمحمد (ص) ضعفها من نوعها، ولمحمد (ص)، معاجز لم يكن لعيسى مثلها، وهي معاجزه السماوية، كعروجه إلى السماء بيدنه، وردّ الشمس وشقّ القمر وما أشبه ذلك، ناهيك عن المعجزة الخالدة التي لا يقوى الدهر على إخفائها، وهي القرآن الكريم الذي ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾^(١).

وأما نطقه في المهد صبيًا، فلم يكن له وحده، بل كان ذلك لكلّ الموالي الكرام، زدّ عليه نطقهم في البُتون.

أما ولادته (ع)، من غير أبّ فمحمد (ص) أول مبتدع من نور الله، وهو الأداة التي كوّن بها المكونات، فهو أبو الآباء كما مرّ، وهو على ذلك أبّ للمسيح، ولا أتعدى الحقيقة إذا قلت: إن دعوة موسى (ع) وقد أتته وهو شيخ - ودعوة عيسى (ع) أتته وهو صبي، ودعوة محمد (ص) أتته وهو شاب، وإن كمال كلّ من هذه الدعوات بكمال صاحبها، وهذا هو المقصود، بقوله سبحانه: ﴿محمدٌ رسولُ الله والذين معه أشدّاء على الكفارِ رحماء بينهم تراهم ركعاً سجدّاً، يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل﴾^(٢).

وقد يضربون أمثالا لهذه الدعوات الثلاث، من هذه الأمثال: النظر إلى المرأة فمن الناس من ينظر إليها، من حيث صفاؤها واستدارتها، وتحذّبها وتقعرها، من غير رؤية صورة فيها، أو من غير شعور بصورة فيها، وهو مثل الشريعة الموسوية، ومنهم من ينظر إليها، من حيث كمالها و صفاؤها، وهو مثل الدعوة العيسوية. ومنهم من ينظر إلى الصورة التي فيها، وقد ينظر إليها في حال كونها لا حكم لها في نظره سوى إرائته الصورة شاعراً بنفسه، بنظره إلى المرأة، وشاعراً بنظره إلى صور الأقسام الثلاثة السابقة، وهو مثل الدعوة المحمدية.

وأنت ترى أنّ النظرة الأخيرة في المرأة، هي الجامعة لجميع مفاعيل

(١) سورة فصلت: الآية: ٤٢.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

المرآة، وإلى هذا يشير قوله (ص): «إنما العلم ثلاثة: آية محكمة، وفريضة عادلة وسنة قائمة، وما خلاهنَّ فضل». فالشريعة المحمدية هي الجامعة بين المحسوس والمعقول، والمادي والمجرد والوحدة والكثرة، وما أشبه، كما اتفق عليه نظراً أكثر الفلاسفة القدماء والمعاصرين، حتى الماديين منهم فهي الدعوة الصالحة للحياة، العامة والخاصة، دون غيرها من الدعوات، وأما أن دعوة محمد (ص) قامت بالسيف فهذا ما أوجبه لدعوته، جميع الفلاسفة الذين درسوها، وكذلك جميع الأنبياء، حاربوا وحُوربوا وقاتلوا وقوتلوا، كما في التوراة وغيرها، فالنفوس التي لم تعمل بها الدعوة الحكيمة، والموعظة الحسنة، والمعجزة الباهرة، فما عسى أن يكون دواؤها؟ وإذا نقص الجوهر عن العيار، فلا مطهر له إلا النار.

على أن هؤلاء الأنبياء الثلاثة صلوات الله عليهم، كل منهم كلمة الله سبحانه، غير أن من الكلمات الإلهية، ما هو كمل، ومنها ما هو أكمل، وكان بودنا التوشع بهذه المقالة، غير أننا آثرنا الإيجاز بها كغيرها من مواضع هذه العجالة، لأن استكناه أي شيء، من كل فن من الفنون، يعبر عنه، وعرض شيء، من أي نوع من الأنواع، يدل عليه وما توفيقى إلا بالله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم والحمد لله وحده.

نماذج من شعر العلامة المرحوم الشيخ أحمد محمد حيدر

الطابع القدسي

دلّهنتي عني، نهى وضميرا	حادّثات أضنينني تفكيراً
حادّثات نكب الهبوب، إذا	جشّن على خاطر أناخ، كسيرا
ورماني التفكير في لجة	تملك مني التقديم، والتأخيرا
زرعت بي أمواجها سعة الك	ون، وجاوزن بالفضاء الأثيرا
ثمّ جزن الأثير في لألات الد	ور، ينفي من نفسي الديجورا
وإذا عالم يفيض جلالاً	وجمالاً، مقدساً مبرورا
تتجلي به الألوهة لطفاً،	وسناء ورقة، وشعورا

عالم، كله حياة، وعلم
 شمتُ فيه القرآنَ والصُّخْفَ
 كُلُّهَا يَبِينُ المعانِي، ولا
 واضحاتِ الأحكامِ، مشرقة
 ثم أني هبطت لالأرض مطع
 فإذا بي طبعت بالطابع القدسي
 لا أرى للشُرور ظلاً، ولا
 إنما الشرّ منك فيك تجلّي
 ومن النفس قد تحدّر للنفد

* * *

يبهر النور فيهم المستيرا
 والأنجيل فيه وفيه شمتُ الزُّبُورا
 تحتاج فيها التحليل، والتفسيرا
 الآراء، معنى مقدساً، وسطورا
 سون الأمانِي مخبلاً مدعوراً
 أصغى مني، وأسمى أمورا
 للبوُس معنى ولا أرى تكديرا
 هائل البطش، فأحذر الشريرا
 س الرزايا، ببؤسها تحديرا

إنَّ هذا الوجود فيض من
 العشيات كم يسلن نضاراً
 والشروق الفتان، يترك بالعد
 والسفوح الوسام، والقمم الشد
 والسهول الفساح، والأكم
 فالجمال المرثي تشتفه العين
 والذي يجتليه عقلك، أو ير
 كله مجةً من النور، ألقا
 كالمعاني برزن باللفظ أنفا
 يعرف العقل ذاك أما أجال
 وغني عن ذاك من لِدَوَاعِي
 واستباه الرسول من محكم
 وتوخي أسماءه، ثم ما شا
 فاغتدى بأسمه البشير بشيرا
 فاصطفاه نور الإله محلا

القدس، وما كان فيضه محظورا
 يملأ الكائنات مرأى نضيرا
 ين ضياء، وبالنفوس سرورا
 م، يغازلن في السماء العبورا
 الغرّ، نظيماً مجموعها، ونثيرا
 رؤى، تملأ القلوب جبورا
 تد عنه طرف الأمانِي حسيراً
 ها وجودا كما تراه كيرا
 ساً ودراً، منظمأ مثورا
 العقل في الكائنات طرفاً بصيرا
 الله ألقى التحليل والتفسيرا
 القرآن يلقي حديثه المأثورا
 هن فعلاً ومقولاً وضميرا
 واغتدى باسمه النذير نذيرا
 لتراييه فاستفاض منيرا

الجمال المطلق :

ومعاني فنونها الغامضات
بنفسي مكامن النزعات
جع عهد الصبا نقي الحياة
رائع الشكل، رائع القسّمات
س يرد العيون منكسرات
أفلاك وساع، وأنجم دائرات
مسكر اللون، عاطر النفحات
تهتز أرتياحاً لعبير النسّمات
بالعيون السواحر الطائشات

* * *

آدماً، يغتدي على عرفات
ق الودّ، صادق النظرات
تخوم الأوهام، والترهات
ناعم الودّ، مشرق الذكريات

* * *

الغيب عن مجتلى المنى عاريات
المعاني منارة واضحات
تتباري بكونها مشرقات
أن الأذن صما، والعين في ظلمات

* * *

بين «عزى» من الشيوخ «ولاة»
واستباحوا عواصم الحرمات
تحتل أرفع الدرجات!
مكان السنّا من الحدقات

يتجلّى بالموت سرّ الحياة
وهو سنّة التحول يحتل
ما أحبّ الأشياء تفنى لتستر
الجمال القدسي في كل شيء
هو لطف على البدور وبالشم
وبعرض السّماء منظوم
وعلى الزهر بالرياض رفيف
وفنون على الأفانين
وأفتان على الوجوه وسحر

كل شيء عرفته كنت منه
وتراه في كونه وامحاه صاد
يتخطى إلى الحقائق والحق
لم تزل منه في صفا ووفاء

لم تزل هذه الشعوب وراء
حجبت دونها العمائم أفاق
غيبتها عن كونها، والمعاني
تسمع الأذن، أو ترى العين

يا آلهي لا تتركني وحدي
اكلوا الشعب بين خضم وقضم
مزقوه! يا للعشيرة الشعاء
الموالون منهم وهم مني

هم مجتبي، وهم حسامي وهم
وأرى في ولائهم جنة الله
غير أنني - ويغفر الله - أشقى
ألفوا العجب، والتكبر

الهبطة:

هبطت إلى ذي الدار أمتار ريعها
هبطت وليس الذنب مصدر هبطتي
هبطت ليعطى الكون في كماله
وأبصر آيات الإله سوافراً
تعاقبُ أبداني على الروح ريثما
علمت بأني في بلائي، فائز
فإنَّ تكُّ بي تلك المصائبُ صبة
وإن نغصنتي الحادثات فريعتها
وإن حُيسَّت روعي بجسمي فإنها
أتجني وتغدو في الهوى متجنباً
وتغلبك الدنيا على العقل والحجى
تساقلت دون الركب تهزأ بالمنى
وتأوي إلى المرت الجذوب ودونها
حجبت ولكن عنك فيك بما جنت
ومنك إليك الخير والشرّ خلفه
فهلا وصلت السير لله بالشورى
وفزت بما فازوا به بعد بغده
وهلا وصلت الليل بالصبح قانتاً

* * *

درعي وهم فتكي وهم عزماتي
ونعمى ظلالها، الوارفات
للذي في فعالهم من هنات
مجنون التمني، مُخَبِّل الغايات

بما سنَّه المختار والآل والصحبُ
وفي جنب عفو الله يحتقر الذنب
وأكمل فيه هكذا حكَم الربّ
يضاحكني في ظلها الأمل الرطب
تظهُرُ والتكرير يحتاجه العذب
بنعمى جلالِ القدس فاستسهل الصعب
فإني بها من ذلكم مغرم صب
بكفي أسلابٌ وانتاجها نهب
مع القيد بالإطلاق منزلها رحب
رويدك لا لوم عدك، ولا عتبُ
وتحزُن للبلوى إذا حزن الدرب
إلى أن مضى فيما أبتغى واشتهى الركب
البابل والأغصان والماء والعشب
يداك فما يجني وماذا جنى الحجب؟
ومنك إليك الصدع تخشاه والرأب
تخبّ به فيك المطهّمةُ القبُ
وجزت مدى أمياله الدهر والحقب
ولللظم لو طال الرشا يُمتَحُ الغرب

* * *

لك الغيب لا ما دونه الأنجم الشهب

بلهت إذا ما قلت بالغيب إنما

أراه وهل حُبُّ هناك ولا حِبِّ
وهل مطر إلا ومصدره السحب
وهام به قلبي الجحاحجة الغلب
نقياً فشابوا مخلصين كما شبا
خلالهم حسنى، فعالهم ندب
نضار ويروى ثم يخضوضر الجذب
فيهدأ بِلْبَالِي، ويلتئم الشعب

أرى ما يسمي عالم الغيب كل ما
وهل شعة إلا لذات مشعة؟
جمال وجودي في وجودي عشقته
تصباهم قلباً نقياً وقلباً
خلالهم تقوى شمائلهم هدى
عليهم صلاة الله سحبا لخصبهم
وأهلني ربي لأحظى بما حظوا

العلوية الخالدة للشيخ حمدان عيد الخير^(١)

المقدمة:

اني إليك أبا السبطين أهديها
فيها وتكسو لآليه معانيها
يزهو برونقها الحالي ويزهيا
قد أحسن القول تمثيلاً وتشبيهاً
سبائك الدر تسبي لبّ قاريها
لكن هواك دعاني أن أجارها
زمامه ويُلينَ القول لي فيها
لا يستطيع يراعي أن يوفيا
لأعجزتني وان رقت قوافيا
وفي مناقبك الغراء أمليها
أنيقة يتحلى فيك حالها

حسبي عليها ثواباً حين ألقيا
رقيقة يتمشى اللفظ منسجماً
حبي يروح ويغدو في جوانبها
يا سيدي إن يكن غيري بغيركم
هذي قصيدته تبدو مقاطعها
ولست كفتاً لها حتى أجارها
فمُرْ عَصِي بياني أن يُعاطيني
وانني شاعر لم تشم موهبتي
لولا هواك وسرُّ منك في قلبي
حسبي من الخير أني فيك أنظمها
وحسب شعري إذ رفت مدائحها

عدم سجوده للأصنام:

رأساً كغيرك تقديساً وتنزيهاً

أصنام مكة دُكَّت ما حنيت لها

(١) هو الأستاذ الشيخ حمدان عيد الخير - ولد سنة ١٩٣٥ م في القرداحة - جبلة - محافظة اللاذقية بسوريا، شاعر كبير من شعراء الجبل العلوي، له ديوان شعر مخطوط.

من السجود إلى أرباب أهلها
ثيابها البيض لم تَدَسَّ حواشيها
جسم لتخضع إلا كنت تشيها
على الدياجير لا بيضت نواصيها
والناس قد ألهاوا الأصنام تأليها
وعن منصاتها يوماً سترميها

حميت فاطمة لما علقت بها
طوت ليالي شهور الحمل طاهرة
ما أقبلت وهي ترجو أن يطاوعها
فجئت طهرك لو رفئت أشعته
وجئت رأسك لم يسجد إلى صنم
كأنما كنت تدري عن منابرها

ولادته في الكعبة:

ونعمة ليس من نعمي تظاهيها
نوراً تجلي بهاء في نواحيها
لا يستطيع مبار أن يباريها

مولاي أحرزت في التاريخ مكرمة
ولدت في الكعبة الميمون طالعها
وهذه في سماء الفضل منقبة

نشأته في دار النبي (ص):

ماتت بها الأرض وأجست مجانيها
يعيش فيها وجيع الحال شاكيها
يرفهان عليه العيش ترفيها
وتنقذ البيت من حال يعانيها
يؤويه داراً ينال العز أويها
بغارِه وطريفُ المجد يزهيها
خمائل الطهر والإيمان ناديها
وأشرقت من معاليه معاليها
ومن زكي لآليه لآليها
إلا وتعلم خافها كباديها
عطراً إذا نشقته النفس يحييها
حتى حسيناك في خلق كبايها
يوماً وتزداد تأدياً وتفقيها
أخلاق طه تُنقيها وتُصفيها

دارت على الناس أعوام مرزاة
وكان والدك المفضل من عوز
فجاء أحمد والعباس منزله
قالا: نشاطره أفراد أسرته
فاختار طه أبا السبطين حصته
نزلت داراً تليد العز يعصبها
داراً يجللها إعظامها فرشت
جاءت عن المصطفى أطياب رفعتها
وضيئة بعد بيت الله رتبها
منها تعلمت حتى ليس مسألة
فيها تشبعت إيمانياً كأن به
أخذت من خلق بايها مباديه
تحيا وصاحبها خلين ما افترقا
يا حبذا صحبة قامت على شرف

إسلامه كما ذكر التاريخ:

مهما تبسّط شرحي لا يوفيهما
رَفَّت بطلعتك الغراء تزكيتها
بك الحنيفة وامتدت أمانها
بالغار تفتح للدينا مآقيها
فمن ليحيا به يرتاد ناديها
قماله صفحات العلم تنفيها
بها ترفرف كالأحلام تمويها
لزيد اسلامه قدرا وتبنيها
كل المفاخر معنى من معانيها
إلى الحنيفة يحيا في معاليها
فيه ولم ير طفلاً ينشي تيتها
يدعو صبيّاً صغيراً ليس يديرها
يرجوه من قدس دعواه مباديها
سيلها دون أن يهديه هاديها
سواه يبلغ أو يرقى مراقيها
حتى تبلغ فيها باريتها

مولاي تشغل بالي منك مسألة
أسلمت غصّاً أمارات الصبا شعل
أسلمت لما بلغت السنّ فابتهجت
لييت دعوة طه وهي ما برحت
قل لي إذا هو لا يرتاد ناديها
لكنّ إسلامه قالت به فئة
مقالة راية الإحجاف عالقّة
لو أنصف الحاكم القالي أبو حسن
اسلامه في كتاب الحمد مفخزة
إن كان صاحبه الهادي تعجّله
فإن صاحبه الهادي رأى فهما
ما كان طه إلى إيجاب دعوته
وإن تمشى إلى الهادي أبو حسن
إن كان إلهامه العالي أتاح له
فإنها رُفعت ما كان من أحد
ما قام طه ولا قامت رسالته

إسلامه كما يراه الناظم:

كأنها من عهودي لست أبديها
إذا خلوت إلى نفسي أناجيها
رأيي سأنشر للأجيال خافيتها
تاريخك الغذيحكها ويرويها
حقائقاً منك تستوحي معانيها
طه ودعوته العليا تليها
نشأت لو عرفوا فضلاً لناشيها

يا سيدي لي آراء أضنّ بها
تحيا بقلبي فتحيني وتؤنسني
لكنني وبيان البحث يسألني
إنّي لأعجب يا مولاي من قصص
ما كنت أرضى معانيها لأقبلها
هل صحّ لمّ بلغت الست سرت إلى
في دار طه وفي أكناف دعوته

دار تضاھي علاھ تتشي فيھا
 أجل منها إلى الإسلام توجيھا
 يرويه من صفحات الحمد راويھا
 وجہ البسيطة بالدعوى وداعيھا
 آختك في مھدك الزاھي أوأخيھا
 مؤرخُ كَتَبَ التاريخ تمويھا
 له الحقيقة في أسمي مجاليھا
 حتى مشي من ليالي الست ماشيھا
 بنودھا بربوع الأرض تحييھا
 يا جذا فيك إلهام يواليھا

ولدت في البيت معصوماً وجئت إلى
 فهل لهم سيرة من قبلھا عرفت
 وهل لهم ما تغنوا مثله شرفُ
 مولاي آمنت من يوم رأيت به
 رسالة المصطفى من قبل نشأتھا
 فكيف يقبل عقلي ما رماك به
 لو أنه أحكم الرأي السديد بدت
 لييت دعوة طه ما وقفت لها
 عرفتها قبل أن تعدو مرفرفة
 رأتك برأ يواليھا بفطرته

نومه على فراش النبي (ص)

وأحجم القوم فيھا عن تلقيھا
 وقد تهادى من الظلماء ساجيھا
 ويأمنوا في بواديهم تماديھا
 يحمي حقيقه طه من أعاديھا
 منهم فأسرع ينجيه وينجيھا
 ركابه في فجاج السبل يزجيھا
 ينضى تولى كسير العين باكيھا
 فيھا سهام من الآلام تدميھا
 فتم بها ليظنوا أنني فيھا
 فأدھا بعد أن أغدو لأهليھا
 طه تئأى وعن زاھي ضواحيھا
 وفات من أجل دعواه مباھيھا
 على ركاب له خفت ويطويھا
 على الفراش وديع النفس هاديھا

نبت بطه على عدواه . . مكته
 واجمعوا أمرهم يأتون منزله
 ليقتلوه وينجوا من رسالته
 فخف جبريل من أطراف جنته
 خاف الأمين على طه ودعوته
 وشد طه إلى دار مباعده
 لما رأى السيف من طيات مغمده
 وقال للمرتضى والنفس موجعة
 داري إذا أنا لا ألقى بساحتها
 وهذه كتب عندي لهم وضعت
 يا لهف قلبي عن ساحات مكته
 خلّى لينشر دعواه مسارحها
 تسلّم البيد تطويه مخاطرها
 ونام في الدار لم يجزع أبو حسن

حلم إذا رمقته العين يسيها
 عليه من روعة الدعوى تزاهاها
 كأنه رف من أحلام وادها
 لم يخش من حلبات الشرك داويها
 ترنحت بأيادها مواضيها
 بحالك الريش صلب لا يبالها
 كأنما البيض ما كانت بأيديها
 ماذا يفيد من الأسياف نابها
 تنشقت طيب دعواه روايها
 سواك يا سيدي من كان يفديها
 مكارماً غير طه ليس يحويها

هجرته (ع):

غفا به مك جفنيه يهدده
 حلم ألد من الأطياب عالقة
 حلم تطل به الجنات ضاحكة
 مولاي أي فؤاد أنت تحمله
 ما خفت من فئة جاءت إليك وقد
 لقيتها وجناح الليل يسترها
 لقيتها فتوارت عنك مائلة
 مالت وأسيافها بالغمدة نايبة
 طه تناءى إلى دار مقدسة
 ونمت في داره تفدي رسالته
 حويت لما مشى طه لهجرته

وليس يغرب أن نلفيك راعيها
 منها كبيض ورود في بواديها
 حتى تفتق مزهواً كماضيها
 كما توصاك طه أن تؤديها
 وما خشيت لمرآه فيافيها
 وتستقي منه نعمى طاب ساميها
 عزيمة لم تكن بيد لشنها
 ترى على وجهك الحالي مرائها
 على بناية دعوى كان يبينها
 ترعى بسيفك دعواه وتعليها

رعى ذمة طه في أمانته
 رعيها نسمات الطهر شائعة
 كزمت حاضرها من بعد هجرته
 أدت يداك إلى كل أمانته
 ورحت تلحقه مشياً ليشربه
 لحقته تتحلى من محاسنه
 هاجرت تحدوك في بيد مروعة
 وجئت كالبدر طه كل منقبة
 أتته لم تخف بعدا تساعده
 وأنت ما زلت من وجد ومن شغب

مواخاته له (ع) في يثرب

أواك طه بدار كان يأويها
 وجئت صخبته الأولى تنيها

لما انتهيت إلى طه يثربه
 صحبتة قبل في ساحات مكته

روتك من سلسل التقوى غواديها
وطييات خصال فيك يلفيها
إن راح في يثرب طه يؤاخيها
إلا إذا كان في خلقي يحاكيها
طيناً تجمّع فيه كل ما فيها

يا حبذا صحبة طابت مناهلها
أخاك طه لآيات ممتعة
وحسبُ نفسك من فخر ومن شرف
لا تقبل النفس خذناً في معاشرة
وأنت أشرقت من أطياب طيبته

بطولة الإمام في بدر :

بيضاء تنقلها الدنيا وترويهها
وأنت شباً تناوي من يناويهها
وأنت من صحبات الشرك حاميهها
بدر تذكر بيض الآي ناسيهها
وإن أطيّب أي الفخر باقيهها
ثغر الخلود على الدنيا يغنيها
تمشي إليها ولا تخشى دواهيها
ترى الوطيس رفيقاً من أمانيها
وليس للعزم من حد يدانيها
تنجاب فيه عن الدنيا دياجيها
ضجّت به اليد قاصيهها ودانيها
وينشي مّوجع الأضلاع داميهها
لا يستقر من الأجيال راسيهها
فرحت من دم أهل الشرك تسقيها
كاليمّ جُنّت لها أعيان رائيهها
وصولة كان في الميدان يلقيها
هام الجبال لزالّت من أعاليها
تحمي الرسالة من أحقاد غازيها
يصافح الرأس عجلاناً فيبريها

مولاي دعوة طه أبصرتك يداً
فأنت طفلاً توالهيا وتكرمها
وأنت فوق جبال العزّ رافعها
آياتك البيض لا تنسى وإن ذكرت
بدر معالم فخر عنك باقية
بدر أناشيد إعظام وتكرمة
لله أنت وإن جاشت مراحلها
تمشي ونفسك في إقدامها سكرت
تفلتت من حدود العزم وابتدرت
ترنو فبرق من الأحداق ملتهب
وترسل الصوت رعداً في زمازمه
أنى اتجهت يميل الشرك منكسراً
زندُ تحمل سيفاً تحت ضربته
رأيت جانحة البيداء صادية
من للوليد ونازُ الحرب مائجة
خرجت تطلبه ما خفت غطرسة
علوته بحسام لو ضربت به
وملت في ساحة الميدان مضطرباً
ترميهم بحسام رقّ مضربه

يوماً على ضربة أولى تشيها
 إن الهزيمة ناداهم مناديهما
 رخصت فيها من الأرواح غاليها
 كادت تودع من خوف تراقبها
 كأنها منك قد فرّت نواحيها
 وأي سدةٍ مجدٍ لست بانيتها
 ولم تمدّ له الدنيا أياديها
 ويا رضاءً عنه ما انجابت دياحيها
 من الصوارم في حرب يمانيتها
 قوافل الموت تزجيه ويزجيهها
 وقلدتك علماً أمضى مواضيها
 فذو الفقار معانٍ من معانيها

سيف كزندك ماض ما أنشيت به
 ما زلت تضربهم حتى رأيتهم
 فرّوا أمامك من أهوال معركة
 فرّوا أمامك والأرواح جازعة
 فرّوا فلاحت ربيّ البيداء تحتهم
 مولاي أي نضال لست فارسه
 لولاك لم يعرف الإسلام دولته
 يا طيب ما اختتمت بدر برونقه
 فيها جزيت حساماً لا يعادله
 ماض على حده تمشي مرنحة
 زانتك بدر بتاج من كرامتها
 أولئك أقدس ما يولى به بطل

أحد:

جالت على راية الدعوى مزاكبها
 ندى يراعي مداداً من مآسيها
 فكيف يسلس لي شعري لأروبيها
 ولا أضاعت سواها في مغازبها
 وجرحت خدّه الباهي مواضيها
 كأنها الشمس في أرض مجاليها
 وغلة فيه دفقاً من معاليها
 بين الشفاه وما أحلى تساقبها
 والفجر في سحر لون لا يحاكبها
 أدى مروعة الأثمان مجربها
 ولا وفّت دية هامات أهليها
 لها ففيها تولت عن صحاريها

ويلاه من غزوة يشجي تذكرها
 ويلاه منها روايات مبرّحة
 يلتاع قلبي إذا رفّت بخاطرتي
 رعناء لم تشهد الدعوى كمشهدها
 دقت رباعية الهادي أسئتها
 دماؤه انسكبت حمراً مشعشة
 رفّت على الرمل تسقيه على ظما
 تلك الرمال وما أندى سلافتها
 البابلية لا تسمو لنكبتها
 وما جرت بالفيافي دون ماء فمن
 أصنام مكة لم تقبل بها قوداً
 الجاهلية كانت كلها ثمناً

وما بها من مروعات يوازها
ولا رعوأ حرمة الدعوى وداعيا
وكم نفوس حطامُ السلب يغيرها
وفيهم خانت الدعوى مراميها
لولا هم لعدت طه عواديها
آمال أحمد تبكيه ويكيها
حيال ذكرك لم تجبس غواديها
لم يخطه من سهام الغدر راميا

دماء طه وهل إلا رسالته
مالوا عن الشعب لا برّوا ولا صدقوا
خفوا إلى السلب تغريهم مكاسبه
بهم تغير وجه النصر في أحد
ماذا تكرّس من أعمالهم أحد
لكل أجر شهيد في مسارحها
يا حمزة الخير والأجفان واكفة
لله أنت مع التاريخ من رجل

الإمام في أحد:

إنَّ الجراح لأقساها دواميا
ترميك بيض أعاديه وترميها
زرق المنايا تثنت في تشيها
كهالة المجد زاحت عن أعاليها
يلومه فيك عن حال تقاسيها
والنفس فيها من الأحزان ما فيها
كرامة الخلق تنمينا ونميا
ولا حروب وإن جئت سوافيها
قداسة الحب آختنا أوأخيها
نعمى بقلبي تصييني وأصبيها
ولم تنل غاية كانت ترجيها
جزيت منقبة كالقوز ترضيها
ملائك الله رامت أن يؤأخيها
لكنت من مدحتي الغراء أمحيها
زها بقلبي عييرا فرط حُبيها

طه ينزّ جراح فيه دامية
وأنت من حوله كالليث منتصبا
تصونه والطوال السمر راعفة
تصون طه وطه بالحضيض لقي
ورفّ جبريل بالميدان مبتسما
فقال طه له والجفن منكسر
مني عليّ وإنني من أبي حسن
صقران نحن فلا سلم يفرقنا
فصاح جبريل ضماني لحوضكما
وإنني منكما لا زال عهدكما
إذا مشت دعوة الهادي على أحد
فأنت وحدك يا مولاي في أحد
أخيت طه وجبريلا وأيّ فتى
لولا فخار جزيل ثلت في أحد
وربما لكرامات حبتك بها

الأحزاب والإمام:

لنا أساطير خان الحق راويها
لم يعرف الحق معنى من معانيها
لوافح من سراب اليد ساريها
كما ترجيه نفس في تشهيا
لنا الأساطير تضليلاً وتمويها
أفلامهم في سماع الدهر تحكيها
وعن شجاع كبير النفس عاليها
فلا خيال ولا وهم يدانيها
تكاد تنطف أحقاداً مواضيها
وفاجأتها وشرّ الحرب فاجيها
يا ليت شعري هل هذا ينجيها
لم يبصروا قبل من حرب دواهيها
أبصارهم فهي عمي في مآقيها
طه وطه بيض الهند يحميها
إنّ الحنيفة لا يخشى مواليتها
كريمة أي طير لا يماشيها
وجد مغتبطاً للحرب يصلها
وأنه عند هزج البيض حاميها
والحرب غير ذويها لا يلاقيها
غمامة مطرت رعباً حواشيها
بضربة منه لا يجدي توقيها
يدرّي الحديد ويخشي عزم راميها
يد الحنيفة بعض من أياديها
ورددتك من الدنيا أقاصيها
كما تغنى على الأغصان قمريها

يعينا شعراء العرب حيث رووا
يحكون فيها روايات مبالغة
يخادع الحق معناها كما خدعت
تخلوا ما حكوا لم يشهدوا بطلاً
لو أنهم شهدوا الأحزاب ما كتبوا
لو أنهم شهدوا أهوالها وقفت
تحكي مرسخة الأعطاف عن بطل
وعن حقائق في التاريخ واضحة
كتائب تعبر البيداء زاخرة
جاءت إلى يثرب من كل ناحية
وخندقت يثرب تنجي حنيفة
أبناؤها ذهلوا رعباً كأنهم
طاروا شعاعاً وزاغت في محاجرها
واستأذنوا لفرار لا لدورهم
ظنوا بربك ما ظنوا وما علموا
مشى ابن ودّ وبزت فيه خندقهم
ما خاف طه ولا أنصار دعوته
والحرب تعرف عمرواً إنه بطل
تقدم الجيش يلقاه أبو حسن
صالا طويلاً وثار النقع حولهما
شدّ الإمام على عمرو وعاجله
رمته عن سرجه العالي ولا عجب
يا ضربة ترقص الدنيا لها طرباً
مشيت في مسمع الآفاق جلجلة
قلبي يغنيك من وجد ومن شغف

وذدت عن دعوة الهادي أعاديه
 إلّا عليك ولا قامت أواسيها
 عن البطولة تحيي روح شاديها
 أسطورة الشرق لا مئِنُ يواريهها
 الله أكبر لَمّا كنت تهويها
 يرجي فتى كعليّ في دواهيها
 فيه كما لعبت خمر بساقيها
 وتقطع الوعر من وادي فيافيها
 وردّ بالسيف عنها من يعاديهها
 للشرك أجمعه يصليه صالحها
 أي من الحمد تسبي لبّ تاليها
 إن راح طه بأغليّ الحمد يطريها

مزقت عن أحمد الهادي أعاديه
 إن الحيفة ما شيدت قواعدها
 ما زلت في مسمع الآفاق أغنية
 مولاي دعني أرددها فإنّ بها
 صاحت ملائكة الرحمن جازعة
 لا سيف للحرب إلّا ذو الفقار ولا
 وصاح طه وخمر البشر قد لعبت
 اليوم دعواي تنجو من مهالكها
 هذا عليّ تولاهما بهمته
 خاض الوغى وجرى الإيمان أجمعه
 مولاي حسبك من فخر ومن شرف
 وحسب نفسك من إطراء مادحها

الإمام في خيبر:

يوماً على صفحات الطرس تحكيها
 بها وأيّ زمان لا يغنيها
 تاجاً وينهل خمرأ من سواقيها
 أبوابه كفّ غاديها وباديها
 كما رأت من حصون في مغازيها
 بطولة كان دون الباب يديها
 وضيعت بيض آمال ترجيها
 بكل نصر وإعلاء يحليها
 إلّا وكان عليه الله يديها
 أحبه فهو بزّ النفس عاليها
 طه وأنت وجيغ العين داميها
 دعاء طه من الأرماد يشفيها

شجاعة تسكر الأقدام إن أخذت
 غنت روائعها الأزمان مولعة
 حصن تمطى إلى الجوزاء يلبسها
 تكسرت فوقه الأجيال ما فتحت
 غزته أجناد طه وهي تحسبه
 جاءت إليه فلم تدفع صوارمها
 ضاقت بها كل حال فاثنت هرباً
 فصاح طه سأعطي رايتي رجلاً
 يحبه الله لم تبعد مفاخرنا
 أحب خالقه العالي وخالقه
 أتيت لما رأيت الحرب عابسة
 وهل يعوقك ما في العين من رمد

إنَّ الهزيمة من آمال غايتها
 كرامة النصر تزهو في نواحيها
 ولا غرابة ان تقلع رواسيها
 أطراف دنيا لمالت عن نواحيها
 متى تخوف ليث الحرب عاديها
 بيض الكواكب تحكيه ويحكيتها
 كما تنور في نفس أمانها
 كأنما هي بعض من درارها
 ذكراك فيها وتمحو من مآسيها
 فأى آية مجد لست بانها

حصون خيبر والأيام شاهدة
 صبيت من فوقها خيلاً محجلةً
 قلعت لما تآبى باب عزتها
 قلعته يمين لو قبضت بها
 رميت مرحب لم تأبه لصولته
 ودعت بالدين مزهواً ومنتصراً
 رفت تنور بك الجو رانيةً
 تمايلت في سماء المجد زاهية
 مولاي ترعش أعصابي إذا عبرت
 بيت للدين أمجاداً مخلدة

فتح مكة:

إلى خزاعة بعد العهد تؤذيها
 وذمة العهد تبكي ليل وافها
 يثنيه عن غنمات نام راعيها
 ملء الصحارى وعين الله تحميها
 كما يهيج من الآساد ضارها
 وروعة النصر نور في أولها
 وتنشر الدين في أرجاء ناديها
 واستسلمت ليد الهادي موالها
 نوراً وقد ملئت شركاً نواحيها
 كما ترف الأفاصي في بواديها
 غلائل الظهر من أثواب هاديها
 وفي القلوب حين كاد يلقها
 كما تقلّ سموات درارها
 وخزية تعرف الدنيا مآسيها

خانت قريش عهد المصطفى ومشت
 مالت عليها بيض الهند مرهفة
 الذئب للغدر لا عهد ولا خلق
 فسار أحمد والأجناد تتبعه
 كتائب في رحاب اليد هائجة
 كرامة الذكر نور في أواخرها
 تمشي لمكة تغزوها وتفتحها
 فطأطأت مكة أعلام عزتها
 وطاف فيها رسول الله يملؤها
 رفت على البيت دعواه مشعشة
 خفت إليه تحليه وتلبسه
 حنت إلى البيت فانسقت تطوف به
 طه يقلّ علياً فوق منكبه
 أعلاه يغسل وجه البيت من دنس

أعلاه ينزع من أحضان كعبه
تمزق الشرك بالأسياف فابتهجت
مولاي هذي على الأجيال منقبة
بالسيف تنزل من علياء سدتها
رميتها عن جبال العزِّ باكية
رقيت غارب طه لم يرعك به
لما ارتقيت ألم ينحط تُمسِكُهُ
أما غدوت إلى الجوزاء تسألها
عاطتك من خمرها كأساً معتقه
رقيت غارب طه فارتقيت إلى
وليمة في سماء الله عامرة
قنديلها الشمس والجوزاء مُنِيَّتُهَا
جنان ربك بعض من مسارحها
وسِدرة العرش تضي من ظلالها
وليمة لم تكن إلا لتبصرها
فطب فؤاداً فما في المجد مفخرة
الجاهلية لاقت فيك مصرعها
مالاتها البغض حتى أنها رضيت

الإمام في حنين:

وادي حنين لقيت الخير قُصَّ لنا
سوى ربوعك لم يشهد وقائعها
هات الأحاديث تجي من صراحتها
خيل حسان وأسياف مسللة
إذا نظرت إلى البيداء لم ترها
كثائب ليس يُحصي الجفن عدَّتْها

شركاً بلفحته الخضراء يكويها
لما تمزق دين كان يُشقيها
لا يقدر النجم أن يرقى مراقبها
لا تأو عن عرشها المزهو يلقيها
وسقتها لحضيض من مهاويها
نور الملائك أو أنوار باريها
من الكواكب عاليها وزاهيها
خمرأً وعطراً وشهداً من سواقيها
ليست تكدر نار الإثم صافيها
وليمة صفحات الأفق ناديها
مجامر المسك نور من حواشيها
والبدر شاعرها والنجم ساقبها
والمرسلون ليف من غوانبها
فوق المسارح أطياباً تُنْذِيهَا
وتملأ العين أعلى من معاليها
إلاً وعلياك أعلى من معاليها
فأنت يا سيدي أعدى أعدائها
بأن تكون لها قبراً صحاريها

حكاية ينعشُ الأبواب حاكبها
وغير جفئك لم يشهد مجالها
جوانحاً كاد زور القول يردبها
تُغْضي الشمس حياء من تلالها
ليلُ الغبار عن الأعيان يخفيها
فغير وادي حنين ليس يُحصيها

جَدَّتْ وَجَدَّ أَمِيرِ النَّحْلِ يَقْدُمُهَا
بعض الرجال رأها وهي سائرة
وقال للناس مِنْ عَجَبٍ وَمِنْ طَرَبِ
لَنْ تُغَلَّبَ الْيَوْمَ مِنْ ضَعْفِ كِتَابِنَا
ما أهونَ الحربِ لو كانت متاعبها
خَلَّ النَّضالِ وَخَلَّ الْحَرْبِ مَبْتَهَجاً
الحربِ إلّا على فرسان حومتها
خاض الإمام غمار الحرب مَبْتَهَجاً
يرمي الرُّؤوسَ فيلقِيها مَصْرَعَةً
كأنها فوق وجه الترب هادمة
كم فاجرٍ لو درى ما سوف يبصره
كم مشركٍ وأبو السبطين يُورِدُهُ
أحبّ دعوة طه من مخافته
وادي حنين رعاك الله كم سِمَةٍ
المسلمون ويا الله حين رأوا
خلوا النبي لأطراف القنا ونسوا
طاروا شعاعاً كغزلان رأّت أسداً
لولا عليٌّ وهولٌ من بطولته
لولا ه دارت حنين غير خائفة
من كان غير أبي السبطين ينقذها
خَلَّ المَدائحَ ما كانت لترفعه
أن تُلبِسَ البدر يوم التَّمِّ جوهرة

كأنها النور في الظلماء يهديها
ملء البوادي فمادتْ نفسه تيهها
مقالةً صفحاتُ الذكر ترويهها
فليس يقدر خصم أن يلاقِيها
قولاً إذا قيل ننجو من غواشِيها
كأنما نفسه لاقت أمانِيها
نار بزوايئة الأضلاع تشويها
كأنما نفسه لاقت أمانِيها
تحكي إلى التُّرْبِ عذراً عن تعديها
ذُرّاً جبالٍ تهاوت عن أعاليها
لَمّا أتى غزوةً للسيف آتِيها
مواردَ الموتِ يُسقى من عزاليها
وسفه الشرك والأصنام تسفيها
لولا ربوعُك لم تلمح تحليها
نار القتال تنحوّ عن مصاليها
حياته كيف يرجو الخير ناسيها
مروّع الشدق يدنو من ملاجيها
صواعقُ الشرك لم تكشف دياجيها
نور الحنيفة في أغوار واديها
وقد دهاها من الأهوال داهيها
قدراً وإن نظمت درّاً قوافيها
فهل تُحليهِ فيها أم تُحليها

علي وعمرو في صفين:

والقلب يرعن خوفاً من تدجيهها
كأنها ومض برق في نواحيها

صفين كالليلة الظلماء داجية
شعتها بظلمتها الأسياف لامعة

إذا تراءت له ذكرى مآسيها
والأرض تغمض من خوف مآقيها
وكم مياه أضرتّها شواطئها
فإنه اليوم تسقيه ويسقيها
سلافة المجد تجري في مجاريها
كأنه ليس يخشى من عواذها
بالساح فارس عدنان وحامها
بنوره أي ستر لا يوارئها
الأسد غير أسود لا تلاقها
فنفسه دافعت عنها مساويها
وراءه تملأ الدنيا سواقئها
هزيمة منه لا تفتى مخازئها
قبل السيوف وموت المجد يحييها

صفين أي فؤاد لا ترّوعه
الجو يرنو إلى الأجساد مضطرباً
والنهر يرجو فراراً من شواطئه
لئن سقى اليد قبلاً من سلافته
كأنه والدماء الحمر تمزجه
يغدو إلى الحرب عمرو وهو مبتسم
يغدو إلى الساحة الكبرى فيصدمه
فكيف يصنع عمرو والردى لمعت
دع عنك عمرواً وما أبداه من جزع
دعه يردّ الردى عنه بسوءته
دعه يقرّ وخرزى الجبن زوبعة
يا عمرو أصعب من لقياً أبي حسن
نفس الأبى نجاة العار تقتلها

علي وعمر:

يخاؤ سامعها فيها وملقئها
فلا دليل ولا رشد يزكيها
إذا تنادى إلى حرب منادئها
لولاه لم يسر في الآفاق ساريها
فالوهم يخدع ألباباً ويغريها
أهوالها وغواش من دواهيها
نيرانها وهي تزكو في مصاليها
أما تبصّر بالأقوال راويها
ولا تخاف عقاباً من قماريها
تطوي الحقائق أوهامي وتخفيها
والشعر في النفس نوع من ملاهيها

ما قولة لعلّي قالها عمر
غريبة من بنات الشعر زائفة
أبو تراب سيوف الهند تعرفه
سل عنه دعوة طه في مخاطرها
يا شاعر النيل دع وهماً غرّزت به
بدر وخيبر والأحزاب ترفعه
سلها إذا شئت هل كانت لتحرقه
فكيف يحرقه بالمدار «صاحبه»
إن النسور تطوف الجوّ ضاحكة
خلّ الخيال وخلّ الوهم ناحية
يا بن الكنانة ما قول لهوت به

الدين لله لا يرضى به بدلاً
المسلمون جميعاً في عبادتهم
فكيف تزعم أن الناس قد عبدوا
رسالة المصطفى قدس ومعرفة
فخل قولك إننا لا نُقرُّ به

غديرُ حُـمّ:

غدير خم وما أحلاه منسكباً
كأنه إذا جرى باليـد يغمرها
أناخ طه جنود المسلمين به
كتائب رجعت من حجها فهفت
نادى بها أحمدُ الهادي وأعجلها
طه على منبر الأقباب متصبب
كأنه وعليّ تحت ميمنه
يا منبراً فوقه طه وصاحبه
يَهْنِكَ تحمّلُ مَنْ لولاهما بقيت
إشرب هنيئاً وزد في الشرب مغتبطاً
سمعت خطبة خير الناس عن كثب
طه يقول وعين الخلد شاهدة
أظنكم لن تروني بعد عامكم
من كنت مولاة في أمر نهضت به
فإن مولاة من بعدي وسيدته
هذا وصيي وهبدا فيكم خلفي
قلدته أمرها يرعى جوانبها
يا رب ساعد علياً في إمامته
ووال يا رب من والى أبا حسن

ولا نؤله غير الله تاليها
يرون في الدين توحيداً وتنزيها
بعض الأئمة تزويداً وتسفيهاً
ما دان إلا بتوحيد مواليتها
شوهت فيه جلال الدين تشويهاً

باليـد ينعش من غلواء صاـديها
بمائه صفحات من أمانها
لغاية غير طه ليس يدرها
لراحة بعد سير كاد يقنيها
حتى تجمع قاصيها ودانيها
خطيب مكة طه في صحاريها
شمس تفيض على بدر مباحيها
أبو تراب تمايل فيهما تها
دنياك في ظلمات من دياجها
حملت من بركات الله صافيها
لما تقدّم بين الناس يلقيها
ذاك المقال وصايا يوصيها
هذا نفسي هفت شوقاً لباريها
ودعوتي أنا مولى من موالها
أخي عليّ كريم النفس عاليها
يرعى الرسالة من بعدي ويحميها
قوسي أسلمها بعدي لباريها
وانصُر مُنَاصِرَها واخذل معاديها
فدعوتي خذلت فيه أعاديها

بَلَّغْتَهَا مِثْلَمَا تَرْضَى لِأَهْلِهَا
 فَانظُرْ إِلَيْهَا وَلَا سِتْرٌ يَغْطِيهَا
 يَفْنَى الزَّمَانَ وَلَا تَفْنَى مَبَاهِيهَا
 هَذَا الْيَوَاقِيتِ بَلْ هَذَا غَوَالِيهَا
 وَقَدَّمَا لَكَ بُرْدًا مِنْ تَهَانِيهَا
 وَحَسْرَةَ الشَّمْسِ أَنْ يُنْسَى تَجْلِيهَا
 عَنْهَا فَحَسْبُكَ أَنَّ الذَّكَرَ يَرْوِيهَا
 رِوَايَةَ الْحَقِّ لَا تُمَحَى أَمَالِيهَا
 حَدِيثُ طَهٍ وَآيِ الذَّكَرِ يَغْشِيهَا
 عَقِيدَةُ الْمَرْءِ لَا يَرْجَى تَلَافِيهَا
 نَصُونَهَا مِنْهُمْ فِيهَا وَنَحْمِيهَا
 وَزَيْنَ الْقَلْبِ أَنْ الْقَلْبَ نَادِيهَا
 فَالْبِرُّ وَالْخَيْرُ مِنْ أَدْنَى مَعَانِيهَا
 وَنِعْمَةُ اللَّهِ أَنَا مِنْ مَقْرَبِيهَا
 غَالِي الْجَوَاهِرِ لَمْ يَبْدَلْ بَدَانِيهَا
 وَلَنْ يَذُوقَ نَعِيمَ الْأَجْرِ عَاصِلِيهَا

هَذَا وَصَايَاكَ يَا رَبِّي نَطَقْتُ بِهَا
 كَشَفْتُ عَنْهَا غَطَاءً كَانَ يَسْتَرُهَا
 مَوْلَايَ بَيِّعَةَ خُحْمِ آيَةٍ نَطَقْتُ
 لَمَّا تَلَّتْهَا اللَّيَالِي قَالَ قَائِلُهَا
 الصَّاحِبَانِ أَبَانَ مِنْ بَشَائِرِهَا
 يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا لِلْمُسْلِمِينَ نِسَا
 إِذَا أَلَمَ بَعْضُ مِنْهُمْ صَمَمٌ
 وَيَلِي يُمَحِّوْنَ مَا أَمْلَى نَبِيَّهُمْ
 وَلَيْسَ ضَائِرُنَا أَنْ يَكْتُمُوا عِظَةَ
 مَوْلَايَ دَعَهُمْ وَمَا قَالُوا وَمَا اعْتَدُوا
 إِنْ أَغْفَلُوها فَبِالْأَكْبَادِ نَحْمَلُهَا
 هَذَا الْقُلُوبُ جَعَلْنَاهَا نَوَادِيهَا
 وَوَلَايَةَ مَلَأَتْ بَرًّا جَوَانِحُنَا
 دِينَ وَتَقْوَى لِعَمْرِي أَنْ نَقَرَّ بِهَا
 هَذَا الْوَلَايَةَ لَا نَرْضَى بِهَا بَدَلًا
 وَوَلَايَةَ لَا يَنَالُ السُّوءُ تَابِعَهَا

علي وعائشة:

تَمِيلُ عَنِّي وَتُعِينِي قَوَائِمُهَا
 فَأَقْفَرْتُ وَرَمْتَنِي فِي صَحَارِيهَا
 كَأَنِّي بِمَدَادِي لَا أُغْذِيهَا
 فَشَاءَتِ الْجَدْبَ حَتَّى لَا أُغْنِيهَا
 وَعِزُّ أبنَائِهَا أَقْصَ أَمَانِيهَا
 وَلَا تَفُوتُ مَعَالِيهِمْ مَسَاعِيهَا
 تَسِيرٌ بِالْفِتْنَةِ الْكُبْرَى وَتَصْلِيهَا
 وَفُرْقَةٌ جَذْوَةُ الْأَحْقَادِ تُزَكِّيهَا

وَاغْضَبَةَ الشَّعْرَ أَقْلَامِي مَعْطَلَةً
 أَرْدَتْهَا كَعُجَابِ الْيَمِّ زَاخِرَةً
 جَفَّتْ عَلَى الطَّرْسِ لَمْ تَتْرِكْ بِهِ أَثْرًا
 رَأَتْ يِرَاعِي يُقْنِي الْكَيْدَ قَافِيَةً
 أُمِّي بِحَبِّ بِنِيهَا جَدُّ مَوْلَعَةً
 أُمِّي تَضَمَّ بِنِيهَا لَا تُفَرِّقُهُمْ
 فَمَا لَيْتَ أَبِي بَكْرٍ مُرْوَعَةً
 جَرَّتْ بَيْنَهَا لَغَايَاتُ مُضَلَّلَةً

ولم تَرُقَّ لعين فاض هامها
 يُدني قَرابتهُ منه ويُعليها
 بلى... وشِرْعةُ طه لاح بالها
 أمي وأمك بين الناس تحكيها
 عرش الخليفة شلُو في سَوَافِها
 حرب عَوَانٍ فماذا تَبَغِي فيها
 هُوَجَاءُ تَطغى يُشيبُ الرأس طاغها
 بين الرجال وكم يُؤذي تهاديها
 لِمَ لا تُشدُّ على النيران تُطْفِئها
 فهَبَّتِ الثورة الأولى تَنبِئها
 كأنه القِدْرُ نارُ الشار تغليها
 النفس بالنفس شرع الله يجزيها
 تألبت ثورة هالت غواشيها
 تلك المقالات قولها وزكيها
 قوادم الطير خير من خوافيها
 هذي المكاييد لا تخفى معانيها
 لما رأتك من الهيجا مرانيها
 لا تغليها فملء السمع داويها
 ونحن عنك كما حدثت نرويها
 أبو تراب ويجلو من دواحيها
 يوماً إليه تراءت تشني تها

شدت على الشيخ لم تحفل بتوبته
 أخو أمية لاه عين رعيته
 قميص طه جديد لم يلم به
 عواصف من مريير النقد لاذعة
 تُثرها في ثغور اليد عاصفة
 زوج الرسول تجر المسلم إلى
 لئام ستر فما لئام تطلبها
 أنظر إليها تهادت فوق عسكرها
 زوج الرسول تُريدُ الحرب قاتلة
 هل بيعة المرتضى قضت مضاجعها
 وقادت الجيش غلاباً ومضطرباً
 تزججن نازاً وإننا منك نطلبه
 علا نذاك وصوت منك مرتفع
 ألم تريدي له قتلاً وواعجباً
 وأول القول لم يبلغه آخره
 لا تنكري ستر ما حاولت من عمل
 لو أن غير أبي السبطين أحرزها
 كلاب حوَاب هل تنسين نبحتها
 أما ذكرت عن المختار قولته
 لا أذكر الحرب يلوي من نواجذها
 تلك البطولات أمجاد إذا نسيت

بين الموت والحياة للشاعر الشيخ محمد حمدان الخيري^(١)

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْوُجُودَ جَمِيلًا
 تَسَابَقَ الْأَحْيَاءُ نَحْوَ فَنَائِهَا
 تَأْتِي وَمَا إِنْ تَسْتَقِرَّ إِقَامَةً
 ثَبَّتْ خُطَاكَ هُنَيْهَةً فَكَأَنِّي
 سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْعِبَادَ إِنْ مَضُوا
 مَا أَعْجَبَ الْأَقْدَارَ فِي تَضَرُّفِهَا
 تَعْدُو عَلَى الْأَطْفَالِ فِي أَحْضَانِهِمْ
 ظَمَأَى سَقَاهَا الْكَوْنُ مِنْ أَحْيَائِهِ
 أَيَجِيرُ مِنْهَا الطُّبُّ وَهُوَ عَلَى شَفَا
 لَا يَفْخَرَنَّ فَكَمْ تُصِيبُ قَسِيئَهَا
 دَاءُ النَّفْسِ إِذَا أَلَمَ بِسَاخَةِ
 قُلِّ لِلْقَوِيِّ دَعِ التَّحَرُّزَ إِنَّهَا
 قَدَرٌ إِذَا حُمَّ الْقَضَاءُ بِهِ أَنْتَهَى
 أَوْلَى لَكَ ابْنِ الطِّينِ لَا تَفْخَرْ بِهِ
 مَنْ كَانَ مِنْ حَمَا جِلَّتُهُ فَمِنْ
 لَوْلَا وَجُودُ الْعَقْلِ فِيكَ وَفَضْلُهُ
 هُوَ نِعْمَةُ اللَّهِ السَّنِيَّةِ فِي الْوَرَى
 عَمَّتْ فَوَاضِلُهَا فَمَا مِنْ كَائِنٍ
 وَالْعَقْلُ مَعْصُومٌ وَلَيْسَ بِعَاقِلٍ
 وَاللَّهُ مَا وَهَبَ الْحَصَافَةَ لِأَمْرِيءِ
 وَالْمَرْءُ مَا لَمْ يَعْظُمِ الْخَلْقُ فِي

جَعَلَ الْحَيَاةَ إِلَى الْمَمَاتِ سَبِيلًا
 أَثْرَى تَغِيْبُ شُخُوصُهَا لِتَوْوُلَا
 لَمْ تَبْنَهَا لِتَقِيْمَ بَلْ لِتَقِيْلَا
 بِكَ قَدْ عَشَرْتَ وَمَا وَجَدْتَ مَقِيْلَا
 لِلْمَمُوتِ جَاءَ بِآخِرِينَ بَدِيْلَا
 وَأَدَقَّهَا وَفَقَا بِنَا وَحُلُوْلَا
 وَتَزَيْدُ فِي عُمُرِ الْمُعَمَّرِ طُوْلَا
 مَا دَبَّ فِيهِ فَلَمْ يَبَلِّ غَلِيْلَا
 هَلَكِ يُرَاقِبُ أَنْ يُخَرَّ جَدِيْلَا
 كَيْدِ الطَّيِّبِ وَكَمْ تَقُوْتُ عَلِيْلَا
 وَقَفَّ الْأَسَاءَةُ لَدَيْهِ عُزْلَا مِيْلَا
 تُرْدِي السَّمِيْنَ وَتُمَهِّلُ الْمَهْزُوْلَا
 مِنْ عَادِي لَا يَقْبَلُ التَّأْجِيْلَا
 نَسْبًا فَلَسْتَ إِذَا انْتَسَبْتَ أَصِيْلَا
 أَيُّ الشَّوَائِبِ لَمْ يَكُنْ مَعْجُوْلَا
 فِي الْعَالَمِ الثَّانِي لَكُنْتَ فُضُوْلَا
 وَهُوَ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ مِنْهُ الطُّوْلَى
 إِلَّا وَرَاحَ بِخَيْرِهَا مَشْمُوْلَا
 مَنْ لَمْ يَكُنْ عَنْ عَيْهِ مَعْقُوْلَا
 لَتَكُونَ مَكْرَافِيهِ أَوْ تَدْجِيْلَا
 عَيْتِيهِ كَانَ الْعَقْلُ فِيهِ ضِيْلَا

(١) هو المرحوم الشيخ محمد حمدان الخيري، من فحول الشعر في الجبل العلوي - ولد عام ١٩٠٠م وتوفي عام ١٩٧٨م في القرداحة، من أعمال جبلة، في محافظة اللاذقية وقد نظم هذه القصيدة في رثاء المرحوم الشيخ محسن حرفوش.

جَلَّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَزَانَهَا
 ذَرَأَ الْعِبَادَ مُجَرِّدًا أَوْ مُرَكَّبًا
 سُبْحَانَ ذِي الْأَلَاءِ مَا أَحْصَيْتُهَا
 يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ حَسْبُكَ ضِلَّةٌ
 رَفَّتْ عَلَيْكَ مُطَلَّةٌ بِشُرُوقِهَا
 هَلَّا أَهْتَدَيْتَ وَكَمْ دَعْتَكَ إِلَى الْهُدَى
 أَنْفَقْتَهَا سِرْقًا وَلَيْتَكَ بِالَّذِي
 لَا تَبْذُلْنَ نَفْسَهَا لَخْسِيسِهَا
 وَأَزْتَدُ لَهَا بِلْدًا أَمِينًا طَيِّبًا
 عَنِتْ بِتَطْهِيرِ النُّفُوسِ وَصَقْلِهَا
 وَالنَّاسَ عَنْهَا يَصْدُرُونَ جَوَاهِرًا
 هِيَ وَالْمِئْتَةُ دَائِبَانِ كِلَاهِمَا
 إِنْ خَفَّ أَهْلُ مَرْبَعِ الْوَيْ بِه
 أَبَدًا تُدِيلُ مِنَ الْمَمَاتِ فَمَا تَرَى
 نَاءَ الْوَجُودِ بَغَالِيَيْنِ تَنَازَعَا
 كُلُّ بِتَقْدِيرِ الْإِلَهِ وَعَدْلِهِ
 زَعَمُوا بِأَنَّ الْجِسْمَ فَا نَ زَائِلٌ
 كُلُّ يُوُوبٌ إِلَى الْهَيْوَلَى عَائِدًا
 إِنْ قَلْتُ أَصْبَحَ أَهْلًا بِقَطْنِهِ
 وَالنَّفْسُ تَسْكُنُ مَنْزِلًا فَإِذَا بَنَا
 وَالنَّفْسُ تَمْتَلُ بِالْجِسْمِ وَلَنْ تَرَى
 تَبْدُو بِشَكْلِ غَيْرِ مَأْمُونِ الْبِلَى
 وَالْجِسْمُ قَيْدُ النَّفْسِ مَا أَقْرَبَتْ بِهِ
 عَرَضٌ مِنَ الْأَشْبَاحِ شَيْبٌ بِجَوْهَرِ
 وَالنَّفْسُ لَا تَنْفُكُ مِنَ أَغْقَالِهَا
 تَرْقَى إِذَا هِيَ شَرَقَتْ، أَوْ أَظْلَمَتْ

بِالشُّهْبِ وَالْأَرْضَ الْفَضَاءَ ذُلُولًا
 وَحَبَا الْبُحُوضَةَ رِزْقَهَا وَالْفِيلا
 عَدَا وَلَا وَفَيْتَهَا التَّبْخِيلا
 أَنْ لَا تَرَى ظِلَّ الْحَيَاةِ ظَلِيلًا
 فَاخْتَارَ جَهْلُكَ أَنْ يَكُونَ أَفُولًا
 حِينًا فَيَالِكَ غَاوِيًا ضَلِيلًا
 أَنْفَقْتَهُ فِي الْغِيِّ كُنْتَ بِخِيلا
 فَالْخَيْرَ أَنْ لَا تَعْرِفَ الْمَبْذُولًا
 لَا تَبْغِهِ جَمَّ الْوَبَاءِ وَيِيلا
 فَعَلَامَ تَخْبَثُ لَا تَكُونَ صَقِيلًا
 مَجْلُوسَةً وَالْأَكْثَرُونَ وَحُولًا
 يَتَجَاذِبَانِ الْيَأْسَ وَالتَّامِيلًا
 رُوحَ الْحَيَاةِ فَرَدَّهُ مَاهُولًا
 عِنْدَ الْمَمَاتِ لِهَادِمًا مَطْلُولًا
 سَبَبْتَا وَبَاءَ كِلَاهِمَا مَخْذُولًا
 يَجْرِي وَجَنيفًا تَارَةً وَذَمِيلًا
 وَالنَّفْسُ تَخْلُدُ لَمْ تَكُنْ لَتَزُولًا
 بَعْدَ النَّوَى إِنَّ التَّرَابَ هَيُولًا
 رُبْعٌ فَقَدْ تُمَسِّي الرِّبُوعُ طُلُولًا
 بِالنَّفْسِ فَهِيَ تَبَادُرُ التَّقِيلا
 فِي غَيْرِ جِسْمٍ لِلنَّفُوسِ مَثُولًا
 وَتَحَوُّرُ تَلْبَسُ فِي الْوَجُودِ شُكُولًا
 إِلَّا لَتَمَحُّوْ سِيَّاتِ أَوْلَى
 فَاتَاكَ يَخْطُرُ حَامِلًا مَحْمُولًا
 حَتَّى تَكُونَ مِنَ الذَّنُوبِ غَسِيلا
 تَهْوِي إِلَى الدَّرَكِ الْأَحْطِ سُفُولًا

والجسمُ قبرُ النفسِ منه بعثها
 من مات عن جيلٍ ولو يوماً فقد
 ويقالُ تُخْبَسُ فِي الْقَلْبِ مُقِيمَةً
 تغفوا هناك فلا تصيحُ لهاتفٍ
 هايلُ حتى الآنَ في دِيماسِها
 في بَرْزَخٍ للغيبِ لا تُلغِي بهِ
 وَجَدَتْ مَلِيًّا وَاسْتَحَالَ وُجُودُها
 فالنارُ مَثْوَى الْآبِقِينَ وَغَيْرِهِمْ
 رَضِيَ الثَّوَابُ عَلَى ثِقَاةِ أَمْرَدَا
 إن كان عدلُ الله ذاكَ فربما
 أَثْرَى يُحَاسِبُ مَنْ قَضَى فِي مَهْدِهِ
 وَاللَّهُ أَعْدَلُ أَنْ يُخْلِدَ فِي لَظِي
 وإذا المشوبةُ منه كانت مُنْعَةً
 كم ناعم لا يشتهي بنعيمه
 تَأْبَى النُّفُوسُ السَّامِيَاتُ لَغَايَةِ
 آمَنَتْ بِالذِّكْرِ الْحَكِيمِ وَأَنَّهُ
 ما فيه مِنْ عِوَجٍ وَلَكِنْ حَيْلُ مَا
 أَخَذُوا بِغَيْرِ هُدًى فَإِنْ عَاتَبْتَهُمْ
 يَتَّبِرُوا الْإِسْلَامَ مِمَّا أَوْلُوا
 دَعَّ ما رَوَى عَمْرُو وَقَاتِلُ حَمَزَةَ
 أَضَفُوا عَلَى الْفُرْقَانِ مِنْ تَفْنِيدِهِمْ
 والله ما كان الذي زَعَمُوهُ مِنْ
 إِنَّ الصَّحِيحَ هُوَ الَّتَقِيمُ إِذَا رَوَى
 وَهَاماً عَلَى الْإِسْلَامِ إِنْ يَكُ أَمْرُهُ
 الْعِلْمُ مَا أَكَّاهُ آلُ مُحَمَّدٍ
 لَوْلَا الْإِمَامُ الْمُتَرْضَى وَقَفَ الْحِجَى

ونشورها أُنظِنُ ذَا مَعْقُولَا
 قَامَتْ قِيَامَتُهُ وَيُنْعَثُ جِيلا
 لا تعرف التَّامِينَ وَالتَّهْوِيلا
 إِلَّا لِنَفْحَةِ صُورِ إِسْرَافِيلا
 رَهْنُ الثَّوَاءِ مُجَاوِرُ قَائِيلا
 طَرَفًا بِنِعْمَاءِ الْوُجُودِ كَحِيلا
 عَدَمًا وَتَوْلِي فِي غِدِّ مَا تَوْلِي
 مُتَأَبِّطاً حَوْرِيَّةَ وَشَمُولَا
 حَلَّو الدُّعَابِ وَغَاذَةَ عَطْبُولَا
 أَعْيَا وَأَفْحَمَ سَائِلُ مَسْؤُولَا
 كَالهَيْمِ قَضَى عُمْرَةَ الْمَرْذُولَا
 مَنْ لَمْ يَشْمَ هُوَ الْحَيَاةِ بَلِيلا
 للجسم لم يكن الثوابُ جزيلا
 فِي الْأَرْضِ عَنْهُ فِي الْجَنَانِ بَدِيلا
 عُلوِيَّةِ بَعْدَ الصَّعُودِ نَزُولَا
 مِنْ ذِي الْجَلَالِ مُنْزَلُ تَنْزِيلا
 بَيْنَ الصَّوَابِ وَبَيْنَهُمْ مَا حِيلا
 عَاتَبَتْ مَنْ يَطْغَى عَلَيْكَ عَدُولَا
 غَيْظًا وَيَخْتَبِيءُ الْكِتَابُ خَجُولَا
 وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَأَعْتَبِرَةَ دَخِيلا
 وَعَلَى الْحَدِيثِ حَوَاشِيًا وَذِيُولَا
 قَوْلِ النَّبِيِّ بِرَيْقِهِ مَبْلُولَا
 عَنْ عُصْبَةِ الْإِفْكِ الْحَدِيثِ نَقِيلا
 لِمُنَافِقِي أَوْ فَاسِقِي مَوْكُولَا
 عَنْ أَحْمَدَ الْمُخْتَارِ عَنْ جَبْرِيلا
 لَايَسْتَبِينُنَّ إِلَى الصَّوَابِ سِيلا

مُتَمَلِّمًا يَبْكِي عَلَى الْإِسْلَامِ لَا
النَّارِ وَالْفِرْدَوْسُ رَمَزٌ فَاتَّبَعْتُ
رَمَزُ جَلَاهُ الرَّاسِخُونَ وَغَيْرُهُمْ
تَوْرَاةَ مُوسَى كَالزَّبُورِ تَصَوُّنُهُ
مَا فِي جَنَانِ اللَّهِ وَلِدَانٌ وَلَمْ
عِلْمُ الْيَقِينِ عَدَاكَ فَاسْرُخْ هَائِمًا
لَوْ كَانَتْ الْفِرْدَوْسُ حُورًا نَزَعًا
لِرَأَيْتَ أَغْنَى الْفَائِزِينَ مَثْوَبَةً
أَيْكُونُ فِي الْأُخْرَى ثَوَابًا مَا نَهَى
يَا مُوجِفًا فِي الْغِيِّ لَا يُضْغِي إِلَى
إِنْ كُنْتُ لَا تَأَلُوا الضَّلَالَةَ سَادِرًا
كَشَفْتُ مَظَاهِرُكَ الْحَقِيقَةَ مِثْلَمَا
أَعْيَا هَوَاكَ عَلَى الْهُدَاةِ وَلَمْ تَزَلْ
لِلَّهِ فِينَا حِكْمَةً قَلَّ الْأَلْسَى
مِنْ عَهْدِ آدَمَ كُلَّمَا قَرُبَ الْحِجْبَى
وَلَكُمُ أَرَادَ الْعِلْمُ كَشَفَ قَاعِهَا
قَامَ الْمُعَلِّمُ، وَالرَّئِيسُ، حَيَالُهَا
هَجَمًا عَلَى السَّرِّ الْخَفِيِّ فَالْفِيَا
أَغْيَا الْخُرُوجُ عَلَيْهِمَا مِنْ مُغْلَقِ
نَظَرُوا إِلَيْهَا بِالْبَصَائِرِ وَأَنْشَتْ
وَالسُّؤَالِ دَوْنَهُ الْأَشْعَرِيَّ، بِمُنْقِذِ
زَعَمَ الْجُسُومِ سِوَايَا لِنَفْسِهَا
سَلَّ عَنْ: تَهَافُتِهِ: ابْنُ رُشْدٍ إِنَّهُ
رَأَى رَأَيْتُ الْعَقْلَ يَهْدِمُهُ وَلَا
مَا ذَنْبٌ مَنْ وَلَدَتْهُ أَعْمَى أُمُّهُ
وَعَلَامَ بَشَرٌ تَزْدَرِيهِ وَخَالِدٌ

يَأْلُوهُ تَأِينًا وَلَا تَأِينًا
فِي فَهْمِهِ إِيَّاكَ وَالتَّعْجِيلَا
مُتَعَسِّفٌ لَا يَغْلَمُ التَّأْوِيلَا
وَالذِّكْرَ فِيهِ يُوَافِقُ الْإِنْجِيلَا
يُنْبِتُ ثَرَاهَا كَرْمَةً وَنَخِيلَا
بَيْنَ الْمَجَاهِلِ وَالْهَاءِ مَخْبُولَا
مُتَصَدِّياتٍ يَتَّبِعْنَ فُحُولَا
فِي الْخُلْدِ أَغْظَمُ أَهْلِهَا إِخْلِيلَا
عَنْهُ الْإِلَهَ عِبَادَهُ فِي الْأُولَى
رُشْدٌ وَلَا يَلْوِي عَلَيْهِ تَلِيلَا
فِيهَا فَلَيْتَكَ تُقْصِرُ التَّضْلِيلَا
نَمَّ الْمَشِيبُ عَنِ الْخِضَابِ نُصُولَا
بِعَمَّا الْغَوَايَةِ وَالْهَوَى مَكْحُولَا
عَرَفُوا لِدَقَّةِ كُنْهَهَا تَخْلِيلَا
مِنْهَا ذِرَاعًا أَبْعَدْتَهُ مِيلَا
وَسَعَى إِلَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ مَسْدُولَا
يَسْتَكْشِفَانِ الْغَامِضَ الْمَجْهُولَا
أَمْرًا هُنَاكَ مِنَ الْأُمُورِ مَهُولَا
نَفَّذَا إِلَيْهِ وَزَاوَلَاهُ دُخُولَا
أَبْصَارُهُمْ دُونَ الْحَقِيقَةِ حُولَا
لَمْ يُغْنِ عَنْهُ مِنَ الضَّلَالِ فِتِيلَا
فَاعْجَبْ لِمَنْ جَعَلَ الْفُرُوعَ أَصُولَا
رَأَى رَأَاهُ «أَبُو الْوَلِيدِ» هَزِيلَا
بَيْنِي عَلَى بُزْهَانِهِ تَعْوِيلَا
أَوْ أَبْكَمًا، أَوْ مُقْعَدًا مَشْلُولَا
تُضْفِي عَلَيْهِ الْكَلْبَ وَالْإِكْلِيلَا

زَيْدٌ قَبِيحَ الْخَلْقِ أَمَّا صِنِيوُهُ
كَمْ فَاضِلَ أَرْزَى بِهِ إِفْلَالُهُ
قَدْ يُحْرَمُ الرِّزْقَ الْمُجَدُّ وَكَمْ سَعَى
إِنْ قُلْتَ ذَاكَ إِلَى الطَّبِيعَةِ عَائِدُ
أَوْ يَسْتَطِيعُ الْكَوْنُ يَفْعَلُ غَيْرَ مَا
هَذَا التَّفَاوُثُ مِنْهُ حَيْفٌ ظَاهِرَ

* * *

عَمَرُوا فَصَوَّرَهُ الْإِلَهَ جَمِيلاً
وَفُضُولَ مَالٍ كَرَّمَ الْمَفْضُولَا
مَنْ لَا يَكِدُّ فَأَخْرَزَ الْمَأْمُولَا
قُلْتُ إِخْتِجَاكَ مَا أَصَابَ قُبُولَا
فِي خَلْقِهِ كَانَ الْإِلَهَ فَعُولَا
لَوْلَا بَصَائِرُ تُحْسِنُ التَّلْعِيلَا

لَكِنَّهُ قَوْلُ أَرِيذَ فَقِيلَا
مَغْزَاهُ مِنْكَشِفَا لَهُ مَخْلُولَا
وَأَسْمِينَ جِنْسَا عَاقِلَا وَرَشُولَا
غُرُّ الْمَلَائِكِ ظَالِمَا وَجَهُولَا
مِمَّا نَهَى عَنْهُ الْإِلَهَ أَكُولَا
قَبْلَ التَّجَوُّلِ نَسْوَةَ وَيُعُولَا
تَرْنُو وَأَشْبَاحَ تَرْفَ مُثُولَا
قَالُوا بَلَى ﴿ مُتْرِبِيَا وَعَجُولَا
أَخْرَى وَأَخْجَمَ أَخْرُونَ نَكُولَا
مَا بَيْنَ بَيْنٍ وَمُبْعَدَا مَغْرُولَا
أَعْدَاءَ بَعْضِ يَطْلُبُونَ دُخُولَا
أَمِنَ الرَّدَى وَإِلَى الْجِنَانِ أَحِيلَا
يَدْعُو إِلَيْهِ مُقَدَّمَا هَائِيلَا
مِنْهُ زَعِيمَا بِالْإِيَابِ كَفِيلَا
وَيُعْرِفُ التَّخْرِيمَ وَالتَّخْلِيلَا
يَغْفُو رَعِيلٌ فِي الضَّلَالِ رَعِيلَا
تَرْكُوهُ نَزَالَا عَلَيْهِ حُلُولَا
وَاهِي الْعَزِيمَةَ حَسْرَةَ وَعَوِيلَا
يَهْوَى اللَّحَاقَ مُقَيِّدَا مَكْبُولَا

مَا آدَمُ بِأَبِي الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا
رَمَزَ الْكِتَابِ بِهِ وَقَلَ مَنْ أَنْتَهُ
أَنْظِرْ تَجِدُهُ أَتْنِينَ فِي عَيْنِ الْحَجِي
دَعِ مَا أَدْعَيْتَ فَلَيْسَ مَنْ سَجَدَتْ لَهُ
مَنْ عَلَّمَ الْأَسْمَاءَ لَمْ يَكُ عَاصِيَا
وَاللَّهُ مِنْذُ الْبَدْءِ حَيٌّ خَلْقُهُ
مُتَجَلِّيَا وَهُمْ هُنَاكَ أَظْلَمَةُ
نَادَى وَأَشْهَدُهُمْ ﴿الْسُّنْتُ بِرَبِّكُمْ
لَيْسَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ وَتَرَكَّدَتْ
كَانُوا هُنَاكَ مُقَرَّبِينَ وَوَاقِفَا
﴿قَالَ أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعَا بَعْضُكُمْ﴾
وَلِيَأْتِيَنَّكُمْ هُدًى فَمِنْ أَهْتَدَى
هَبَطُوا وَأَزْسَلْ آدَمَا كَمِثَالِهِمْ
يَحْدُوهُمْ عَوْدَا إِلَى مَا أَهْبَطُوا
يَنْلُو الرِّسَالَةَ مُنْذَرَا وَمُذَكَّرَا
فَأَجَابَ دَعْوَتَهُ قَلِيلٌ وَاتَّحَى
فَالسَّابِقُونَ رَقُوا إِلَى الْتَجِدِ الَّذِي
وَتَوَى يُعَانِي فِي مَفَاوِزِ غَوْرِهِ
مُتَطَّلِعَا نَحْوَ الْأُولَى طَلَّبُوا الْعُلَى

تَطْوِي حُزُونًا لِلنَّوَى وَشُهُولًا
فَصَدَفَتْ عَنْهُ بَغِيرَهُ مَشْغُولًا
وَالرُّشْدُ نَصَبَ عَنِ الِيمِينِ قَبُولًا
هُوَ مَا تَرَاءَى فِي الغُوبِ اصْبِلًا
مِمَّا بَدَا لَكَ أَنْفًا لِتُحُولًا
بِرِعَايَةِ العَهْدِ القَدِيمِ كَسُولًا
كَانَ النَّيْلُ مِنَ الأَنَامِ نَيْلًا
وَسَعَتِكَ نِعْمَةٌ رَفَقَهَا تَذْلِيلًا
تَقْطَعُ مَدَاهُ نِعَامَةً إِجْفِيلًا
يَطْوِي وَهَادًا جَمَّةً وَتَلْوَلًا
لَا تَحْمِلَنَّ مِنَ العَنَاءِ حَمُولًا
وَيَرْوِحُ سَرْحَكَ فِي القِفَارِ مَحِيلًا
رَبْعًا بِأَنْدَاءِ النِّعَمِ خَضِيلًا

* * *

بِالْكَفْرِ أَنْفُسُهُمْ لَهُمْ تَسْوِيلًا
وَزَوَاحِفًا وَدَوَاجِنًا وَوَعُولًا
وَاللَّهُ مِنْ هَدِيْنِ بَثِّ قَيْلًا
لَا مِثْلَمَا هَرَفُوا بِهِ تَخْيِيلًا
نَسَلًا وَمِنْ حَمْلِ الثَّرَابِ سَلِيلًا
يَا عَدْلُ سِيَمَتِ فِي الوَهَادِ حُلُولًا
لَمْ تَصِفْ تَنْقِيَةً وَلَا تَعْوِيلًا
خَلَاقِهَا فَهَوَتْ تَخِرُّ نَزُولًا
فِيهَا فَرَدَّ خَطَابَهَا تَجْهِيلًا
سِيَقَتْ إِلَى مَا فَارَقْتَهُ قَفُولًا
يَقْضِي وَلَمْ يَكُ وَزْنُهُ لِيَمِيلًا
مِنْ قِسْطِهِ بِالأَمْسِ كَانَ طَوِيلًا

ذُقْ مَا جَنَيْتَ فَمَا تَزَالُ مُطَوَّفًا
أَوْلَمْ يُنَاوِلْكَ الرُّسَالَةَ أَدَمَ
صَرَفْتَ دُبُورُ العَيِّ نَفْسَكَ شِمَالًا
إِنَّ الَّذِي حَيٌّ بِنَجْدِ بُكْرَةَ
لَمْ يَسْتَحِلْ عَمَّا عَهَدَتْ مِمَّا عَدَا
ثُبَّتْ فُؤَادَكَ بِالْيَقِينِ وَلَا تُكُنْ
وَخَلَكَ ذَمُّ مَا أَجْنَبْتَ وَمِنْ هُنَا
سِرُّ الحَيَاةِ عِنَايَةٌ مِنْ مَنَعِمِ
فَأَكْبَحُ جَمَاحِكَ فِي مَرَاغِمِهَا وَلَا
أَوْغِلْ بِرِفْقِي فِيهِ أَنْ مُرِيدَهُ
سَبَقَ المُخِيفَ بِهِ فَكُنْ مُتَحَفِّفًا
كَمْ ذَا تَنَالُ مِنَ الهَشِيمِ وَتَرْتَعِي
مَنْ تَنْسُمُ هِمَّتُهُ بِهِ يَرْتَدُّ لَهَا

أَمَّا الأُلَى جَحَدُوا الإِلهَ وَسَوَّلَتْ
فَتَحَوَّلُوا بَعْدَ الجُحُودِ ضَوْرِيًا
وَالنَّفْسُ وَاحِدَةٌ وَمِنْهَا زَوْجُهَا
كُلِّيَّةٌ كُبْرَى وَجِسْمٌ مُطْلَقٌ
حَاشَاهُمَا لَمْ يَعْقُبَا مِنْ نُطْقَةٍ
هِيَ أَنْفُسٌ جُزْئِيَّةٌ نَجْدِيَّةٌ
صُبَّتْ مِنَ الرَّاوِقِ وَهِيَ ثِمَالَةٌ
عَدِمَتْ نَفَاءَ الذَّاتِ فَأَعْتَرَضَتْ عَلَيَّ
قَالَتْ أَتَجْعَلُ سَافِكًا أَوْ مُفْسِدًا
هَبَطْتَ بِمَا أَقْتَرْتِ وَإِنَّ هِيَ كَفَرَتْ
وَاللَّهُ بِالقِسْطِ بَيْنَ عِبَادِهِ
وَالعَدْلُ رَبُّ قَصِيرِ عُمْرٍ لَمْ يَفِدْ

صَحِبُوا الزَّمَانَ مَشَايخًا وَكُهُولًا
 فِي نَيْلٍ غَيْرِ مُقَدَّرٍ مَا نَيْلًا
 زَيْدٌ وَلَا يَحْمَدُ عَلَيْهِ عَقِيلًا
 مِنْ قَبْلِ بِالإِقْتَارِ عَاشَ ذَلِيلًا
 فِي النَّاسِ عَانِي ذِلَّةٍ وَخُمُولًا
 يُقْتَلُ بِهِ فِيهِ يَرْوَحُ قَتِيلًا
 مَنْ يَسْتَحِقُّ لِمَا يُرِيدُ وَصُولًا
 عَرَضَ الْفَنَاءِ يُزَاوِلُ التَّخْوِيلًا
 أَهْلُ الْحَقَائِقِ فَانشُدِ التَّفْصِيلًا
 وَأَيْلٌ مِنْهُ لَوْ وَجَدْتُ حَمُولًا
 فَصَلًا فَإِنَّ وَرَاءَ ذَلِكَ فَصُولًا
 وَاللَّهُ بِبَايِنٍ بَيْنَهُمْ تَفْضِيلًا
 جَاءَ الْبَرِيَّةَ مِنْهَا مَغْسُولًا
 لِأَخِيهِ أُرْسِلَ مُشْبَهًا وَمَثِيلًا
 ذِي النَّوْنِ أَوْ أَنْوَسِ أَوْ شَمُونِيًا
 وَحَقِيقَةُ الْأَسْمَاءِ لَا تَبْدِيلًا

* * *

وَالْجَهْلُ وَالْإِعْجَابُ مِنْ قَائِلًا
 بِالْكَائِنَاتِ فَمَنْ يَهَابُ الْغُولًا
 فَإِذَا هِيَ أَتَبَعْتَهُ كَانَ خَذُولًا
 فِي الْكَوْنِ وَانْتِظَمَ الْأَنَامَ شُمُولًا
 مِنْ أَوْلِيَيْنِ وَآخِرِيْنَ قَلِيلًا
 لَمْ تَدْرِ لِلْخَيْرِ الْأَعْمَ سَبِيلًا
 شَهْدِي فَهَلْ وَجَدَ السَّهَادَ مَلُولًا
 يَا حَبِذَا مَا الْفِكْرُ فِيهِ أَجِيلًا

كَمْ صَبِيَّةٌ بَكَرَ الْقَضَاءُ عَلَيْهِمْ
 وَالرِّزْقُ مَفْسُومٌ فَلَوْ طَمِعَ أَمْرُو
 لَا يَخْزَنَنَّ عَلَيَّ الَّذِي لَمْ يُؤْتَهُ
 هَذَا الَّذِي بِإِكْمَالِ عَزِّ جَنَابُهُ
 وَالْجَاءَ مِثْلُ الرِّزْقِ كَمْ مِنْ نَابِهِ
 وَالْبَغْيُ سَيْفٌ خَابَ حَامِلُهُ فَمَنْ
 وَالشَّقِيَّ مَا مُورٌ بِهِ وَمَيْسَرٌ
 أَبَتِ الْجَوَاهِرُ أَنْ تَحُولَ وَإِنَّمَا
 أَجْمَلْتُ فِي تَبْيَانِ مَا سَمَّخْتُ بِهِ
 وَحَمَلْتُ هَذَا السَّرَّ غَيْرَ مُبَدَّرٍ
 وَإِذَا الْكِتَابَ قَرَأْتُ مِنْ تَمَهِيدِهِ
 وَالْأَنْبِيَاءِ مُبَشَّرٍ وَمُبَلَّغٍ
 وَالرُّسُلُ كُلُّ مَنْ سَلَفَةَ عِصْمَةَ
 لَا فَرْقَ بَيْنَ الْمُرْسَلِينَ فَكُلَّهُمْ
 مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّ كِيُونَسَ
 تَبَدَّلَ الْأَسْمَاءُ فِي كُلِّ اللَّغَى

وَالسَّرُّ فِي الدُّنْيَا وَعَلْتُهُ الْهَوَى
 غُولٌ تَجَسَّدَ فِي الْبَسِيطَةِ فَاتِكُ
 رُوحٌ يُزَيِّنُ لِلنَّفُوسِ غُزُورَةَ
 نَارٌ مِنَ الْغَضَبِ اسْتَطَارَ دُخَانُهَا
 يَعْدُو عَلَى الْأَقْوَامِ إِلَّا ثَلَاثَةَ
 وَالسَّرُّ لَوْ غُمَّتْ عَلَيْكَ سَبِيلُهُ
 مَا زِلْتَ أَحْيَى اللَّيْلِ حَتَّى مَلْتِي
 وَأَجِيلُ فِكْرِي مَمْعِنًا وَمُنْقَبًا

أما الكيان فذاب منه نحولا
 وأسوم فيها الجدّ والتحصيلا
 علماً ولم أر لئله عديلا
 صوراً ولا مثلتها تمثيلا
 بصراً ولا أنحسر العيان كليلا
 وسمعت في رجع النداء هديلا
 ناراً شهدت لها ضحى وطفولا
 لم يخش بأسقها النصير ذبولا
 للطور غادرت الكئيب مهيلا
 من زيتها في مهجتي قديلا

* * *

ونزعت من غم الشكوك شدولا
 وفرشت في ظل الوصي مقيلا
 قبل العظام حدائقاً وحقولا
 يوماً فلانا في الحياة خليلا
 قولا على سنع الزمان ثقيلا
 ما كان منها بادياً ودخिला
 إلا ممتعة الحجاب بثولا
 يوماً ولا عنها الستار أزيلا
 إلا إليها العلم كان غلولا
 وإمامها وحسامها المسلولا
 عقرؤا قديماً ناقةً وفصيلا
 فيمن نمت السم والثقيلا
 من وغده الإملاء وأتمهلا
 متأثراً دزب الفنيق بزولا
 بهواك راح مئيماً مئبولا

شهد أفساد الفكر منه قوة
 سافرت في الأسفار أنتجع الرؤى
 وعينت بالتوحيد لم أعدل به
 نزهت ذات الله ما صوزتها
 وكشفت ما دون الغطاء فما طعى
 ومكثت حول النار وهنا أضطلي
 وسريت في الوادي اليمين مؤانسا
 وقبست نور النار من زيتونة
 ورأيت شمساً لو تجلى نورها
 والله أسرج باليقين وبرده

نوزت من خطب الوصي بصيرتي
 عرست ما هومت في وادي الكرى
 وغرست بين جوانحي من حبه
 وصدقت فيه خلتي لم اتخذ
 رب الإلهيات ألقى علمه
 باب المدينة جامع مستوعب
 قرع العذارى في المعارف ما أتى
 لولاه لم تجل الفهوم فريده
 هو عيبه العلم الشريف إذا أتمى
 يا أوحد الدنيا ونقطة بانها
 إن الألى قتلوا الحسين هم الألى
 تخذوا قلاك عقيدة وتعقبوا
 دغهم فإن الله قد أعطاهم
 إن قلت خف النصب قام حواره
 يا خيبة القالي ويا فوز امرىء

سُبْحَانَ ذِي الْأَمْرِ الَّذِي مَا يَقْضِيهِ
الْعَلَّةِ الْأُولَى وَمَا كَيْفَتَهَا
مَا جَالَ فِيهَا الْعَقْلُ إِلَّا زَادَهُ
أَزَلَ عَنِ التَّحْدِيدِ جَلًّا وَسَزَمَهُ
بَادَ مَنِيْعُ الْغَيْبِ لَيْسَ بِمُدْرِكِ
أَنْفِي وَأَبَيْتُ مَا أَرَى مِمَّا أَرَى
صَمَدٌ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ مُشَبَّهًا
سُبْحَانَهُ مَا لِلْبَصَائِرِ مَسْرُوحٌ
وَشَهِدْتُ أَنَّ الْعَقْلَ أَوَّلُ مَا بَدَأَ
أَحَدٌ قَدِيمُ الذَّاتِ أَبَدَعُ وَاحِدًا
وَاللَّهِ فَوْضَ أَمْرِهِ فِي مَلِكِهِ
يَقْضِي وَيُمْضِي مَا يَشَاءُ بِقُدْرَةٍ
لَا أَسْتَدِلُّ عَلَى الْإِلَهِ بِغَيْرِهِ
وَأَقُولُ إِنَّ الْعَقْلَ مِنْهُ مُبْدَعٌ
هُوَ خَالِقُ النَّفْسِ الَّتِي مِنْ مَائِهَا
نَفْسٌ مُبَوَّلَةٌ إِلَيْهَا يَنْتَهِي
الْعَالَمُ الْعُلُوبِيُّ مِنْ نَفْحَاتِهَا
أَنَا فِي فِتْنَتِكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ مِنْ
بَكَتِ الصَّلَاةُ فَهَلْ سَمِعْتَ بِحَادِثِ
رَقَدَ الَّذِي غَلَبَ الرُّقَادَ فَقُلْ لَهُ
وَيْحَ الثَّرَابِ لِجَبْهَةِ طَافَتْ بِهِ
الآنَ مِنْ بَعْدِ الْمَمَاتِ خَلَابِهَا
يَا مُحْسِنَ الْأَفْعَالِ لَوْلَا عِصْمَةٌ
أَيُّ الْمَنَاقِبِ وَالْخِلَالِ كَرِيمَةٌ
يَابْنَ الْبُهَالِيلِ الْكِرَامِ وَلَيْسَ مِنْ
وَأَبْنِ الذِّينِ كَأَنَّمَا يَعْنِيهِمْ

فِي الْكَوْنِ أَصْبَحَ نَافِذًا مَفْعُولًا
وَأَزَى سِوَاهَا مُخَدَّتًا مَغْلُوبًا
طُولُ التَّأَمُّلِ حَيْرَةٌ وَذُهُولًا
وَهَبَ الْوُجُودَ كَمَالَهُ التَّكْمِيلًا
عِنْدَ الْبُرُوعِ وَلَا أَضْمَحَلَّ أَقُولًا
وَأَجَانِبُ التَّجْسِيمِ وَالتَّعْطِيلِ
أَوْ بِالصِّفَاتِ أَوْ التَّعْوِثِ مَثُولًا
فِي كُنْهِهِ لِتَخْوِضٍ أَوْ لِتَجْوَلًا
مِنْهُ فِقَاصٌ عَلَى الْوُجُودِ عُقُولًا
لَا بَائِنًا عَنْهُ وَلَا مَوْصُولًا
لَا مُسْتَعِينًا بَلْ أَنْابَ وَكَيْلًا
مَنْحَتُهُ فِي سُلْطَانِهَا التَّخْوِينِ
إِنِّي أَرَى مِنْهُ عَلَيْهِ دَلِيلًا
مَا قُلْتُ كَانَ كَغَيْرِهِ مَجْعُولًا
فِي كُلِّ حَيٍّ لِلْحَيَاةِ هَيُولًا
شَرَفَ الْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ أَثِيلًا
يَسْتَأْفُ قُدْسِي النَّسِيمِ عَلِيلًا
ذِي لِبْدَةٍ فِي الْغَيْلِ أَمْنَعُ غِيلًا
قَطَعَ الصَّلَاةَ وَعَطَّلَ التَّرْتِيلًا
أَتَبَرَّى الضَّعِيفُ مِنَ الْقَوِيِّ أَدِيلًا
وَلَهَى وَكَمْ ظَفَرَتْ بِهِ تَقْيِيلًا
وَعَدَا عَلَى ذَاكَ الْجَمَالِ مَهِيلًا
فَاتَّتَكَ أَرْسَلَكِ الْإِلَهَ رَشُولًا
لَمْ تَجْنِ مِنْهَا السَّائِغَ الْمَغْسُولًا
أَبْنَائِهِمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ بُهْلُولًا
وَصَفَّ الْوَصِيَّ شَمَائِلًا وَمُيُولًا

أَنْتَ أَبْنَهُمْ وَلَمَحْتُ مِنْ قَسَمَاتِهِمْ
يَا نَازِلَ الْفِرْدَوْسِ بَيْنَ رِفَاقِهِ
رَضْوَانِ حَوْلِكَ ضَاحِكُ فَكَأَنَّمَا
عَجَلْتُ رِفَاقَكَ فِي الرَّحِيلِ وَحَزْتِ
كَالسَّرْبِ طَارَ وَقَدْ تَخَلَّفَ بَغْضُهُ
هَذَا قَدْ وَفَيْتُ بِمَا وَعَدْتُ وَسَرَّيْ
وَالشُّعْرَ لَيْسَ يُجَلُّ مِثْلًا لَمْ يَكُنْ
فَأَذْهَبَ كَمَا هَبَّ الصَّبَا سَحْرًا بِهِ

* * *

الشيخ إبراهيم عبد اللطيف^(١)

كَمْ شَجِيٍّ أَسَالَ بَيْنَ الطُّلُولِ
سَارَتِ الْعَيْسُ بِالْأَجْبَةِ عَنْهُ
شَرَّقَ الْجَفْنَ مِنْهُ بِالذَّمْعِ لَمَّا
فَهْوَ بَيْنَ الرُّسُومِ يُمَسِّي وَيُضْحِي
حَاضِرَ الشُّخْصِ نَازِحَ الْقَلْبِ
مُسْتَعِضَاءً عَنِ الشَّرَابِ سَرَابًا
سَائِقَ الظُّغْنِ إِنْ مَرَزَتْ بِتَجْدِ
وَأَعْطَفِ الرُّكْبَ نَحْوَحِي شُعَادِ
حَيْثُ تَهْوِي الْحَجِيجُ فَوْقَ قِلَاصِ
حَيْثُ تَهْوِي الْقُلُوبُ مِنْ كُلِّ فَجْ
حَيْثُ عَيْنُ الْمَهَا مَنِيَعَةٌ وَضَلِ
لَهْفَ نَفْسِي مَتَى أَفْوَزُ بِقُرْبِ
لَيْسَ إِلَّا وَلَا يَتَسَّى وَاعْتَصَامِي

* * *

(١) الشاعر الشيخ إبراهيم عبد اللطيف من هوألد ١٢٩٦ هـ. بصافيتا، توفي عام ١٣٣٤ هـ.

ما أغفله التاريخ: العلويون أو النصيرية

مجلة الأمانى: الشيخ عيسى سعود قاضي العلويين في اللاذقية ١٩٣٠

المقال الأول:

العلويون هم فرقة شيعية انسلخت عن جماعة السنة، لأسباب سياسية أكثر منها دينية، وذلك في عهد معاوية بن أبي سفيان الخليفة المشهور، والشيعه هي الفرقة على حدة، من حيث المعنى اللغوي: إلا أن اسمها غلب على من يتولى عليها وأهل بيته، وهي مخلصه الولاء لأهل البيت، شديدة الحرص على وفائهم، عرفت بالعلوية، لفرط حبها ومفاداتها لعلّي (ع)، وصدق عواطفها له في موافقه الحربية والدينية، وقد استخلصها واصطفها، من قبائل شتى، ودعاها بأهل خاصته، كما سنؤيد ذلك بالبراهين والأدلة.

أما نعتها «بالنصيرية»، فيعود إلى عهد السيد أبي شعيب محمّد بن نصير النميري العلوي، بواب الإمام الحسن العسكري (ع) سنة ٥٢٠ هـ الذي جمع شتاتها، بمساعدة الإمام المذكور بعد أن كادت تمزقها الحروب والأيام.

وفي أيام إمارة سيف الدولة في حلب، سنة ٢٨٣ هـ، نبغ من العلويين شيخهم المعروف بالحسين بن حمدان الخصيبي، أحد أقرب العلماء إلى سيف الدولة علي بن حمدان «ممدوح المتنبّي» وصاحب كتاب «الهداية الكبرى» فساعده هذا الأمير على بث دعوته وجمع كلمة هذه الطائفة، والتف حوله من الأمراء والشعراء والمؤلفين العدد الكثير، فأخذوا عنه ونشروا دعوته، في سوريا والعراق ومصر، وبلاد العجم وفارس، وغيرها من البلدان، وسنشير إلى أسمائهم وتراجمهم وتأييد دعوتهم ومبلغ أدبهم، في مقالاتنا الآتية.

ومن يتصفح التاريخ، في صدر الإسلام يجد أن لا مندوحة للشيعيين من التكتّم والتحفّظ، في أغلب أعمالهم وخططهم، لا سيما هذه الطائفة العلوية التي عبث بها الزمن، ورميت بتهم مبتدعة، كان من شأنها أن نبذت من السنة والشيعه، كما هو مشهور، وقد بلغ بها الحرص على تقاليدنا الدينية مبلغاً عظيماً

تفاوت بها رجالها، في كل زمان ومكان، ورغم تقلبها في ظروف عصبية قاسية، لم ينفك الكثيرون من رجالها يتابعون دراساتهم في المعاهد العلمية، عابثين بتلك الطوارئ الجائرة، حتى نبغ منهم عدد كبير بالفلسفة والطبيعات والحديث والفقه والفنون الأدبية، ولهم بكل منها مؤلفات مطولة ومختصرة، لم يسبق لغيرهم مثلها في العصر الإسلامي، إلا ما ندر، ومنها ما هو مطبوع، ومنها ما لا يزال خطأً، سيجيء البحث عنها والإشارة إلى مواضيعها الهامة في حينه.

قلنا سابقاً، إن الشيعة مزيج، من طوائف وقبائل شتى، تتأثر كل منها بطباع وأخلاق خاصة، لا تعود إلى نسب واحد، لذا من الصعب أن تكون ذات أخلاق متشابهة، تصلح لتقرير حالة إجتماعية يثبتها المؤرخ، كحقيقة يعاد إليها، ولكن لبعض هذه القبائل عادات بدوية محضة، كإكرام الضيف ورعاية الجار وشن الغارات، وغيرها من التقاليد التي أخذ بعضها بالتلاشي، سيراً مع الحضارة والرقى، ولأبنائها نصيب لا ينكر من الذكاء الفطري وحضور الذهنية، ومن هؤلاء: الخطيب والشاعر والكاتب والمؤلف، ممن يشار إليهم بالبنان، ولكن تعاقب الحوادث عليهم في الأقطار العربية، وتفرقهم إلى عشائر مختلفة، وزرع بذور الشقاق بين طبقاتهم، كل ذلك أدى إلى الحيلولة دون تقدمهم بالعلوم والصنائع والرقى الإجتماعي، مما يبرهنه التاريخ، ويفصح عنه حبّ الزعامة.

وإذا قلنا حبّ الزعامة، بدا لنا ذلك الأثر الكالح الذي خلفته السيطرة وراء القرون، والأجيال، يشير إلى مبلغ الإضطهاد الذي كانت تعانيه الفئات، بين سائر الأوساط، فيهيّب بها إلى الخضوع لرأي الزعامة الغاشمة، ومن ينعم النظر في صفحات تاريخ العصور الإسلامية والحوادث الشرقية، يرى أثر هذا التفريق بادياً بكل معانيه، ولولا إنصراف نوايغ الإسلام، إلى المبارزة والإحتجاج والإنكباب على تأليف الفصول المسهبة، بتأييد الأقوال والمزاعم لتغير مجرى التاريخ من كل نواحيه.

المقال الثاني:

ذكرنا في كلمتنا السابقة، أن العلويين فرقة شيعية أنسلخت عن جماعة

السنة، في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان، ولكن أثر هذا الإنسلاخ يعود إلى عوامل جمة تأثرت بها نفوس الفريقين، منذ ابتداء الإسلام، غير أنها اكتسبت مظهراً حاسماً في عهد الخليفة المذكور، وأهم تلك الحوادث، هو ما وقع على تقرير الأفضلية بين الخليفتين: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ذلك التطاحن الذي غص بذكره التاريخ الإسلامي، وتناقله كُتَّابُ العصور، منذ أربعة عشر قرناً.

كانت هذه الطائفة (العلوية) ولم تزل، إلى جانب علي وأهل بيته، تتمشى مع الأجيال متأثرة بالظروف، كأخواتها من الفرق الشيعية، بينما لكل من هذه الفرق أقوال ومذاهب شتى تصطبغ بها، ولكنهم متفقون بالغاية على أفضلية علي. والفرقة (العلوية) التي هي أقل عدداً من سواها، أكثر الفرق الشيعية حباً وولاءً لعلي وأهل بيته، بل لا نغالي إذا قلنا: إن حبها هذا كان ضرب من ضروب العبادة.

شاء الله أن يؤيد الإسلام، ويرفع به إلى ما فوق العروش العظيمة، ولكنه لم يشأ أن يجعله أمة واحدة، فأوجد تلك الخلافة العظمى، التي رأى بها بنو هاشم حقاً من حقوقهم الشرعية، والخلفاء الراشدون وبنو أمية دعامة لتمكين نفوذهم، يؤيدهم بذلك إجماع الأمة ورأي الجماعة، فكان ذلك التنازع، وما جره من الويلات على المسلمين عامة، وعلى الشرق خاصة.

وانتبه العلويون إلى تلك الأحوال، فأدركوا مواضع الضعف من أنصار بني هاشم، كما علموا أن ليس في صفوف الشيعة ما يثبت تجاه ذلك التيار الصاحب، فلزموا السكوت على مضمض. ولكن حميتهم العربية وحبهم لأهل البيت كانا يستفزانهما، خفافاً وثقالاً، إلى ميادين العراك، سعيّاً وراء التضحية في سبيل نزعتهم الصادقة، وهذه النزعة التي أهابت بأكثريةهم إلى سوء المغبة، جعلت الأئمة والعلماء ينشطون إلى تسكين الحركات، كلما حدث شغب أو خصام بين الفريقين، حقناً لدماء المسلمين، وحرصاً على مستقبل تلك الأمة الفتية، فتأثرت نفسية الشعب تأثراً محسوساً، لا سيما ونتائج التطاحن ستكون عاقبة سيئة إلى

جانب الفريقين، و«الإسلام غض طري» فأركنوا إلى المجاملات والتحاب، لإخماد الثورات في البلاد الإسلامية.

وكان أكثر خلفاء الأمويين يتوددون إلى الهاشميين، ويقربونهم منهم، ويأخذون بأقوالهم وفتاويهم النبوية، ويوسعون لهم صدور المجالس، وينصتون لمواعظهم وحكمهم، ويعقدون الجلسات الخاصة لاستماع مناظراتهم، مع العلماء والفلاسفة، وأرباب الأقوال، وكان لأولئك الأعلام اجتماعات خاصة، مع جماعة العلويين، يلقون فيها إليهم بالعلوم الربانية والإرشادات الدينية، مما لم يرق الأمويين، فآثر ذلك في نفوسهم تأثيراً جعلهم يحسدونهم على علومهم، أكثر مما كان يحسدهم أولئك على الخلافة التي يرونها حقاً شرعياً، كما تقدم.

وسلك بعدهم الخلفاء العباسيون المسلك نفسه مع العلويين، وبقوا ينسجون على هذا المنوال، إلى أن ضعف سلطانهم، في زمن المستكفي بالله، حوالي سنة ٣٣٣ هـ، حيث استبد بملكهم بنو حمدان بن حمدون بن الحارس بن لقمان بن أسد العدوي التغلبي، وهناك تنفس العلويون الصعداء وأمن جانبهم، وإذ ذاك قام بالدعوة شيخهم الكبير السيد أبو عبد الله الحسين بن حمدان الذي اتخذ الشهباء موطناً له، وانتشرت في المدن والأمصار بسرعة مدهشة، بمعاونة أمراء بني بويه، في العراق والأهواز وفارس، حيث كان ظهورهم في سنة ٣٢٢ هـ، وكان من أخبار أوليتهم أن أباهم شجاع بن بويه بن فنخت، الذي ساق نسبه ابن ماكولا إلى سابور ذي الأكتاف الفارسي، كان رجلاً صياداً، قد ماتت زوجته بعد أن تركت له ثلاثة أولاد، هم: أبو الحسن علي الذي لقب بعماد الدولة، وأبو علي الحسن الذي لقب بركن الدولة، وأبو الحسن أحمد الذي لقب بمعز الدولة، وقد أخطأ من قال: إن معز الدولة هذا هو والد محمد بن الأمير معز الدولة علي بن عيسى كويلح صاحب رسالة العلم والبيان، فمحمد هذا، كانت ولادته، حسب نصه في الرسالة سنة ٣٨٩ هـ، والأمير معز الدولة بن بويه توفي سنة ٣٥٥ هـ وكلاهما سيذكر في حينه.

المقال الثالث :

نعود هنا إلى ذكر رجال العلويين الذين برزوا، في مطلع فجر الإسلام، ليتسنى لنا تأييد ما أشرنا إليه، في أبحاثنا السابقة، وليتخذ الموضوع شكلاً منسجماً يعتد به، لأن الصعوبات التي تعترض متتبع هذه الأبحاث كثيرة وكثيرة جداً، لا سيما من جهة تقرير الزمن والتوقيت، وإخراج نماذج من آداب من تولاهاهم جور المحيط، فإن طائفة من كبار مفكري العلويين، أصحاب المخطوطات القيمة التي لم تتناولها المطابع حتى الآن بمعزل عن الكتب التاريخية المعروفة، وكتب سير الرجال التي هي في متناول الأيدي، كدائرة المعارف، وابن الأثير، ونفح الطيب، ومؤلفات زيدان التي هي أقرب الموارد التاريخية أسلوباً وترتيباً، ذلك عدا الغموض الملازم، لهذه الأساطير، مما يحتاج إلى كبير دقة وتنقيب، ولا يذهب القارئ الكريم في تفسير هذا، إلى أنني على يقين من مهجة الصواب، إذ العصمة لله وحده، ولكني أسير بهذا البحث إلى ناحية لها قيمتها، عند الذين يقدرون ما يعثور الملم بهذه المواضيع من العقبات المانعة.

أما مؤسس هذه الطائفة ومخرجها بهذا الشكل ومختصها لنفسه، فهو الإمام علي بن أبي طالب، حجة الله على خلقه، ومؤيد دعوة نبيه (ص) بسيفه ولسانه، ذو المقدرة التي لا ينكرها عليه منكر، والفضل الذي لا يحتاج إلى بيّنة، ثقة الكلام والعمل، ذلك الرجل الذي راض الأمور وقتلها خبرة، لم يقل كلمة إلا ملؤها الحكم والجرأة والصدق، ولا فكر في فكرة إلا وأصاب الحقيقة، جاء بإعجاز الكلام، مما دهشت له أكابر العلماء في كل زمان ومكان.

وقد شهد التاريخ أن الإسلام مدين لعلي (ع)، وأن النبي (ص) ألقى إليه بمقاليده الأمة كلفة، واعتمد عليه في تدبير تلك الحكومة البعيدة الأطراف، لما يعهد فيه من الجدارة والكفاءة، فأثار السبل ووطد دعائم العلم والعرفان، وأتى بالمثل العلية لكل صور الحياة، ولم يكن (ع) ليخرج مقدار ذرة عن الفكرة النبوية، مهما كلفه الأمر، وكم ثمة من عقبة كؤود وظروف مخيفة دعا إليها أبناء خاصته - أي العلويين - فأجابوه، وأمرهم فأطاعوه. وثبتوا معه في مواقفه الحربية

والدينية، مما جعل لهم في نفسه ميزة سامية، ولا عجب إذا سار بهم كرم الله وجهه إلى الحجة القوية والمنهج السديد.

ولما أرادوا مبايعته في الخلافة، عليه السلام، قال: لا حاجة بي في أمركم، فمن اخترتم رضيت به، فقالوا ما نختار سواك، وترددوا إليه مراراً، وآخر ما خاطبوه في أمرها هو هذا: «لا نعلم أن أحداً أحق بها، ولا أقرب لرسول الله منك» فقال: لا تفعلوا، فإني أكون وزيراً ولا أكون أميراً، فقالوا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك.

ليس عليّ ممن تحدوهم الغاية لتسلم مقاليد الأمور، ولم يكن، في كل أدوار حياته، إلاّ مثلاً لإنسانية خالدة، بعيداً عن الأثرة وحب الذات، وليست كلماته هذه إلاّ رمزاً لحكمة صادقة، لأنه علم بالاختلاف العامل في كيان الأمة وبين طبقاتها كافة، وأول خطبة ألقاها، عند تسلمه الخلافة، بعد الحمد والثناء على نعم الخالق، قال: إن الله أنزل كتاباً هادياً يبين فيه الخير والشر، فخذوا الخير ودعوا الشر، وأدوا الفرائض إلى الله تعالى يُؤدّكم إلى الجنة، إن الله حرم حرمات غير مجهولة، وفضل حرمة المسلم على الحرمات كلها، وشد بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، إلاّ بالحق، لا يحل دم امرئ مسلم إلاّ بما يجب، بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم الموت، فإن الناس أمامكم، إن من خلفكم الساعة تحذركم، فخففوا تلحقوا، فإنما ينتظر بالناس آخرهم، اتقوا الله يا عباد الله في بلاده، إنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله فلا تعصوه، واذكروا إذ أنتم مستضعفون في الأرض الخ... لم يأمر (ع) إلاّ بما أمر به، ولم ينه إلاّ عما انتهى عنه، ولقد كان قدوة صالحة في سائر أقواله وأعماله.

هذه لمحة سريعة، عن بعض الأسباب التي تأثرت بها الحالة العلوية، في صدر الإسلام، فخلقت ذلك الكيان الذي أصبح مصيره عبث الدهور، وما كنا لنلم باستطرادها، إلاّ على سبيل تمهيد لأبحاثنا القادمة.

المقال الرابع :

ذكرنا في أبحاثنا السابقة، أن الإمام علياً (ع) هو مؤسس هذه الأمة والعامل على إرشادها إلى التعاليم النبوية، وقد اجتمع حوله طائفة من الأنصار الذين برزوا في عالم الإسلام، كأبي عبد الله سلمان الفارسي، والمقداد بن أسود الكندي، وأبي ذر جندب بن جنادة بن سكن الغفاري، وعبد الله بن رواحة الأنصاري، وعثمان بن مظعون النجاشي، وقنبر بن كادان الدوسي، وعمار بن ياسر، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبي الهيثم مالك بن تيهان الأشهلي، والمنذر بن عمر، وكناس بن لوزان الساعدي، وعصبة غيرهم من عليّة القوم وخيرة المجاهدين، يضيّق بنا المقام عن ذكرهم وعملوا بكل قواهم على جمع كلمة الإسلام، دون أن يطمحوا، من وراء تضحياتهم، إلى ما يتهدى للمجاهد من ضروب الحفاوة والإجلال، بل كان جهادهم منزهاً عن كل غاية دنيئة، يساعدهم على المضي في سبيله صدق عقيدتهم، في ما يعملون، ورغبتهم في الوفاء بما عاهدوا عليه الله، من الإخلاص لأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، يدلنا على ذلك ما اعتورهم من الذل والإهانة، في سبيل مبدأهم الحي، لا سيما في واقعتي الجمل وصفين المشهورتين.

وقد نرى، أن العلويين ينظرون إلى خمسة من أولئك المجاهدين نظرة عالية مشبعة بالإحترام، لا لأنهم وقفوا إلى جمع كيان طائفتهم فحسب، بل لأنهم آثروا التضحية على التمتع الدنيا ومذمة علي، ثم إن هذا الإحترام أخذ يتجدد كل يوم في نفوس العلويين، حتى إنقلب إلى شيء من قوة الإستمرار، مما جعل بعض أعداء العلويين يقولون: إن هذه الطائفة - أي العلوية - تعتبر أن جوهر العقيدة العلوية يتمثل بخمسة من أنصار علي، وقد خلعوا على اعتبارهم هذا مسحة خيالية حالت دون بلوغهم الحقيقة غير أن أولئك الخمسة يعدون بحق دعامة متينة للعلوية، وقد أطلق عليهم اسم الخمسة الأيتام الكرام، للأسباب التالية:

الخمسة الأيتام:

الخمسة الأيتام هم: المقداد بن الأسود الكندي، وأبي ذر جندب بن جنادة الغفاري، وعبد الله بن رواحة الأنصاري، وعثمان بن مظعون النجاشي، وقنبر بن كادان الدوسي، وقد جمعهم الشاعر العلوي أبو الفضل محمد بن الحسن المنتجب العاني بقوله:

مقداد جندب عبد الله يردفه عثمان مع قنبر وهو ابن كادان

عرفوا بالأيتام الخمسة، لا ليرمز بهم إلى مذهب روحاني، بل لاتخاذهم من سلمان الفارسي أباً صادقاً يغمرهم بعطفه وحنوه، وهنا يتساءل البعض عن سلمان الفارسي هذا، وعن مكانته، ما دام من يلتحق به يعد كريماً طاهراً، فتزولاً عند هذه الرغبة نوجز عن سلمان بما يلي:

سلمان، هو المعروف بروزبة بن المرزبان أحد أبناء الدهاقين من بلدة شيراز، وكان قد ترك بلاده لثمة اختلافات دينية ما بينه وبين الفرس، ثم ابتاعته امرأة يهودية، من قافلة كانت تقصد إلى الحجاز، ثم ابتاعه النبي (ص) من المرأة اليهودية وأدخله بيته، وقد قال فيه: «سلمان منا أهل البيت» فقيل له: من بني هاشم؟ فقال: نعم، من بني هاشم.

ومن قوله (ص) بخ بخ يا سلمان، علمت العالم الأول والعالم الآخر، وأنت بحر لا ينزف، وإن سلمان يغضب لغضب الله، والله يغضب لغضب سلمان، وقوله: سيد العرب أنا، وسيد الفرس سلمان، ومن يريد زيادة إيضاح عن سلمان الفارسي، فليراجع كتاب الهداية الكبرى الذي ألفه الحسين بن حمدان الخصيبي، وقدمه إلى الأمير سيف الدولة علي بن حمدان صاحب حلب، فمن يخصه النبي (ص) بمثل هذه الكلمات جدير بالاحترام والاعتبار، ولذلك، فاحترام العلويين وتقديسهم لسلمان الفارسي وأتباعه، اعترافٌ بصدق عواطفهم نحو من أخلصوا الولاء لأهل البيت، وما كنا لنسوق إيضاحاتنا هذه، إلى من يتقول ويدعي ما ليس يملكه، بل لنذكر أن من يتسرع بحكمه على الشيء، قبل أن

يتجرد من التعرض ، لا يكون إلا عن ضلال مبين .

ولاستطراد البحث ، نورد شيئاً من مواقف المقداد ، أحد الخمسة الأيتام من أهل البيت ، نقلاً عن ابن الأثير ، حيث قال في تاريخه المشهور : وإن المقداد بن أسود الكندي كان من ذوي البسالة والشدة ، وإن علياً لما بايع عثمان رضي الله عنهما رفع رأسه إلى سقف المسجد ، ويده في يد عثمان ، فقال : اللهم اسمع واشهد أنني جعلت ما في رقبتني من ذلك ، في رقبة عثمان ، فبايعه ، فقال : ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا ، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ، والله يا عبد الرحمن - ويعني عبد الرحمن بن عوف الزاهري وقد كان حاضراً - ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك ، وإنه كل يوم في شأن ، فقال عبد الرحمن : يا علي لا تجعل على نفسك حجة وسبيلاً ، فخرج علي وهو يقول : سيبليخ الكتاب أجله ، فقال المقداد : يا عبد الرحمن أما والله لقد تركته ، وإنه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون ، فقال : يا مقداد والله لقد اجتهدت للمسلمين ، فقال : إن كنت أردت خيراً بهم ، فأثابك الله ثواب المحسنين ، فقال المقداد : ما رأيت مثل ما أتى أهل هذا البيت بعد نبهم ، إنني لأعجب من قریش ، أنهم تركوا رجلاً ما أقول ولا أعلم أن رجلاً أفضى بالعدل ولا أعلم منه ، أما والله لو أجد أعواناً عليه ، فقال عبد الرحمن : اتق الله ، فإنني خائف عليك الفتنة ، فقال رجل للمقداد رحمك الله من أهل هذا البيت ، ومن هذا الرجل ؟ قال : أهل البيت بنو عبد المطلب ، والرجل علي بن أبي طالب الخ .

من هذه اللمحة الوجيزة ، يمكننا أن نلمس نزعات المقداد ورغائبه وموقفه من الإمام علي (ع) وأهل البيت ، ودفعاً للتطويل نقول : إن أنصار علي كافة كانوا على مبدأ واحد ، وهذا المبدأ كاف لطائفة كالعلوية تتفاني في سبيل حبهاء لعلي ، أن ترى في أولئك الأنصار الخالص ، ما يستحق الشكر والتقدير ، ولعمري ، إن كل الطوائف ، على اختلاف نعراتها ، تقدر الرجال المجاهدين الذين ضحوا بالنفس والنفس في سبيل إيمانهم ، وتتوسل بواسطتهم إلى قبول الأدعية وما شاكلها من الطقوس ، ولكنهم لا يعبدونهم ولا يعترفون بألوهيتهم ، وعلى هذا النمط نرى أن العلويين يقدرون المجاهدين الخالص ،

ولكن لا يعبدونهم، كما يريد أن يتهمهم البعض . .

ورب قائل يقول: إن أنصار الإمام علي (ع) كثيرون، وكلهم من خيرة رجال الإسلام، فلماذا لم ينعتهم العلويون بالأيتام الكرام، كما نعتوا أولئك الخمسة ويخصونهم بالتحايا والإحترام؟ . .

لا شك في أن هذا التخصيص أدى إلى نثر الظنون، حول كثير من معتقدات العلويين، ونظراً لقلّة اهتمام مجتهدي الشيعة، في تفسير ذلك لا سيما باعتباره من ثانويات الأمور، إذ لا علاقة له إلا من حيث العرض، فقد وجد السبيل رحباً أمام من حاولوا التفرير، فصوروا من الخمسة الأيتام الكرام شكلاً يرمز به إلى الخلاص الأبدي، والنتيجة أن سلمان الفارسي كان يتوجه دائماً إلى جهات مختلفة من الحجاز لجمع كلمة الإسلام، وكان يرافقه أولئك الخمسة، وكان الإمام علي (ع) يختلف إلى حيثما شاء، وحوله طائفة من الأنصار أيضاً، دون أن يكون ثمة تفاضل، بين الواحد والآخر، من الأنصار، إلا من حيث الإخلاص، وكان أولئك الخمسة يتمللون متى غاب سلمان عنهم، وقد عرفوا، لفرط إذعانهم لأقواله بأيتام سلمان ليس إلا . . .

المقال الخامس:

ولو جئنا على ذكر جميع أصحاب علي (ع) وأهل نصرته الذين يشار إليهم بالبنان، لضاق بنا المقام، وقد يمكننا أن نتخذ من كلام أحدهم: عمار بن ياسر صفة تساعدنا على فهم الموضوع، لأن أولئك الأنصار هم الذين يشكلون العصبية العلوية التي تتفرع منها جماعة النصيرية، فقد قال ذلك المجاهد، وهو في طريقه إلى معركة صفين المشهورة، ما ملخصه: «اللهم إني لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلته، اللهم إنك تعلم أنني لو أعلم أن رضاك في أن أضع ظبة سيفي في بطني، ثم انحني عليها حتى تخرج من ظهري، لفعلته، وقال لهاشم بن عتبة: تقدّم يا هاشم، الجنة تحت ظلال السيوف والموت تحت أطراف الأسل، وقد فتحت أبواب السماء وزينت للهور العين، اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه .

هؤلاء وأمثالهم رجال العلويين الأمائل، وهم مشهورون بأنسابهم، لا كما يزعم بعض أصحاب الأقلام المرتجفة كملطبرون القائل: إن النصيرية فرقة سريانية كانت موجودة في زمن الرومانيين، وكان لها شيخ خاص يلقب بالططرق، وأن في هذا الإقليم وجد الإفرنج الصليبيون الطائفة المشهورة باسم الحشاشين الذين كان حاكمهم شيخ الجبل، وكان أميراً عظيم السطوة، والحشاشين جمع حشاش، وهو المتعاطي للحشيشة التي هي نبات مخدر مغيب، وشيخ الجبل هذا، على ما حكاه البستاني في دائرة المعارف، هو الحسن بن الصباح مقدم الإسماعيليين الكبير، ومؤسس ديانة الإسماعيلية الشرقية، والمستولي على قلعة الموت، في ولاية جيلاق من بلاد فارس، وكان له أتباع يعتمدون على من يرونه، بعد الإمتحان، ممتازاً بالصفات الطبيعية والأدبية، والإستعداد التام لإجراء مقاصدهم، وحافظاً للتعالم اللازمة، يدعونه للأكل مع شيخ الجبل، ويسقونه من الحشيش ما يذهب بحواسه، حيث يمكنهم نقله إلى محل آخر بدون أن يشعر، ثم يسيرون إلى إحدى الجنائن الغناء المشبهة بالجنان، والمعدة لمثل هذا، فإذا صحا وجد نفسه في أجمل حياة وأبهج مكان، ورأى كل الأسباب التي بها يتمتع بأنواع لذاته وشهواته، ثم يسقونه ذلك الشراب، ويرجعون به، بنفس الحيلة إلى مجلس الرئيس، فإذا زال تأثير الحشيش كان يعتقد أنه ذاق فعلاً شيئاً من لذة النعيم، إلى قوله: ومن ذلك سموا بالحشاشين، فأفسدها الصليبيون وقالوا: «أساسين محرّفة عن «عساسين» جمع عساس، بمعنى (حارس) وأنهم سموا بذلك، من ادعائهم بحراسة البلاد من السرقات. أقول: إن تناقض هذين القولين يرجح عدم صحتهما على الفريقين: النصيرية والإسماعيلية، فمن هو هذا الططرق الموهوم، ومن أين تطرق إلى حضرة ملطبرون.

ومثل هذا ما جاء أيضاً في تاريخ أبي الفداء، عن ابن سعيد: أن النصيرية يتسبون إلى نصير مولى علي بن أبي طالب فمتى كان لعلي بن أبي طالب مولى اسمه نصير، فينسبون إليه النصيرية كما يزعم أبو الفداء وغيره؟!

وقد قال الدكتور فاندك الحكيم الأميركي في جغرافيته، عند الكلام على

القرامطة: وقام من هذه الطائفة رجل يقال له نصير النميري، وكان شيخاً كثير الصلوات والأصوام، معدوداً عندهم من الأولياء فاخترأوا من أصحابه أنني عشر رسولاً لا يندرون بتعاليمه، ولما شاع أمره قبض عليه الوالي وألقاه في السجن، وكان للسجان جارية أخذتها الشفقة على الشيخ، فتربصت حتى سكر السجان ذات يوم واستغرق في نومه، ففتحت السجن وأطلقت الشيخ، ثم ردت المفاتيح إلى مكانها، فلما استيقظ السجان رأى أن الشيخ قد هرب، ولم يجد علامة لفتح السجن، فزعم أن ملاكاً أطلقه، وأذاع هذا الخبر لينجو من غضب الوالي، وبلغ الشيخ أيضاً فكان يؤكد للناس، ويزداد اجتهاداً في إذاعة تعاليمه، وكتب كتاباً يقول فيه: أنا فلان الذي يظن به أنه ابن عثمان، رأيت المسيح الذي هو كلمة الله، وهو أحمد بن حنفة من ولد علي، وهو أيضاً جبرائيل الملاك، فقال لي: أنت القاريء أنت الصادق، أنت الجمل الحافظ الغضب على الكافرين، أنت البقر الحامل خطايا المؤمنين، أنت الروح، أنت يوحنا بن زكريا، فعلم الناس أن يعملوا في صلواتهم أربع ركعات: اثنتين قبل شروق الشمس، واثنتين قبل غروبها، متجهين إلى جهة أورشليم الخ...

فتعساً للعلويين، إذا كانت اعتقاداتهم على مثل ما جاءت به جغرافية الحكيم فاندك، وسحقاً لهم، إن كانوا يتسبون إلى رجل قرمطي يدعي هذه الإدعاءات المتناقضة، ويعترفون بهذه الوسوس الشيطانية، ومتى كان العلويون يتجهون بصلواتهم إلى أورشليم!! ولكنها ناحية من نواحي التاريخ جهلها، أو تجاهلها، أولئك الكتاب، فعبروا عنها بمثل هذه الخرافات التي لا ظل لها من الحقيقة.

ولا شك أن بعض رجال العلويين رموا بوصمات مختلفة وعقائد متباينة، كالقرمطة والزندقة والحلول وغيرها، والله والعلويون براء من ذلك، وقد حبس شيخهم الكبير الحسين بن حمدان الخصيبي، من أجل القرمطة، فقال وهو في سجن بغداد:

ليس حبسي بضائري أن أتاح الله من بعد طول حين بفضلته
صرت ادعى ومذهب الحق ديني قرمطياً وصرت أعزى بدخله

حسبي الله والنبي وخمس بعد سبع فهم مناهج سبله
وسلامي على تقي نقي يتولاهم بصالح عقله

لم يختلف العلويون في السياسات والحروب الداخلية، عن بقية الفرق الشيعية، وإن كان ثمة فروق مذهبية، كما أنهم لم يختلفوا عن سائر الفرق الإسلامية، في السياسات والحروب الخارجية، في وقت من الأوقات البتة، رغم ما اعتورهم من الإضطهاد، والحيلولة بينهم وبين معاهد الحضارة والترقي المدني.

المقال السادس:

وكانت تدخلهم البيئات في أدوار مختلفة، وتضطربهم إلى الظهور بمظهر الوسط الذي يعيشون فيه، غير أن سر المحافظة على مبادئهم بقي يلهب نفوسهم، رغم ظاهراتهم الاجتماعية البينة، وقد قال في ذلك أحد أكابر شعراءهم:

موسوي مسيحي أنا وإلى محمد رحى عن قصد وبرهان
فسمني وادعني في كل نازلة بمسلم ويهودي ونصراني
وخلتني ويقيني في أبي حسن فليس شأنك في حكم الهوى شاني

وكثيراً ما خيل للبعض، أن الطائفة العلوية قد بادت وألوت، في طريق العفاء، على طسم وجديس، بدليل ما يبدو على بعضها من تأثير المعاشرة، في حين أن تفرقها كان الحافز الأول لتوحيد شعورها، وكان كلما قام داع من أهل البيت، تسرع إلى الإلتفاف حواليه، بما فيها من قوة وعاطفة، على أن ميزتها هذه أهابت بالكثيرين إلى الإيقاع ببعض رجالاتها.

ويعتقد العلويون، أن من مات منهم، أو قتل في سبيل مبدئه مات شهيداً وتحول إلى داء البقاء، ولكن لم يكن المبدأ أمام العقيدة، كمساومة على الخلود والغفران، بل ليصورا المبدأ بلون من الراحة التي تتمثلها النفس، وهذا لعمري من أحاسن النوايا، لأن من لا يتمسك بمبدئه إلا لأطماع مقصودة، كان تجرده ممتزجاً بشتى المآرب:

مفوضون لهم تخيير أنفسهم ما يشتهون من الجنات في خلد

ولديهم من المخطوطات القيمة، ما يرجع تاريخها إلى ما قبل القرن الثاني عشر للهجرة، لم تختلف أحكامها شيئاً عن أحكام الكتاب والسنة، ولم يتناولها التأويل، كبقية الكتب في المذاهب المختلفة، بل بقيت مثلاً صادقاً للرسالة الهاشمية الغراء، ولأسباب قاهرة، بقيت تلك الأسفار في ضمير الخفاء حتى اليوم، وهذا مما شجع كل فرد على اتهامهم بما يصوره له الخيال، وقد كان للدكتور فانديك، وملطبرون، والأب لامانس، النصيب الأوفر من تلك الأخيلة.

أما الشيخ الذي ذكره فانديك في جغرافيته، ونسبه إلى القرامطة، فهو من موالي وخاصة الإمام علي الهادي بن محمد الجواد، ومن الأخبار عنه، ما رواه صاحب كتاب نور الأبصار، عن أبي خالد قال: «كنت بالعسكر، فبلغني أن هناك رجلاً محبوساً، أتى به من الشام مكبلاً بالحديد، وقالوا: إنه تنبأ قال: فأتيت باب السجن، ودفعت شيئاً للسجان حتى دخلت عليه، فإذا رجل ذو فهم وعقل ولب فقلت: يا هذا، ما قصتك؟ فقال إني كنت رجلاً بالشام أعبد الله تعالى، في الموضوع الذي يقولون: إنه نصب فيه رأس الحسين، فبينما أنا ذات ليلة مقبل على المحراب، أذكر الله تعالى، إذ رأيت شخصاً بين يدي، فنظرت إليه، فقال لي: قم فقممت معه، ثم خرج، فخرجت معه، فمشى قليلاً فإذا أنا في مسجد الكوفة، فقال لي: تعرف هذا المسجد؟ فقلت: نعم، هذا مسجد الكوفة، فقال: فصلت معي، ثم انصرف فانصرفت معه قليلاً، فإذا نحن بمكة الشريفة، فطاف بالبيت فطفت معه، ثم خرج فخرجت معه، فمشى قليلاً فإذا أنا بموضعي الذي كنت فيه أعبد الله تعالى في الشام، ثم غاب عني، فبقيت متعجباً حولاً، مما رأيت.

فلما كان العام المقبل، إذ ذاك الشخص قد أقبل علي، فاستبشرت به، فدعاني، فأجبت ففعل معي ما فعل في العام الماضي، فلما أراد مفارقتي قلت له: بحق الذي أقدرك على ما رأيت إلا ما أخبرتني من أنت، فقال لي: أنا محمد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر فحدثت بعض من كان يجتمع بي في

ذلك الموضوع، فرفع ذلك إلى محمد بن عبد الملك الزيات، فبعث إليّ من أخذني من موضعي، وكبلني بالحديد، وحملني إلى العراق، وحبسني كما ترى، وأدعى علي المحال، فقلت له: أرفع قصتك إلى محمد بن عبد الملك الزيات؟ قال: افعل فكتبت عنه قصته، وشرحت فيها أمره، ورفعتها إلى محمد بن عبد الملك الزيات، فوَقَّع على ظهرها: «قل للذي أخرجك من الشام إلى المواضع التي ذكرتها، أن يخرجك من السجن»، قال أبو خالد: فاغتمت لذلك، وسقط لدي، وقلت: غداً آتية وأمّره بالصبر، وأعدّه من الله بالفرج، وأخبره بمقالة هذا الرجل المتجبر.

فلما كان من الغد، قال: باكرت إلى السجن، فإذا أنا بالحرس والموكلين بالسجن في هرج، فسألت: ما الخبر؟ فقل لي: إن الرجل المتنبئ المحمول من الشام فقد البارحة وحده بمفرده من السجن، وأصبحت قيوده والأغلال التي كانت في عنقه مرماة في السجن، لا ندرى كيف خلص منها، وطلب فلم يوجد له أثر ولا خبر، ولا يدرون أنزل في الأرض أم عرج إلى السماء فتعجبت من ذلك، وقلت في نفسي: استخفاف ابن الزيات بأمره، واستهزاءه بقصته، خلصه من السجن، كذا نقله ابن الصباغ.

ومن المعلوم، أن ابن الزيات، وغيره من الولاة، لم يحملهم على مثل هذه الأفعال الجائرة وازع ديني أو غيره اسلامية، ولكنها غاية حاكمية محضة، خشية أن يتطرف إليها من قبل الدعاة الدينية، فيرجع الحق لأهله، والسهم لنصابه، فتغير الخطة وينعكس الموضوع، وهذا هو السبب الوحيد لتشعب الأمة الإسلامية.

وابن الزيات هذا، هو وزير المعتصم العباسي، كان جده أبان رجلاً من أهل جبل، من قرية كان بها يقال لها الدسكرة، يجلب الزيت من مواضعه إلى بغداد، ولما مات المعتصم وقام بالأمر ولده الواثق، أقره على ما كان عليه في أيام أبيه، وكان متسخطاً عليه، ولما مات وتولى المتوكل، كان في نفسه منه شيء كثير، فسخط عليه، بعد ولايته بأربعين يوماً، فقبض عليه واستصفى أمواله، وكان

المتوكل في أيام الواثق، إذ دخل على الوزير المذكور، يتهمه ويغلظ عليه الكلام، فحقد عليه المتوكل وزجه في سجنه الذي اتخذ في أيام وزارته، وهو تنور من حديد، وأطراف مساميره محدودة إلى داخل، وهي قائمة مثل رؤوس المسال، وكان يعذب بها المصادرين، وأرباب الدواوين، والمطالبين بالأموال، فكيفما انقلب واحد منهم أو تحرك، من حرارة العقوبة، تدخل المسامير في جسمه، فيجدون لذلك أشد الألم، ولم يسبقه أحد إلى هذه المعاقبة، وكان إذا قال له أحد منهم: أيها الوزير، ارحمني فيقول له: الرحمة خور في الطبيعة، فلما اعتقله المتوكل، قال له: يا أمير المؤمنين ارحمني، فقال له: الرحمة خور في الطبيعة كما كان يقول للناس.

وعن الأسباطي، قال: قدمت على أبي الحسن علي بن محمد المدينة المشرفة، من العراق، فقال لي: ما خبر الواثق عندك؟ فقلت: خلفته في عافية، وأنا أقرب الناس به عهداً، وهذا مقدمي من عنده، وتركته صحيحاً، فقال: إن الناس يقولون: إنه قد مات، فلما قال: إن الناس يقولون: إنه قد مات، فهمت أنه يعني نفسه، فسكت، ثم قال: ما فعل ابن الزيات؟ قلت: الناس معه، والأمر أمره، فقال: إنه شؤم عليه، ثم قال: لا بد أن تجري مقادير الله وأحكامه، يا جبران، مات الواثق، وجلس جعفر المتوكل وقتل ابن الزيات، وكان كما قال. . . وان من يعقتل ولي الله تعالى، على حبه لأهل البيت، ويعاقب الناس بتلك العقوبة الجهنمية. . . ولا يخلون من أبرياء، الواقع به ما وقع با بن الزيات، أو ما هو أعظم مما وقع با بن الزيات، بغضب الله والإمام والخليفة، وما يدري على ما هو وارد العذاب الآخرة أشد وأبقى.

يقظة المسلمين العلويين^(١)

تمهيد:

إن من يقابل بين حال المسلمين العلويين، قبل عشرين سنة، عشرين سنة فقط، وبين حالهم اليوم، يرى فرقاََ بيّناً يستدعي الدهشة والتساؤل، عن أسباب هذا التطور، وما يملونه من نتائج الحسنة، وما يحذرونه من عواقبه السيئة.

وللوقوف على كل هذا، لا بد للباحث من أن يعلم، ولو قليلاً، بتاريخهم الغابر، ويدرس شيئاً عن عقليتهم، قبيل ظهور هذا الفرق، وإبان ظهوره، ويراقب بارق اليقظة في ادوار اشعاعه، حتى اليوم.

من هم العلويون:

النصيريون - كما كانوا يدعون من قبل - والعلويون، كما دعوا في عصر الإحتلال، هم إحدى فرق الإسلام، رضي السفهاء، المغرضون أم كرهوا، وأقروا ذلك أم نفوه، مسلمون إماميون عرب أقحاح، قضت عليهم أسباب جمّة، أهمها ضغط بعض الحكام الظالمين في عصور التاريخ الإسلامي، أن يجتمعوا في جبال هذه البلاد، منذ بضعة قرون ونيف، ملتجئين من جور السياسة الخرقاء والتعصب الأعمى، إلى أحراج البلاد ومعافلها المنيعّة، وإلى التكنم في إقامة شعائرهم الإسلامية الخاصة، والتساهل في التظاهر ببعض شعائر الأقوياء

(١) نقلاً عن مجلة «النهضة» السورية - طرطوس - التي أنشأها، عام ١٩٣٧ م الدكتور وجيه محي الدين، بسلسلة مقالات عن يقظة العلويين، للمرحوم الشيخ عبد الرحمن الخيّر: عدد خاص، ٨ تموز ١٩٣٨ م.

المسيطرين يومئذ، حفظاً لكيانهم الطائفي، وحقناً لدمائهم، وعلى توالي الأيام، أصبح التكتّم شبه غريزة فيهم، ودخل ذلك التظاهر، ببعض الشعائر الأجنبية عن الإسلام، في عداد عاداتهم، لا ينكره جمهورهم، ولا تقرّه خاصتهم، وهذا ما جعل الظنون تحوم حول معتقداتهم، وذهب الآراء في التخمين والتقول كل مذهب.

وإنا لا نعلم بالتدقيق تاريخ تظاهرهم بالعادات الغربية عن الإسلام، ولكننا نرجح أن بعضه كان على عهد الصليبيين، نستند في ترجيحنا هذا إلى أن السلف لم يكونوا ليعترفوا بهذه العادات، كشعائر مذهبية، لأنها لم ترد البتة في أشعارهم، ولا رسائلهم التي بين أيدينا، ولأنه، في بعض نواحي البلاد، لا أثر البتة لهذه العادات، فهناك وسط صافيتا وساحلها ليس فيهما من يحسب حساباً «للميلادية أو القوزلي» أي رأس السنة المسيحية الشرقية، وهناك الجهة الجنوبية من البلاد (أي أفضية طرطوس، صافيتا، تلكلخ) فإن أهلها لا يعرفون متى تكون الزهورية، ١٥ نيسان شرقي، التي يتجمهر فيها أهل الشمال (قضائي صهيون واللاذقية)، في حين أن الساكنين الوسط (أفضية جبلة وبانياس ومصيف)، يقيمون موسم الرابع، ٤ نيسان شرقي، في مواقع عديدة، بقصد البيع والشراء والأفراح.

هذا الإختلاف البين - كما رأيت - وعدم ذكر السلف لهذه العادات، يجعلنا نجزم بأنها دخيلة وحديثة العهد، وأبين ما عرف به العلويون تخصصهم للإشتغال، منذ أقدم أيامهم حتى اليوم، بعلم التوحيد: أي معرفة الله، بالبراهين العقلية المستندة إلى الشواهد النقلية، من النص الكريم، والحديث الشريف وروايات الأئمة من آل الرسول (ص)، فإن تبويب هذا العلم، والتوسع فيه، وتعليمه إلى أتقياء الطلبة المجتهدين، رافق خاصتهم، منذ افتراقهم عن سواهم من الفرق الإسلامية، حتى عصرنا هذا، ومما لا يترك مجالاً للتردد في صحة، هذا القول كثرة ما عندهم من المؤلفات القيمة التي يرجع تاريخ أسبقها إلى صدر الإسلام، ولم ينقطع حتى اليوم ظهورها، وكلها تدور تقريباً حول المسائل الآتية: إثبات وجود الخالق سبحانه وتعالى، بالمعقول والمنقول، إثبات النبوة، عن

طريق البرهان والدليل، إثبات الإمامة، بالحجج العقلية والنقلية، اللفظ والمعنى وعلاقتها بصفات الخالق، وجوب صفات الكمال للباري تعالى، تنزيهه عن صفات المحدثات، أصل الشر، آداب العبادة والرياضة الروحية، المعاد، حدوث الكون وفناؤه، إلخ. . والواقف على هذه الكتب الخطية القيمة يدرك مقدار اهتمام العلويين بالتوحيد، الذي اشتقوا منه اسماً لهم، منذ ألف سنة ونيف، فهم يشيرون دائماً في هذه إلى فرقهم «بالموحدة».

ومن أظهر ما يعرف به العلويون، عنايتهم بالفلسفة الروحية العالمية، ومقابلتها بالأديان الإلهية، وتوفيق ما يمكن توفيقه، ورد ما يختلف إلى البدع والهراطقات التي كان يلفقها معارضو الدين والفلسفة الصحيحة، ويستتجون من كل ذلك وحدة الأديان، ووحدة غايتها التي جاء الإسلام بالبرهان عليها، ودعمها بالحجج الدامغة.

هذه الظاهرة الفكرية، التي يمتاز بها العلويون، هي ما جعلت بعض الجهلاء، وذوي الغايات الدنيوية، يلصقون بهذه الطائفة تهمة الوثنية والكفر، وينسبونهم إلى أديان أخرى غير الإسلام.

وبعد ما تقدم، فإننا نعترف بأن عصر الإنحطاط الفكري، الذي يتلو البحث فيه هذه الأسطر، قد شوه مظاهر هذه المؤلفات القيمة، بالنساخت والتعليق، حيث حذف منها وأضيف إليها، وعلى الأغلب، من قبيل التفسير في مسائل الفلسفة العقلية والقضايا المنطقية الصعب فهمها، إلا على المتخصصين لذلك، من رجالات المذهب، وهذا التشويه، هو ما يجعل نشر تلك الكتب متعزراً جداً، فعسى فطاحل علمائنا الغيورين يهتمون بإصلاح ما فيها، من غموض أو خروج عن الجادة، سببهما للرمز بالمعيات، والتلميح إلى الفكرة المستغربة، بدلاً من التصريح بها، تلك الخطة التي كانت شائعة في عصر الخوف والحذر، اللذين كانا ملازمين لأكثر المشتغلين بالعلوم العقلية، أو الفروق المذهبية ولئن أحجم علماؤنا عن هذا الواجب، خوفاً من سهام النقد، أو من تقولات بعض الجهلاء، وهرباً من الظهور والشهرة. كما هي عاداتهم، فإن النشء المتعلم تعليماً

صحيحاً، والدارس دراسات عالية صحيحة لا زائفة، سيجنح إلى تأدية هذا الواجب الشريف، فيؤدي بذلك ما في عنقه من أمانة واجبة التأدية.

أسباب الجمود والإنحطاط:

يصعب جداً على الباحث في تاريخ العلويين، أن يستند من كتبهم على التحديدات الزمنية، ذلك لأنه لم يصل إلينا من آثار علمائهم، شيء يبحث في غير الدين، اللهم إلا استثنينا بضع كتب، في ترجمة الأولياء الصالحين من العلماء المدققين، ترجمة دينية تشير إلى ملخص اعتقادهم، وبعض أشعارهم الدينية، ويندر أن تذكر هذه الترجمات بسنة الولادة أو الوفاة، فلا تكاد تخرج عما استثنيناه فيه.

لكن مع كل هذا، فإن التوفيق في دراسة أساليب التعبير، ومقابلة التراجم الجمة، والتعمق والتقصي، كل هذا يبرهن أن بدء الجمود كان في النصف الأول من القرن الثامن للهجرة، حيث تكاد أعمال المؤلفين تقتصر، في ذلك الحين وما يليه، على إعادة وتكرير ما كتبه سابقوهم من العلماء، دون أن يضيفوا شيئاً يذكر، لا من قبيل التوضيح، ولا من قبيل حسن التبويب وسهولة المآخذ، وهذا يدل على قلة الإطلاع، على شتى فروع العلوم وأنواعها، ومن المعلوم أن جمود الخاصة يسبب انحطاط الجمهور، وما نحن اليوم نراقب نتائج ذلك الإنحطاط، بمرارة أسف مؤلمة.

إن أسباب الجمود والإنحطاط يمكن ترتيبها، بحسب أهميتها، كما يلي:

أ- توالي الإعتداءات على هذه الطائفة منذ ثلاثة عشر قرناً حتى اليوم، اعتداءات كان يستهلك بعضها كل ما تملك، فتنهب مواشيها وأموالها وتحرق بيوتها بما فيها من أثاث ومقتنيات، ويقتل علماؤها ومشاهيرها، الأمر الذي أضاع آثارها الفكرية القديمة، إلا ما حفظته بحروفه وألفاظه، صدور الحفظة من رجالها، أو ما وعاه علماؤها. ومن هذا العلم - إن بقي حتى اليوم - هو قليل من كثير.

ب - الإنزواء في هذه الجبال والعيش الفطري، بحكم هذه المناطق الجبلية الفاحلة، وبحكم ما خلفته في عقلية العلويين تلك التعدادات الجائحة المتتابعة، من تفضيل الإنصراف الكلي إلى التعبد وعدم الإشتغال بشيء آخر، مثل تشييد جميل البنيان، أو جمع الثروات الطائلة أو اقتناء الكتب الفخمة، إذ ما الفائدة من كل هذا وهو لا يلبث أن يكون نهب أيدي الأقوياء المعتدين، وطعم نيرانهم، وضحية تعصبهم وانتقاماتهم الجنونية؟

ج - وعلى توالي الأيام، استحالت هذه الفكرة السالفة إلى القول بكراهية طلب أي فرع كان من العلوم، غير علم معرفة الله، وإلا ما لا يستغنى عنه في أشد مرافق الحياة ضرورة. ورسخ هذا القول بمرور الزمن، وتضخم في عقلية الجمهور، حتى جاء يوم يستنكر فيها العامة عمل من يدرس قواعد اللغة وأصولها، فضلاً عن العلوم العصرية الحديثة.

د - مبالغة علمائهم في الزهد، وهربهم من الشهرة، وتعهدهم عيشة الخمول والتشرف، حتى كادوا أن يكونوا أشبه بفقراء الهنود منهم بعلماء المسلمين.

يقول أمير المؤمنين (ع): «إعمل لدينا كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً». ويقول النبي (ص) لنفر من صحابته كانوا قد إتفقوا على نبد الملاذ الدنيوية: «إن لأنفسكم عليكم حقاً، فصوموا وافطروا وقوموا وناموا، فإني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأكل اللحم الدسم وآتي النساء».

ويقول أول أئمتهم (ع) لإبنه محمد بن الحنفية: «يا بني، إني أخاف عليك الفقر، فاستعد بالله منه، فإن الفقر منقصة للدين، مدهشة للعقل، داعية للمقت».

ويقول سادس أئمتهم (ع): «كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً».

ولا نشير، بإيرادنا هذه الأحاديث هنا، إلى أن في الإنقطاع إلى الله وفي الزهد مغمزاً، كلا.. وإنما نقصد أن النبي (ص) والأئمة الأطهار (ع) كانوا مستوفي شروط الفضيلة المؤهلة للنبوّة والإمامة، فكما كانوا رجال زهد وعبادة،

كانوا رجال علم وكياسة، فليس من شروط أتباعهم الإقتداء بهم، في شأن من شؤون سنتهم، وإغفال شؤونهم، (وربما أفردنا لهذا مقالاً خاصاً نوفيه حقه من البحث).

هـ - ومن الأسباب الحديثة العهد، في العمل على انحطاط العلويين، اعتبارهم منذ زمن قريب (المشيخة) أي الرئاسة الدينية، وراثية. وإغداقهم الهبات باسم (الزكاة) على الأكثر - إن لم نقل على الكل - ممن ينتمي إليها، ولو بشارة فقط، والحكم على الكل بما يبدو من البعض، مما لا يوافق العادات المأثورة، وإنزال سوادهم الخرافات من الروايات منزلة الحقائق المسلم بها، الأمر الذي فسح لكثير من الممخرقين أن يلعبوا بالعقول الساذجة، ما شاءت لهم الغايات والجهل.

بشائر اليقظة الأولى

في العقود الأولى من القرن الهجري الثالث عشر، بدت في البلاد بشائر يقظة منعه، برهنت على أن النار لم تفارق الرماد، وعلى أن الشعوب تهجع ثم تهب من سباتها، وها نحن نستعرض آثار هذه اليقظة، على الترتيب التالي:

أ - في الجنوب:

إن الولي الكبير المغفور له الشيخ عبد العال، المعروف بالحاج معلا (الجد الأكبر لعائلة بيت الحاج) قصد سنة ١٢٥٤ هـ. البيت الحرام لأداء فريضة الحج المقدسة، وفي عودته مرّاً بمصر، واستحصل على إذن ببناء مسجد في قريته - إذ كانت سورية يومئذ في حكم محمد علي باشا - وابتنى المرحوم الحاج، فور وصوله، المسجد العامر حتى اليوم في قرية (بيت الحاج من أعمال طرطوس)، وقام بالإمامة فيه مدة عشرين سنة، لم يفتر أثناءها عن بث روح اليقظة، ومحاربة الأمية بين سواد الشعب.

وخلف المرحوم الحاج أبناؤه في نشر العلم والإرشاد، وعلى رأسهم خليفته المرحوم الشيخ عبد اللطيف الحاج، الذي لا يزال الناس، حتى اليوم،

يتناقلون الحديث عن حسن خطابه في الجمعة والأعياد . وكان كأيّيه من الحفظة للقرآن الكريم .

وفي ذلك العهد نفسه، اشتهر في علم الفلك الولي الكبير المغفور له الشيخ يوسف مي (الجد الأكبر لعائلة بيت الحامد - رأس الخشوفة - صافيتا) . وأتقن عنه هذا الفن خليفته الولي العظيم الواسع الرحمة الشيخ محمد يوسف، المشهور، كأيّيه في الزهد والعبادة والتفقه .

وانتهى علم الفلك إلى سميّه الشيخ محمد يوسف القاطن حالياً في مزرعة بيت بلول - صافيتا . وقد شاهدت بنفسي عنده كتباً قيّمة يرجع تاريخها إلى عصر العباسيين المزدهر، كما شاهدت عنده آلات يونانية الطراز، لرصد الكواكب منها اسطرلاب دقيق الصنع، يضبط الشيخ المذكور بواسطته حصول الكسوف والخسوف، بتدقيق غريب .

وخلفت تلك اليقظة الجامع الجميل، في بيت الشيخ يونس - صافيتا، الذي شرع في ابتناؤه كل من الوليين العظيمين المغفور لهما: الشيخ غانم ياسين، والشيخ عبد الحميد أفندي، الذي نسب إليه أنذ أعمال سياسية . فنفي إلى طرابزون - لعلّها طرابلس الغرب عاصمة ليبيا - وتزوج منها وعاد مكرّماً، ثم أتم الجامع المذكور الوليان الكبيران المرحوم الشيخ ياسين يونس والشيخ سليم غانم، سنة ١٢٨٦ هـ . وقد قام المرحوم الشيخ ياسين، الأنف الذكر، بإمامة الجامع طيلة حياته، وخلفه ولده العلامة محمّد ياسين الذي سيأتي ذكره .

ومن آثار تلك اليقظة، مسجد الخضر في تلة الطليعي - صافيتا، وآخر في ضهر بشير - صافيتا وفي كل من هذه المساجد لا تزال، حتى اليوم، تقام الصلوات في الأعياد والجمعات، وأغلب الأوقات اليومية، وفي ذلك العصر نفسه، اشتهر بالفقه وعلوم اللغة العربية المرحوم الشيخ علي القاضي، المعروف بالشيخ علي بدره «في صهيون - صافيتا» وقد نسب إلى أمه، لأنه ربي يتيماً عند الشيخ يوسف مي، واستقدمه الشيخ يونس ياسين، إلى قرية بيت الشيخ يونس، حيث نصبه قاضياً ومعلماً، ولهذا عرف هو وعائلته من بعده ببيت القاضي، وعنه

أخذ اللغة نفر من أبناء العائلات الشهيرة، نذكر منهم إثنين فقط :

أولها: المرحوم الشيخ محمد ياسين الفقيه العابد، حفظ القرآن الشريف في العقد الرابع من عمره، ودرس اللغة التركية، بعد ذلك، وكان من ذوي الغيرة الفائقة على نشر العلم وإقامة السنّة الشريفة، وله في هذا حوادث مشهورة، كما له شعر حسن في التوسل، ومدح النبي الكريم وآل البيت الطاهرين، وأولياء العصر.

وثانيهما: المرحوم الشيخ عبد الكريم الحاج: تولى التعليم الحكومي في مدرسة بحنين، على عهد متصرف اللاذقية المصلح المرحوم ضيا باشا، والقضاء المذهبي في طرطوس، على عهد الإنتداب وله شعر عامر، في مدح النبي الكريم وآل البيت الأطهار، وأولياء عصره، وكان فقيهاً عابداً، وعالمًا غيوراً أخذ عنه الأديب الفاضل الشيخ محمّد حامد، قاضي المحكمة المذهبية في مصياف حالياً.

وفي ذلك العهد، نبغ في علم الفقه. وخاصة في فرع الإرث، الولي الكبير الزاهد العلامة الشيخ مصطفى مرهج، المعروف بالسيد (الجد الأكبر لعائلة بيت السيد بعمر - صافيتا). وعنه أخذ ابنه الولي الزاهد الشيخ إبراهيم السيد، وقد نبغ كآبئه ولهما في الزهد أحاديث تجدد عهد إبراهيم بن أدهم الولي العظيم، وأنتهى نبوغ هذه العائلة الكريمة في الفقه إلى الشيخ إبراهيم السيد (كاتب المحكمة المذهبية في صافيتا سابقاً) وله جولات، في تقسيم الإرث، تشهد على سعة إطلاع، وذكاء خارق، وممارسة طويلة، وهو لا يزال حتى اليوم، في تقسيم الإرث، مرجعاً للجميع، وأقدر أهل البلاد على إختلاف مللهم ونحلهم.

وأبين ما فعلته تلك اليقظة الحميدة، إتفاق أفاضل البلاد يومئذ، على محاربة التفرقة العشائرية، وفي طليعتهم المغفور له الشيخ عباس جابر، الجد الأكبر لبيت العباس الطليعي - صافيتا، والولي المغفور له الشيخ ابراهيم مرهج، الجد الأكبر لآل مرهج - بيت ناعسة - صافيتا، والولي المرحوم الشيخ عمران الزاوي - ظهر بشير - صافيتا - أفاضل العائلات السالفة الذكر: آل الحاج، وآل ياسين، وآل يوسف مي، والمغفور له الشيخ الأكبر آل محي الدين - جورة

الجواميس - صافيتا، وبينه وبين المغفور له الشيخ خضر الأحمد، الجد الأكبر لآل معروف، مراسلات علمية فريدة، وغيره.. وغيره» من مشايخ العصر، وجهادهم معاً في جمع الكلمة على البرّ التقوى، وجهودهم المتواصلة، في نشر المعرفة والأخلاق الطيبة، وتشددهم في إقامة الشريعة الغراء رحمهم الله أجمعين.

ومن الآثار البارزة التي خلفتها تلك اليقظة، الولي المغفور له الشيخ عبد اللطيف - بيت ناعسة - صافيتا. وكان أديباً كبيراً وعالماً فقيهاً، وشاعراً مجيداً، وله كتابات في مجلة العرفان - صيدا، وترجمة في الجزء السابع من المجلد التاسع، في المجلة المذكورة، ودرس عليه نفر أشهرهم، من الأحياء، الأديب الفاضل الشيخ يوسف إبراهيم يونس، قاضي المحكمة المذهبية في صافيتا حالياً. والولي الفاضل محمد محمود جابر - تلة الطليعي - صافيتا، وهو عالم فقيه، وأديب شاعر واستاذ كبير درس عليه الشيخ علي عباس - بحوزي - صافيتا، ومسكنه الآن مزرعة الجباب - طرطوس، والشيخ يونس يوسف - تلة الطليعي صافيتا، وكلهم لا يزالون أحياء، ويتمتعون بثقة طيبة تدل على فضلهم وأدبهم.

فالشيخ يونس المذكور علّم فنون اللغة، لنفر من أبناء العائلات العلوية في كيليكيا، ولا يزال يعلم من يقصده من أبناء البلاد. والشيخ علي عباس باشر التعليم الخصوصي، عشرين سنة في قريته بحوزي - صافيتا، وممن درس عنه هناك الأديب الكبير عبد الكريم الخير، والشيخ حسين حرفوش، واللذان سيأتي ذكرهما في بحثنا القادم عن يقظة الشمال.

ثم أفتتحت، في أواخر الحرب الكونية، مدرسة كبرى في قرية - العنازة - بانباس، جمعت أكثر من مائة وعشرين طالباً، وستة معلمين، كلهم علويون. وكتب هذه الأسطر - الشيخ عبد الرحمن الخير - يفتخر بأنه درس أصول الدين واللغة فيها، على هذا الأستاذ المبرز، بسهولة الأسلوب وقصر مدة التعليم، ولأسباب قاهرة لم تعمر - مع الأسف - تلك المدرسة إلا عامين فقط. والولي

المرحوم الشيخ عبد الكريم محمد - مصطبة حمين - صافيتا، وكان علامة محدثاً وفتياً كبيراً وشاعراً مجيداً، ويكفي، شاهداً على فضله، مجموعة مراثيه التي يشترك في تحبير قصائدها عارفوا فضله وأدبه، ولو تفحصنا ذكر المشاهير ممن أنجبت تلك اليقظة المباركة لاحتجنا إلى كتاب خاص، ولكننا نختم موجزين، بذكر علم من أعلامها، ذلك هو الولي المغفور له الشيخ علي سليمان - المريقب - طرطوس، صاحب المسجد في الشيخ بدر - طرطوس، ووالد البطل العلوي الخالد الشيخ صالح علي المشهور. وهو كأبيه المرحوم، عالم فقيه غيور، على معالم الشريعة السمحاء، متعنا الله بطول بقائه أمين.

ب - في الشمال :

لم تكن بوادر اليقظة الأولى بارزة في الشمال مثلها في الجنوب، وذلك لأسباب إجتماعية أهمها، على ما أرى، أن القسم الجنوبي من البلاد كان متعرضاً، أكثر من القسم الشمالي، بالإحتكاك مع البلدان المجاورة ومع الحكومة يومئذ. ولهذا التعرض سبب، هو أن مركز الحكومة، في قضاء صافيتا، كان في الدريكيش قلب البلاد الجنوبية، وسكان هذه القصة هم مسلمون علويون أي من نفس الأثرية الساحقة في سكان القضاء، فكان ابن قرى صافيتا زعيماً كان أو فلاحاً، لا يجازف بكرامته الشخصية، إذا حضر إلى مركز الحكومة.

أما القسم الشمالي فقد كاد أن يكون، في ما مضى، بشبه عزلة تامة، عن البلدان المجاورة وعن الحكومة لأن مركز السلطة فيه كلها في المدن الساحلية، ما عدا مركز صهيون - بأبنا، لكن سكانه، مثل سكان بقية المراكز الساحلية، مسلمون سنيون، والعداوة - كما لا يخفى - كانت على أشدها بين الأخوين العلوي والسني فكان ابن القرية، عندما تضطره المصالح إلى زيارة مراكز الحكومة، يعرض كرامته الشخصية والمذهبية إلى الهوان، بأيدي الجهلاء من إخوانه أبناء المدينة، هكذا كان شأن ابن المدينة في القرية، والحكومة في ذلك العهد، كانت حكومة إرهاب، وموظفوها كادوا إن يكونوا كلهم أنانيين، ونحمد الله على أن ذلك العهد قد محي الآن، فالحكومة اليوم هي منبثقة عن الأمة،

ساهرة على الإصلاح والمساواة، والايخوان المتباغضان بالأمس، بدأت معاهد العلم ومحن الزمان، منذ أعوام، تؤلف بين قلوبهم وترشدهم إلى المصلحة المشتركة، بحكم الدين واللغة الوطن.

وقبل أن نبتعد كثيراً، نعود إلى الموضوع، فنقرر قضية إجتماعية هي أنه من الثابت أن اختلاط البشر واحتكاكهم، بسبب رقي الهيئة الإجتماعية، لما يضطر اليه الفرد من بذل الجهود، للمحافظة على كرامته وللظهور بالمظهر اللائق المشرف، كما أنه من الثابت أيضاً، أن التقاطع أو حياة العزلة تسبب نشوء فروق وميزات، بين أبناء الأمة الواحدة المتقاطعة وعلى التوالي، يسبب ذلك الإنحطاط للهيئة الإجتماعية، بل إندثارها إذا طالت المدة ومن حسن الحظ، فإن حياة العزلة التامة يندر وقوعها، أو لا تكون البتة، لكنما بقدر شدة التقاطع والعزلة تكون الفروق، ويكون الإنحطاط والتأخر.

لهذا السبب عينه، كانت اليقظة في الجنوب أبين منها في الشمال، ومع ذلك فقد بدت بشائرها بشكل يسترعي إنتباه المؤرخ المدقق، وها نحن نستعرض منها ما يأتي، مراعين الترتيب بحسب السبق الزماني، جهد المستطاع :

١ - في دير ماما قضاء مصياف - نبع في الفقه الولي الكبير المرحوم الشيخ علي الناعم، الجد الأكبر لعائلة الناعم - غلمشية - جيلة، ودير ماما مصياف، وقد كان هذا العلامة الفذ معاصراً للمرحوم الحاج، وجهاً بذة ذلك العهد، وكان رحمه الله لا ينفق إلا مما يكسبه من جهوده الجثمانية.

ومن الغريب أن عالماً فاضلاً، كالشيخ علي الناعم، كان يعيش من تعب كفيه، بين العلويين المعروفين، وعلى الأخص في ذلك العهد، بالإنفاق من سعة على العلماء العبّاد. ولكنه الزهد الصادق، ولكنه بعد النظر والرقي الفكري أيضاً، فإن هذا العلامة مارس صناعات يدوية أتقن منها إثنين هما: البناء، والصياغة وغرضه من ذلك علاوة على الكسب المادي، تشجيع الأمة على تعلم وممارسة الصناعات وحبّها لو أقتدى به اليوم كثير من شيوخنا الذين يجولون البلاد، لجمع ما ينفقونه.

٢ - وفي الزويبية - جبلة نبغت عائلة بيت الحكيم، بفن الطبابة، على الطريقة الشرقية، وخاصة فيما يتعلق بالعيون وأمراض الجلد، يوم كان الطبيب الغنيّ أندر من الخلّ الوفي، وأشهرهم في ذلك العابد والفقير الثبت المرحوم الشيخ ناصر الحكيم، والطبيب الذائع الصيت المرحوم الشيخ عيسى الحكيم، وخلف الشيخ ناصر ولده الفقيه الشيخ صالح الحكيم، شيخ مشايخ العلويين الآن، وقد امتدحه وأقرّ له شعراً، بالرئاسة الدينية، أكثر علماء الشعب الشعراء، ونخص منهم بالذكر الأساتذة: الشيخ سليمان احمد، والشيخ حسين ميهوب، والشيخ حسن حيدر، الذين سيأتي ذكرهم.

٣ - وفي البرازين - جبلة - نبغ في الفقه، الولي العلامة المرحوم الشيخ محمد سلمان المزارع، واشتهر بالغيرة الفائقة على تطبيق أحكام الشريعة، ومحاربة الخرافات والعادات الدخيلة، وكان رحمه الله يبالي في ذلك، إلى حدّ أنه كان يفتي بكراهية الأكل من الجزور المذبوحة في القوزلي (رأس السنة الشرقية) مستنداً إلى أنها في حكم ما أهل به لغير الله، ويشفع له في هذه المبالغة أنّ بعض العامة كانوا يذبحون، قبل القوزلي بيوم واحد، ذبيحة يسمونها ذبيحة الحرام.

بفضل جهاد هذا العلّامة، وجهاد تلامذته المناصرين لفكرته الإصلاحية فقد أسرع هذه العادات الدخيلة في طريقها إلى الإندثار، واشتهر كذلك في التشديد على إقامة الصلاة لأوقاتها، وصيام شهر رمضان المبارك، ونشأ على ذلك أبنائه، من ذكور وأناث، وأشهرهم ولده المرحوم الشيخ جعفر الذي كان من حفظة القرآن الكريم، واشتهر بالفقه والعبادة، وللعلمتين الشاعرين: المرحوم الشيخ يعقوب الحسن، والأستاذ الشيخ سليمان الأحمد، قصيدتان في رثاء المرحوم الشيخ محمد سلمان، ومثلهما في حادث تسمم المرحوم الشيخ جعفر ممّا يدلّ على مكانة هذين الوليين: الأب وابنه، في الهيئة الاجتماعية.

٤ - وفي قلع الدالي - جبلة نبغ في الفقه واللغة، المرحومان: الشيخ محمّد علي القلع، وأخوه الشيخ أحمد علي، وهما من تلامذة المرحوم الشيخ علي

القاضي السالف الذكر، في البحث السابق، وقطن المرحوم الشيخ أحمد علي القلع في قرية القطرية - اللاذقية، وهناك وضع كتاباً في الفقه، ليدرس في المدارس الأميرية، تلبية لطلب متصرف اللاذقية في ذلك العهد المرحوم ضيا باشا الذي يجب على أبناء جبال اللاذقية أن يخلدوا ذكره في تاريخهم الإجتماعي، بصحائف ملؤها الثناء الصادق والإعتراف بالجميل، فقد قصر همه على تمدينهم وسلك إلى ذلك ثلاث طرق قويمية: أولاًها: تقريبه أهل العلم والتقى واحترامهم واستشارتهم، ثانيها: العدل والصراحة في الحكم، وثالثها: إنشاء ثمانين مدرسة أميرية، في كل منها مسجد موزعة بين القرى الآهلة بالسكان، كل ذلك على نفقة الحكومة، وإنتقائه المعلمين لتلك المدارس، من خيرة المشائخ حيث يتسنى ذلك.

لكن الخلاف العشائري المستفحل يومئذ في الشمال، والحسد الذميم، وقصر أيام المرحوم ضيا باشا، كل هذه العوامل اشتركت في وأد كتيب الشيخ أحمد علي المذكور، قبل جفاف حبره تقريباً، كما أدت إلى خنق فكرة ذلك الإداري المخلص والمحسن الكبير.

٥ - وفي بشرافي - جبلة - نبغ، في الفقه والشعر الولي المرحوم الشيخ يوسف علي الخطيب، وهو من علماء الشعب الأفاضل، وعنه أخذ الفقه الأستاذ الشيخ سليمان الأحمد، وكان رحمه الله مرجعاً دينياً في محيطه، رغم كثرة العلماء والصالحين، وله مؤلفات في الفقه، لم أطلع عليها، مع الأسف، ليصح لي التكلم عنها بصدق ودقة.

وفيها نبغ أيضاً الفقيه العابد المرحوم الشيخ عبد الرحمن جمعة، وكان من فطاحل العلماء الثقات، وذوي الغيرة على الشريعة الغراء.

٦ - وفي كنكارو - جبلة - نبغ، في الفقه والحديث والفلك، الولي المرحوم الشيخ عيسى عمران، وكان حجة يرجع إلى رأيه علماء عصره الجهادية، كالشيخ محمد سلمان المزارع، والشيخ ناصر الحكيم (الزويبة) الأنفي الذكر وغيرهما.

٧- وفي زميرين - جبلتة - نبغ المغفور له الشيخ يعقوب الحسن البريعيني، وكان، رحمه الله، فقيهاً عالماً، وشاعراً مجيداً، ومفكراً معيماً، وله قصائد عامرة، في مدح النبي، والأئمة الأطهار، وعلماء الشعب المعاصرين له، وكتابه «تذكرة الحياة الروحية في وحدة الحقائق الدينية» بشارتة طيبة، في بعث العصر الذهبي للمؤلفين وكان رحمه الله يتفرد بشدة الغيرة على وقت الشباب أن يضيع في قرض الشعر، ويبالغ في النصح لمريديه، بأن يوجهوا جهودهم الأولى نحو التضلع في العلوم، والترويض على الأعمال الصالحة، وله في هذا قصيدتان، أرسل أولاهما إلى الأديب عبد الكريم الخير، أثناء طلبه العلم في مدرسة الفير - اللاذقية، وثانيتها أرسلها منذ بضعة عشر عاماً، إلى محمد حمدان الخير، وحبذا نشرهما لا كنموذج من شعره فما هما من أجوده، ولكن كعظة لأدبائنا المنصرفين، عن كل أنواع الأدب والعلوم، إلى الشعر، وعلى الأخص العاطفي منه.

ونبغ، في الفقه والشعر، ابن عمه المرحوم الشيخ علي حمدان البريعيني الذي شبّ في كيليكا والأستانة، وكان يحسن اللغة التركية، كأحد أدبائها، وطار ذكره، فوق ذلك، بالغناء العربي، يخدمه فيه صوت موهوب يأخذ بمجامع القلوب. ومن دواعي الأسف: أنه توفي في ريعان شبابه، وقد رثاه ابن عمه الشيخ يعقوب، بقصيدة تحوي أبلغ الرثاء وأصدق العواطف.

وخلفهما، في الأدب، المأسوف على شبابه المرحوم يوسف يعقوب، وكان كاتباً لبقاً، وشاعراً رقيقاً، عاجلته يد المنون عن إكمال روايته التمثيلية: «الإسكندر وداريوس» وقد أطلعني على فصول منها تشهد بأدبه العذب وتضلعه في التاريخ.

٨- وفي القرداحة - جبلتة نبغ آل الخير، ونخص منهم بالذكر المرحوم الشيخ عبد الله الخير تلميذ الشيخ أحمد علي القلع السابق ذكره.

تولى الشيخ عبد الله التعليم الحكومي، في مدرسة القرداحة، على عهد المرحوم ضيا باشا أخذ عن المغفور له الشيخ محمد سلمان (المزارع)، إنكار

القوزلي والبربارة، وما يتعلق بهما من طقوس أجنبية عن المذهب العلوي، وبرز في محاربتها والتغلب عليها، كما برز في دحض الخرافات المتسلطة على عقلية الجمهور، من أمثال فكرة الجن، والتوابع، والتنجيم، والرمل المندل، وما شاكلها. وبرهن، بطريقة المدارس والتجارب والنقد المغرق في الصراحة، على أنها لا ترتكز على أساس من الحقائق العلمية، أما الإستجداء، داء المشائخ العضال، فقد ناصبه العداء المحكم الصادق، وله في مقاومته مواقف لا يزال، بعض قصيري النظر من النقاد، يعدها تطرفاً ذمياً.

هو أول من جابه العادات من المشائخ، بتعليم بناته القراءة والكتابة، وكان رحمه الله بصيراً، بعلمي التاريخ والجغرافيا، إلى حد لا يكاد يلحقه فيه أحد من خريجي المدارس اليوم بين كل العلويين وكان متحمساً للعلم الحديث، يشر به، ويصدق أخبار مخترعاته الغربية، وينشرها في محيط لم يكن بعد قد شاهد من آثارها الفعلية، ومن رغبته الفائقة، في نشر التعليم، إقدامه على التضحية المادية، ولم يكن غنياً، في سبيل تعليم ولده الأديب عبد الكريم الخيّر الذي يعدّ بحق، أول أديب مدرسي من العلويين، ولا يزال أصحّ الأدباء، لغة كتابية، وأغزرهم مادة، وأسلسهم بياناً وهو إلى ذلك، شاعر مجيد، ولكنه أطال هجر الأدب مأسوفاً عليه.

ونبغ في اللغة والفقه، أخوه المرحوم الشيخ حمدان الخيّر، والد الأديب الشاعر محمّد حمدان الخيّر، كما نبغ في الفقه والزهد الصادق، المغفور له الولي الشيخ محمّد المعروف بالدرويش الخيّر، والبهلول، لزهده وعبادته، وقد كان من الحفظة للقرآن الشريف، يتلوه بين الفجر وشروق الشمس، كل أسبوع مرة واحدة، وظل بيته، على عهده الشريف، مسجداً لقاصديه من الزائرين، من سنين وعلويين، وقد أحسن البلاء في محاربة القمار، كما أحسن في نشر معالم الشريعة الغراء، في وسطه الجبلي.

واشتهر، في الفقه والقضاء، أخوه الشيخ أحمد ديب الخيّر، قاضي قضاة العلويين، ردحاً طويلاً، والنائب الإداري حالياً وكذلك أخوه الشيخ عيد الخيّر

الذي يلقب بـ«المحكمة المتنقلة»، لإشغاله بفصل دعاوى، صلحاً بين أبناء الجبل، وهو من الحفظة للقرآن الشريف، وهو مشهور كذلك بمحاربة المسكرات والقمار . . .

٩ - وفي كيمين - الحقة، والسلطة جبلة، حمل مشعل اليقظة العصامي الفاضل والعلامة الكبير الأستاذ الشيخ سليمان الأحمد، وقد فاق المعاصرين، في كافة فنون اللغة العربية، وبرز في معرفة ضبط مفرداتها وشرح ألفاظها، حتى أطلق عليه بعض الشباب لقب: القاموس الناطق، ولشهرته في اللغة، جعل عضواً شرفياً في المجمع العربي بدمشق، وهو أول من نشر شعراً من أبناء الجبل، على صفحات المجلات، وله، في مجلة لعرافان قصائد عامرة، منها قصيدته الفريدة في الوثام ونبذ التفرقة الذميمة، وجلّى في تعليم الفقه واللغة، وعنه أخذ نفر من أبناء الجبل، نخص بالذكر هنا شاعر العلويين الأكبر، النائب الحالي محمد سليمان الأحمد، المشهور بلقب «بدوي الجبل»، وقائدة الأديبات، بين فتيات الجبل، الشاعرة الكاتبة فاطمة سليمان المعروفة بلقب «فتاة غسان» وزوجها الشاعر الأديب كامل صالح معروف - القليعات - صافيتا . . . وغيرهم . . .

وقلّ أن نجد، بين أدباء الجبل الناشئين، من لم يفد أدباً من الأستاذ اللغوي الكبير، إن لم يكن مباشرة بالدراسة عليه، فعن طريقة التأثر بأدبه الجمّ وشعره السائر .

وكاتب هذه الأسطر، يفخر بأنه تتلمذ على شيخ الأدب، مدة لم تطل مع الأسف، في فني المعاني والبيان، كما قرأ عليه جانباً كبيراً من شعر أبي الطيب المتنبي وأبي تمام والمعرّي وحبّذا لو نشر شيخنا فصوله من دراساته الأدبية، عن هؤلاء الشعراء الثلاثة وعن الشريف الرضي، لأنه يكاد يكون منقطعاً لدراستهم، منذ نيف وعشرين عاماً، وعساه يتحف المكتبات العربية بمؤلف عصري عن هؤلاء الشعراء، فيسجل التاريخ اسماً علوياً، بين عداد الأدباء الكبار، في عصر رمي فيه هذا الشعب بوصمة الإنحطاط الفكري، وشيخنا - حرسه الله - هو فوق ما

ذكرناه فقيه ثبت، وعالم ديني مجدد، ومحدث لسِن، وجوّال بين أبناء الشعب موفور الكرامة أينما حلّ ركابه». إنتهى.

وقد رافق هذه النهضة نهضة علمية ثقافية أخرى تبهج النفوس وتلج الصدور، ويفرح بها المؤمنون، وقد أنتجت وأنتجت هذه الطائفة، بحمد الله عشرات المثات من القضاة، والعلماء والأدباء والشعراء، ورجال الفكر، والمحاماة، والهندسة. وها نحن نرى اليوم الغيورين منهم يسارعون في الخيرات والمبرّات، فيسنون المساجد، والمعاهد الدينية الأخرى، ويتصلون بالعالم الشيعي، لطلب العلم في النجف الأشرف وقم المقدسة، حيث المناهل الغزيرة التي لا تنضب، وكذلك برز منهم رجال للعلم أكفاء لهم مكانتهم العلمية والإجتهادية، بين علماء الشيعة، بفضل جهودهم وجهادهم الطويل المتواصل، وآخر دعوانا أنا الحمد لله رب العالمين.

وقع الفراغ منه بمن الله وحمله

في ١٨ ربيع الأول ١٤١٤ هـ

الموافق ١٩٩٣/٩/٤ م في طرابلس - لبنان.

مصادر الكتاب

- ١ - القرآن الكريم
 - ٢ - نهج البلاغة
 - ٣ - المسلمون العلويون من هم وأين هم
 - ٤ - المختصر في تاريخ البشر
 - ٥ - خطط الشام
 - ٦ - تاريخ العلويين
 - ٧ - الإمامة في الإسلام
 - ٨ - الملل والنحل
 - ٩ - فرق الشيعة
 - ١٠ - الأقاليم
 - ١١ - إسلام بلا مذاهب
 - ١٢ - العلويون والتشيع
 - ١٣ - فلسفة التشريع في الإسلام
 - ١٤ - الصلة بين التصوف والتشيع
 - ١٥ - تاريخ الفكر العربي
 - ١٦ - تاريخ المذاهب الإسلامية
 - ١٧ - معجم البلدان
 - ١٨ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم
 - ١٩ - مختصر تاريخ سورية ولبنان
 - ٢٠ - لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني
- منير الشريف
أبو الفداء
محمد كرد علي
محمد أمين غالب الطويل
عارف تامر
الشهرستاني
النوبختي
الأصطخري
مصطفى الشكعة
علي عزيز الإبراهيم
صبحي المحمصاني
كامل مصطفى الشبيبي
عمر فروخ
محمد أبو زهرة
ياقوت الحموي
المقدسي البشاري
أحد الآباء اليسوعيين
محمد علي مكّي

- ٢١ - تمة المختصر في أخبار البشر ابن الوردي
- ٢٢ - مجلة الحوادث البيروتية .
- ٢٣ - نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام علي سامي النشار
- ٢٤ - أعيان الشيعة محسن الأمين العاملي
- ٢٥ - النبأ اليقين عن العلويين محمود الصالح
- ٢٦ - اليوبيل الذهبي للشيخ سليمان الأحمد محمّد مجذوب
- ٢٧ - فن المنتجب العاني وعرفانه أسعد أحمد علي
- ٢٨ - معرفة الله والمكزون السنجاري أسعد أحمد علي
- ٢٩ - المكزون السنجاري حامد حسن
- ٣٠ - وجهاً لوجه حامد حسن
- ٣١ - المسلمون العلويون في مواجهة أحمد علي حسن
- التجني
- ٣٢ - حياتنا وتقاليدنا محمد علي اسبر
- ٣٣ - العلويون بين الأسطورة والحقيقة هاشم عثمان
- ٣٤ - صبح الأعشى القلقشندي
- ٣٥ - المضامير عبد الحسين آل صادق
- ٣٦ - الغدير عبد الحسين الأميني
- ٣٧ - الأوائل أبو الهلال العسكري
- ٣٨ - التاج للجاحظ
- ٣٩ - أخبار الخلفاء الثعالبي
- ٤٠ - بين الخلفاء والخلعاء صلاح الدين المنجد
- ٤١ - بدائع الزهور في وقائع الدهور ابن إيّاس
- ٤٢ - الأضحوية في أمر المعاد ابن سينا
- ٤٣ - العلم الإلهي محمد بن زكريا الرازي
- ٤٤ - الأشباح والأرواح راغب العثماني
- ٤٥ - شرح العقائد النفسية التفتازاني

الكندي	٤٦ - الكليات
المناوي	٤٧ - فيض القدير شرح الجامع الصغير
الغزالي	٤٨ - التهافت
يوسف كرم	٤٩ - الطبيعة وما بعد الطبيعة
جابر بن حيان	٥٠ - العديم
عادل العوّا	٥١ - الإنسان ذلك المعلوم
تحقيق ماسينيون	٥٢ - الطواسين
ابن عبد ربه	٥٣ - العقد الفريد
الرازي	٥٤ - إعتقادات فرق المسلمين والمشركين
الملطي	٥٥ - التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع
كاشف الغطاء	٥٦ - أصل الشيعة وأصولها
محمد رضا المظفر	٥٧ - عقائد الإمامية
محمد رضا المظفر	٥٨ - أصول الفقه
ابن شعبة الحراني	٥٩ - تحف العقول عن آل الرسول
الديلمي	٦٠ - إرشاد القلوب
الشيخ المفيد	٦١ - الإرشاد
محمد أبو زهرة	٦٢ - الإمام الصادق
السيد المرتضى	٦٣ - الأمالي
ابن قيم الجوزية	٦٤ - إعلام الموقعين عن رب العالمين
الكنجي الشافعي	٦٥ - البيان في أخبار آخر الزمان
هاشم معروف الحسيني	٦٦ - تاريخ الفقه الجعفري
حسن الصدر	٦٧ - تأسيس الشيعة
فخر الدين الرازي	٦٨ - التفسير الكبير
الشيخ الطوسي	٦٩ - التهذيب
مصطفى غالب	٧٠ - الحركات الباطنية في الإسلام
عباس علي الموسوي	٧١ - شبهات حول الشيعة

- ٧٢ - صحيح البخاري
٧٣ - صحيح مسلم
٧٤ - سوسن السليمان في العقائد والأديان
٧٥ - الصواعق المحرقة
٧٦ - عيون أخبار الرضا
٧٧ - الغلو والفرق الغالية في الإسلام
٧٨ - الفرق بين الفرق
٧٩ - الفصول المهمة في معرفة الأئمة
٨٠ - الفصول المهمة
٨١ - الفقه على المذاهب الخمسة
٨٢ - الكافي
٨٣ - مجمع البيان في تفسير القرآن
٨٤ - مصادر نهج البلاغة
٨٥ - الملاحم والفتن
٨٦ - منهاج السنة
٨٧ - من هو العلوي
٨٨ - المهدي
٨٩ - النصّ والإجتihad
٩٠ - الهداية الكبرى
٩١ - يوم الخلاص
٩٢ - وسائل الشيعة
٩٣ - نيل الأوطار
٩٤ - مقالات الإسلاميين
٩٥ - مذاهب الإسلاميين
٩٦ - تقويم البلدان
٩٧ - الكامل
- الإمام البخاري
الإمام مسلم القشيري
نوفل نوفل
إبن حجر الهيتمي
الصدوق
عبد الله سلوم السامرائي
البغدادي
الصباغ
شرف الدين
محمد جواد مغنية
الكليني
الطبرسي
عبد الزهراء الخطيب
ابن طاووس
ابن تيمية
عارف الصوص
صدر الدين الصدر
شرف الدين
الحسين بن حمدان الخصيبي
كامل سليمان
الحزّ العامليّ
الشوكاني
الأشعري
عبد الرحمن بدوي
أبي الفداء
ابن الأثير

ابن حزم	٩٨ - الفصل في الملل والأهواء والنحل
ابن قتيبة	٩٩ - المعارف
المسعودي	١٠٠ - مروج الذهب
ابن تيمية	١٠١ - مجموع فتاوى ابن تيمية
مصطفى غالب	١٠٢ - أعلام الإسماعيلية
محمد فريد وجدي	١٠٣ - دائرة معارف القرن العشرين
أحمد أمين	١٠٤ - ضحى الإسلام
أبو شامة	١٠٥ - الروضتين في أخبار الدولتين
العقاد	١٠٦ - الشيخ الرئيس ابن سينا
ابن خلكان	١٠٧ - وفيات الأعيان
ابن كثير	١٠٨ - البداية والنهاية
حبيب آل إبراهيم	١٠٩ - الإسلام في فنون ومعارفه
رجب البرسي	١١٠ - مشارق أنوار اليقين
التميمي وبهجت	١١١ - ولاية بيروت
ابن النديم	١١٢ - الفهرست
يوسف الدبس	١١٣ - تاريخ سوريا
الغزالي	١١٤ - البحر الزخار
الحلبي	١١٥ - السيرة النبوية
مصطفى الرافعي	١١٦ - إسلامنا في التوفيق بين السنة والشيعه
أبو موسى الحريري	١١٧ - العلويون النصيريون
دمشق	١١٨ - مجلة النهضة
محسن الأمين العاملي	١١٩ - أبو فراس الحمداني
الثعالبي	١٢٠ - يتيمة الدهر
ناصر اليازجي	١٢١ - العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب

- ١٢٢ - رواية سيدة القصور
 علي جارم بك
 ١٢٣ - الجامع المفصل
 المطران دبس
 ١٢٤ - دواني القطوف
 عيسى معلوف
 ١٢٥ - شرح نهج البلاغة
 ابن أبي الحديد المعتزلي
 ١٢٦ - أصالة الإسلام عند العلويين
 صبحي عبد الوهاب الهندي
 ١٢٧ - مصطفى بربراغا
 الأب أغناطيوس
 ١٢٨ - تاريخ سورية المعهود
 جورج يني
 ١٢٩ - المتنبي
 محمود شاكر
 ١٣٠ - موسوعة المستشرقين
 عبد الرحمن بدوي
 ١٣١ - شخصيات قلقة في الإسلام
 عبد الرحمن بدوي
 ١٣٢ - قصة الحضارة
 ول ديورانت
 ١٣٣ - تاريخ الحروب الصليبية
 ستيفن رتسيمان
 ١٣٤ - خرائب الإمبراطورية
 علي عبد الواحد وافي
 ١٣٥ - الأسفار المقدسة
 مصطفى السباعي
 ١٣٦ - السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي
 علي صافي حسين
 ١٣٧ - الأدب الصوفي في مصر
 تيسير بن موسى
 ١٣٨ - نظرة على الحروب الصليبية
 بين الأمس واليوم
 ١٣٩ - التنبيه
 حسن حمزة الشيرازي
 ١٤٠ - الإمام الصادق ملهم علم الكيمياء
 محمد يحيى الهاشمي
 ١٤١ - فصوص الحكيم
 محي الدين بن عربي
 ١٤٢ - إيضاح المصباح
 محمد بن عبد الله الجنبلائي
 ١٤٣ - تزكية النفس
 المكزون السنجاري
 ١٤٤ - البرهان في تفسير القرآن
 البحراني
 ١٤٥ - الزبدة الراية
 حسين أحمد
 ١٤٦ - الأمالي
 الشيخ الصدوق

- ١٤٧ - التهذيب
 الشيخ الطوسي
 ١٤٨ - وسائل الشيعة
 الحرّ العاملي
 ١٤٩ - المعارف
 أبو سعيد ميمون بن قاسم
 الطبراني
 ١٥٠ - كشف الحجاب عن قلب
 محمد حسن هلال
 الجاحد والمرتاب
 ١٥١ - الإمام محمّد الباقر
 محمد علي دخيل
 ١٥٢ - الصافي في تفسير القرآن
 الفيض الكاشاني
 ١٥٣ - الإحتجاج
 الطبرسي
 ١٥٤ - شرح الزيارة الجامعة
 أحمد الأحسائي
 ١٥٥ - جوهرة التوحيد
 إبراهيم الباجوري
 ١٥٦ - مسند أحمد بن حنبل
 أحمد بن حنبل
 ١٥٧ - الآداب المعنوية للصلاة
 روح الله الخميني
 ١٥٨ - النفس البشرية ونظرية التناسخ
 أحمد زكي تفاحة
 ١٥٩ - روح البيان في شرح القرآن
 الآلوسي
 ١٦٠ - التفسير المبين
 محمد جواد مغنية
 ١٦١ - تفسير الجلالين
 المحلي والسيوطي
 ١٦٢ - تفسير شبّر
 عبد الله شبّر
 ١٦٣ - الميزان في تفسير القرآن
 الطباطبائي
 ١٦٤ - التفسير المعين للواعظين والمتعظين
 محمد هويدي
 ١٦٥ - الكشاف في تفسير القرآن
 الزمخشري
 ١٦٦ - تفسير ابن كثير
 ابن كثير
 ١٦٧ - فلاسفة من الشرق والغرب
 مصطفى غالب
 ١٦٨ - التصوف عند الفرس
 إبراهيم الدسوقي شنا
 ١٦٩ - شفاء السائل لتهذيب المسائل
 ابن خلدون
 ١٧٠ - سطور مضيئة عن الإمام الصادق (ع)
 محمّد علي اسبر

- ١٧١ - تاريخ الطبري
١٧٢ - الفقه على المذاهب الخمسة
١٧٣ - فقه الإمام الصادق (ع)
١٧٤ - تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية
١٧٥ - لماذا اخترت مذهب أهل البيت
١٧٦ - خلافة بني أمية
١٧٧ - الإغتيال السياسي في الإسلام
١٧٨ - تاريخ الفرق الإسلامية
١٧٩ - تاريخ الشعوب الإسلامية
١٨٠ - المسلمون العلويون في لبنان
١٨١ - الشيعة والحاكمون
١٨٢ - علي والحاكمون
١٨٣ - تحت راية لا إله إلا الله
١٨٤ - في رحاب نهج البلاغة
١٨٥ - الفصول المهمة
١٨٦ - التشيع
١٨٧ - التكوين والتجلي
١٨٨ - ما بعد القمر
١٨٩ - النغم القدسي
١٩٠ - الحيرات
١٩١ - المراجعات
١٩٢ - مقاتل الطالبين
١٩٣ - الذريعة إلى تبصانيف الشيعة
١٩٤ - السلوك لمعرفة دول الملوك
١٩٥ - الأعلام
- ابن جرير الطبري
محمد جواد مغنية
محمد جواد مغنية
عمر فروخ
محمد مرعي الأنطاكي
نبيه عاقل
هادي العلوي
محمد خليل الزين
كارل بروكلمان
حامد حسن - أحمد علي حسن
محمد جواد مغنية
محمد الصادقي
عبد الله الفضل
علي عزيز الإبراهيم
شرف الدين
عبد الله الغريفي
أحمد محمد حيدر
أحمد محمد حيدر
أحمد محمد حيدر
أحمد محمد حيدر
شرف الدين
ابو الفرج الأصفهاني
آغا بزرك الطهراني
المقريزي
الزركلي

- ١٩٦ - دائرة المعارف الإسلامية
١٩٧ - مذاهب ابتدعتها السياسة في الإسلام
١٩٨ - الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية
والأثني عشرية
١٩٩ - الخلافة ونشأة الأحزاب في الإسلام
٢٠٠ - الرجعة
٢٠١ - يوم الخلاص
٢٠٢ - إحقاق الحق
٢٠٣ - عصر الظهور
٢٠٤ - ديوان الإمام الشافعي وحكمه
٢٠٥ - إحياء علوم الدين
٢٠٦ - شرح القصائد العلويات السبع
٢٠٧ - صحيفة الأبرار
٢٠٨ - من لا يحضره الفقيه
٢٠٩ - الحقيقة الصعبة في الميزان
٢١٠ - فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد
- حسن الأمين
عبد الواحد الأنصاري
محمد حسن الأعظمي
محمد عمارة
أحمد بن زين الدين الأحسائي
كامل سليمان
ميرزا موسى الإحقاقي
علي الكوراني
محمود بيجوط
الغزالي
صالح العلي الصالح
ميرزا محمد تقي
الصدوق
أحمد غمران
محمد كاظم القزويني



المحتويات

٥	كلمة المركز
٧	تقرير السيد محمد حسن الأمين
٩	خطبة الكتاب
١٣	الفصل الأول: هجرة العلويين إلى جبالهم
٣١	الفصل الثاني: العلويون ومذهبهم
٥٩	الفصل الثالث: دسائس لا بُدَّ من كشفها
٧٧	الفصل الرابع: العلويون شيعة أهل البيت <small>عليه السلام</small>
٩٣	الفصل الخامس: بلاغات رجال الدين العلويين
	الفصل السادس: المرسوم التشريعي المتضمن الاعتراف بمذهب أهل البيت <small>عليه السلام</small> بسوريا
٩٧	
١٠١	الفصل السابع: شهادات علماء المسلمين في العلويين
١٢١	الفصل الثامن: الأدوار التاريخية التي تعاقبت على العلويين
١٤٩	الفصل التاسع: المجازر والمذابح التي وقعت على العلويين
١٧١	الفصل العاشر: دسائس المستشرقين قديماً وحديثاً على العلويين
	الفصل الحادي عشر: العادات والتقاليد عند العلويين
٢٠٣	بين السلب والإيجاب
٢٢٣	الفصل الثاني عشر: هل العلويون غلاة؟
٢٢٩	الفصل الثالث عشر: العلويون والتقمص
٢٣٧	الفصل الرابع عشر: العلويون والقضاء والقدر
٢٤٥	الفصل الخامس عشر: العلويون من خلال آثارهم وأقلامهم
٣٨١	الفصل السادس عشر: يقظة المسلمين العلويين
٣٩٩	مصادر الكتاب